موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لبيك اللهم لبيك

فقه الحج و أحكامه

الدكتور : محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج عبادة مالية، فيها دفع للمال، وعبادة بدنية فيها جهد، وعبادة شعائرية فيها مناسك، وفيها طواف، وفيها سعي، فالحج عبادة من نوع خاص، تحتاج إلى تفرغ تام، في الحج تدع عملك، وبيتك، وأهلك، وشأنك، ومكانتك، وأعمالك، وأشغالك، وتذهب إلى الله.. إني ذاهب إلى ربي. أنت في الحج ذاهب إلى الله عز وجل، وكل الدنيا تركتها وراء ظهرك، وما منا واحد إلا وله في بلده شأن، وعمل، وبيت، ووسائل راحته، وفي الحج يدع كل هذا في سبيل الله.



قد يسأل سائل وهذا السؤال وجيه ؟ أليس الله في كل مكان، أليس هو معنا أينما كنا ؟ فما معنى الحج ؟ الجواب: أن الله سبحانه وتعالى اتخذ بيتاً في الأرض، وأمرنا أن نزوره في هذا البيت، لا لأنه هناك، بل هو معنا في كل مكان، ولكن أنت حينما تدع بيتك، وعملك، وتذهب إليه، تشعر بأنه راض عنك، لأن بذل الجهد، وتحمل المشقة، وبذل المال لا تبتغي به لا دنيا، ولا سمعة، ولا تجارة، ولا شيئاً من هذا القبيل، بل تبتغي رضاء الله عز وجل، مع أن الله عز وجل في كل مكان، وهو معنا أينما كنا، ولكن اتخذ بيتاً حينما قال:

﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ (125) ﴾

(سورة البقرة)

أُضِيف البيت إلى ذاته العظيمة، فاتخذ بيتاً، وأمرنا أن نزوره في هذا البيت.

والحج يحقق للمؤمن نقلة نوعية، فلو أن الحاج مسلم صحّ إسلامه، ولكن عندما يدخل الإيمان في قلبه، فالحج لهذا الإنسان ينقله من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان، ولو أن الحاج مؤمن، فلعله ينتقل بالحج إلى مرتبة التقوى والإحسان، ولو أن الحاج متّقٍ، فلعله ينتقل إلى مرتبة الصديقية، فهناك نقلة نوعية كبيرة. الحج يطهِّر النفس مما علق بها من أدران الدنيا، ويصفيها، ويقربها من ربها، ويجعلها مستنيرة، وأن الوقوف بعرفة من معانيه أن تعرف الله عز وجل، لأن الحج من معانيه أن تقيم الحجة بنفسك، فأنت في مناسبة تقترب بها من الله عز وجل، فإذا اقتربت منه ألقى في قلبك نوراً، والله عز وجل مسعد إذا اقتربت منه، فاملأ

قلبك سعادة، و هو الغني، فإذا اقتربت منه ملأ قلبك غنى، والإحساس بالصفاء، والغنى، والطمأنينة، هذه كلها مشاعر الحجاج.

يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام، ويُخلِّف في بلدته هموم المعاش والرزق، هموم العمل والكسب، هموم الزوجة والولد، وهموم الحاضر والمستقبل، وبعد أن يُحرم من الميقات يبتعد عن الدنيا كلياً، ويتجرَّد إلى الله عز وجل ويقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. هذه التلبية كأنها استجابة لنداء ودعوة يقعان في قلبه، أن يا عبدي خلِّ نفسك وتعال إليّ، تعال يا عبدي، لأريحك من هموم كالجبال، تجثم على صدرك، تعال يا عبدي لأطهرك من شهوات تُنغِّص حياتك. تعالَ يا عبدي، وذق طعم محبتي، تعال يا عبدي، وذق حلاوة مناجاتي، لبيك اللهم لبيك، يقع في قلبه أن تعال يا عبدي، يجيبه لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، تعال يا عبدي لأريك من آياتي الباهرات، تعال لأريك ملكوت الأرض والسماوات، تعال يا عبدي لأضيء جوانحك بنوري الذي أشرقت به الظلمات، تعال لأعمر قلبك بسكينة عزت على أهل الأرض والسماوات، تعال لأملأ نفسك غنىً ورضا شقيتْ بفقدهما نفوس كثيرات، تعال يا عبدي لأخرجك من وحول الشهوات إلى جنات القربات، تعال يا عبدي لأنقذك من وحشة البعد إلى أُنس القرب، تعال يا عبدي لأخلصك من رُعب الشرك وذل النفاق إلى طمأنينة التوحيد وعز الطاعة.


العبادات جوهرها الاتصال بالله عز وجل

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، تعال يا عبدي لأنقلك من دنياك المحدودة، وعملك الرتيب، وهمومك الطاحنة، إلى آفاق معرفتي، وشرف ذكري، وجنة قربي، تعال يا عبدي وحُطَّ همومك ومتاعبك، ومخاوفك عندي، أنا أضمن لك زوالها، تعال يا عبدي واذكر حاجاتك، وأنت تدعوني فأنا أضمن لك قضاءها، إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عُمارها، فطوبى لعبد تطهَّر في بيته ثم زارني، وحقَّ على المزور أن يكرم الزائر.

فكيف يكون إكرامي لك إذا قطعت المسافات، وتجشمت المشقات، وتحملت النفقات، وزرتني في بيتي الحرام، ووقفت بعرفة تدعوني، وتسترضيني، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

في رمضان تشحن من عام إلى عام، ثلاثين يوماً، ثلاثين صلاة تراويح، ثلاثين قيام ليل، ثلاثين يوماً وأنت صائم، غاض للبصر، ضابط للسان، ضابط للجوارح، هذه شحنة تكفيك للعام القادم، أما الحج فهو شحنة العمر، لذلك جعل الله الحج رحلة إلى الله قبل الأخيرة، الأخيرة في التابوت، في النعش، هي قبل الأخيرة، من أجل أن تشحن شحنة تعينك على طاعة الله، والصلح معه إلى نهاية الحياة.

هناك حكمة بالغة عندما شرع الله اللون الواحد في الحج، والتصميم الواحد، حتى تختفي الهوية الخاصة، ويبدو البشر كياناً واحداً، ومن ثم تتعامل معهم بدافع إنساني خالص، بعدما ذابت الفروق الطبقية، والهويات الإقليمية، والانتماءات المتعددة، ليبرز هذا اللباس وكأن الناس متساوون في كل شيء، هو الإنسان على فطرته السليمة في مواجهة خالقه الواحد الديان .



بعد أن يخلع الحاج ثيابه المَخيطة والمحيطة، ويرتدي ثوب الإحرام الموحد، يدخل في أفق الممنوعات، ففي باطنه ممنوع أن يفكر في شيء يؤذي الحرم، ومع الناس فلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال في الحج ، ومع الحيوان، فلا يُصطاد، ولا يقتل، ومع النبات فلا يُقطع، ولا يشوه، ومع الحجر فلا يكسر ولا يقتلع، هذه الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام، ليكون الحج سلاماً دائماً.

وأخيرا من أراد أن يحج ينبغي أن يستعد للحج قبل الحج، أن يستعد بالتوبة النصوح، أن يستعد لأداء الحقوق، أن يستعد بالالتزام التام، فإذا توجهت إلى بيت الله الحرام وجدت من القرب ما لا سبيل إلى وصفه، وجدت أن هذه عبادة عظيمة، وأن الثمار التي قطفتها لا توصف، أما إذا حججت بجسدك وكأنها فريضة ينبغي أن تؤدى شكلاً من دون مضمون، من دون قرب من الله عز وجل، تعود من الحج ولك عن مثالب الحجاج وتقصيرهم الشيء الكثير.

فأيها الأخوة الكرام، تفقهوا قبل أن تحجوا، التزموا بمنهج الله قبل أن تحجوا، اعقدوا الصلح مع الله قبل أن تحجوا، أدوا حقوق العباد قبل أن تحجوا، بعدئذ حجوا.

إذاً الحج من أعظم العبادات، إنه في الحقيقة عبادة العمر، إنه في الحقيقة عبادة ينقلك من حال إلى حال، من تعلق بالدنيا إلى تعلق بالآخرة، من وحول الشهوات إلى جنات القربات.

بشكل موجز ما لم تعد بعد الحج إنساناً آخراً بتصوراتك، بقيمك، بعلاقاتك، بانضباطك، فإنك لم تقطف ثمار الحج التي جعلها الله في متناول الحجاج الصادقين.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول : التعريف بالحج و مقاصده

1-1 مقدمة عن عبادة الحج

1-2 مكانة و تعظيم البيت

1-3 المعاني الدقيقة للحج

1-4 أصل فريضة الحج

1-5 المقاصد الأساسية للعبادة

1-6 حقيقة الحج

1-7 أنواع الحج

1-8 لماذا هذا الزمان و هذا المكان

1-1 مقدمة عن عبادة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين كله اتصال بالله عز وجل لأنك إذا اتصلت به سعدت بقربه:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ كما تعرفون جميعاً الإسلام عقيدة، وعبادة، وتعامل، وآداب، فالعبادات ربع الإسلام، وقد أنهينا وخرجنا قبل أيام من عبادة الصوم، ودخلنا في عبادة الحج، والشيء الذي يلفت النظر أن العبادة في الأصل اتصال بالله عز وجل، وهناك مناسبة للاتصال بالله عز وجل يومياً، وهي الصلوات الخمس .



وهناك عبادات تؤدَّى كل أسبوع، وهي صلاة الجمعة، وهناك عبادة تؤدَّى في كل عام وهي عبادة الصوم، وهناك عبادة تؤدى في العمر مرةً واحدة وهي عبادة الحج، فمن عبادة يومية، إلى أسبوعية، إلى سنوية، إلى مرةٍ في العمر.

أيها الأخوة الأكارم ؛ بادئ ذي بدء الصلاة من أجل الصلاة، والصيام من أجل الصلاة، والحج من أجل الصلاة، والزكاة من أجل الصلاة، والدين كله اتصال بالله عز وجل، لأنك إذا اتصلت به سعدت بقربه، ولكن لكل عبادة طعم، وبعضهم قال: إن الصلاة فيها معنى الصيام، ومعنى الحج، ومعنى الزكاة، لأنك حينما تقف في الصلاة لا يصوم فمك فقط، بل تصوم جوارحك عن أية حركة غريبة عن الصلاة، وحينما تتجه في الصلاة إلى بيت الله الحرام فهذا من معاني الحج في الصلاة، وحينما تنقطع عن العمل فهذا معنى الزكاة، لأن الوقت أصل له، وحينما تتجه إلى الله عز وجل فهذا جوهر الصلاة، والصيام من أجل الصلاة، ومن أجل أن تشعر أن الله سبحانه وتعالى راضٍ عنك، لقد تركت طعامك وشرابك من أجله، ولكن الحج أيها الأخوة عبادة مالية، فيها دفع للمال، وعبادة بدنية فيها جهد، وعبادة شعائرية فيها مناسك، وفيها طواف، وفيها سعي، ولكن قبل كل شيء إذا أُدِّيتْ هذه العبادات وأنت في بلدك، وأنت على رأس عملك، والصيام يؤَدَّى وأنت في بلدك، وبين أهلك وأولادك، ومع زوجتك، ولكن الحج عبادة من نوع خاص، تحتاج إلى تفرغ تام، في الحج تدع عملك، وبيتك، وأهلك، وشأنك، ومكانتك، وأعمالك، وأشغالك، وتذهب إلى الله.. إني ذاهب إلى ربي. أنت في الحج ذاهب إلى الله عز وجل، وكل الدنيا تركتها وراء ظهرك، وما منا واحد إلا وله في بلده شأن، وعمل، وبيت، ووسائل راحته، وفي الحج يدع كل هذا في سبيل الله.

التعريفات الدقيقة للحج:

نقف قليلاً عند التعريفات الدقيقة ؛ وعند الحِكَم البليغة في الحج، وعندها ننطلق إلى بعض التفصيلات.

الحج في اللغة هو: القصد، قال بعض العلماء: كثرة القصد إلى من تعظِّمه، فإذا ذهبت إلى محلك التجاري فلست حاجاً، فيجب أن تذهب إلى شيء تعظمه.

وفي الشرع: قصد الكعبة لأداء أفعال مخصوصة، في زمن مخصوص، وبفعل مخصوص.

اتخاذ الله سبحانه وتعالى بيتاً في الأرض وأمرنا أن نزوره في هذا البيت لنبتغي رضاه:

قد يسأل سائل وهذا السؤال وجيه ؟ أليس الله في كل مكان، أليس هو معنا أينما كنا ؟ فما معنى الحج ؟ الجواب: أن الله سبحانه وتعالى اتخذ بيتاً في الأرض، وأمرنا أن نزوره في هذا البيت، لا لأنه هناك، بل هو معنا في كل مكان، ولكن أنت حينما تدع بيتك، وعملك، وتذهب إليه، تشعر بأنه راض عنك، لأن بذل الجهد، وتحمل المشقة، وبذل المال لا تبتغي به لا دنيا، ولا سمعة، ولا تجارة، ولا شيئاً من هذا القبيل، بل تبتغي رضاء الله عز وجل، مع أن الله عز وجل في كل مكان، وهو معنا أينما كنا، ولكن اتخذ بيتاً حينما قال:

﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ (125) ﴾

(سورة البقرة)

أُضِيف البيت إلى ذاته العظيمة، فاتخذ بيتاً، وأمرنا أن نزوره في هذا البيت.

فأنت حينما تأتي إلى المسجد، ألم يرد في الحديث القدسي:

((إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني، وحقّ على المزور أن يكرم الزائر))

فالمسجد مكان عبادة، والحرم وما حوله كله مكان عبادة، قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ (37) ﴾

(سورة إبراهيم)

هذا المكان كله، مكة، وعرفات، ومنى، والمسعى، والمطاف، وما حول الحرم، هذا كله من أجل أن يقيموا الصلاة.

﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ (37) ﴾

(سورة إبراهيم)

الحج رحلة إلى الله قبل أن تغادر الدنيا مغادرة لا عودة فيها:

إذاً يجب أن نضع في أذهاننا أن الحج رحلة إلى الله، وقد جُعلت في العمر مرة لأنها الرحلة قبل الأخيرة، الرحلة الأخيرة إلى الدار الآخرة، فهذه رحلة إلى الله قبل أن تغادر الدنيا مغادرة لا عودة فيها.

إذاً هو أداء أفعال مخصوصة، في أماكن مخصوصة، في زمن مخصوص.


الحج رحلة إلى الله وهي ما قبل الرحلة إلى الدار الآخرة

فالحج في أصح الأقوال فُرض في العام التاسع للهجرة، حينما أنزل الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) ﴾

(سورة آل عمران)

فما علاقة الكفر هنا في هذه الآية ؟ قال بعضهم: من أنكر فرضيته فقد كفر، ومن أهمل أداء هذا الواجب فقد فسق. ومن كفر فإن الله غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ..

العمرة زيارة طوعية والحج دعوة من الله عز وجل:

العمرة تصح في كل الأوقات، ومعنى العمرة أنك تزور بيت الله الحرام، ومعنى الحج أن الله دعاك إلى بيته، وأنت في الحج تلبي دعوة، وفي العمرة تزور مبتدراً . بمبادرة منك ..

العمرة تؤدَّى في أي وقت من أوقات السنة، إذاً هي زيارة إلى بيت الله الحرام، أما الحج فدعوة من الله عز وجل، لأنّ الله عز وجل يدعوك إليه، ولهذا فكلمات الحاج في كل مكان، وفي كل موقف، وعند كل تحول، وحينما يصعد شرفاً، أو يهبط وادياً، أو يدخل بيتاً يلبي:

((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك))

لبيك يا رب، وها أنا قد أتيتك متذللاً، ومحباً، ومشتاقاً.

العمرة إذاً زيارة طوعية، فأنت فيها تبادر إلى زيارة بيت الله الحرام، ولكن الحج في أصح الأقوال دعوة من الله عز وجل.

الاستطاعة ثلاثة أنواع ؛ بدنية ومالية وأمنية:

الحج كما تعلمون هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله على المستطيع والاستطاعة ثلاثة أنواع ؛ بدنية، ومالية، وأمنية، واستطاعة رابعة خاصة بالمرأة أن يكون لها مَحرَماً، فمن لم تجد محرماً فلا حج عليها، لأنها ليست مستطيعة.

وعند الرجال ثلاثة أنواع من الاستطاعات، فلو أن الطريق غير آمن فلست مستطيعاً، ولو أنك مُنِعتَ من أن تحج فلست مستطيعاً، ولو أنك لا تملك المال الكافي فلست مستطيعاً.

ولا يجوز أن تملك أجرة الوصول إلى مكة، وأن تتكفف الناس هناك، فليس الحج واجباً على الفقراء، إنه قد فُرض على الأغنياء المستطيعين، فأنْ تنام في الطرقات، وأن تشوه سمعة المسلمين، وأن تكون في مظهر لا يليق بالمسلم، فأنت لست مستطيعاً إلا أن تملك أجرة المبيت في بيت يؤويك.

إذاً الاستطاعة ثلاثة أنواع ؛ بدنية، ومالية، وأمنية، بأن يكون الطريق إلى الحج سالكاً.

الإيمان بالله و رسوله أعظم عمل على الإطلاق:

ثمّة شيء آخر ؛ قال بعض العلماء:

((الحج أفضل العبادات لاشتماله على عبادة إنفاق المال، وعلى عبادة شعائرية، وعلى عبادة التفرغ، فيه معنى الصيام، ومعنى الصلاة، ومعنى الاعتكاف، ومعنى الزكاة، ومعنى المرابطة في سبيل الله، ومعنى الغزو، ومعنى تلبية الدعوة، فكل هذه المعاني مجموعة في الحج))

ولكن عند بعض العلماء أن الصلاة هي أفضل الأعمال لأنها عماد الدين كما قال عليه الصلاة والسلام، على كلٍ هذه قضية خلافية.

والنبي عليه الصلاة والسلام سئل أي الأعمال أفضل: قال: إيمان بالله وبرسوله.

هذا أعظم عمل، لأن الإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وأساس العزائم، والنجاة، والاستنارة، والفلاح، والنجاح، والتفوق، والفوز، وأساس السلامة و السعادة، لما قيل للنبي عليه الصلاة والسلام:

((أي الأعمال أفضل قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: ثم الجهاد في سبيل الله))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أنواع الجهاد:

والجهاد كما تعلمون على أنواع كثيرة، فيمكن أن تجاهد نفسك وهواك، ويمكن أن تجاهد في طلب العلم، وفي تعليم العلم، قال تعالى:

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52) ﴾

(سورة الفرقان)

ويمكن أن تجاهد العدو، فالجهاد جهاد العدو، وجهاد النفس والهوى، وجهاد طلب العلم، وتعليم العلم، وهذا أيضاً يحتاج إلى جهد، ووقت، وصبر.

((قيل: ثم ماذا، قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا ؟ قال: حج مبرور))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

ومعنى مبرور أي حج مقبول، وكيف يُقبل ؟ أي لا يكون فيه إثم.

وفي حديث آخر:

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

والمبرور كما قيل: المقبول.

الاختلاف في الأحاديث الشريفة يعود إلى حال المخاطب:

لكن هناك علماء قالوا: كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم فضل مرة الحج، ومرة الصلاة، ومرةً الجهاد، ومرةً إنفاق المال ؟ قالوا: هذا الاختلاف فيما يبدو لنا أساسه أن النبي عليه الصلاة والسلام نظر إلى حال المخاطب، فإذا كان المخاطب غنياً نقول له: أفضل عمل تفعله أن تنفق من مالك، وإذا كان المُخاطَب قوياً شجاعاً، وهناك عدوٌّ متربصٌ، نقول له: أفضل عمل أن تجاهد العدو، وإذا رأى رجلاً مغرماً بطلب العلم

وتعليم العلم، فطلب العلم وتعليمه من أفضل الأعمال لهذا الرجل، إذاً إذا رأيت في الأحاديث الشريفة اختلافاً فهذا يعود إلى حال المخاطب.

والنبي الكريم قال له أحدهم: عظني، فقال له: لا تغضب، ويبدو أنه رآه غضوباً، وقال لآخر: قل آمنت بالله ثم استقم، وقال لثالث: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فاختلاف الموضوع أساسه اختلاف المُخاطب.

فوائد الحج:

على كلٍّ: فالحج له فوائد كثيرة، وهذه قاعدة، لأنّ أمر الله عز وجل لا يمكن أن يُحدَّ بفائدة واحدة، وأمر الله عز وجل لا نهاية لحكمه، ولا نهاية لثمرته اليانعة، فإذا تحدثنا عن الحج فعن بعض فوائده الشخصية.

والحج يحقق للمؤمن نقلة نوعية، فلو ذهب إلى الحج رجل له مخالفات قبل أن يحج، فأغلب الظن أنه بهذا الحج يتوب من هذه المخالفات، ويقبل الله توبته، فينقل هذا الإنسان من المعصية إلى التوبة.



فلو أن الحاج مسلم صحّ إسلامه، ولكن عندما يدخل الإيمان في قلبه، فالحج لهذا الإنسان ينقله من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان، ولو أن الحاج مؤمن، فلعله ينتقل بالحج إلى مرتبة التقوى والإحسان، ولو أن الحاج متّقٍ، فلعله ينتقل إلى مرتبة الصديقية، فهناك نقلة نوعية كبيرة ، لأنها أيام طويلة ومديدة يقضيها الحاج في رحاب بيت الله الحرام حول الكعبة، وفي المسعى، وفي منى، وفي عرفات، فتارة يصلي، وتارة يطوف، وتارة يسعى، وتارة يدعو، وتارة يبتهل، وتارة يذكر، وتارة يتلو القرآن، وتارة يتصدق، وتارة يقدم الهدي، فهناك أنواع منوعة، وأفعال كثيرة، وأوقات مديدة، فلذلك الحج يحقق نقلة نوعية للمؤمن.

وبصراحة من ذهب إلى الحج وعاد منه كما ذهب فإنّ الله غني عن عبادة شكلية، وماذا يستفيد الله من ترك بيوتنا وأموالنا وأولادنا، والذهاب إلى مكان بعيد، حيث الحر الشديد والازدحام، وإنفاق الأموال، من دون أن تشعر بهذه الصلة بالله عز وجل ؟ فمن وقف في عرفات ولم يتيقن أن الله قد غفر له فلا حج له، فإلى أين أنت ذاهب ؟ أنت ذاهب إلى الله عز وجل، أفيُعَقل أن الله عز وجل لا يقبلك، وقد دعاك ؟ لا، سيتجلى عليك، سيسعدك، وقد سمح لك أن تأتي إلى بيته العظيم.

الحاج ينتقل بالحج نقلة نوعية من المعصية إلى الطاعة ومن الإسلام إلى الإيمان:

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذه نقطة مهمة، فمن جمعة إلى جمعة، ومن صيام إلى صيام، ومن عمرة إلى عمرة ومن حج إلى حج.

إنّ الإنسان أحياناً تدركه غفلة قليلة، ويدركه تقصير، فتأتي الصلاة فتمحو هذا التقصير، وتأتي صلاة الجمعة فيُشحن الإنسان شحنة عاطفية وعقلية، ويُدفَع مرةً ثانية إلى الله ورسوله، فحضور خطبة الجمعة شحنة يشحن بها المؤمن، ومجيء رمضان شحنة أخرى يُشحن بها المؤمن، وهي قفزة، وحركة جديدة، وتطور نوعي، والحج كذلك.

فالفوائد الشخصية أولاً: أن الحاج ينتقل بالحج نقلة نوعية، من مرتبة إلى مرتبة، و من المعصية إلى الطاعة، ومن الإسلام إلى الإيمان، ومن الإيمان إلى الإحسان، ومن الإحسان إلى الفناء.

فلابدّ أن تنتقل بهذه النقلة النوعية في الحج.

دعوة الله عز وجل الناس الذين لم يحجوا أن يعينوا الحاج على أداء حجه:

وهناك حديث آخر:

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي حديث آخر:

((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ، وقال أيضاً - وفي هذا الحديث لفتة دقيقة جداً - يُغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج))

[رواه البيهقي في شعب الإيمان ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ما هذه اللفتة، الحاج مغفور له، ولكن أي إنسان استغفر الحاجُ له فهذا الإنسان يُغفر له، لماذا ؟ كأن الله عز وجل يدعونا جميعاً إلى خدمة الحاج، فإذا جهّزنا الحاج، وسهلنا أموره، وأعنّاه على حجه بالكلمة الطيبة، والخدمة الصادقة، والمعونة البالغة، فإذا سُر هذا الحاج من خدمتنا، واستغفر لنا، غفر الله لنا، فهذه دعوة لجميع الناس، ولجميع الحجاج، لأنه لو فرضنا أن هذا الحاج اضطر لأن يذهب إلى الحج وقال لك: أوصيك بولدي خيراً، فلو أن أمّاً طلبت منها ابنتها أن تحج مع زوجها، وأن تدع ابنها عندها، فلو أنها قبلت واستغفرت

لها ابنتها لغفر الله لها ولابنتها، فهذه إشارة لطيفة في أن دعوة الله عز وجل لهؤلاء الناس الذين لم يحجوا أن يعينوا الحاج على أداء حجه.

الحج لا يكفِّر إلا ما كان بينك وبين الله فقط:

ولكن هناك وقفة لابد أن أقفها ؛ فقد يتوهم بعض الناس أن الإنسان إذا ذهب إلى الحج كأن ذنوبه موضوعة في وعاء، وقد أفرغ هذا الوعاء في الحج وعاد بلا ذنوب.

أيها الأخوة الأكارم ؛ الذنوب المتعلقة بالعباد لا تُغفر، ولو بمليون حجة.


حقوق العباد لا يغفرها الحج إنما تغفر بالأداء والمسامحة

فاغتصاب الأموال، وأكل الحقوق، واغتصاب بيت، ومحل، وحقوق أخوته الصغار، وكان الأخ الأكبر فيهم، وقد أكل أموال أخوته من ميراثهم، وذهب إلى الحج فلعل الله يغفر له !! هذا هو الجهل بعينه، فقد أجمع العلماء على أن الحج لا يكفِّر إلا ما كان بينك وبين الله فقط.

هناك صحابي جليل خاض مع النبي معارك ضارية، وبذل هذا الصحابي حياته على كفه في سبيل الله، ومع كل هذا إذا مات هذا الصحابي يسأل النبي عليه الصلاة والسلام أعليه دين ؟

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِرَجُلٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ فَإِنَّ عَلَيْهِ دَيْنًا، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: هُوَ عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِالْوَفَاءِ ؟ قَالَ: بِالْوَفَاءِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ))

[الترمذي عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

حديث آخر:

((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ)).

[مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ]

فهل من عمل أعظم من أن تقدم حياتك في سبيل الله ؟ ومع ذلك الدين لا يُغفر للشهيد دَيْنُه.

إذاً فهذا الذي يتوهم أن الإنسان إذا أدى الحج غفر الله جميع ذنوبه، هذا إنسان واهم ، والمقصود بالذنوب في قوله: "رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه"، الذنوب التي بينك وبين الله، أما التي بينك وبين العباد، فكما تعلمون حقوق العباد مبنية على المشاحة، بينما حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، لذلك قال بعض العارفين:

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

الحج عمليَّة صُلح مع الله و إعلان العبودية له و شكره على نعمتي الغنى و الاستطاعة:

فما معنى حجة الإسلام ؟ هي حجة الفرض، فترك دانق من حرام، والدانق سدس الدرهم، والدرهم افترضه ليرة سورية، فسدسه عشرون قرشاً، فترك هذا المبلغ اليسير من حرام أفضل من ثمانين حجة تؤديها.



والشيء الثاني هو أن الحج يطهِّر النفس مما علق بها من أدران الدنيا، ويصفيها، ويقربها من ربها، ويجعلها مستنيرة، وأن الوقوف بعرفة من معانيه أن تعرف الله عز وجل، لأن الحج من معانيه أن تقيم الحجة بنفسك، فأنت في مناسبة تقترب بها من الله عز وجل، فإذا اقتربت منه ألقى في قلبك نوراً، والله عز وجل مسعد إذا اقتربت منه، فاملأ قلبك سعادة، و هو الغني، فإذا اقتربت منه ملأ قلبك غنى، والإحساس بالصفاء، والغنى، والطمأنينة، هذه كلها مشاعر الحجاج.

فبشكل أو بآخر الحج عمليَّة صلح مع الله، ومع الصلح فتح صفحة جديدة، وبالضبط هذا المثل، هناك دفتر حسابات، من، وإلي، وذمم، وديون، وحسابات معقدة، فحينما يحج العبد إلى ربه عز وجل، كل هذه الصفحات تطوى، وتُفتح صفحة جديدة مع الله عز وجل.

فكل إنسان أراد الحج فهو يبحث عن علاقة جديدة مع الله، وعن صفحة جديدة تُفتح في علاقته مع الله عز وجل.

شيء آخر في الحج، وهو أنّ الحج نوع من أنواع الشكر، فالشكر على أية نعمة ؟ على نعمتين ؛ أليس الحج بذل جهد بدني ومالي؟ فإذا ذهبت إلى الحج فقد شكرت الله على نعمة الغنى، ونعمة الاستطاعة، وعلى نعمة القوة التي متعك الله بها.

من معاني الحج إظهار العبودية لله عز وجل، تعال إليّ.. لبيك اللهم لبيك، واخلع عنك الثياب، وارتدِ هذه الثياب غير المخيطة.. لبيك اللهم لبيك، إياك أن تتطيب.. لبيك اللهم لبيك، إياك أن تتكلم كلمة، لا فسوق، ولا جدال.. لبيك اللهم لبيك، فهو عملية خضوع تام لله عز وجل، وهذا نوع من أنواع إعلان العبودية لله عز وجل.

أهداف الحج الفردي و الجماعي:

فكل إنسان له مستوى في معرفة الله عز وجل، وهناك إنسان معرفته بالله تجعله مع الله في أكثر أوقاته، وهناك إنسان معرفته بالله تجعله مع الله من حين إلى آخر، وهناك إنسان معرفته بالله تسعده بمراقبة الله له دائماً، فكل مستوى من هذه المستويات يمكن أن ترقى منه إلى مستوى أعلى في الحج، وهذه بعض الأغراض الشخصية في الحج، وأما الجماعية فالله عز وجل قال:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (28) ﴾

(سورة الحج)

هنالك يلتقي المسلمون مِن شتى أقطارهم، فيتعارفون، وقد يلتقون بعلمائهم، وزعماؤهم، وقد يتباحثون، فهو مؤتمر سنوي لجميع المسلمين في الحج، وقد تُنشر الدعوة إلى الله في الحج، وهذا له عمل علمي أطلع عليه زملاءه في الحج، وهذا له فكر نيّر، وهذا له دعوة، فهذا التبادل بين الحجاج، تبادل الخبرات، والمعلومات، واللقاءات، والتعارف، هذا كله من أهداف الحج الجماعي.

الحجاج جميعاً سواسية أمام مناسك الحج:

وشيء آخر يوحي أن الحج فيه مساواة ثانية، أولاً: الإنسان في الحج يخلع الدنيا كلها، وأحد مظاهر الدنيا اللباس، فيُقَيَّم مستوى الإنسان المالي من مستوى ثيابه، واللباس مستويات، فيمكنك أنْ ترتدي بذلة ثمنها يقدر بثمانمئة ليرة، أو بثلاثة آلاف، أو بخمسين ألفاً.

فحينما أمرنا أن ننزع ثيابنا كلها، معنى ذلك أن هناك مساواة، وكأن الحج يذكّرنا بيوم الحشر، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ (94) ﴾.

(سورة الأنعام)

والحج كذلك.. النواحي الاجتماعية أبلغ درجات السواسية، والآن في المسجد يوجد مساواة، فترى الإنسان الغني والفقير، والخطير وغير الخطير، والقوي والضعيف، يقفون في صف واحد، ليس هناك أماكن خاصة لفئات معينة، وليس في المسجد مكان درجة أولى ودرجة ثانية، إنّ بيت الله عز وجل للجميع، ولكن يمكن أن ترتدي ثياباً في المسجد أغلى ثمناً، وأكثر أناقة، لكن في الحج جميع الحجاج سواسية أمام مناسك الحج.

الحج مرة واحدة ومن كان صحيح البدن ميسور الدخل عليه أن يحج كل خمسة أعوام:

هناك شيء آخر في موضوع الحج، أولاً: الحج في العمر مرة واحدة، والدليل أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْه]

إذاً الحج مرةً واحدة، ولكن ورد في بعض الأحاديث القدسية التي رواها البيهقي وابن حبان أن الله عز وجل يقول:

((إن عبداً أصححت له جسمه . جسمه قوي .، ووسعت عليه في المعيشة . دخله كبير. تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

معنى ذلك أنّ الحج يتجدّد، والذي حج مرة أو مرتين، كل حجة تشعرك أن هذه الحجة في مستوى أكبر من المستوى السابق.

والحج مراتب كثيرة، فالذي حج مرةً للفرض، يمكن أن يحج كل خمسة أعوام إذا كان صحيح البدن، ميسور الدخل.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

لكن الحج مرة ثانية قد يكون واجباً، فلو أنّ شخصاً قال: إنْ رزقني الله ولداً لأحجَّنَّ بيت الله الحرام، وقد حجَّ سابقاً، فقد صار الآن نذراً، والفرض مرةً واحدة، وصار هذا الحج في حقك واجباً، ويحرم الحج بمال حرام ؛ لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً.

يُكره الحج بلا إذن ممن يجب استئذانه:

ويُكره الحج بلا إذن ممن يجب استئذانه، كأحد أبويه المحتاج إليه، رجل له أب محتاج إليه، أو له أم محتاجة إليه، لا يُقبل حجه إلا أن يستأذن أمه أو أباه، أو كلاهما، وهذا من باب الكراهة، وعند بعض المذاهب من باب الكراهة التحريمية، فيكره تحريماً أن تحج بيت الله الحرام دون أن تستأذن ممن له حق عليك. يُكره كراهة تحريمية أن تحج دون أن تستأذن غريمك، عليك دين لشخص، وقد رآك تذهب إلى الحج، وعليك خمسين ألف ليرة ديناً، فإنّ صاحب الدَّين يتألم ؛ فقبل أن تحج البيت أدِّ ما عليك، أو أنْ تستأذنه فيأذن لك. والعمرة كما قال بعض العلماء: يمكن أن تتكرر في العام الواحد مرات عديدة، والعمرة عند بعضهم واجبة، كوجوب الحج، لقوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ (196) ﴾

(سورة البقرة)

***

موضوع القِبلة:

استقبال القبلة أحد شروط الصلاة و يمكن للإنسان أن يميل عنها بحالات خاصة جداً:

هناك موضوع قصير، أريد أن أبحثه معكم، لأنه بلغني قبل أيام أن أحد الأخوة الكرام قال: القبلة مائلة، وفي هذا تشويش على المصلين، فأردت أن أعرض عليكم موضوع القبلة بشكل دقيق ؛ لأن الفقه قوام الدين.
أولاً: حينما قال الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (150) ﴾

(سورة البقرة)

شيء بديهي ومعروف عندكم ؛ أحد شروط الصلاة استقبال القبلة، ولكن القبلة نقطة أم خط ؟ فهل يجب أن نتجه إلى عين الكعبة أم إلى خطٍ يمر بالكعبة ؟ وهل القبلة جهة أم نقطة ؟ استمعوا إلى رأي العلماء: أولاً: في حال الخوف الشديد يمكن ألاّ تتجه إلى القبلة ؛ لأن قبلة الخائف جهة أمنه، في حال المرض الشديد يمكن ألاّ تتجه إلى القبلة ؛ لأن قبلة المريض جهة راحته، وفي حال صلاة النافلة على الدابة يمكن ألاّ تتجه إلى القبلة ؛ لأن قبلة المسافر جهة دابته.

فقبلة المريض جهة راحته، وقبلة الخائف جهة أمنه، وقبلة المسافر جهة دابته ، يمكن أن تصلي صلاة نافلة على الدابة، أو السيارة – هي دابة اليوم – أو الطائرة متجهة نحو الشمال، ويمكن أن تخاف من عدو أو من سبع فتتجه نحو الشرق وأنت تصلي، ويمكن أن تتجه نحو الغرب إذا كنت مريضاً وترتاح بهذه الطريقة.. على كل هذه أعذار أما إذا انتفت الأعذار فالقبلة يجب أن تتجه إلى بيت الله الحرام، لهذه الآية التي هي أصل في القبلة.

أيُّ خط اتجه نحو الجنوب فهو نحو القبلة في المذاهب الثلاثة:

لكن هناك حالات خاصة، لمن هم في مكة المكرمة، إذا دخلت إلى بيت الله الحرام، ورأيت الكعبة رأي العين، فالقبلة يجب أن تكون عين الكعبة، وأن تتجه إلى الكعبة بعينها، والعلماء يقولون: وسكان مكة المكرمة يجب أن يتجهوا إلى عين الكعبة، لا إلى جهتها في صلاتهم. فمن دخل إلى بيت الله الحرام أو من كان مقيماً في مكة المكرمة، فالقبلة ليست جهة الكعبة، بل عين الكعبة، وما سوى ذلك فالأحناف، والحنابلة، والمالكية، يعتبرون القبلة هي جهة وليست نقطة، و يعتمدون في هذا على قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

فالقبلة هي الجهة، فإذا اتجه المسجد نحو الجنوب فهو وفق القبلة الصحيحة، أما أن تطالب أن يتجه المصلي إلى درجات من الزاوية . سبع وثلاثين درجة وربع . فقد جعلت القبلة نقطة، وهذا خلاف الأحناف، والمالكية، والحنابلة، ولكن هناك نقطة في هذا الموضوع الإنسان دائماً حينما ينسى جوهر الصلاة، ويتعلق بخلافيات، وبأشياء صغيرة جداً، ويلقي على الناس كلاماً من دون تحقق، ومن دون دقة، فقد يوقع التشويش بينهم، وهذا ليس من الحكمة في شيء، فلذلك المذاهب الثلاثة تجعل القبلة جهة الشرق والغرب معاً، فهي خط يبدأ من المشرق وينتهي من المغرب ويمر بالكعبة، فإذاً أيُّ خط اتجه نحو الجنوب فهو نحو القبلة.

ولو أردنا هذه الدقة التي يقولها بعض الناس لم تصحَّ صلاة الصف المستقيم، أليس كذلك ؟ ولو كان الصف طويلاً يجب أن يتجه من على اليمين نحو الوسط، ومن على اليسار نحو الوسط، فصار الصف منحنياً، وهذا ليس وارداً في الصلاة إطلاقاً، فالصف يجب أن يكون مستوياً، ألا تسمعون الإمام يقول:

((سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة))

إذاً هذا التشويش درجتان ؛ درجة ونصف، درجة وربع، ونقول: نحن في المذاهب الثلاثة الاتجاه إلى جهة الجنوب هي القبلة الصحيحة.

لكن مذهب الشافعية يرى أن الاتجاه نحو عين الكعبة، وهذا المذهب يوجب الدرجات، وحساب الجنوب الحقيقي والجغرافي، وهذا كله لسنا بحاجة إليه.

الاجتهاد في تحرِّي القبلة في المدر:

هناك شيء آخر ؛ يجب الاجتهاد في تحرِّي القبلة، أفي الحضر أم في المدر ؟ هل في الحضر اجتهاد ؟ لا، المدينة كلها مساجد، فادخل إلى أي مسجد ترى المحراب نحو القبلة، فلا يوجد اجتهاد في الحضر، أما إذا كنت مسافراً، وكنت في أرض فلاة، فعندئذ يجب عليك أن تجتهد في تحري القبلة، ويمكن أن تحمل بوصلة أو أجهزة تعطيك القبلة بحسب الشمال بالدرجة، أو بحسب الشمس، أو بحسب القمر، فيمكن أن تهتدي بالشرق والغرب، أو تهتدي بنجم القطب، أو باتجاه الرياح، وأضعف الأدلة اتجاه الرياح، وأقواها نجم القطب.

من لم يتحرَّ القبلة فصلاته غير مقبولة ولو أصاب أما إذا علم أنه قد أصاب فصلاته مقبولة:

انظروا إلى الدِّين ما أعظمه، فلو اجتهدت في تحري القبلة، وصليت الصلوات كلها، وبعد أن انتهيت من الصلاة تبين لك أن اجتهادك غير صحيح فالصلاة مقبولة، وليس عليك أن تعيدها.. هذا الدين ؛ لأن أصحاب رسول الله، صلوا مرةً واجتهد كل واحد منهم في القبلة، واختلفوا في اجتهادهم، فلما عادوا إلى النبي قصوا عليه ما حدث فنزل الوحي بهذا:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115) ﴾

(سورة البقرة)

فيمكن أن تصلي نحو الشمال على أنه الجنوب، والصلاة مقبولة وليس عليك أن تعيدها، إذاً هل يُعقل أن نشوش على الناس إذا كان الفرق درجة، أو نصف درجة، ذكرت لكم هذه الأحكام كي لا نسمح لإنسان أن يشوش صلاتنا، أو نغير اتجاهنا.



وهناك تعنت، وإلقاء كلام غير مسؤول.. والذي يقول هذا الكلام ليس فقيهاً في الأصل، ولو عرف المذاهب الأربعة وأدلتها، فالنبي الكريم يقول:

((مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

إذاً القبلة جهة وليست نقطة، وكل مسجد متجه نحو الجنوب فقبلته صحيحة، أما إذا أردت أن تتبع مذهباً واحداً، وهو مذهب الشافعي تحتاج إلى مشقة بالغة في تحري جهة المصلي وهي نقطة عين الكعبة. فأنت مسلم، واللهُ أمرك أن تجتهد، تجتهد بالساعة، أو بالشمس، أو بالقمر، أو تسأل إنساناً، ولكن: لا سألت ولا اجتهدت فهذا اسمه إهمال، ولذلك من لم يتحرَّ القبلة فصلاته غير مقبولة ولو أصاب، أما إذا علم أنه قد أصاب، فقال العلماء: إن صلاته مقبولة.

ومن اجتهد في الحضر أيضاً فصلاته غير مقبولة، لأنّ الحضر لا اجتهاد فيه والحضر كله مساجد، وكلهم يقيمون، ويصلون.

القرآن يبعث في القلب الطمأنينة و الراحة:

رجل قال كلمة أحببتها، قال: القرآن يبعث في القلب الطمأنينة، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، والسنة تنوِّر الوجه، والدليل:

((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ))

[الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

فإذا سمع الإنسان من رسول الله حديثاً، أو قرأه، وبلغه للناس فهذا ينير الوجه.

والفقه يوسع الأفق، فلما يضيّق الإنسان عليك الأمر تضييقاً شديداً فهذا ليس فقيهاً لأنّ الفقه فيه اتساع، وفيه يسر، وفيه اختلاف رحمة ، لا اختلاف تناقض، فالإنسان إذا عرف الحكم الفقهي، وعرف أدلة الفقهاء، يشعر أنه في بحبوحة، وأن الإسلام يسر، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا))

[البخاري عن أنس]

((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ))

[البخاري عَنْ عَائِشَةَ]

والحمد لله رب العالمين

1-2 مكانة و تعظيم البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مكة المكرمة هي الوسط الهندسي للعالمين القديم والجديد معاً :

أيها الأخوة المؤمنون... مع الدرس الثاني والخمسين من دروس سورة البقرة، ومع الآية الثامنة والخمسين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

أيها الأخوة الكرام:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 96]

قال علماء الجغرافيا: مكة المكرَّمة هي الوسط الهندسي للعالم القديم والجديد معاً، العالم القديم ؛ آسيا، إفريقيا، أوقيانوسيا، وأوروبا، أطراف العالم القديم، أيّ طرف من هذه الأطراف يبعد عن مكَّة ثمانية آلاف كيلو متر، إذا أضفنا العالم الجديد، وهو أمريكا الشمالية والجنوبية، أيّ طرف من أطراف العالَم الجديد يبعد عن مكة المكرَّمة ثلاثة عشر ألف كيلو متر، فمكة المكرمة هي الوسط الهندسي للعالمين القديم والجديد معاً.

هي أول بيتٍ وضع للناس، لأن الله عزَّ وجل خلق الإنسان بطبيعةٍ ماديَّة، فالإنسان إذا أراد أن يتقرَّب إلى الله يذهب إلى بيت الله، صار هناك هدف، الله عزَّ وجل قدَّس هذا المكان، المكان ليس مقدساً بذاته إلا أن يقدسه الله عزَّ وجل. فأمرنا أن نقبّل الحجر الأسود، وأمرنا أن نضرب رمز الشيطان بالحجر، فرمز الشيطان محتقر نرجُمه، والحجر الأسود مقدسٌ نقبّله، لا لعلةٍ فيه بل لأن الله أمرنا أن نفعل ذلك.

ربنا عزَّ وجل اتخذ هذا البيت الحرام ليكون وسيلةً لإقبال العباد على الله عزَّ وجل :

إذاً الله عزَّ وجل اتخذ هذا البيت بيتاً له وقال: تعالوا إلي، أقبِلوا علي، تقول أنت: لبيك اللهمَّ لبيك، هذا الشيء يقودنا إلى الحج، الإنسان يصلي في بلده، وزوجته أمامه وأولاده، وعمله قريب من بيته، أما حينما يحج بيت الله الحرام لا بد من ترك بيته، وترك زوجته، وترك أولاده، وترك منصبه، وترك مكانته، وترك عمله، وأن يتوجَّه إلى بيت الله الحرام متفرّغاً لله عزَّ وجل، فإذا فرَّغ نفسه لله عزَّ وجل، فإن الله جل جلاله يفرغه مما سواه مكافأةً له على هذا التفرُّغ، فسأل أي حاجٍ ذهب إلى بيت الله مخلصاً، أي مشكلةٍ يعاني منها، أي همٍ في بلده يمحوه الله عنه ما دام في الحج.

إذاً الله عزَّ وجل من أجل أن تدفع ثمن لقائه اتخذ بيتاً، وقال: تعال إلي، من أجل أن تدفع ثمن لقائه.

مثل بسيط: لو أن طالباً والده أستاذ رياضيات متفوّق، والأب أعطى ابنه درساً طبعاً بلا ثمن، لأن الدرس مجاناً، قد ينتبه وقد لا ينتبه، قد يستفيد وربما لا يستفيد، أما حينما يدفع الطالب مما قد جمَّعه في صيفٍ بكامله ثمن دروس أستاذ رياضيات، كله آذانٌ صاغية، لأنه دفع ثمن هذا الدرس من ماله الشخصي.

الإنسان حينما يترك بيته، ويترك أهله، وأولاده، وعمله ويؤثر تلبية دعوة الله على كل حظوظه من الدنيا، دفع ثمن هذا اللقاء، لذلك الله اتخذ بيتاً وقال: تعالوا إلي، أي تعال يا عبدي لأريحك من همومٍ كالجبال، تعال يا عبدي لتذوق طعم القرب مني، تقول له: لبيك اللهمَّ لبيك، فربنا عزَّ وجل اتخذ هذا البيت الحرام ليكون وسيلةً لإقبال العباد على الله عزَّ وجل.

إبراهيم عليه السلام له موقفان انفرد وتفوق بهما :

طبعاً هذه مقدمة، أما الذي أريد أن أقوله لكم: سيدنا إبراهيم أبوا الأنبياء، وقد قال الله عزَّ وجل:

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

أي اتخذوا من أعمال إبراهيم طريقاً إلى الله، اتخِذوا من الأعمال الجليلة التي قام بها إبراهيم طريقاً إلى الله عزَّ وجل، ماذا فعل إبراهيم؟ إبراهيم عليه السلام له موقفان انفرد بهما، أو تفوق بهما.

1. التوكُّل المُطلق على الله :

الموقف الأول: التوكُّل المُطلق على الله. طبعاً نحن نتوكَّل على الله، ولكن نأخذ بكل الأسباب، أنت حينما تسافر يكون البيت ممتلئاً بالطعام والشراب، وكل الأشخاص يلبّون طلباتك في غيبتك، ووضعت عندهم المال الكافي، وهناك هاتف، وكل شيء ميسَّر، وصيت أُناساً كثيرين لتلبية طلبات عائلتك في غيبتك، أما أن يأتي هذا النبي الكريم بزوجته هاجر وابنه، ويضعهما في وادٍ غير ذي زرع ويذهب، تقول: " **آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا الله عزَّ وجل**".

هناك ثقة بالله ليس لها حدود، أنت حينما تثق بالله لا بد من أن يكون الله معك، هذه المرأة والأم، تعرفون من الأم، أية أم، إذا أم زوجة نبي كريم ليس هناك شراب تشربه، ماء لا يوجد، آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لن يضيعنا الله أبداً. وضعها بين الصفا والمروة، هما مكانان مرتفعان في موقع مكة، في أول بيتٍ وضع للناس، فمن شدة حرصها على ابنها، وعلى سلامته، أين الماء؟ راحت تسعى بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء، ولكن مسعاها لم يجدِ شيئاً، طفلها الصغير ضرب بقدمه الأرض . أحياناً تحفر خمسمئة متر لا تجد ماء . فانفجر من تحت قدمه نبع زمزم.

ربنا عزَّ وجل علَّمنا بهذا الدرس أنك إذا توكلت على الله حقَّ التوكُّل كان الله معك، ولن يضيعك، طبعاً هذا توكُّل مطلق، لكن بالطبع نحن لسنا أنبياء، نحن مأمورون أن نأخذ بكل الأسباب وأن نتوكل على الله رحمةً بنا، أما إنسان يضع زوجته وابنه في وادٍ غير ذي زرع، حيث لا ماء، والإنسان بلا ماء يموت في أيام معدودة، أعتقد في ثلاثة أيام ينتهي، وبلا هواء أربع دقائق، أو ثلاث دقائق، فلذلك علَّمنا الله عزَّ وجل من هذا الدرس أنك إذا وثقت به عزَّ وجل كان معك.

لكن عندنا حكم شرعي، وعندنا موقف شخصي، فالذي فعله هذا النبي الكريم موقف شخصي، ولكن علَّمنا مُطلق التوكل، لأن الله عزَّ وجل خلق الكون على نظام السببية، فلما أراد أن يكون البحر طريقاً يبساً لم يجعله طريقاً يبساً إلا بسبب:

﴿ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾

[سورة الشعراء الآية: 63]

ضرب البحر بالعصا فصار طريقاً يبساً، فوُجد الطَود، فربنا عزَّ وجل حينما يريد أن نصنع شيئاً بفعله مباشرةً يجعله بسببٍ أرضي، فنظام السببية نظام أساسي، إنك تؤمن بالله عن طريق نظام السببية، كل شيء له سبب، من هو المسبب الأول؟ إنه الله، فحتى هذا النبع الذي هو الآن نبع ماء زمزم، كان بسبب أن هذا الطفل الصغير من شدة عطشه، ضرب برجله الأرض فانبجس هذا النبع العظيم، وهذا النبع يحيِّر العقول،

فمجموع الأمطار التي تهطل في مكة وما حولها لا تكفي لهذا النبع، وكلكم يعلم كيف أن هذا النبع يلبي أربعة ملايين حاج، وينتقل هذا الماء إلى المدينة المنوَّرة . شيء عجيب . أرض قاحلة، أرض جافَّة، لا نبات فيها ولا ماء، هذا النبع مستمر، وهو آيةٌ من آيات الله الدالَّة على عظمته.

2. العبوديَّة الكاملة لله عزَّ وجل :

الدرس الثاني هو أن هذا النبي علَّمنا العبوديَّة الكاملة لله عزَّ وجل؛ حينما أمره أن يذبح ابنه، إنه شيء ليس في طاقة البشر، أنْ يؤمر إنسان بذبح ابنه الذي بلغ معه السعي، الطفل الصغير حينما يصبح فتًى، وعلَّمه، وربَّاه، وهذَّبه، وصار يساعده، الآن اذبحه، أيضاً هذا درس في الانقياد لله عزَّ وجل ليس له حدود، الله عزَّ وجل قال:

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

أي إن أردت أن تصل إلى الله فبادر إلى طاعته، وأعلن عبوديتك له، ثم توكَّل عليه:

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾

[سورة النمل الآية: 79]

قضية التوكل غائبة عن الناس، تجد كل إنسان عنده هموم تسحقه، فأين الله؟ كل شيء بيد الله عزَّ وجل، توكل على الله، كن معه وتوكل عليه، أطعه وتوكل عليه، بادر إلى العبودية له وتوكل عليه.

قدسية الصفا والمروة :

أيها الأخوة... فهذه المرأة الكريمة . زوجة سيدنا إبراهيم . التي سعت بين الصفا والمروة، وكان من سعيها أن تفجَّر نبع زمزم، هذا درس علَّمنا ربنا إياه من خلال هذه القصة، وعلَّمنا أيضاً كيف أن الله سبحانه وتعالى حينما امتحن إبراهيم عليه السلام بأن أمره بذبح ابنه، كيف أن هذا النبي العظيم بادر إلى هذا الأمر دون تردُّد:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الصافات الآية: 102]

ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ الذي حدث أن العرب في الجاهليَّة جعلوا على الصفا صنماً، وعلى المروة صنماً، وصاروا يسعون بين الصفا والمروة تعظيماً لهذين الصنمين، فحينما جاء الإسلام عزف المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة لأنه سعيٌ بين وثنين، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعيد لهذا المكان قدسيَّته فقال:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

ما معنى (من شعائر الله)؟ الشعائر جمع، مفرد شعيرة، هي مكان ولكن هذا المكان له خصوصية، في هذا المكان ينبغي أن تنتابك مشاعر خاصَّة، فإن أتيت بيت الله الحرام صادقاً، منيباً، مخلصاً، أنت في هذا المكان بين الصفا والمروة لا بد من أن تشعر بشيء، بحالٍ من القرب، بل إن الإنسان حينما يحج بيت الله الحرام يبدأ بالطواف، كطواف المُحب حول محبوبه، ويسعى بين الصفا والمروة كسعي المُشتاق إلى حبيبه، حالات نفسيَّة، هذا معنى الشعائر، أي أنت يجب أن تشعر بشعورٍ مقدسٍ وأنت فيها، وكل إنسان حجَّ بيت الله الحرام وما شعر بشيء ؛ بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض ما روي عنه أنه من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حجَّ له.

أهمية التوكل :

الذي يعجب أن الإنسانَ يذهب إلى الحج، ويعود، ويحدثك عن كل شيء إلا الحج، يحدثك عن المبيت، وعن الطرق، وعن المشاريع العمرانيَّة، وعن تأمين الماء البارد، وعن تأمين الطعام، والمواصلات، وكيف وصل إلى الديار المقدسة، وكيف غادر هذه الديار، وأي رحلة ركب، وكم انتظر، شيء عجيب يحدثك عن كل شيءٍ إلا الحج، لكن وأنت في الطواف ماذا شعرت؟ وأنت بين الصفا والمروة ماذا شعرت؟ وأنت على عرفات ماذا شعرت؟ أيعقل أن يقول لك الله عزَّ وجل: تعال واترك أهلك، وبيتك، ومالك، وعملك واجلس هنا هكذا بلا شعور، بلا إحساس، بلا إقبال، بلا شيء ثمين تملكه وأنت في الحج؟

فلذلك الله عزَّ وجل أراد أن يزيل وثنية هذا المكان المقدس وقال:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

دعوكم من الأصنام التي كانت في الصفا وفي المروة، وهذان المكانان قدَّسهما الله عزَّ وجل لأنهما يشيرا إلى التوكُّل الذي علَّمنا إياه سيدنا إبراهيم.

هل هناك إنسان الآن لا توجد عنده قائمة هموم؟ ليس من إنسان إلا وعنده قائمة من الهموم، لماذا لا تتوكل على الله؟ لماذا لا تضع هذه الهموم عند الله عزَّ وجل؟ لماذا لا تكتفي أن تطيعه وعلى الله الباقي؟ هذا حال مريح جداً، الله عزَّ وجل خلقنا، وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وكل شيء يغيره، وكل شيء

يبدله، فأنا علي أن أطيعه، وعلى الله الباقي، أي أنك دبِّر ألاَّ تدبِّر، لا أقول: تتواكل، لا، ولكن لا تجعل الهم يسحق الإنسان، فحياة الإنسان معقدة جداً، ولا سيما في هذه الأيام، الحياة صعبة، الحاجات كثيرة، المكاسب قليلة، ثمة منافسة، وخوف، وقلق، وحرمان أحياناً، وشعور بالضياع، هذا علاجه التوكُّل..

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ﴾

الشعور بالأمن هو أثمن شعورٍ يسعد الإنسان :

درس التوكل علمنا إيَّاه ربنا من خلال قصة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم..

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾

فالله عزَّ وجل قال:

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾

[سورة آل عمران الآية: 97]

أي أن الله عزَّ وجل يُلقي في قلب الحاج من الأمن ما لا يوصف، الشعور بالأمن شعور لا قدَّر بثمن، بل إن الشعور بالأمن يعد أثمن شعورٍ يسعد الإنسان، الله عزَّ وجل قال:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

[سورة محمد الآية: 5]

رفع صلاح البال إلى مستوى الهدى:

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾

[سورة آل عمران الآية: 97]

هناك آيات كثيرة جداً:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

السعادة في الحج تكون من خلال الاتصال بالله عزّ وجل :

فأنت حينما تحج بيت الله الحرام تتمنى أن تعود إليه كل عام، من السعادة التي ألقاها الله في قلبك، الحقيقة في نقطة دقيقة جداً هي: إن اللذَّة الماديَّة لها شرائط، والسعادة الروحيَّة لها شرائط، الله عزَّ وجل جمَّد كل أسباب اللذَّة الجسميَّة، فهي بلاد حارة، جعل الحج في وقت محدد، إذاً كل هؤلاء الناس سيأتون إلى هذا

المكان في وقتٍ واحد، أربعة ملايين إنسان لا بد من أن ينتقلوا من عرفات إلى مِنى في وقتٍ واحد، أصعب عقدة في الحج النفرة، أربعة ملايين لا بد من أن يطوفوا حول الكعبة.

جاء وفد لتنظيم الحج، فقدَّم تقرير مطول للقائمين على الحج هناك، فكان من بنود هذا التقرير أن يكون الحج على خمس دورات في السنة، بعيد عن جو الحج، على خمس دورات في السنة، فالله عزَّ وجل جعل كل أسباب الراحة الجسمية معطَّلة في الحج، ومع هذه الأسباب المعطلة هناك سعادة تفوق حدّ التصور لمن كان صادقاً في حجه، هذا الشيء دقيق.

لو أن المكان جميل، والهواء عليل، والطعام طيب، والمناظر خلاَّبة، والحج على مدار العام، صار الحج فيه راحة، والأوراق اختلطت، يا ترى أنت كنت سعيداً بهذه المناظر، وهذا الطعام، والهواء العليل، أم بإقبالك على الله؟ أراد الله أن تكون السعادة في الحج من بابٍ واحد إنها الاتصال بالله.

فكل أسباب السعادة الأرضيَّة معطلة، في وادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرَّم، الحر لا يُحْتَمَل، الازدحام لا يُحْتَمَل، فالله عزَّ وجل أراد أن تعرف أنك إذا اتصلت به وأنت في أصعب الظروف تكون أسعد الناس، وحينما تنقطع عنه وأنت في أجمل الظروف تكون أشقى الناس، هذه السكينة التي يلقيها الله في قلب المؤمن يسعد بها ولو فقد كل شيء، ويشقى بفقدها ولو مَلَكَ كل شيء، فكأن الحج وسيلة فعَّالة من أجل أن تتصل بالله عزَّ وجل، فرَّغك، قال: تعالَ إليَّ، دع بيتك، دع مكانك المريح، لك غرفة خاصة، لك مقعد وثير بين زوجة وأولاد وبنات وأصهار، بعملك ومكتبك، دعك من الدنيا وتعالَ إليَّ، تعالَ وارتدِ هذين الثوبين الخشنين، عاري الرأس، حافي القدمين، أو شبه حافي القدمين، تعالَ طُف حول الكعبة، اسعَ بين الصفا والمروة، انتقل إلى عرفات، ابتهل، ادعُني، توجَّه إلي، هذه السعادة.

السعادة التي يمتلكها الحاج في اتصاله بالله هي دليل أن الإنسان لا يطمئن إلا بذكر الله :

لذلك إذا جلست مع حاجٍ حجَّ حجاً مبروراً، وقبل الله حجَّه، تشعر أنك في جنة، فما هذه الجنة؟ السفر صعب، ترك الأهل أصعب، والإنفاق شديد، والحر شديد، لكن السعادة التي يمتلكها الحاج في اتصاله بالله، مع كل الظروف الصعبة التي تحيط به، هي دليل أن الإنسان لا يطمئن إلا بذكر الله..

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ ﴾

حجَّ البيت أي قصد البيت، اعتمر زار:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[سورة البقرة الآية: 196]

هذا الموضوع لا بد من أن يقودنا إلى الحج، الحقيقة الصلاة شحنة تعينك على أن تصل إلى الصلاةِ الثانية، شحنة قصيرة ؛ الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العِشاء، خمس أوقات، كل وقت يضمن لك السلامة والسعادة إلى وقتٍ آخر، ولكن شحنة يوم الجمعة هذه شحنة أطول تكفيك أسبوعاً بأكمله، لكن شحنة الصيام هذه تكفيك مدى العام، أما شحنة الحج هذه مدى العمر، فالحاج إذا ذهب إلى بيت الله الحرام، وعاد منه، فيجب أن يعود إنساناً آخر، يجب أن يعود متقد الفؤاد، لأن صار له هذا القرب من الله عزّ وجل، إلا أن الناس حينما يتأخرون في دينهم، يحجون رياءً وسمعةً أو للتجارة، أما الذي يحج بيت الله الحرام مخلصاً فيرى ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الله اتخذ هذا البيت . للذي ببكة . بيتاً له، أمر عباده المؤمنين أن يأتوه زائرين وحاجين، والله يتولَّى بذاته مكافأتهم وإكرامهم، قد يقول الحاج: ماذا حصل لي؟ أنت حينما حججت بيت الله الحرام حصل لك القُرب، ومع القرب الأمن، ومع الأمن السلامة، ومع السلامة السعادة، أنت حينما زرت بيت الله الحرام ذقت طعم القرب من الله، عندئذٍ تزهد في الدنيا كلها.

أراد الله أن يجعل الصفا والمروة مكانين لعبادته وطاعته وشعيرتين من شعائر المسلمين:

قال تعالى :

﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

لأن المسلمين في أول عهدهم كانوا يتحرَّجون أن يطَّوفوا بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم، فربنا عزَّ وجل أراد أن يجعل من هذين المكانين اللذين دُنِّسا بالصنمين، أن يجعلهما مكانين لعبادته وطاعته، وشعيرتين من شعائر المسلمين..

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً ﴾

يطَّوَّف: أي سبعة أشواط، لأن هناك فرق بين كَسَرَ وكسَّر، كسر القطعة إلى قطعتين، أما كسَّرها أي إلى قطع كثيرة، فأن يطوَّف أي أن يكون طوافه كثيراً، والنبي اختار سبعة أشواط تجسيداً لكلمة يطوَّف بهما..

﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

ثم يقول الله عزَّ وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

الكبائر وأنواعها :

ذكرت قبل أسبوعين أن هناك كبائر، والكبائر مهلكة، وكلكم يعلم أن الكبائر هي التي توعَّد الله على مرتكبها وعيداً مخيفاً، أو لعنه، أو هي الأعمال التي توجب إقامة الحَد، على كلٍ هناك خلاف بين العلماء في تعريف الكبيرة، لكن من أدق أنواع التعاريف للكبيرة: أنه العمل الذي يستحق فاعله وعيداً من الله عزَّ وجل، أو لعناً، أو غضباً، أو توجب حداً.

فهناك كبائر ظاهرة وهناك كبائر باطنة، الظاهرة كشرب الخمر، وتعلُّم السحر مثلاً، والعلماء عدَّدوها إلى سبعين كبيرة، ولكن الكبائر الباطنة أخطر من الظاهرة بكثير، من هذه الكبائر الباطنة ذكرتها قبل أسبوعين، وهي الأمن من مكر الله، هذه كبيرة، إذا كان الإنسان مقيماً على معصيةٍ، ولا يبالي بها، والله يمدَّه بالمال والقوة، فإذا كنت على معصية، وكان ثمة عطاء من الله لك، ولم تخف، فأنت قد أمنت من مكر الله، الله عزَّ وجل لا يجعل من هذه النعمة نعمة إنما هي نقمة، إنما هي استدراج، فهذه كبيرة من الكبائر الباطنة، الأمن من مكر الله، هناك كبيرة أخرى من هذه الكبائر الباطنة هي اليأس من روح الله، وثمة كبيرة ثالثة هي سوء الظن بالله، وتحدثت عن هذا في الدرس الماضي.

واليوم تحدثت عن كبائر أربعة أو خمسة، من هذه الكبائر كتمان العلم، أي أنت معك معلومات حقيقيَّة، صحيحة من الكتاب والسنة، كنت في موقف، الحاضرون في أمسّ الحاجة لهذه المعلومات، ولكنك إن ألقيتها ضعضعت مركزك، فكتمتها، فكتمان العلم كبيرةٌ من الكبائر التي توجب لعنة الله والناس والملائكة أجمعين..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾

بعضهم قال: هم اليهود الذين كتموا صفة النبي في التوراة الله عزَّ وجل وصف رسول الله في التوراة وصفاً دقيقاً، لدرجة أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك كتموا هذه الأوصاف من أجل عداوةٍ، أو حسدٍ، أو بغضاء مع المسلمين، فكتمان العلم من أكبر الكبائر، فالله عزَّ وجل توعَّد هؤلاء الذين يكتمون..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

لا سبيل إلى الشعور بالأمن إلا بطاعة الله عز وجل :

مرَّة حضرت مؤتمراً عن الأسرة مدة يومين . أول يوم فيه خمس جلسات، وثاني يوم فيه خمس جلسات . وقد تمنيت على المحاضرين أن يتكلَّموا كلمة عن الدين، وعن الإسلام، أو عن الله عزَّ وجل، وهذا موضوع خطير متعلّق بالدين، وبمنهجنا الاجتماعي، فهناك الآن رغبة بعزل الدين عن الحياة، حقائق الدين مشرقة، حقائق الدين صارخة، حقائق الدين مُسعدة، حقائق الدين غذاء لنا، ومع ذلك الآن تطرح أي موضوع بمعزل عن الدين، ولا كلمة، الكلام كله مادي، كله بعيد عن هذا الدين القويم، يقول لك: قيم روحية، الحس الأخلاقي. أي حس أخلاقي هذا؟

الشيء الحقيقي أن تؤمن بالله أن الله سيحاسب، وتؤمن وباليوم الآخر وتنضبط، أما بحس أخلاقي، يقول لك: قيم روحيَّة . شيء جميل! . ومشروبات روحية، مثل بعضها، في عزل للدين، حتى المثقف ثقافة عالية حر التفكير، علماني يعتّم على الدين تعتيماً كاملاً، مع أنه بفطرته يعلم أنه لا سبيل إلى سعادة الإنسان إلا بالدين، ولا سبيل إلى الشعور بالأمن إلا بطاعة الله عزَ وجل، فتجد موضوعات إنسانيَّة، موضوعات فلسفيَّة، موضوعات اجتماعية، موضوعات اقتصادية تعالَج بطريقةٍ أو بأخرى بعيداً عن الدين، فهذا ينطبق على هؤلاء، هذه الآية:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

فهذه الآية في هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من البيّنات، أي يعرف الحق لكن المناسب أن يكتمه، فكتمه، ما الذي يحصل؟ طريق السعادة الوحيد هو الله، فإذا أنت قطعتَ الطريق إلى الله منعت الناس من السعادة والسلامة.

طريق السلامة أن تطيع الله وأن تعرفه :

الناس رجلان مقرِّب ومُبْعِد، مُحبِّب ومنفِّر، موصل وقاطع، ليس ثمة ثالث، إما أن توصل الناس بالله، وإما أن تقطعهم عنه، إما أن تحببهم به، وإما أن تنفّرهم منه، إما أن تقنعهم بأحقيّة الدين، أو أن تقنعهم بأحقية الحياة الماديَّة، فالذي يكتم علماً مقدّساً يعرفه ويكتمه حفاظاً على مكانته، أو طلباً لسلامته، ماذا فعل؟ قطع الناس عن الله عزَّ وجل.

((يا رب ، أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي))

[ورد في الأثر]

فإذا كان طريق السلامة هو أن تعرف الله، طريق السلامة أن تطيع الله، توجد نقطة بالحياة؛ في عندنا مشكلات كثيرة، كل مشكلة تعد عن الجهلة بحد نفسها مشكلة، أما الحقيقة فكل هذه المشكلات أعراض لمشكلةٍ واحدة هي الإعراض عن الله، هذه اسمها أعراض الإعراض؛ ما يعاني الناس من ضيق، من خوف، من قلق، من جفاف، من كساد، هذه كلها تأديبات من الله، فأهل الدنيا يبعدون الدين عن حل هذه المشكلات، يريدون أن يحلوها بطريقةٍ مادية، والطريق هذا قد يكون مسدوداً، أما حينما تقول للناس:

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً ﴾

[سورة الجن الآية: 16]

حينما تربط الناس بالله عزَّ وجل، حينما تطمئنهم أن الأمر بيد الله، لا بيد زيد ولا عُبيد، الشرك يقطع الناس عن الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾

[سورة النساء الآية: 116]

أكبر عقاب يعاقب الله به أعداءه أن يحجبهم عنه:

أنت عندما تبيّن أن الأمر بيد الله عزَّ وجل، ولا توجد أي جهة أرضيَّة بيدها الأمر:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

[سورة الزمر الآية: 62]

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

[سورة الأعراف الآية: 54]

الأمر له، فهذا كلام مريح للنفس، هذا كلام مطمئن، فأنت حينما تعتِّم على حقائق الدين، تعتم على التوحيد، تعتم على أن الدين هو ملاذ الإنسان بالله، حينما تعتم على أن الدين هو المُسعد الحقيقي، حينما تعتم عن أن منهج الله هو المنهج الوحيد الموصل إلى السعادة، أنت حينما تعتم على هذه الحقائق تقطع الناس عن الله، توقعهم في الشقاء الدنيوي والأخروي، لذلك هؤلاء المعتّمون يلعنهم الله، أي يبعدهم عنه، وأكبر عقاب يعاقب الله به أعداءه أن يحجبهم عنه..

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين الآية: 15]

﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

اللاعنون هم الخلق كافةً، حتى البهائم، فالإنسان حينما يبتعد عن الله يقسو قلبه، فإذا عالج بهيمةً قسا عليها، النبي عليه الصلاة والسلام رأى بعض أصحابه يذبح شاةً أمام أختها فوبخَّه وقال: هلا حجبتها عن أختها :

((أو تريد أن تميتها مرتين.))

[الطبراني عن عبد الله بن عباس]

الناس رجلان :

المؤمن في قلبه رحمة، فكل من في الأرض، وكل ما في الأرض يلعن الذي يُبعد الناس عن الله عزَّ وجل، ليس هناك شخص ثالث، مقرّب ومبَعِّد، محبب ومنفِّر، واصل وقاطع، الناس رجلان؛ رجل يدعو إلى الله، ورجل يبعد الناس عن الله، الأول يدعوهم إلى طاعته، يدعوهم إلى معرفته، يدعوهم إلى اتباع سُنَّة نبيه، يقدم لهم نموذجاً حياً صادقاً مخلصاً؛ والثاني يحببهم في الدنيا، يرغبهم في متاعها، وفي مالها، يبعد عنهم شبح الآخرة، فإذاً لماذا هؤلاء:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

يلعنهم الخلق كافةً، حتى غير الإنسان، فمرَّة وجدت إنساناً يبيع السمك الطازج، يصطاد السمك، والسمك يتحرَّك حركة عشوائيَّة، يذبحه ويخرج أحشاءه، قبل أن يسكن، والله يقول:

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾

[سورة الحج الآية: 36]

أي سكنتْ، رأيت إنساناً يأخذ دجاجة، يذبحها ويضعها في ماءٍ يغلي فوراً، حتى يسهل عليه نتف ريشها، هذا وحش، فهي مخلوق له روح، ذبحتَها، اِنتَظر حتى تهدأ، ثم ضعها في ماءٍ ساخن، وهي لا تزال تشعر وتحس فهذا في قلبه قسوة.

الذي يكتم ما أنزل الله يبعد الناس عن الله :

اللاعنون الخلق كافة، فالبعيد عن الله كيفما تحرَّك يؤذي، لذلك المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض، أمّا الكافر:

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾

[سورة الدخان الآية: 29]

لأنه مؤذٍ، فالذي يكتم ما أنزل الله يبعد الناس عن الله، عن طريق السعادة قطعهم عنه، عن طريق الأمن قطعهم عنه، عن طريق التوفيق قطعهم عن الله، عن طريق الطمأنينة قطعهم عنه، عيَّشهم بالدنيا، وبهموم الدنيا، قال: هؤلاء..

﴿ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾

يبعدهم الله عن رحمته، ويلعنهم الخلق كافةً..

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾

هذه رحمة الله، دائماً في استثناء..

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

إذا كان ثمة كتمان وجب أن يكون عند التوبة تبيين، تابوا عن كتمان العلم، وأصلحوا ما أفسدوا سابقاً، وبينوا..

﴿ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

الدين أساس الأمن و الطمأنينة عند الإنسان :

أحد أخواننا له صديق يعاني من أزمة نفسيَّة، فأخذه إلى طبيب نفسي، فالطبيب سأله عن أحواله، قال له: هل له درس علم؟ فقيل له: نعم، فقال له: هذا السبب . هو درس بأوروبا، وتعلّم أن الدين يخدر الإنسان، ويعقِّده، فبحسب دراسته يجب أن يكون لهذا الشاب صديقة لكي يكون سويّاً، ويجب أن يكون منفتحاً على الحياة، ويفعل كل شيء بلا قيد ليؤكد شخصيَّته . فهذا الأخ فهيم، قدَّم لهذا الطبيب عشرة أشرطة وكتاباً، هذا الطبيب يبدو أنه صادق، ولكن غابت عنه الحقائق، عكف على قراءة الكتاب، وسماع هذه الأشرطة، وبدَّل كلامه مئة وثمانين درجة، صار يقول: الدين يخلق صحَّة نفسيَّة عند الإنسان، الدين أساس الأمن عند

الإنسان، أساس الطمأنينة، أساس التألُّق، فهذه الحقائق غابت عنه، فلما عرف الحقيقة بيَّن عكسها، هذا وأمثاله يكرمهم الله عزَّ وجل..

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾

الطبيب النفسي يعد السلوك المنحرف هو السوي، والسلوك المنحرف والتفلت من منهج الله هو الصحَّة النفسيَّة، أما الانضباط يعده عقدة، هكذا الأمر في الأطباء الذين درسوا علم نفس في جامعات أوروبا، والجامعات الغربيَّة أساسها الشخص الغربي، ليس له منهج يسير عليه إطلاقاً..

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

الدين سبب الصحة النفسية للإنسان :

لفت نظري هذا الطبيب أنه خلال تفُّهمه لحقائق الدين . وإن كانت سريعة . صار يتكلم كلاماً عكس الكلام الأول ؛ إن الدين سبب الصحة النفسية للإنسان، الدين يُحدث توازناً، يُحدث طمأنينة، يُحدث شعوراً بالأمن..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

طبعاً إذا مات الإنسان المؤمن فليس له أيّة مشكلة، أما إذا مات الكافر فله جهنم خالداً مخلَّداً فيها..

﴿ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

وهذا إن شاء الله نبيّنه في الدرس القادم نبدأ به.

والحمد لله رب العالمين

3-1 المعاني الدقيقة للحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

تمهيد :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ فيما يناجي سيدنا داود ربّه قال :

((إلهي ما حقُّ عبادك عليك إذا هم زاروك ؟ فإن لكل زائرٍ على المزور حقا))

قال :

((يا داود فإن لهم عليَّ أن أعافيَهم في دنياهم ، وأن أغفر لهم إذا لقيتهم))

ويا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ورد في بعض الأثر ، أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أما خروجك من بيتك ـ أيها الحاج ـ تؤم البيت الحرام ، فإن لكل بكل وطأةٍ تطأها راحتك يكتب الله لك بها حسنة ، ويمحو عنك بها سيئة .

وأما وقوفك بعرفة فإن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول : هؤلاء عبادي جاؤوني شُعْثاً غبراً من كل فجٍ عميق ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ، ولم يرونِ فكيف لو رأوني ؟! .

فلو كان عليك مثل رمل عالجٍ ، ومثل أيام الدنيا ، ومثل قَطْر السماء ذنوباً غسلها الله عنك .

وأما رميك الجمار فلك بكل حصاةٍ رميتها تكفيرة كبيرة .

وأما نحرك فمدَّخرٌ لك عند ربك .

وأما حلقك رأسك فإنه مدخورٌ لك بكل شعرٍ تسقط حسنة ، فإذا طُفْت البيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك))

[زيادة الجامع الصغير والدرر المنتثرة]

الإسلام : عبادات ومعاملات وحدود .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الإسلام عبادات ، ومعاملات ، وحدود .

فالعبادات : تحدد علاقة الإنسان بربِّه .

والمعاملات : تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان .

والحدود : تضمن سلامة المجتمع مِن أن يعتدى على الدين ، وعلى العقل ، وعلى المال ، وعلى النفس ، وعلى العِرض .

العبادات :

العبادات أيها الإخوة جوهرها الاتصال بالله عزَّ وجل ، لأن النفس إذا اتصلت بربها تطهَّرت مِن كل خُبْثٍ ، مِن كل شهوةٍ ، مِن كل دناءةٍ ، مِن كل انحرافٍ ، مِن كل صفةٍ مذمومة ، مِن كل هبوطٍ ، مِن كل أنانيةٍ .



جوهر العبادات الاتصال بالله عزَّ وجل ، لذلك كانت الصلاة عبادةً يومية ، يؤديها الإنسان في كل يومٍ خمس مرات ، وهناك عبادةٌ سنوية يؤديها المؤمن في العام مرة وهي الصيام ، وأما الحج فهو عبادة العمر تؤدَّى في العمر كله مرةً واحدة ، على سبيل الفرض .

المعاني الدقيقة للحج :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ للحج معانٍ كبيرة ، وحِكَمٌ عظيمة . مِن معاني الحج :

أنك إذا ذهبت إلى الديار المقدَّسة خلعت عنك كل الأقنعة المُزَيَّفَة .

الإنسان في بلده قد يكون ذا بحبوحةٍ ، فتوافر المال بين يديه قناعٌ مزيفٌ يُنسيه مصيره في الآخرة .

قد يكون ذا شأنٍ وجاهٍ ، شأنه وجاهه في الدنيا قناعٌ مزيَّف ، يحجُبه عن مصيره في الآخرة .

قد يكون ذا عزوةٍ وذا مكانةٍ .


طبيعة مكة قاحلة وحارة ولا يذهب الحاج اليها إلا ليبتغي وجه الله

إنه إذا سافر حاجاً ومعتمراً إلى البلاد المقدسة ، فإن الناس هناك سواسيةٌ كأسنان المشط ، لا فرق بين غنيّهم وفقيرهم ، ولا بين قويّهم وضعيفهم ، ولا بين صحيحهم ومريضهم ، كلهم على صعيدٍ واحد ، كلهم يرتدي ثياباً موحَّدة ، غير مخيطة ، ليعرف الإنسان مصيره ، لابدَّ مِن أن يخلع عنه الثياب الأنيقة ، لابدَّ من أن ينْخلع مِن مكانته الاجتماعية، لابدَّ من تذهب عنه أمواله الطائلة ، يذهب إلى هناك ليعود إلى حجمه الحقيقي ، ليعود فرداً ، الله سبحانه وتعالى جعل تلك البلاد . التي نَحُجُّ إليها . كما وصفها :

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾

[سورة إبراهيم الآية : 37]

لو أن هذه البلاد كانت بلاداً جميلة ؛ حيث الجبال الخُضْر ، والمياه العَذْبة ، والسواحل الجميلة لذهب الناس إليها سائحين ، ولاختلط السائح بالحاج ، ولكن هذه البلاد التي فرض الله علينا الحج إليها ؛ بلادٌ حارَّة ، قاحلة ، لا نبات فيها ، يذهب الحاج إليها ولا يبتغِ إلا وجه الله سبحانه وتعالى ، لا يبتغِ إلا ابتغاء رضوانه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كأن الإنسان إذا حجَّ البيت عرف حجمه الحقيقي ، أقنعةٌ كثير ، كثيرةٌ كثيرة ، تحجب عنه الحقائق وهو في بلده ؛ المال قناع ، وهو حجاب ، والمكانة الاجتماعية حجاب ، والزوجة والأهل حجاب، وتوافر حاجاته حجاب ، وبيته المريح حجاب يحجبه عن مصيره ، لكنك إذا ذهبت البيت الحرام ، ورأيت نفسك واحداً مِن الناس ؛ لا فضل لك عليهم ، لا في ملبسٍ ، ولا في مأوى ، ولا في شيءٍ مِن هذا القبيل ، عندئذٍ تعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى سيجمع عباده يوم الحَشْر ، ويقفوا على صعيدٍ واحد ، ليحاسبهم عن أعمالهم كلها، صغيرها وكبيرها ، جليلها وحقيرها .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا معنىً مِن معاني الحج ؛ أن يعرف الإنسان حقيقته ، أن يعرف الإنسان ضعفه ، أن يعرف الإنسان مصيره ، أن تزول عنه هذه الحُجُب التي تحجب عنه الحقائق ، هذا معنىً مِن معاني الحج .

والمعنى الآخر : أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان ، ومع كل إنسان ، ولكنه نَسَبَ الكعبة إلى ذاته فقال :

((هذه بيتي ، فمن أرادني فليزرني في بيتي))

إنك إذا تجشمت مشاق السفر ، ودفعت النفقات الباهظة ، مِن أجل أن تزور الله في بيته ، الحُجَّاج والعُمَّار كما قال عليه الصلاة والسلام :

((وفد الله .. ضيوف الرحمن .. زوار بيته الحرام))

إنك إذا توجَّهت إلى الكعبة المشرفة لتحج البيت فكأنما ذهبت إلى الله عزَّ وجل ..

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

[سورة الصافات الآية : 99]

كما قال سيدنا إبراهيم ..

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

[سورة الصافات الآية : 99]

سياحةٌ روحيَّة ..

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 50]

إنك إذا ذهبت إليه ، وقطعت كل العلائق التي تحول بينك وبينه ، إنك إذا ذهبت إليه ، وتركت الزوجة والولد، إنك إذا ذهبت إليه ، وتركت البيت المريح لتنام تحت خيمةٍ قد لا تستريح بها ، إنك إذا ذهبت إليه ، مُنِعْتَ مِن أن ترتدي الثياب المخيطة ، وأن تستخدم بعض المباحات التي أبيحت لك في بلدك ؛ منعت من قص أظافرك ، منعت من حلق شعرك ، منعت مِن التطيُّب لتعرف خشونة الحياة ، ومُنْقَلب الإنسان إلى الدار الآخرة .

معنىً آخر من معاني الحج : أنك ذاهبٌ إلى الله عزَّ وجل .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ربما طَغَت المشكلات ، ربما طغت المشاغل ، وتمكَّن الحِرْص ، وتوجَّهت النفس إلى الدنيا ؛ تبحث فيها عن راحتها ، وتستكمل منها زينتها ، وزخرفها ، فترى هذا العبد الذي شُغِلَ بالدنيا ؛ فكانت أكبر همه ، ومبلغ علمه ، يحافظ على الصلاة شكلاً لا مضموناً ، يحافظ على أدائها وينسى حقيقتها ، يحافظ على ركوعها وسجودها وقلبه ساهٍ ولاهٍ ، يحافظ على سُنَنِها ويجهل حكمتها ، إلى أن تصبح الصلاة نوعاً من العادة يؤدّيها كل يوم ولا يفقه حكمتها ، عندئذٍ يأتي الحج لينزعه مِن بين أهله ، يأتي الحجُّ لينزعه

مِن أهله وولده ، وعمله وتجاره ، مِن قصره ومِن أصدقائه ، وأحبابه ، مِن حفلاته وأسماره ، من مظهره الأنيق ، يأتي الحج ليضعه في حجمه الحقيقي ، كأن الله سبحانه وتعالى يقول : يا عبدي خَلِّ الدنيا وتعالَ إليَّ ، خلِّ همومك وتعالَ إلي . لذلك يقول العبد : لبيك اللهمَّ لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والمُلك لك لا شريك لك .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ تعالَ يا عبدي لأريحك مِن هموم كالجبال تجثُم على صدرك ، تعالَ لأطهِّرك مِن شهواتٍ تنغِّص حياتك ، تعالَ وذُق طعم محبتي ، تعالَ وذق حلاوة مناجاتي ، يقول العبد : لبيك اللهمَّ لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك .

تعال لأريك مِن آياتي الباهرات ، تعال لأريك ملكوت الأرض والسماوات ، تعال لأعمِّر قلبك بنوري الذي أشرقت له الظُلمات ، لأملأ نفسك غنىً ورضىً ، تعال لأخرجك مِن ظلمات الشهوات إلى أنوار الطاعات ، تعال لأنقلك مِن دنياك المحدودة وعملك الرتيب إلى آفاق معرفتي . فيقول الحاج : لبيك اللهمَّ لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك .



أيها الإخوة المؤمنون ؛ كما قلت لكم : حكمة الحج كامنةٌ في أنه ذهابٌ إلى الله عزَّ وجل ، فإذا ذهبت إليه فحقٌ عليه أن يكرمك .

((من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[العهود المحمدية]

كيف لو زرته في بيته الحرام ؛ حيث المسافات بعيدة ، والنفقات كثيرة ، والمشاقُّ عظيمة ؟ إذا زرته هناك فحقٌ عليه أن يكرمك ، وأن يطهرك ، وأن يغفر لك ، وأن تعود مِن ذنوبك كيوم ولدتك أمك . أيها الإخوة المؤمنون ؛ الحج عبادة العمر ، بها يرقى الإنسان مِن مرتبة العُبَّاد إلى مرتبة العلماء ، مِن مرتبة مدافعة التدنّي إلى مرتبة متابعة الترقيّ .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أيها السادة الأعزاء ؛ سيدنا عمر ، رضي الله عن عمر ، خطب خطبةً استهلّ بها عهد خلافته فقال : بلغني أن الناس قد هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا : كان عمر يشتدُّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتدَّ علينا وأبو بكرٍ والينا ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟ .

كان النبي عليه الصلاة والسلام لرحمته العظيمة ، ولحلمه الشديد يخفِّف مِن شدتي ، وكان أبو بكر الحليم عليه رضوان الله تعالى يخفف مِن شدته ، فكيف إذا صارت الأمور إليه ؟!.

قال سيدنا عمر : ألا مَن قال هذا فقد صدق ، فإني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عونه وخادمه ، وكان عليه السلام مَن لا يبلغ أحدٌ صفته في اللين والرحمة ، وكان كما قال الله تعالى :

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة الآية : 128]

فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً ، حتى يغمدني أو يدعني ، فأمضي، فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفَّاه الله وهو عني راضٍ ، الحمد لله على ذلك كثيرا ، وأنا به أسعد ، ثم ولِيَ أمر المسلين أبو بكرٍ ، فكان مَن لا تنكرون دَعَتَهُ ، وكرمه ، ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل معه كذلك ، حتى قبضه الله عزَّ وجل وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وأنا به أسعد . الآن . ثم إني قد ولِّيت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أُضعِفَت ... .

كان أبٌ وأم ؛ الأم رحمتها تغلب عليها ، والأب شدته تغلب عليه، فلما توفّيَت الأم ؛ يجب أن يأخذ الأب دور الأب والأم .

أيها الإخوة ؛ يقول سيدنا عمر : ... إني قد وليت أموركم ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظُلم والتعدّي ، فأما أهل السلامة والدين والقَصْدِ فأنا ألين لهم مِن بعضهم لبعض . أهل الظلم والتعدي أنا شديدٌ عليهم ، أما أهل الدين والقصد فأنا ألين لهم مِن بعضهم لبعض . ولست أدع أحداً يظلم أحداً ، أو يعتدي عليه ، حتى أضع خدَّه على الأرض حتى يُذْعِن ، وإني بعد شدتي تلك أضع خدّي على الأرض لأهل العَفاف، وأهل الكفاف ، وأهل التُقى والصلاح ، ولكم علَيَّ أيها الناس خصالٌ أذكرها لكم فخذوني بها . أي حاسبوني عليها . لكم عليَّ ألا أجبي شيئاً مِن أموالكم إلا بالحق ، ولكم عليّ إذا وقع في يدي مِن أموالكم شيء ألا أنفقه إلا بالحق ، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، ولكم علي أن أسدَّ ثغوركم . أي أن أحمي حدودَكم . ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك ، وإذا غبتم في البعوث . أي في الجهاد . فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم ، فاتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المُنكر ، وإحضار النصيحة فيما ولاّني الله مِن أمركم .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ سيدنا عمر رضي الله عنه كان يخرج إلى ظاهر المدينة ، ليتلقى الرُكبان ، ليسألهم عن أحوال البلاد ، التقى مرَّةً بأحد الركبان ، فسأله عن أحوال البلد التي جاء منها ، فقال هذا الرجل . ولا يعرف انه أمير المؤمنين . قال : رأيت فيها الظالم مقهوراً ، والمظلوم منصوراً ، والغني موفوراً ، والفقير مجبوراً ، والأمير مشكوراً ، وأعماله مبرورة . فوقع على الأرض ساجداً شكراً لله عزَّ وجل .

أيها الإخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا ، وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني .

القلب :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ما منا واحد ، إلا وبين جوانحه ، قلبٌ ينبض ، ولكننا قد نجهل حقيقة هذا القلب ، والدور الذي يؤدّيه ، والمجهود الكبير الذي يتحمَّله .

إن القلب في بعض الإحصاءات الأخيرة : يضخُّ في الدقيقة الواحدة خمس لترات ، وهو في حالة استرخاء ، وهو نائم ، كل دقيقة ، انظر إلى الساعة ، عيّر دقيقةً واحدة ، اعلم أن القلب ، في نبضاته الثمانين يضخ خمس لترات ، قارورة الماء لتر ونصف ، فتقريباً ثلاث أو أربع قوارير من الماء ، الذي يباع معبَّأً ، هذا ما يضخُّه القلب ، في الدقيقة الواحدة .


حين يبذل الإنسان مجهوداً يضخ القلب 25 ليتر في الدقيقة

لكن حينما يبذل الإنسان مجهوداً كبيراً ، في الركض والمشي ، يضخ القلب خمساً وعشرين لتراً في الدقيقة ، وعند بعض الرياضيين في أثناء بذل الجهد العالي ، يضخُّ القلب في الدقيقة أربعين لتراً ، ما هذه المضخة التي تتراوح استطاعتها ، بين خمس لترات ، وأربعين لتراً ؟ أي أنها تبذل عند الحاجة ثمانية أضعاف الطاقة .

أيها الإخوة الأكارم ؛ مَن مَنا يصدق أن القلب يضخُّ في اليوم الواحد ، عشرة آلاف لتر مِن الدم ، فالذي لديه مستودع للوقود السائل يتسع لمتر مكعب واحد ، أي خمسة براميل القلب يضخ في اليوم الواحد، أي في الأربعةٌ وعشرين ساعة عشرة آلاف لتر من الدم ، فإذا عنده عشرة مستودعات ، كل مستودع خمس براميل ،

العشر مستودعات ، يضخها القلب في اليوم الواحد ، وأن ما يضخه القلب في العام ، ثلاث آلاف وستمئة طن مِن الدم .

شيءٌ لا يصدق ، إنما يضخه القلب ، في اليوم الواحد يكفي لسحب قاطرة ، لو أن جهد القلب حوِّل إلى استطاعة ، لكفى ، ما يبذله القلب في اليوم الواحد أن يسحب قاطرةً متراً واحداً .

هذا صنع الله ، القلب الذي يضخ ، يتحرَّك وينبض مِن الشهر الثالث ، والإنسان في رحم أمه ، ولا يتوقَّف ، ولا يتعب ، ولا يكلُّ ، إلا حينما يقف الوقفة النهائية ، وعندها ينتهي أجل الإنسان . سبحان من خلق هذا العضو الذي يعدُّ ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

((أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ))

[صحيح البخاري]

الدعاء :

اللهمَّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن توليت، وبارِك اللهمَّ لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك .

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .

واقسم لنا مِن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومِن طاعتك ما تبلغنا بها جنَّتك ، ومِن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، ومتّعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوّتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على مَن ظلمنا ، وانصرنا على مَن عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا ، ولا مبْلغ علمنا ، ولا تسلّط علينا مَن لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيا ، وسائر بلاد المسلمين .

اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعزَّ المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-1 أصل فريضة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

فريضة الحج :

أيها الأخوة المؤمنون... يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران: 96-97]

أيها الأخوة المؤمنون... هذه الآية الكريمة أصل في فرضية الحج، فالله سبحانه وتعالى يقول : " ولله على الناس حج البيت - على سبيل الفرض - من استطاع إليه سبيلاً" ومن كفر أي من كان مستطيعاً أن يحج البيت ولم يحجه إنكاراً لفرضية هذه العبادة فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران: 97]

يا أيها الأخوة المؤمنون... روى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه:

((إن عبداً أصححت له جسمه، وأوسعت عليه في المعيشة، فأتت عليه خمسة أعوام لم يفد إلي لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

الحج المبرور :

أيها الأخوة الأكارم... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[مسلم عن أبي هريرة]


حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه

الحج المبرور كما فسره العلماء هو الحج الذي لا يخالطه إثم، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: أن يرجع الحاج زاهداً في الدنيا، راغباً في الدنيا، فذلك هو الحج المبرور، وقال عليه الصلاة والسلام مخاطباً عمرو بن العاص رضي الله عنه :

((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ))

[مسلم عن عمرو بن العاص]

أي من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وقد قال بعض العلماء: الذي يفيض من عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام قَالَ:

((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[ابن ماجة عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((جِهَادُ الْكَبِيرِ والضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))

[النسائي عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فضل الحج :

وأما النفقة في الحج فربما ارتفعت، وربما كثرت الرسوم، وربما ارتفعت أجور النقل، وربما ارتفعت نفقات الإقامة، وربما ارتفعت نفقات الطعام والشراب هناك، قد يقول قائل: كنا نحج بألفين واليوم نحتاج إلى خمسين ألفاً، هو في الأساس على المستطيع، ولكن هذا المستطيع الذي ينفق خمسين ألفاً ليحج البيت ليستمع إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ))

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ]

فوائد الحج :

أيها الأخوة... هذه بعض الأدلة النقلية من آيات قرآنية ومن أحاديث قدسية ومن أحاديث نبوية تتعلق بفرضية الحج وفضله، فماذا عن فوائده ؟

أجمع العلماء على أن الحج له من بين العبادات مكانة متميزة، فهو عبادة بدنية يحتاج الإنسان إلى سعي وطواف وسفر وانتقال وصلاة وعبادة، هو عبادة بدنية، وعبادة مالية، يحتاج إلى نفقات كثيرة، عبادة بدنية ومالية وزمانية – لها زمان محدود – ومكانية – لها مكان معين – وروحية، هذه العبادة جمعت بين حركات الجسم وبين إنفاق المال وبين المكان المحدد والزمان المحدد، لكن الأجر الذي أعدّه الله للحاج لا يعلمه إلى الله، وأقله أنه ليس له جزاء إلا الجنة.



يا أيها الأخوة المؤمنون... قد نعتقد ما نشاء ولكن اعتقادنا وإيماننا يحتاج إلى برهان، ربنا سبحانه وتعالى في أكثر من مئتي آية في كتابه الكريم يقول :

﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة البينة: 7]

لأن العمل الصالح تجسيد للإيمان، ولولا العمل الصالح لم يكن هناك برهان على الإيمان، فالإيمان اعتقاد، والإيمان تصديق، والإيمان إقبال، شيء نفسي داخلي لا يطلع عليه أحد، ولكن العمل الصالح تجسيد للإيمان، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل))

[أحمد عن الحسن]

لولا العمل ما كان هناك برهان على الإيمان.

قال بعض العلماء: إن الحج برهان عملي يؤكد أن حب الله تعالى في قلب المؤمن يغلب على حبه لماله فعليه أن ينفقه، ويغلب على حبه لأهله فعليه أن يتركهم، ويغلب على حبه لأولاده فيجب عليه أن يغادرهم، ويغلب على حبه لدكانه فعليه أن يغلقه، إن الحج المبرور برهان على أن في قلب المؤمن محبة لله عز وجل تطغى على حبه لماله وأهله وأولاده وعمله وجيرانه، إنه برهان عملي على الإيمان الصحيح، من كان في قلبه إيمان صحيح كان أداء الحج برهاناً على هذا الإيمان الصحيح.

الحج تدريب عملي على الصبر و مفارقة الأهل والأوطان :

يا أيها الأخوة المؤمنون... النبي عليه الصلاة والسلام قال:



((اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم))

[كشف الخفاء عن عمر]

من كانت حياته ناعمة، من كانت حياته رغيدة، هذا إنسان ليس مؤهلاً أن يجاهد في سبيل الله، فيأتي الحج ليكون تدريباً عملياً على الصبر، وتحمل المشقة، والأناة، وحسن تلقي الشدائد بالرضا والقبول، فلذلك قال بعض العلماء: إن الحج تدريب عملي على الصبر، وعلى تحمل المشقة، وعلى تجسد الشدائد، وعلى مفارقة الأهل والأوطان، وعلى حياة الخشونة، كي يكون هذا الإنسان مستعداً لعمل يرضي الله ورسوله إذا دعاه داعي الجهاد.

يا أيها الأخوة المؤمنون... الحج فيه شظف للعيش ربما تضطر أن تنام على الأرض أما في بيتك فتنام على فراش وثير، وتنام في غرفة ذات جو معتدل، ربما تضطر أن تنام على أرض خشنة، وتحت خيمة، والشمس مسلطة عليها، هذا نموذج فلا بدّ من تحمل بعض الشدائد تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وليكون الإنسان جاهزاً لكل مشقة تدعوه إليها محبته لله عز وجل.

الحج رحلة إلى الله عز وجل :

يا أيها الأخوة المؤمنون... الإنسان يصلي في بلده وقد يخطر على باله مشاكل الدنيا، وخواطر عمله، وخواطر أهله، ولكن حينما ينزع الحاج من بيته، ومن عمله، ومن بين أولاده، ليتفرغ لعبادة الله عز وجل فهذا مما يقوي إيمانه، حينما يغادر بلدته إلى بيت الله الحرام في بيت الله الحرام ليس هناك إلا ذكر الله تعالى، والإقبال عليه، والتهجد له، والصلاة، وقراءة القرآن، إن هذه العبادة المكثفة قد تصلي ونفسك مشغولة بأمور الدنيا، قد تصوم ونفسك معلقة بهذا المحل التجاري، ولكن الحج ينتزعك من بلدتك وفي بلدتك الهموم والمشكلات والمتاعب والرغبات والصراعات، إن من حكم الحج أنه تفرغ لله عز وجل، لذلك كان الحج رحلة إلى الله عز وجل، إني مسافر إلى ربي، إني أحج بيت الله الحرام أي أنك ذاهب إلى الله عز وجل ليهديك سواء السبيل.

يا أيها الأخوة المؤمنون... أصعب شيء على الغافل مغادرة الدنيا، يكون قد جمع المال بالدرهم والدينار، وبالدقيقة والثانية، حتى صار له بيت مريح، وأهل، ومركز اجتماعي، ودخل وفير، فإذا جاء ملك الموت فسيخسر كل هذه الأشياء التي جمعها في عمره المديد في ثانية واحدة، لئلا تكون مغادرة الدنيا كالصاعقة على الإنسان، أمر الإنسان بالحج لتكون رحلة الحج رحلة مشابهة للرحلة الأخيرة، الرحلة الأخيرة لا عودة منها، ولكن الرحلة قبل الأخيرة هناك عودة بعدها، فالإنسان حينما يحج البيت ينخلع عن مرتبته الاجتماعية، الحجاج والعمار سواسية لا فرق بين وزير وغفير، ولا بين أمير وأجير، ولا بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، الكل حاسر الرأس، يرتدي إزاراً ورداءً، ولا يحق له أن يناله شيء من نعيم الدنيا لا طيب، ولا تقليم أظافر، ولا حلق شعر، ولا شيء من هذا القبيل، الإنسان حينما يحج البيت فكأنما حج البيت رحلة تعطيه حجمه الحقيقي، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[سورة الأنعام:94]

فالإنسان إذا ذهب إلى الحج ورأى جموع المسلمين على صعيد واحد في وضع متساو لا فرق بين واحد وواحد، كلهم ضعيف يبتغي وجه الله عز وجل، إن هذا الحاج الذي ترك مكانته الاجتماعية، ورتبته المدنية، ووظيفته العالية، وبيته المريح، إن هذا الحاج يعود إلى حجمه الحقيقي، فكأن رحلة الحج تشبه رحلة الموت.

ثياب الإحرام تحجيم للإنسان و تعريف بمكانته :

الله سبحانه وتعالى حين أمر الحاج عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام أن يرتدي ثوبين أبيضين كأنه يريد أن يبين للحاج أن مظاهر الدنيا كلها لا قيمة لها عنده، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أشكالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .



أي شيء يتيح لك أن تتزين به فهو محرم في الحج، ليس لك إلا أن ترتدي هذين الثوبين غير المخيطين، ومن ارتدى ثياب الإحرام يعرف نعمة الثياب المخيطة، إنه تحجيم لهذا الإنسان الذي ارتفعت مكانته وكثر ماله ونسي المبتدا والمنتهى، إنه تحجيم لهذا الإنسان الذي ربما أدخلت على قلبه وفرة المال شعوراً بالعلو على بقية الناس.

أثمن ما في الحياة الاتصال بالله عز وجل :

يا أيها الأخوة المؤمنون... في الحج الناس تزداد تعظيماً لهذا النبي العظيم، كيف؟ هذه البلاد الحارة التي أرادها أن تكون حارة في واد غير ذي زرع، في الحج سرّ لا يعرفه إلا من ذاقه، في الحج ازدحام، وفي الحج حرارة شديدة، وفي أيام الحج خشونة في المأكل والمشرب والملبس، ومع ذلك من كان حجه صحيحاً ومخلصاً يتمنى أن يحج في كل عام، ما تفسير ذلك؟ أن الله سبحانه وتعالى جعل طعم الإقبال عليه، ولذة القرب منه، وحلاوة التجلي تفوق كل هذه المصاعب، فعلى الرغم من كل هذه المصاعب يتوق من حج البيت حجاً صحيحاً أن يحج في كل عام. إذاً الله سبحانه وتعالى حينما جعل الكعبة البيت الحرام في بلاد حارة، وفي واد غير ذي زرع، لا شجر، ولا نبات، ولا هواء رطب، ولا مناظر خضراء، إنما هي جبال جرداء، وحر شديد،

ليبين أن أثمن ما في الحياة أن تكون موصولاً بالله عز وجل، فإذا اتصلت بالله في هذه الديار أنستك هذه الصلة كل هذه المتاعب والمشقات.

فليتك تحلو والحيـــاة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العـالمين خراب

* * *

كأن الله سبحانه وتعالى يقول لك: تعال يا عبدي، تعال إليّ لأريحك من ذنوب أثقلت ظهرك، تعال إليّ لأريحك من حب الدنيا، تعال إليّ لأذيقك طعم قربي، تعال إليّ لأذيقك حلاوة مناجاتي، تعال إليّ لترى أن الإقبال عليّ أثمن ما في الدنيا، تقول له: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، هذه التلبية تعني أنك استجبت لأمر الله.

حاجة المسلم إلى التفرغ لعبادة الله عز وجل :

يا أيها الأخوة المؤمنون... مهما تحدثنا عن المشاعر التي تنتاب الحاج في الأرض المقدسة فإنه من ذاق عرف، والعيان غير الخبر، ليس المعاين كالمخبر.

يا أيها الأخوة المؤمنون...من ملك الاستطاعة من زاد وراحلة، من ملك شروط الاستطاعة ومضى عليه خمسة أعوام لم يفد إليّ لمحروم، وفي بعض المذاهب الفقهية يعدّ تأخير الحج للمستطيع مكروهاً كراهة تحريمية لقول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران:97]

يا أيها الأخوة المؤمنون... كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصعد إلى غار حراء من حين إلى آخر كأن المؤمن محتاج إلى غار حراء، أي كأن المؤمن محتاج إلى أن يتفرغ كي يعبد الله عز وجل، لا مشكلة، ولا قضية أسرية، ولا عمل، ولا أصحاب، ولا متاعب، ولا مشقات، الحج تفريغ إجباري لهذا الإنسان الذي شغله ماله، أو شغلته مرتبته، أو شغلته مكانته في بلده عن التفرغ لله عز وجل.

على كلّ إنسان حاج أن يتيح المجال لغيره كي يحج في وضع مقبول ومعقول :

أيها الأخوة المؤمنون... الحديث القدسي الذي يبين أنه :

((إن عبداً أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

إذاً على المسلم أن يستجيب لهذا الذي اتفق عليه المسلمون أن يحجوا كل خمسة أعوام، هناك من يصر أن يحج كل عام لا شك أنه معذور لأنه ذاق حلاوة القرب، ولكن بعض العلماء ضرب مثلاً لو أن سجادة تتسع لأن يصلي عليها عشرة أشخاص، وهناك مئة شخص، بينهم عشرون قد صلوا الفريضة، والثمانون لم يصلوا الفريضة بعد، فنسمح للذين صلوا الفريضة أن يصلوا نفلاً على هذه السجادة أم نتيح المجال لمن لم يصلِّ الفرض بعد أن يصلي عليها؟ أي إذا كان الحرم المكي يتسع لمليون إنسان، و العالم الإسلامي يزيد عن ألف مليون، و هناك ترتيبات أن يحج من كل مليون ألف حاج، وألا يسمح للحاج أن يحج إلا بعد خمس سنوات، هذا الإجراء منطقي، واتفقت عليه الأمة الإسلامية بأجمعها في بعض المؤتمرات، فلذلك أن يتاح للذي لم يحج أن يحج بوضع مقبول ومعقول، أما إذا بلغ الزحام درجة الحد غير المقبول هذا الحج ربما فسد، بمعنى أن الإنسان حينما ينسحب من شدة الازدحام أين إقباله على الله عز وجل؟ وأين التفاته إلى الله؟ فلذلك إذا كان هناك ترتيبات تقضي ألا يحج الإنسان إلا كل خمسة أعوام فهذه الترتيبات يؤكدها هذا الحديث القدسي:

((إن عبداً أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

أي هذا الذي أريد أن أؤكده أن الإنسان إذا تفضل الله عليه بحج مبرور ليفسح المجال لإنسان لم يحج بعد كي يحج في وضع مقبول ومعقول.

فوائد التّمر :

أيها الأخوة المؤمنون... آية قرآنية في سورة مريم، وفي قصة السيدة مريم كلمات ثلاث يكشف الطب الحديث أنها أساس الولادة الميسرة، يقول الله تعالى مخاطباً السيدة مريم:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾

[سورة مريم: 25-26]

أما كلمة :" قري عينا " فقد استنبط العلماء من هذه الكلمة أن الحالة النفسية للمرأة قبل الولادة لها علاقة وشيجة بتيسير الولادة، فلو أن المرأة مطمئنة، قريرة العين، هادئة البال، ليس هناك مشكلة في البيت، زوجها يكرمها قبيل الولادة، إن حالتها النفسية المريحة، وطمأنينتها، وقرة عينها عامل أساسي في سهولة ولادتها، فأي اضطراب نفسي، وأي أزمة عاطفية، وأي مشاجرة بين الزوجين، والمرأة على وشك الولادة إنها تعيق الولادة، وربما اضطرت المرأة إلى إجراء ولادة عسيرة.



أما :" كلي" ولحكمة بالغة أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً ﴾

[سورة مريم: 25]

من أغرب الكشوف العلمية أن في الرطب مادة تعين على انقباض الرحم، الرحم كما تعلمون من اثنين ونصف سنتيمتراً مربعاً جوفه قبيل الحمل إلى سبعمئة وخمسين سنتيمتراً مربعاً في أوج الحمل، وهذا الجنين وتحته المشيمة والمشيمة موصولة بشرايين الأم، فإذا نزل الجنين من رحم الأم وتبعته المشيمة تقطعت هذه الشرايين، هذه الشرايين مفتوحة لو بقية مفتوحة لنزفت الأم، وماتت، تموت من النزيف، لذلك ربنا سبحانه وتعالى لحكمة بالغة يجعل الرحم تنقبض انقباضاً شديداً إلى درجة أن قوام الرحم يصبح قاسياً كالصخر ، فإذا وضعت القابلة يدها على الرحم ورأته قاسياً تطمئن إلى أن الولادة صحيحة، إن الرحم بانكماشها الشديد تغلق كل الشرايين المفتوحة وبهذا ينقطع النزيف. في التمر وفي الرطب مادة تعين على انقباض الرحم، لذلك وردت كلمة الرطب عند ذكر المخاض:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً ﴾

[سورة مريم: 25]

وفي الرطب مادة تعين على انزلاق النفايات في الأمعاء الغليظة، مادة منظفة وملينة، وما من امرأة على وشك أن تضع إلا ويحرص الطبيب أو القابلة على أن تكون أمعاؤها خالية من كل شيء لئلا يعيق امتلاء الأمعاء خروج الجنين من الرحم، لذلك في التمر نفسه مادة ملينة ومنظفة للأمعاء ولا سيما الغليظة.

شيء آخر: الطلق عملية مجهدة، أي القلب أحياناً تزيد ضرباته من ثمانين ضربة في الدقيقة إلى مئة وثمانين ضربة في الدقيقة ليواجه هذه التقلبات العنيفة، فالقلب يحتاج إلى غذاء، والحركات العضلية تحتاج إلى غذاء، لذلك التمر لا يستغرق تمثله أكثر من عشرين دقيقة من الفم إلى الدم مباشرة، أي أسهل مادة للهضم ولتحولها من غذاء إلى طاقة هو التمر.

شيء أخير: هو أن في الرطب مادة تمنع النزيف، تعين على انقباض الرحم، وتمنع النزيف، وتنظف الأمعاء، وتعقمها، وتطهرها، وتلينها، وتغذي المرأة التي على وشك الولادة بغذاء سكري بأعلى مستوى، بأسهل طريقة، وبأقصر وقت، فإذا جاء في كتاب الله:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً ﴾

[سورة مريم: 25]

هذا التمر مركز، تركيزه شديد جداً فهو يحتاج إلى سائل ينحل فيه كي يسهل الامتصاص.

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي ﴾

[سورة مريم: 26]

لماذا الإنسان بعد الحلو يحتاج إلى الماء ؟ لماذا هكذا فطرته ؟ لأن الحلو يحتاج إلى تمديد، وإلى أن ينحل في سائل كي يسهل هضمه، لذلك شرب الماء ضروري بالنسبة للمرأة التي على وشك الوضع، وحالتها النفسية المطمئنة عنصر أساسي في الولادة، وأن يكون طعامها فيه أشياء أربعة: مواد تعين على انقباض الرحم، ومواد تمنع النزيف، ومواد تنظف الأمعاء وتلينها، ومواد أخرى تغذي بأقصر وقت وأيسر سبيل، هذا هو القرآن الكريم، هذا هو كلام رب العالمين، كلمات في قصة ولكن لو وقفت عندها لوجدت العجب العجاب.

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾

[سورة مريم: 25-26]

لا بدّ من غذاء خاص، ولا بدّ من شراب كثيف، ولا بدّ من طمأنينة نفسية.

أيها الأخوة المؤمنون... هذه بعض آيات القرآن، وكيف أن العلم كلما تقدم اكتشف أن هذا الكلام كلام رب العالمين، كلام خالق الأكوان وليس كلام البشر.

والحمد لله رب العالمين

5-1 المقاصد الأساسية للعبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

المنافع التي يشهدها الحاج عند قصد البيت الحرام :


الحج أكثر العبادات أثراً في حياة المسلمين

أيها الأخوة المؤمنون : إن المقصد الأول من العبادات- والدين كما تعلمون عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق- هو الامتثال لأمر الله عز وجل، والوفاء بحقه .

ومع ذلك لا يخفى أن وراء العبادات آثاراً طيبةً ومنافع جليلة ، في حياة الفرد والجماعة ، والحج ونحن على مشارف هذه العبادة العظيمة هو أكثر هذه العبادات اشتمالاً على الأمور التعبدية التي لا تُعرف حكمتها معرفةً تفصيلية على وجه التأكيد ، لكن الحج أوضح هذه العبادات أثراً في حياة المسلمين أفراداً وجماعات ، كيف لا وقد قال الله عز وجل :

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

[سورة الحج: 27]

﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾

إن هذا التعليل القرآني لهذه الرحلة المباركة التي يقطعها الناس قادمين من كل فج عميق يفتح لنا باباً رحباً للتأمل في هذه المنافع المشهودة التي قدمها القرآن الكريم.

الحج أيها الأخوة شحنة روحية كبيرة ، يتزود بها المسلم فتملأ جوانحه خشية ، وتقىً، وعزماً على طاعة الله ، وندماً على معصيته ، وتغذي فيه عاطفة الحبِ لله ، الحبِ لله ولرسوله ، ولمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وتوقظ في نفس المسلم مشاعر الأخوة لأبناء دينه في كل مكان ، وتوقظ في صدره شعلة الحماسة الدينية والغيرة على حرماته ، هذه بعض المنافع التي يشهدها الحاج إذا قصد البيت الحرام.

الحج المبرور يتيح للإنسان أن يفتح صفحة جديدة مع الله :

أيها الأخوة الكرام : إن الأرض المقدسة ، وما لها من أثر في النفس ، وقوة الجماعة، وما لها من إيحاء في الفكر والسلوك ، كل هذا يترك أثراً واضحاً في أعماق المسلم فيعود من رحلته إلى الله– والحج كما تعلمون رحلة إلى الله – أصفى قلباً ، وأطهر مسلكاً ، وأقوى عزيمةً على الخير ، وأصلب عوداً أمام مغريات الشر ، وكلما كان الحج مبروراً و خالصاً لله عز وجل كان أثره في حياة المسلمة المستقبلية واضحاً ، لأن هذه الشحنة الروحية العاطفية تهز كيانه المعنوي هزاً تنشئه على خلق آخر ، وتعيده كأنما هو مولود من جديد يستقبل الحياة. أي بشكل واضح: الحج المبرور يتيح لك أن تفتح مع الله صفحة جيدة ، وأن تعود كيوم ولدتك أمك ، وأن تُغفر لك ذنوبك ، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة ، فرصة لا تعوض . يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[متفق عليه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أداء فريضة الحج من تمام نعمة الله على المؤمن :



أيها الأخوة الكرام : أداء فريضة الحج تمام نعمة الله على المؤمن ، لقد جعل الله البيت الحرام قبلة للمؤمن ، يتجه إليه كل يوم خمس مرات في صلاته ، وهكذا شاءت إرادة الله أن ينشغل فؤاد المؤمن بهذا البيت وهو بعيد عنه إلى أن يؤدي فريضة الحج ، هذا البيت الذي يستقبله كل يوم خمس مرات سيراه بعينه ، ستقع عينه عليه ، والحج أيها الأخوة تمام نعمة الله على المؤمن ، لأن المؤمن لا يحج إلا إذا كان مستطيعاً ببدنه الذي سلمه الله له ، وقواه وبماله الذي

ادخره فائضاً للحج عن حاجاته الأساسية ، وبنفقة أهله وعياله في غيبته ، فهو نوع من الغنى والصحة ، وهو من تمام نعمة الله على المؤمن.

والحج أيضاً تمام نعمة الله على المؤمن ، لأن إيمانه بالله ورسوله كان في المستوى الذي حمله على مغادرة الأوطان ، وترك الأهل والخلان، وإنفاق الأموال ، بلغ حبه لله وانصياعه لأمره درجة أنه ترك بلده ودفع الأموال من أجل تلبية نداء الله عز وجل ، والحد أيضاً تمام نعمة الله على المؤمن لأنه ما من أحد حج بيت الله الحرام إلا وهو مؤدٍ لجميع ما كُلف به من عبادات شعائرية ، كالصلاة والزكاة والصيام ، ومن عبادات تعاملية ، من توبة نصوح ، وأداء لجميع الواجبات ، ووفاء لكل الحقوق.

شمول الحج لأركان الإسلام :

أيها الأخوة الكرام : الحج عبادة شاملة لكل أركان الإسلام ، ففيه من الصلاة أن تذهب إلى بيت الله الحرام لتصلي فيه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ))

[أحمدعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فالصلاة في البيت العتيق تعدل عند الله مئة ألف صلاة ، وفي الحج إنفاق الأموال في التنقل والسكنى والطعام والشراب والركوب ، وفي الحديث الشريف:

((النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ))

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ]

وفي الحج من الصوم أنك تبتعد عن المباحات من لبس المخيط والتطيّب والحلق والتقليم ، وكلها مباحات خارج الحج.

وفي الحج من معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ أنك تحج بيته الحرام تلبية لأمره وطاعة له ، ولا أدل على ذلك من قولك في التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، وتؤدي مناسك الحج كما علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ))

[مسلم عَنْ ابن جريج]

الحج عبودية لله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام : الحج عبودية لله عز وجل ، عبودية لخالق السموات والأرض رب العالمين ، إن عبودية الإنسان لله تقتضي أن يبتعد عن التعالي على أخيه الإنسان ففي المسجد مثلاً ؛ من يصلي أولاً في أول صف هو الذي يأتي أولاً ، لا طبقية ولا رتب ولا شيء من هذا القبيل ، فالذي يصل أولاً يصلي في الصف الأول ، ومن يأتي متأخراً يصلي في الصف الأخير مهما تكن رتبته ، والذي يحدث أنك تجد من كان في مجتمعه في الصف الأخير قد تجده في المسجد في الصف الأول ، إن هذه المساواة في العبودية لله عز وجل تخرج الإنسان عن التعالي وتجعله يتواضع بحيث يحسن معاملة جميع المؤمنين ، هذا في بيئة المسجد.



دموع الحاج وطوافه تعبير عن ندمه وتضرعه الى الله

ولكن الله جل جلاله أراد أن يجعل هذه المساواة وهذا الخضوع ليس في بيئة محدودة ولكن في نطاق عالمي ، وفي بيئة عالمية تجمع كل أجناس البشر ، نتميز كما نشاء في بلادنا ، وبين أهلنا ، ولكن عندما نصل إلى بيت الله الحرام لابد من أن نقف جميعاً أمام الله متساوين في لباسنا ، وفي طوافنا ، وفي سعينا ، وفي وقوفنا ، وفي دعائنا ، وفي ابتهالنا .

أيها الأخوة الكرام : الحج أدب رفيع مع عناصر الكون كلها ، فمن لوازم العبودية لله عز وجل أن الحج ألزم الحاج بالتأدب مع كل أجناس الكون ، مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود ، ومع النبات في النهي عن قطعه، ومع الحيوان في تحريم صيده ، ومع الإنسان في حرمة التشاجر معه ومجادلته.

البكاء في بيت الله الحرام من لوازم العبودية لله في الحج ، إن الحاج حينما يدخل بيت الله الحرام ويطوف حول الكعبة المشرفة تنهمر عيناه بالدموع ، هذا البكاء تعبير عن الندم على ما سبق من ذنوب وتضرع إلى الله عز وجل أن يقبل توبته ، وأن يعفو عنه ، هذا البكاء تعبير عن ترك العجب والكبرياء والتذلل لخالق الأرض والسماء . هذا البكاء تعبير عن أن الحاج تخلى عن كل شيء وخضع إلى الله في كل شيء ، ومع أن البكاء في الأصل مظهر من مظاهر الضعف والحزن فإنه في الحج ليس كذلك ، هذا البكاء في الحج إحساس عميق بأن السعادة الحقيقية هي في القرب من الله تعالى .. لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف .

الآيات البينات في بيت الله الحرام :

1 . أن سيدنا إبراهيم كان أمةً وحده اجتمعت فيه كل خصال الخير :

أيها الأخوة الكرام : في بيت الله الحرام آيات بينات ، مقام إبراهيم ، أي أن هناك آيات كثيرة في مقام إبراهيم، من هذه الآيات أن إبراهيم عليه السلام كان أمةً واحدة ، فقد اجتمعت فيه من خصال الخير ما لا تجتمع إلا في أمة ، تقول : هذا أمين ، وهذا صادق ، وهذا كريم ، ولكن خصال الخير كلها مجتمعة في هذا النبي عليه الكريم ، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة النحل: 120]

ما معنى قول الله عز وجل :

﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾

أي هناك آيات كثيرة في مقام إبراهيم ، أول آية أنه كان أمةً وحده اجتمعت فيه كل خصال الخير. أيها الأخوة : ومن هذه مقولة أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم معصومة بمجموعها بينما النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده .

2 . حجم الإنسان عند الله بحجم عمله :

ومن هذه الآيات البينات أن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله ، وأن إبراهيم عليه السلام من حيث العمل الذي أجراه الله على يديه عمله يساوي عمل أمة ، فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك ، وهذا يذكرنا بقول الله عز وجل يخاطب النبي الحبيب عليه أتم الصلاة والسلام:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 107]

3 . بناء سيدنا إبراهيم الكعبة بإتقان شديد :

من هذه الآيات البينات أن إبراهيم عليه السلام أقبل على بناء الكعبة وإعلائها تنفيذاً لأمر الله تعالى بإتقان شديد ، والإتقان في تنفيذ الأمر دليل قطعي على محبة الآمر ، وهذا يذكرنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ، وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلا أَثْبَتَهُ))

[متفق عليه عن عائشة]

4 . أن الله خلق الكون وجعله يعمل بالأسباب :



ومن هذه الآيات البينات في مقام إبراهيم أن الله خلق الكون ، وجعله يعمل بالأسباب ، فالذي يأخذ بالأسباب ويتقنها تعطيه هذه الأسباب النتائج مؤمناً كان أو كافراً ، لكن هناك حقيقة كبرى هي أن خالق الأسباب فوق الأسباب بل هو مسببها ، إن شاء أعطاك ، وإن شاء منعك وأنت آخذ بالسبب ، فالسبب أيها الأخوة في علم التوحيد لا يخلق النتيجة لذلك لابد من أن يكون الإنسان منتبهاً ، فإذا غفل عن هذه الحقيقة أدبه الله بإحدى طريقتين أو بأكثر ، بتعطيل فاعلية الأسباب ، أو بخلق نتائج مدهشة من دون أسباب ، لأنه أله الأسباب ، وذكرت في خطبة سابقة أن أهل الغرب أخذوا بالأسباب وألهوها فأشركوا ، وأن أهل الشرق لم يأخذوا بها فتخلفوا وعصوا ، والحقيقة أن تأخذ بها وكأنها كل شيء ، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

5 . العاقبة للمؤمن :

سيدنا إبراهيم عليه السلام .. لازلنا في قوله تعالى

﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾

ما معنى مقام إبراهيم ؟ سيدنا إبراهيم عليه السلام جاء بزوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى موقع الكعبة الذي لا زرع فيه ، ولا ماء ، ولا وسائل للحياة في هذا المكان الخالي ، ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع وانطلق راجعاً، فأمسكت هاجر بزمام دابته وقالت له : يا إبراهيم لمن تتركنا ؟ فلم يجب ، قالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لن يضيعنا.

أحياناً الإنسان يتوكل على الله وبين يديه كل أسباب السلامة ، لكن هذا التوكل المطلق ليس بيدها ، ولا بيده شيء من أسباب بقاء الحياة ، في وادٍ غير ذي زرع ، لا ماء ولا طعام ولا شجر ، إذاً لن يضيعنا ، هذه قضية إيمانية كبرى ، وهي أن الله إذا أمرك بأمر فبدا لك أنه يضر بمصالحك أو يحول بينك وبين ما تتمناه فاعلم علم اليقين أن الآمر ضامن ، الآمر هو الله الذي بيده كل شيء ، فإذا أمرك بأمر وتوهمت أن هذا الأمر يضر بمصلحتك أو يحول بينك وبين منفعة ، لا تتردد في تنفيذ الأمر لأن الله ضامن.

أيها الأخوة الكرام : العاقبة للمؤمن ، والدنيا تأتيه وهي راغمة :

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشتت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة))

[الترمذي عن أنس]

((وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني ، أعرف ذلك من نيته ، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه ، وقطعت أسباب السماء بين يديه ، وما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي ، أعرف ذلك من نيته ، فتكيده أهل السموات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً))

[رواه ابن عساكر عن كعب بن مالك]

من هذه الآيات البينات في مقام إبراهيم عليه السلام أنه أمر أن يذبح ابنه إسماعيل وهو في سن الشباب ، قال تعالى :

﴿فلما بلغ معه السعي﴾

[سورة الصافات : 102]

تصور ابناً ربيته ، إلى أن أصبح شاباً يافعاً ، أعانك في عملك ، وحمل عنك عبئاً كبيراً ، وهو نبي ، يقول الله لك : اذبحه ، هذا أمر ترتفع فيه نسبة العبودية إلى القمة ، وكلما اتضحت حكمة الأمر ومنفعته لك ضعفت فيه العبودية ، وكلما غابت عنك حكمته وغابت عنك منفعتك فيه ارتفع في هذا الأمر نسبة العبودية، فهو من أعلى الأوامر الإلهية التي انصاع لها هذا النبي الكريم.

أيها الأخوة الكرام : لم يتباطأ في التنفيذ ، لم يدعُ الله أن يرحم شيخوخته ، أو أن يعفو عن ابنه ، وعلى الرغم مما يبدو ظاهراً من قسوة الابتلاء فقد شرع في التنفيذ.

أن يُقدم الإنسان على ذبح ابنه الوحيد الشاب ، والأب شيخ كبير والزوجة عاقر لا تنجب ، إن من يفعل هذا يحب الله حباً يفوق الدنيا وما فيها ، حباً أعلى من كل حب ، يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين))

[متفق عليه عَنْ أَنَسٍ]

من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً :

أيها الأخوة الكرام : قد يتوهم الإنسان أحياناً أنه يحب الله ورسوله ، هذا الحب لا يظهر في الموافقات يظهر في التعارضات ، حينما ترى مصلحتك في مخالفة هذا الأمر ، وحينما يثبت لك أن هذا أمر الله عز وجل.



فإذا بادرت إلى تنفيذ أمر الله ، ووضعت تحت قدمك مصلحتك ، ومنفعتك ، فأنت مؤمن ورب الكعبة ، وأنت تحب الله ورسوله ، وهناك امتحانات كثيرة ، الإنسان لا يظهر في الموافقات ، قد تطلب الزواج والزواج سنة ، تقول : أنا أطيع الله عز وجل، طبعاً هذه طاعة لله ولكن تتوافق مع حاجاتك، ومع فطرتك ، ومع رغباتك، أما حينما تتعارض مصلحتك المادية مع نص قرآني ، مع نص صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتؤثر طاعة الله وتلقي بمصلحتك عرض الطريق ، فعندئذ تكون مؤمناً ورب الكعبة. لذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))

[متفق عليه عَنْ أَنَسٍ]

أيها الأخوة الكرام ، من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً.. إذا كلفك مساوٍ لك ، ند لك ، إذا أمرك بأمر تسأله لماذا ؟ لماذا أفعل هذا ؟ ولكن إذا أمرك الله جل جلاله ، خالق السموات والأرض العليم الحكيم الرحمن الرحيم ، إذا أمرك الله أمراً ينبغي أن تأخذ أمره بالطاعة بمقدار ثقتك بعلمه ورحمته وحكمته ، الله جل جلاله لا يريد لنا إلا الخير ، ولا يقضي لنا إلا بالخير ، وكلما قصر الفكر البشري عن إدراك الخير كان الخير أضخم وأكبر ، لأن الخير في هذه الحالات أكبر من أن يدركه الإنسان بعقله القاصر ، قال تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: 216]

دعوة الله عز وجل خلقه للإيمان به :

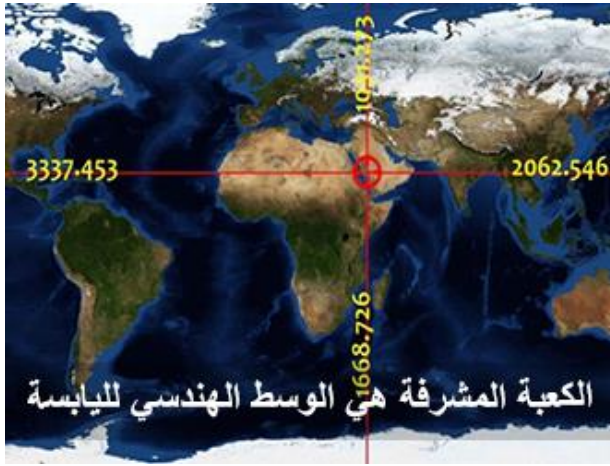
هذه الدروس من مقام إبراهيم ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، والله جل جلاله حينما يخاطب خلقه لا يخاطبهم بالتكليف ، افعلوا ولا تفعلوا ، إنما يدعوهم إلى الإيمان به ، فمن آمن به كلفه ، لذلك تجد كل تكليف مسبوقاً في القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾

لأن الإنسان إذا دخل مع الله بعقد إيماني فقد آمن إيماناً قطعياً أن لله الكمال المطلق ، فإذا تلقيت أمر الله عز وجل ولم تفهمه و نفذته .. فلا بد من أن تجد الراحة في قلبك والصفاء في نفسك ، وحينما تقبل على تنفيذ الأمر لثقتك بعلمه وحكمته ورحمته يكشف لك الحكمة منه ، فتعود بثمرتين ، ثواب العابد وفهم العارف. أيها الأخوة الكرام : هذه بعض اللمحات من مقام سيدنا إبراهيم ، الحج رحلة إلى الله، عبادة بدنية ، ومالية ، وشعائرية ، تؤدى في أمكنة مخصوصة ، وفي أحوال مخصوصة ، وفي أزمنة مخصوصة . حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

مكة هي المركز الهندسي لليابسة :

أيها الأخوة الكرام : بيت الله الحرام مركز لدائرة تمر بأطراف قارات العالمين القديم والجديد ، بيت الله الحرام الكعبة المشرفة هي الوسط الهندسي لليابسة مركز لدائرة تمر بأطراف قارات العالمين القديم والجديد ، والأرض اليابسة موزعة حول بيت الله الحرام بصورة منتظمة.



هذه الحقيقة أكدتها أحدث الدراسات العلمية بمركز البحوث الفلكية في أحد الأقطار العربية الشقيقة ، وذلك باستخدام الحاسب الآلي في حسابات المسافات بين مكة المكرمة وعدد من المدن التي تقع في أطراف العالمين القديم والحديث ، فقد ثبت بعد الحسابات التي أجريت على الحاسب الآلي أن أقصى أطراف الأرض في إفريقيا وأوربا وآسيا ، تقع على مسافة ثمانية آلاف كيلو متر من مكة المكرمة ، أوربا آسيا وإفريقيا ، هذه قارات العالم القديم ، المدن التي على أطرافها بُعدها عن مكة المكرمة ثمانية آلاف كيلو متر.

فمكة تقع في وسط العالم القديم ، وأما بالنسبة لأطراف العالم الجديد وهو قارة أمريكا شمالاً وجنوباً ، وأستراليا والقارة المتجمدة الجنوبية ، جميع أطراف هذه القارات الثلاث تقع على مسافة ثلاثة عشر ألف كيلو متر من مكة المكرمة ، ولا يقابل مكة المكرمة على سطح الأرض من الطرف الآخر يابسة ، بل بحراً ، إنه المحيط الهادي ، إذاً بحسب هذه الدراسة التي أجريت على الحاسب الآلي يتبين أن بيت الله الحرام هو المركز الهندسي لليابسة . قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 96]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك.

والحمد لله رب العالمين

1-6 حقيقة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولَ الله سيدَ الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حقيقة الحج :

أيها الأخوة الكرام: إن الحج الفريضة البدنية المالية الشعائرية التي تؤدى في زمن مخصوص، وفي مكان مخصوص، هي في حقيقتها رحلة قلوب، لا رحلة قوالب، هي في حقيقتها رحلة نفوس لا رحلة أبدان، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

[سورة إبراهيم : 37]

رحلة أفئدة لا رحلة أبدان، رحلة نفوس لا رحلة أشباح.

أيها الأخوة الكرام، مما يؤكد هذا المعنى أيضاً أن الله جل جلاله يقول:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الحج: 37]

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج: 32]

قال بعض العلماء: أداء الشعيرة شيء وتعظيمها شيء آخر، من تعظيمها أن تؤديَها كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تعظيمها أن تؤديها على شوق وطيب نفس، لا على تأفف وتململ. ومن تعظيم شعائر الله جل جلاله أن تؤديها أيها الحاج وتتمنى أن تؤديها مرات ومرات، لا أن تقول: لن أعيد هذا الحج، فأداء الشعيرة شيء وتعظيمها شيء آخر.

الغاية الكبرى من الحج :

أيها الأخوة الكرام: إن المشاعر التي يستشعرها الحاج وهو في مشاعر الحج هي بوتقة ينصهر فيها قلب المؤمن حتى يتخلص من أدرانه عوداً به إلى يوم ولدته أمه، نقي القلب، صافي النفس، تلك هي الغاية الكبرى من الحج، أن تعود كيوم ولدتك أمك.



ورد في الأثر أن أحد الأنبياء سأل ربه جل جلاله قال: : يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إليَّ تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوءٍ، أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي، قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلائي ونعمائي وبلائي ".

أيها الأخوة الكرام: ربنا جل جلاله يقول:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة : 97]

من أجمل ما قال المفسرون حول هذه الآية أن الإنسان بحجِ بيت الله الحرام، وتعظيمِ شعائر الله كما بينت قبل قليل، وعقدِ العزم على طاعته، واتباعِ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تقوم مصلحته في الدنيا والآخرة، يقول الله عز وجل:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

[سورة الرحمن : 1-4]

أيُعقل أن يُعلَّمَ الإنسان القرآن قبل أن يُخلق؟ العلماء قالوا: هذا ترتيب رتبي، بمعنى أن وجود الإنسان لا معنى له من دون منهج يسير عليه، فإذا حج المسلم بيت الله الحرام، واصطلح مع الله، وتاب إليه، واستغفره، وعقد العزم على طاعته في شؤون حياته كلها بعد الحج فقد قامت مصالحة الدنيوية والأخروية، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

[سورة النساء: 147]

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال: 33]

أي ما دامت سنتك في حياتهم مثبتة " ما كان الله ليعذبهم، وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون "، فإذا أتوا بيت الله الحرام ليستغفروا ذنوبهم، الله سبحانه وتعالى لا يعذبهم، وحينما يعلم المسلم أن الله رحيم به، شرع له المنهج ليسعد في الدنيا والآخرة، عندئذ يعلم أن الله أعلم بما يسعده ويحقق مصالحه في الدنيا والآخرة من أية جهة أخرى.

الحكمة من تشريع اللون الواحد في الحج :



أيها الأخوة الكرام: يخلع الحاج ملابسة المَخيطة والمُحيطة، والتي تعبر بشكل أو بآخر عن دنياه، عن حجمه المالي، عن مرتبته الاجتماعية، بل عن درجته العلمية أحياناً، هذه الملابس المَخيطة والمحيطة قد تعبر عن نوع انتمائه، إلى أمةٍ، إلى شعبٍ، إلى قبيلةٍ، إلى عشيرةٍ، فلو بقي المسلم بلباسه لبقي ملتصقاً بقبيلته، بطبقته، أو مَنْ على شاكلته، ولكن الإسلام لحكمةٍ كبيرة شرع اللون الواحد، والتصميم الواحد، حتى تختفي الهوية الخاصة، ويبدو البشر كياناً واحداً، ومن ثم تتعامل معهم بدافع إنساني خالص، بعدما ذابت الهويات الإقليمية والانتماءات المتعددة، ليبرز الإنسان على فطرته السليمة في مواجهة خالقه الواحد الديان.

الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام :

بعد أن يخلع الحاج ثيابه المَخيطة والمحيطة، ويرتدي ثياب الإحرام الموحدة، يدخل في أفق الممنوعات، ففي باطنه– وهذا حكم خاص بالحرم – ففي باطنه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

[سورة الحج: 25]

إن الله لا يحاسب إلا على العمل، إلا في بيته الحرام، فمن أراد به أذية على مستوى الإرادة يحاسب، ويعاقب أشدّ العقاب، ففي باطنه ممنوع أن يفكر في شيء يؤذي الحرم، ومع الناس فلا رفث.. أية مقدمات تتعلق بالمرأة، ولو الحديث عنها " فلا رفث، ولا فسوق ولا جدال في الحج " ومع الحيوان فلا يُصطاد، ومع النبات فلا يُقطع، ومع الحجر فيُقبّل، هذه الممنوعات التي هي من لوازم الإحرام، بل حتى مع قاتل أبيه، فإن عليه أن يقاوم مشاعر الغيظ الفوارة، ليكون الحج سلاماً دائماً قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران: 96–97]

وفوق ذلك ففي الإنسان غريزة حب الاستطلاع، فهو في أصل طبعه لا يقبل على عمل إلا إذا عرف حكمته، ولأنه يحب نفسه حباً جماً وهذا مركب في أصل طبعه فهو لا يشتاق إلا لمن يحقق مصلحة له عاجلة وظاهرة، ولأن الحج بهذه الممنوعات وبهذه المناسك التي لا تظهر حكمتها للوهلة الأولى، لأن الحج بهذه الممنوعات وهذه المناسك لا يلبي هذه الحاجة الفطرية، والفكرية، والمادية في الإنسان، لذلك يحتاج الحاج إلى درجة عالية من الإيمان بخالق الأرض والسموات. ويحتاج إلى درجة عالية من العبودية لله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام: يقول عمر – عملاق الإسلام– رضي الله عنه:" تفقهوا قبل أن تحجوا " فالعبادة أيها الأخوة في حقيقتها تعني خروج العبد من مراده إلى مراد ربه، وهذا يبدو جلياً واضحاً كما في الحج.

تعظيم الكعبة و الحجر الأسود :

أيها الأخوة الكرام، لقد حطَّم النبي عليه الصلاة والسلام الأحجار والأصنام التي حول الكعبة، ثم قال: " عظموا الكعبة والحجر الأسود " فإذا سألتك نفسك عن هذه المفارقة أجبها: إنك لا تعظم الكعبة والحجر

لذاتيهما، ولكنك تعظم ما ترمز إليه، من أنها بيت الله، ومن أن هذا الحجر يمين الله، فمن فاوضه فقد فاوض كفَّ الرحمن.

أيها الأخوة الكرام: يتساءل بعض العلماء: هل مع هذا التسليم المطلق بصحة ما أمرنا به هل يُعطلُ علم العقل؟ فأجاب بعضهم: لا، ولكن لن يكون العقل حكَماً على النقل، ولكنه مسموح للعقل أن يفهم حكمة النقل، مسموح له أن يطير في المجال الجوّي الإسلامي، مسموح له أن يسبح في المياه الإقليمية الإسلامية، مسموح له أن يسبح ولا يشطح.

موقف عرفة و أسرار الرجم :

أيها الأخوة الكرام: ويأتي موقف عرفة، موقف عجيب، يغطيه نبات بشري، مختلف ألوانه، أغصانه تلك الأيدي المرفوعة بالدعاء إلى رب الأرض والسماء وفي عرفات– وهذه نقطة مهمة جداً– يرى الحاج بين يديه صورةً مصغَّرةً للمحشر العظيم يوم القيامة، وعليه أن يستعدَّ له منذ الآن لأن رحلة الحج يعود منها إلى وطنه، ولكن المحشر العظيم يوم القيامة لا يعود منها إلى وطنه، إنها الرحلة قبل الأخيرة، استعداداً للرحلة الأخيرة، الناس جميعاً بلباس موحد، وبدعاء موحد، وبابتهال، كلهم ضعاف، كلهم فرادى، نموذج مصغَّر للرحلة الأخيرة، كانت قبل الأخيرة كي نستعدَّ للرحلة الأخيرة.


كل الأيدي ترفع في عرفات تستجدي المغفرة

وفي الرجم بعض الأسرار فلنبدأ بالأكبر في اليوم الأول، قال بعض العلماء: هذا تكثيف عنيف في لغة العسكريين، ابدأ بمواجهة الأكبر، تجمع كل قواك لتهزم من وراءه من جنود، وكان عليه الصلاة والسلام يخص الجمرتين الأولى والوسطى بتطويل الوقوف عندهما للدعاء، إنها ثلاث جمرات، وبينهما مسافة، ليظل المؤمن واعياً تماماً، لا ينام حتى لا يسقط سلاحه، بينما العدو منه على مرمى حجر، وعليه أن يعلم أن المعركة مع الشيطان متعددة المواقع، ومستمرة، وممتدة مع عمره، لذلك ينبغي أن تُرمى ثلاث جمرات في ثلاثة أيام، لأن المعركة متعددة المواقع ومستمرة مع طول العمر.

يا أيها الأخوة الكرام: يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: " لا يحصل إرغام أنف الشيطان في أثناء رجمه إلا بطاعتك للرحمن، ومن عاد بعد الحج إلى ما كان عليه من المعاصي والآثام، فليعلم علم اليقين أن الشيطان هو الذي رَجَمه".

أيها الأخوة الكرام: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله عز وجل يباهي الملائكة بأهل عرفات، يقول: انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، اشهدوا أني غفرت لهم ".

ومن وقف في عرفات فلم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له فلا حج له، من أروع ما في هذا المعنى أن الله يغفر للحاج، ومبالغة في إكرامه يشعره أنه قد غفر له، يلقي في روعه أنه قد غفر له، لذلك يُعد شعور الحاج الصادق بأن الله قد غفر له، وأنه عاد كيوم ولدته أمه هذا شعور واضح، واضح جداً هو من منّ الله وكرمه على الحاج.

أيها الأخوة الكرام: صعد النبي عليه الصلاة والسلام منبره ذات يوم، فقال: آمين، فقالوا: يا رسول الله علام أمنت؟ قال: جاءني جبريل فقال لي: رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى ؟" فهذا الحاج الذي يقف في عرفات، وقد جاء من أقصى الدنيا، وتجشم مشاق السفر، وتحمل أعباءه، ونفقاته، إن لم يُغفر له في عرفات فمتى يُغفر له ؟.. الإنسان أيها الأخوة على مدى العمر يلحُّ في طلب المغفرة، ألا وقد آن أوانها، ألا وقد حان قطافها، فيتقدم وعلى مدى أيام الحج ليعود من بعدها كما ولدته أمه، طاهراً من العيوب، نقياً من الذنوب.. يا لها من نهاية أيها الأخوة تُفتدى بملء الأرض ذهباً، لو كان هذا الذهب ملك يمينك.

الطواف حول البيت تعبير عن حب عميق لرمز التوحيد :

أيها الأخوة الكرام: المؤمن بعد أن يحج بيت الله الحرام يطمئنه الواحد الديان أنه قد غفر له، وأنه قد فتح معه صفحة جديدة، قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]

لقد طار بعض العلماء في سماء الحج، وسبحوا في بحوره الواسعة بل غاصوا فيها، فكانت لهم لمحات وضيئة، قالوا عن الطواف: كأن الإسلام حجر ألقي فوق محيط، فتكونت منه دوائر متتابعة متنامية وهكذا

بيت الله الحرام، فالطواف حول البيت طواف المحب حول محبوبه، توثيق للعهد بين العبد وربه، تعبير عن حب عميق لرمز التوحيد.

وبالمناسبة الكعبة التي في بيت الله الحرام هي بالحسابات الرياضية المعقدة، وعن طريق الحاسب الإلكتروني، هي وسط هندسي للعالمين القديم والجديد، فلو أخذنا العالم القديم بقارة آسيا وإفريقيا وأوربا أخذنا أطراف هذه القارات، ومددنا بينها محاور، لالتقت هذه المحاور كلها في الكعبة، فبين الكعبة وبين أقصى نقطة في أي مكان في العالم القديم ثمانية آلاف كيلو متر.

لو أخذنا العالم الجديد أمريكا الشمالية والجنوبية وأوقيانوسيا، والقارة المتجمدة الجنوبية، وأخذنا أطراف هذه القارات، ومددنا بينها محاور لالتقت هذه المحاور في الكعبة المشرفة، فالكعبة تبتعد عن أي نقطة في العالم الجديد ثلاثة عشر ألف كيلو متر، فالله عز وجل جعل البيت الحرام وسطاً هندسياً للعالمين القديم والجديد. فالطواف حول هذا البيت طواف الحب لمحبوبه، طواف التوثيق توثيق العهد بين العبد وربه، طواف التعبير عن حب عميق لرمز التوحيد.

استقطاب البيت الحرام المؤمنون من قارات الأرض :

أيها الأخوة الكرام، لقد استقطب البيت الحرام المؤمنين من قارات الدنيا الخمس، فجاؤوا نوعيات مختلفة، تحمل كل جماعة هموم مجتمعها، جاؤوا ليعودوا في البعد الزماني إلى ماضي هذه الأمة المشرق، وفي البعد المكاني إلى الأرض الذي نزل فيها الوحي.


يأتي المؤمنون من القارات الخمس لأرض الوحي

جاؤوا ليعودوا إلى المكان الذي ضمّ هذه الرسالة الخالدة، للتزود بالدروس المفيدة التي تعينهم على صلاح دنياهم وفق منهج ربهم، وصلاح دينهم الذي هو عصمة أمرهم، قال تعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة : 97]

لا تقوم مصالحهم الدنيوية وفق منهج الله ولا مصالحهم الأخروية إلا إذا عظموا هذا البيت، واصطلحوا مع الله، وأقاموا منهجه في الأرض. ففي زيارته، وتعظيمه، والتزود من معينه، قيام مصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم.

ارتباط عبادة الحج بمقاصدها و نتائجها :

أيها الأخوة الكرام: لا يُعقل ولا يُقبل أن تُؤدى هذه العبادة الجليلة أداءً بعيداً عن مقاصدها ونتائجها. لا يُعقل ولا يُقبل أن يعود الحاج من أداء هذه الفريضة كما ذهب. لا يُعقل ولا يقبل أن يُوجد الحاج في المشاعر المقدسة دون أن يشعر بأية مشاعر مقدسة. لا يعقل ولا يقبل أن يتحرى الحاج سنةً أو مستحباً، ويرتكب من أجلها معصية، أو يتجاوز فريضة. لا يُعقل ولا يُقبل أن يذهب الحاج إلى بيت الله الحرام قبل أن يتفقه بأركان الحج، وسننه، ومستحباته، وصفة حجة النبي عليه الصلاة والسلام، وما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الحاج. لا يُعقل ولا يُقبل أن يحدثك الحاج عن كل شيء في الحج إلا الحج، عن المواصلات، وعن خيامه في عرفات، وعن طعامه، وعن شرابه، وعن الماء البارد، وعن الأصوات، وعن الأبنية الشامخة، وعن إقلاع الطائرة، وعن نزول الطائرة، يحدثك عن كل شيء إلا الحج.

ماذا شعر وهو يطوف؟ ماذا شعر وهو يسعى؟ كيف عاهد الله في عرفات؟ ماذا أُلقي في روعه؟ هذا لا يحدثك عنه أبداً...

لا يُعقل ولا يقبل أن يرمي الحاج الجمرات تعبيراً عن معاداته للشيطان، ويعود إلى بلده ليكون أُلعوبة بين يديه. لا يحصل إرغام أنف الشيطان إلا بطاعة الرحمن.

لا يُعقل ولا يُقبل أن يقتصر أمر الله في هذه الفريضة على أن يأتي الحاج من بلاد بعيدة ليجلس في المشاعر المقدسة، يأكل وينام ويتكلم في شؤون الدنيا، إن أمر الله في هذه العبادة ليس كذلك، وهو أعظم وأجلّ من أن يكون كذلك، أن تأتي إليه من بلاد بعيدة لتحقق وجودك المادي في المكان، تمضي هذا الوقت في الطعام والنوم والحديث في الدنيا ليس هذا هو الحج، وليست هذه العبادة العظيمة التي تقوم بها مصالح المسلمين في دنياهم وأخراهم..

أن تكون مُجاب الدعوة ميزة لا تُقدر بثمن :

أيها الأخوة الكرام:

((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَعْنِي الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ))

[أحمد عن ابن عباس]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة]

((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

هذه ميزة لا تُقدر بثمن، أن تكون مُجاب الدعوة ، من مات ولم يجاهد، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق، فإن لم يُتح للمسلم الجهاد القتالي فقد أُتيح له جهاد النفس والهوى، أتيح له الجهاد الدعوي، والحج نوع من الجهاد، وإليكم الدليل:

((جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))

[النسائي عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر:

((الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ))

[ابن ماجه عن أم سلمة]

وفي حديث ثالث:

((عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ))

[ابن ماجه عن عائشة]

الحج يهدم ما كان قبله :

أيها الأخوة الكرام: بعض الصحابة يقول:

((حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلاً وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي))

[مسلم عن ابن شماسة المهري]

من هذه القصة نستفيد: " أما علمت أن الحج يهدم ما كان قبله ".

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

حرب المياه :

أيها الأخوة الكرام: في المدينة المنورة، وفي صحيفة تصدر هناك قرأت الخبر التالي:" أعلمت وكالة الفضاء الأوربية أن المرصد الفضاء الأوربي العامل بالأشعة ما دون الحمراء رصد غيمة من البخار في الفضاء الخارجي يمكن لها أن تملأ محيطات العالم ستين مرةً، في أربعٍ وعشرين ساعة.



وعلق أحد علماء الفلك في جامعة في أمريكا على هذا الخبر، أن المرصد عثر على غيوم للبخار في أكثر من مكان في الكون، إلا أن هذه الغيمة التي اكتشفها مؤخراً تُعتبر مصنعاً هائلاً لبخار الماء، يمكنها أن تنتج من الماء في يوم واحد ما يكفي لملء جميع محيطات العالم بالماء العذب ستين مرة، وهذا مصداق قول الله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

[سورة الحجر: 21]

فالجاهلون والشاردون يخوفون أهل الأرض، مرةً بنقص الغذاء، ومرةً بنقص الماء، فتارةً يجعلون هذا العام حرب نفط، وفي عام آخر حرب قمح، ونحن الآن نتحدث عن حرب المياه في العالم، وفاتهم أن تقنين الله عز وجل هو تقنين تأديب لا تقنين عجز، هذا ينبغي أن يكون واضحاً لديكم قال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

[سورة الحجر: 21]

غيمة واحدة تملأ محيطات العالم بالماء العذب ستين مرة في يوم واحد، تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط

علينا من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك. نعوذ بك اللهم من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء. اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع، وأنت من فوقهم ولي العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء. اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين. اللهم اكتب الصحة والسلامة للحجاج والمسافرين، والمقيمين والمرابطين في برك وبحرك من أمة محمد أجمعين.

اللهم اقبل حجتهم، واغفر لهم، ويسر أمرهم، يسر لهم سبيل عودتهم يا رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

7-1 أنواع الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحج من العبادات الكبرى في الإسلام :

أيها الأخوة المؤمنون.. مع الدرس السابع والستين من دروس سورة البقرة، ومع الآية السادسة والتسعين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

أيها الأخوة المؤمنون.. بعد الحديث عن الصيام، جاء الحديث عن الحج، وهذا يؤكِّد أن في القرآن الكريم تناسُقاً بين الآيات، بل إن كل سورةٍ تعدُّ وحدةً معنويةً فيما بين آياتها، فبعد الحديث عن آيات الصيام، ومن لوازم الصيام الدعاء:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾

[سورة البقرة: 186]

جاء الحديث عن آيات الحج، أولاً: يستنبط أن الحج من العبادات الكبرى في الإسلام، لذلك إذا بدأت هذه العبادة ينبغي لك أن تتمها، مما يدل على أن هذه العبادة كُبرى في الإسلام، لقوله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

حينما ذكر الله الحجَّ وذكر العمرة، العطف كما يقول علماء اللغة يقتضي شيئين، يقتضى المشاركة والمغايرة، فإذا لم يتحقق الشرطان معاً فالعطف ليس له معنى، فأنت حينما تقول: جاء سعيدٌ وأحمد، اشتركا في المجيء، ولكن سعيداً غير أحمد، أما إذا قلت: جاء سعيد وسعيد، سعيد الثاني نفس الأول، فليس لهذا العطف معنى.

يجب أن يؤدّى الحج فريضة وأن تؤدى العمرة واجباً :



إذاً الحج شيء والعمرة شيءٍ آخر، كلاهما يؤدّى في بيت الله الحرام، لكن الحج في وقتٍ مخصوص، وفي مكانٍ مخصوص، وفيه وقوفٌ بعرفة، بينما العمرة تؤدَّى في أي يومٍ من أيام العام، وليس فيها وقوف في عرفات، إذاً ربنا عزَّ وجل يقول:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

أما في قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾

[سورة آل عمران: 97]

الحج في هذه الآية فرضٌ على كل مسلم مستطيع، والاستطاعة: القدرة البدنية والمالية معاً. إذاً أصبح الحج فرضاً عَيْنِيَّاً على المستطيع، والعمرة واجبٌ على كل مسلم، فرقٌ بين العمرة والحج، العمرة زيارة، الحج يؤدَّى في وقت واحد، وفي مكانٍ واحد، وفيه وقوفٌ بعرفة، وسمَّاه الله " يوم الحج الأكبر "، إذاً العمرة حج أصغر، فحينما وصف الله الوقوف بعرفة بيوم الحج الأكبر، إذاً هناك حجٌ أصغر، إنها العمرة، وعلى كلٍ يجب أن تؤدّي الحج فريضة، وأن تؤدي العمرة واجباً، وإذا بدأت بالحج، وإذا بدأت بالعمرة يجب أن تتمهما، لعظم هاتين العبادتين.

وبالمناسبة فالعمرة والحج عبادة شعائرية، وذكرت في الخُطبة اليوم أن: هناك عبادات تعاملية، وهناك عبادات شعائرية، والفرق بينهما أنك تقطف ثمار العبادات التعاملية في الدنيا فثمارها ملموسة، المنهج الإلهي لو طبقه كافر لقطف ثماره في الدنيا، وحينما تذهب إلى بلادٍ بعيدة ترى شيئاً يجذب النظر؛ فهناك من يصدُق، والأكثرون يصدقون، أعمال متقنة، ونظام دقيق، إذ تحترم حرية الإنسان ووقته، فهذا منهج إسلامي، وأي مجتمعٍ طبق المنهج الإسلامي التعامُلِيّ، قطف ثماره في الدنيا ولو كان كافراً به، أي بمرسله.

لا تصح العبادة الشعائرية إلا إذا صحت العبادة التعاملية :



إذاً هناك منهج تعاملي، وهناك منهج شعائري، فالمنهج التعاملي أن تكون صادقاً، وأميناً، ومنصفاً، ووقافاً عند كتاب الله، وألا تؤذي جارك، وألا تغتاب مؤمناً، وألا تقع في فاحشةٍ، وهذا منهج تعاملي، فإن صَحَّ المنهج التعاملي صح المنهج التَعَبُّدِيّ الشعائري، فيجب أن نفقه هذه الحقيقة، إذ لا معنى إطلاقاً لمنهج شعائري دون منهج تعبدي، وهناك إنسان يأكل الحرام، ويكذب على الناس، ويسخرهم لمصلحته، ويغشّهم في بضاعتهم، ولا يقيم قيمة لوعده، ولا لعهده، إنه إنسان خرق المنهج التعامُلي، فهذا لو وقف ليصلي، فالطرق ليست سالكة أمامه، والخط ليس حاراً، إنه منقطع بينه وبين الله، إذاً لا تصح العبادة الشعائرية إلا إذا صحت العبادة التعاملية، فلذلك الحج عبادة شعائرية، يقول الله تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

أيْ القَصْدُ طلب مرضاة الله، القصد الإخلاص لله، فإن لم يكن هناك إخلاص فهذه العبادة لا معنى لها إطلاقاً، فإذا صدق أحدهم لينتزع إعجاب الناس، وليحقق مصالحه بالصدق، كما يفعل الأجانب؛ صدقهم، وأمانتهم، وإتقانهم، واحترامهم للآخرين، هذه مصلحة، مصلحتهم في أن يفعلوا هذا.

إذاً هذه عبادة تعاملية تقطف ثمارها في الدنيا ولو كنت كافراً بمن أرسلها، أما العبادة الشعائرية ليس لها أي مصلحة في الدنيا، الذهاب للحج إنفاق أموال، وتحمُّل مشاق، ومكابدة الحر والقَرّ، ومكابدة الازدحام، وتضييع الوقت، والحرمان من الأهل، والبيت، والعمل، والأقارب. فإن لم يكن الإنسان الذي يحج بيت الله الحرام مستقيماً على أمر الله، إن لم يكن دخله حلالاً، إن لم يكن تائباً ما معنى هذا الحج؟ لا معنى له، لذلك من حج بمالٍ حرام، ووضع رجله في الرِكاب وقال: لبيك اللهم لبيك. يناديه منادٍ ويقول له: لا لبيك، ولا سعديك، وحجك مردودٌ عليك.

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

من لوازم قَبول الحج أن يكون بمالٍ حلال، وتسعة أعشار الاستقامة في كسب المال، فمن كان ماله حلالاً كان حَجُّه مقبولاً، لا يُقبل حج الحاج قبل أن يؤدي ما عليه من حقوقٍ للناس، وقبل أن يستسمح من الناس، و أن يعطيهم حقوقَهم، وأن يؤدي ما عليه من ديون وواجبات.

إذاً هذا هو الفصل الدقيق بين العبادة التعاملية والشعائرية، فالعبادة التعاملية إن لم تصح لا تصح معها العبادة الشعائرية، فالحج يحتاج إلى استقامة، وإلى توبة، وإلى أداء حقوق حتى يصبح الحج مقبولاً عند الله عز وجل.

الحج عبادة مالية وبدنية وشعائرية :


الحج شحنة العمر

قال تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ ﴾

قد يقول قائل: الحج شحنة العمر، بينما الصيام شحنة العام، وخطبة الجمعة شحنة الأسبوع، والصلوات الخمس؛ كل صلاةٍ شحنةٌ إلى صلاة، فأنت بحاجة إلى غذاء لجسمك، وإلى غذاء لقلبك، فأغذية القلب هي العبادات، فبالصلاة تُشحَن، وبصلاة الجمعة تُشحَن، وبصيام رمضان تشحن، وبالحج تشحن، لكن الحج أكبر عبادة وهو يؤدَّى في العمر مرةً واحدة، وما دام يؤدَّى في العمر مرةً واحدة إذاً ينبغي أن يكون في المستوى المطلوب.

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

الحج يحتاج إلى تفرُّغ، فأنت تصلي في بلدك، وتصوم في بلدك، وبيتك، وغرفتك، ومكان إقامتك، وحيث تكون زوجتك وأولادك، وحيث يكون عملك، ولكن الحج هذا العبادة الشعائرية ينفرد بخصيصة؛ لا بد من التفرُّغ، ولا بد من أن تدع بيتك، وأن تدع زوجتك، وأولادك، وبناتك، ومكتبك، وتجارتك، وبلدتك وأن تذهب إلى مكان بعيد متجشماً مشاق السفر، ونفقاته، والحج عبادة مالية وبدنية وشعائرية، فهو مالية إذ يحتاج إلى نفقة، بدنية يحتاج إلى صحة قوية، وأنا أتمنّى على كل إنسان أن يحج في أقرب وقت ممكن لأنه بحاجةٍ ماسةٍ إلى جُهد، فالطواف والسعي والوقوف في عرفات ومزدلفة ومنى، هذا الحج عبادة بدنية مالية شعائرية يحتاج إلى تفرغ، وأنت حينما تفرِّغ نفسك لله فهناك شيء مع الحج اسمه "التفريغ"، فأنت فرغت نفسك لله؛ وتركت بلدك، وأهلك، ومالك، ومكتبك، وتركت الثياب، إذ لا بد من أن تخلع هذه الثياب، والناس يتفاوتون في

ثيابهم، والثياب تدلُّ على غنى الإنسان، فقد يلبس الإنسان ثياباً غاليةً جداً، فهذا الذي يمكن أن يكون موضع فخرك يجب أن تنزعه، وأن ترتدي ثوبين، رداءً وإزاراً أبيضين، بلا شيء مخيط ولا محيط، وبلا نعل ساتر للكعبين، فلا بد من خُفٍ لا يستر ظاهر القدم ولا الكعبين، ولا بد من إزارٍ ورداء، وهذه هي الثياب، إذاً هناك تقشف حتى في الثياب، ويمنع عليك أن تتعطر، وأن تحلق، وأن تقلم أظافرك، إذاً يريد الله عز وجل أن يذكِّرنا بالرحلة الأخيرة، إن صح التعبير الحج رحلةٌ قبل الأخيرة، عندما يقوم الناس جميعاً لرب العالمين.

وحدة المسلمين تبدو واضحة جداً في مناسك الحج :



هناك ترى الناس في عرفات؛ أغنياؤهم وفقراؤهم، أقوياؤهم وضعفاؤهم، وقد وقفوا على صعيدٍ واحد بثيابٍ موحدة، بتضرعٍ واحدٍ إلى الله عز وجل، وحدة الإنسان مع أخيه الإنسان تبدو واضحة في الحج، فلو جاء مَلكٌ ليحج بيت الله الحرام لا بد أن يخلع ثياب المُلْك، ولا بد من أن يقوم بمناسك الحج مع دَهْمَاء الناس، إذ لا يوجد أماكن خاصة لأصحاب الألقاب، ولا طواف خاص للملوك، ولا سعي خاص لأصحاب الشأن، فوحدة المسلمين تبدو واضحة جداً في مناسك الحج.

إذاً الحج عبادةٌ ماليةٌ شعائرية بدنية، تحتاج إلى تفرُّغ، وإلى ترك البلد، والأوطان، والأهل، والخُلاَّن، ثم تحتاج إلى أداء مناسك، وكل مَنْسَك له حكمةٌ بالغةٌ لا يعرفها إلا من ذاقها، يقول الله عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

طبعاً كل أمرٍ يقتضي الوجوب، ولكن هناك آية أخرى جعلت الوجوب فرضاً وهي قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾

[سورة آل عمران: 97]

" مَنْ كَفَرَ " قال: من لم يحج البيت وهو مستطيع، أو من أنكر حج البيت، أو من استغنى عن أن يحج لله في بيته الحرام، فقد وقع في نوعٍ من الكفر.

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة آل عمران: 97]

الإحصار نوعان قدَري وبشري :

قال تعالى:

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾

ما دام الأمر " وأتموا ".

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾

فالإحصار نوعان، إحصار قدري، وإحصار بشري، فأحياناً . لا سمح الله ولا قدر . يقع ابن أحد الناس من شرفةٍ فيقع ميتاً، هذا قدر، أما إذا ساق الإنسان مركبته بشكلٍ أرعن ودهس طفلاً، فهذَا مُقَدَّر، القدر من الله مباشرةً، والشيء المُقَدَّر قد يأتي على يد إنسان، أنت في القدر ليس لك غريم؛ هو فعل الله مباشرةً، أما بالمقدر فأمامك غريم، إذ أمامك إنسان يمكن أن تقاضيه، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[سورة لقمان: 17]

وقال أيضاً:

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[سورة الشورى: 43]

تقديم هدي إلى الله عز وجل إذا مُنِعت أن تتم مناسك الحج :

قد يأتيك المُقَدَّر على يد إنسان، فأنت حينما تصبر على قضاء الله، وتصبر على غريمك الذي جعل الله هذه المصيبة على يديه فإن هذا من عزم الأمور، فقد يمنع الحُجاج مانعٌ إلهي؛ كزلزال، أو فيضان، أو أمر قاهر، أو طاعون، أو مرض شديد، هذا مُقَدَّر، أمر إلهي.

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾

من قِبَلِ القدر، أو قد يكون إحصاركم من قبل البشر، أي أُناسٌ منعوكم من الحج؛ كما منع النبي عليه الصلاة والسلام من أن يؤدّي العمرة في وقت الحُديبية، فهناك إحصار قدر، وهناك إحصار بشر إذا منعت أن تتم مناسك الحج، يقول الله عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

إذا مُنِعْتَ إما من قبل القَدر أو من قبل البشر أن تؤدي مناسك الحج قال:

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾



" الهديِ" هو الدابة التي تذبحها وتطعمها للفقراء

" الهَدْيِ " الدابة التي تذبحها، وتطعمها الفقراء، وتهديها إلى الله عز وجل، هديةٌ إلى الله، فإذا أحصرت بفعل القَدر أو البشر، فعليك أن تقدِّم هدياً إلى الله عز وجل، وتفك إحرامك، وتعود إلى بيتك.

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

قال:

﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾

أي أن مال الهدي مُيَسَّر لك، أو ميسَر لك شراؤه، قد تجد المال ولا تجد المُثَمَّن، وقد تجد المثمن ولا تجد الثمن، فالتيسير هنا أن تجد الثمن والمُثمن؛ وأحياناً إنسان معه مال وهو بحاجة إلى دواء ولكن الدواء غير موجود، الثمن موجود أما المثمن فغير موجود، وأحياناً يكون الإنسان فقيراً فالدواء موجود، ولكن لا يملك ثمنه، معنى:

﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾

أي ما تيسَّر لكم من الهَدْيّ امتلاكاً لثمنه أو توفراً لعينه.

﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

الحلق من مناسك التحلُّل :

كلكم يعلم أن من مناسك التحلُّل الحلق، قال:

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾

أيْ يجب أن تتأكد أن هذا الهَدْي وصل إلى بطونٍ جائعة، فما الذي كان يحصل قبل سنوات عديدة؟ هناك مليونَا حاج تقريباً، وما يقرب من خمسمئة ألف دابَّة تذبح في منى، وتلقى في العراء في حرٍ لا يحتمل، وقد حدَّثني صديقٌ لي، قال لي: تبقى روائح اللحم المتفسِّخ في منى أشهراً طويلة. فهل يعقل أن يكون هذا منهج الله؛ أي أن نذبح هذه الأنعام، ونلقيها في العراء، ليصبح الجو فاسداً بتفسُّخها، وهل هذا هو الدين؟ الآن

والحمد لله هذه الذبائح تذبح، وتوضع في البرَّادات، وتنقل هديةً إلى فقراء المسلمين، وهذا أمر معقول، الآن هنا:

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾

فهذه الشاة، إن العبادات هادفة تُذبَح كي يأكلها الفقراء، أما أن تذبحها وأن تلقيها في الطريق، ليس هذا نُسْكَاً، ولا منهجاً إلهياً بل هو إتلافٌ للمال.

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

أيْ هذا الذي لا يستطيع أن يحلق رأسه وهو محرم، ماذا عليه أن يفعل؟ يجب أن يصوم، أو أن يتصدق ويطعم ستة مساكين، أو أن يذبح هدياً. والتسلسل تصاعدي؛ تصوم وحدك، أو تطعم ستة أشخاص بالصدقة، أما بالهدي تطعم عشرات الأشخاص.

الفرق بين الحج المفرد والحج القارن والحج المتمتع :

أيها الأخوة... صار معنى قول الله عز وجل:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾



الحج فرض عين على المستطيع

وإن حال بينك وبين إتمامها قدرٌ أو بشر، فلا بد من أن تسوق الهدي، وأن تُبَلِّغَهُ إلى أهله، أي أن يصل إلى بطونٍ جائعة، فهذا هو الشرع، وهذا هو الدين فأنت تتقرب إلى الله بإطعام الجائعين لا بإفساد الجو.

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾

طبعاً اختلف العلماء في أيهما أفضل أن تحج مفرداً وأن تأتي بعمرةٍ في سفرةٍ أخرى، أي أن تجعل لكل منسكٍ من الحج والعمرة سفراً خاصاً، أو أن تجمع العمرة إلى الحج؟ هناك كما تعلمون بالفقه لدينا حج مفرد، وحج قارن، وحج متمتع.

المفرد لا هدي عليه، أما المتمتع فعليه هدي، والقارن عليه هدي، وهو الذي يحرم بعمرةٍ، ويبقى محرماً إلى الحج فيتابع حجه، أيْ يجمع بين العمرة والحج بإحرامٍ واحد ونُسُكٍ واحد، وهذا يحتاج إلى جهد كبير، فقد تأتي قبل عشرة أيام، ويجب أن تبقى محرماً فيها.

أما المُتَمَتِّعَ فهو الذي يحرم بعمرة فيؤديها ويتحلل، ويبقى متحللاً إلى اليوم الثامن من ذي الحجة، وبعدها يحرم بحجٍ ويتابع حجه، فماذا فعل؟ اعتمر، وتحلل، وحج، فهذا متمتع، وعليه هدي أيضاً، لكن العلماء قالوا: هدي المتمع هدي جَبر، أما هدي القارن فهدي شكر، لأن الله أمدَّه بقوة، وجعل بدنه صحيحاً، وتمكن أن يعتمر ويحج بشكل مستمر.

فهناك حجٌ مفرد، أن تحج فقط، وهناك حجٌ قارن أن تجمع بين العمرة والحج معاً، وهناك حجٌ متمتع؛ أن تحرم بعمرة، وأن تتحلل منها، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة تحرم بحج، فعلى المتمتع هديٌ وعلى القارن هديٌ، لكن هدي القارن هدي شكرٍ، بينما هدي المتمتع هَدْيُ جبرٍ لنقصٍ حصل في حجِّه، ولك أن تحج مفرداً من دون عمرة فلا هدي عليك، وهناك من يحج مفرداً، وبعد أن ينتهي من الحج، وفي خامس أيام العيد يأتي بعمرة منفصلة عن الحج، هذه هي الخيارات التي أمامنا في موضوع الحج والعمرة.

الإنسان المكي الذي يعيش ضمن حرم مكة هذا لا عمرة عليه :

قال تعالى:

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

لو أحرم إنسان بعمرةٍ وأداها وتحلل منها، وبقي إلى اليوم الثامن من ذي الحجة متحللاً، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم بحج، فهذا متمتع، وعليه هدي، ولكنه فقير، قال:

﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

في الإسلام هناك بدائل دائماً، والإسلام لكل الناس، هو تشريع لكل الناس، إنسان حاج فقير ولا يوجد معه ثمن هدي، نقول له: صم ثلاثة أيامٍ في الحج، وسبعةٍ إذا رجعت..

﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

هذا اسمه الإنسان الآفاقي، الذي بلده خارج المواقيت، أما إذا كان من ضمن البيت الحرام، أي من ضمن حرم مكة لا عمرة عليه، فهناك خريطة للمواقيت، وهناك خريطة للحرم، وعندنا بيت الله الحرام، المسجد الحرام شيء، وحوله منطقة هي الحَرَم، وهناك التنعيم بالجنوب، الجعرانة في اتجاه آخر، فهناك منطقة تحيط بالحرم، إنها منطقة الحرم، وهي في حكم الحرم، وعندنا مواقيت للحج، وعندنا خارج مواقيت، من كان سكنه ضمن الحرم فلا عمرة عليه، لماذا؟ لأنه في الأعم الأغلب يطوف دائماً، فبيت الله الحرام تحيته الطواف، فأنت إن دخلت إلى مسجد تؤدي ركعتين تحية المسجد، أما إن دخلت إلى بيت الله الحرام تحية هذا المسجد الطواف، فإذاً الإنسان المكي الذي يعيش ضمن حرم مكة هذا لا عمرة عليه، فهذا الحكم عنده مُعَطَّل.

الفرق الكبير بين حج الفريضة وحج النَفل :

قال تعالى:

﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

يمكن أن نلخص هذه الآية الدقيقة: أن الحج عبادةٌ كبرى في الإسلام، وهي فريضة، فرضٌ عينيٌ على المستطيع بدنياً ومالياً، معنى الفرض العيني أي لا بد من أن يؤدَّى.

لذلك من يقول: أنا أريد أن أزوج ابني؟ أقول له: أن تحج حج نفل وابنك بحاجة إلى زواج، أما الحج الفريضة فلا يقدَّم عليه شيء، وفرقٌ كبير بين حج الفريضة وحج النَفل، وهناك من يحج عشرات المرَّات، وأهله في أمسِّ الحاجة إلى المال، وبإمكان ولي أمر المسلمين أن يمنع نافلةً أدت إلى ترك واجب.

والحج والعمرة ما دام هناك عطف فهما يشتركان ويختلفان، يشتركان في أنهما يؤديان في بيت الله الحرام، ويختلفان في أن للحج وقتاً مخصوصاً، ومكاناً مخصوصاً، وأفعال مخصوصة، بينما العمرة تؤدى في أي وقت بأفعالٍ مخصوصة، وليس فيها وقوف في عرفة.

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

إذا تيسر لك ثمنه أو المثمن.

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾

أيْ يجب أن يصل الهدي إلى بطون الجياع.

أي حديث يثير الشهوة ممنوع في الحج :

قال تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

شوال، وذو القعدة، وذو الحجة.

﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾

الحديث عن النساء ممنوع في الحج، ومقدِّمات الجماع ممنوعة، وأي حديث يثير الشهوة فهذا ضمن الرفث.

ما يجب أن تكون عليه أخلاق الحاج :

قال تعالى:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾

ولا معصية أيضاً..

﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

حتى المجادلة والمشاحنة فهي ممنوعة في الحج، إنك أَتَيْتَ إلى بيت الله الحرام من مكانٍ بعيد لا من أجل أن تحرق أعصابك بالمُشاحنات والجَدَل.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

أيْ يجب أن تفعل الخير في الحج، فأنت تؤدي أرقى أنواع العبادات، فهذا الحاج الذي يضرب أخوانه من أجل أن يُقَبِّل الحجر، وهذا الذي لا يعمل هناك عملاً صالحاً، لا يفقه حقيقة الحج.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾

أنت بالحج في أرقى عبادة، يجب أن تؤدي أرقى معاملة، أن تكون في أعلى درجات الصبر، والتسامح، والعطاء، والإكرام.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

على الحاج أن يملك نفقة الحج لأنها عبادة مالية على المستطيع :

لا يجوز لإنسان أن يذهب إلى الحج متكففاً عطاء الناس فلا بد من أن تكون مستطيعاً، بل إن بعض الأحكام الشرعية تعتبر أنّ الإنسان لا يُعَدّ مستطيعاً إذا كان لا يملك أجرةً نومٍ في مكة والمدينة، ليس مستطيعاً، أما أن يذهب إلى بيت الله الحرام وينام في الطرقات، وزوجته إلى جانبه وقد تتكشف في الليل!! فليس هذا هو الحج، إنْ لم تملك أجرة سكنٍ في مكة والمدينة لا تعد مستطيعاً، الحج عبادة مالية فرضها الله على المستطيع، فإن كنت غير مستطيع فلا تقترض من أجل أن تحج، إذ ليس عليك حج، لا تتسول وأنت في الحج، لا تكن عبئاً على أحدٍ وأنت في الحج، أما أن تملك مالاً كافياً كي تذهب وتعود، وأن تقيم في بيت في مكة وفي المدينة، وإلا فلا حج عليك.

﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾

للحج، ولكن:

﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

أحد الناس يحج على باب الله كما يدَّعي، هذا ليس فقيهاً ولا يوجد معه مال، وعينه على ما يأكل الناس، يحشر نفسه معهم، ويكون عبئاً عليهم، فليس هذا هو الحج، بل ينبغي لك أن تحج وأنت عزيز، ينبغي أن تحج ومعك نفقة هذا الحج، لأنها عبادة مالية تجب على المستطيع فقط.

من ذهب إلى الحج وبعد الحج قام بعمل تجاري فهذا لا يمنع الحج :

قال تعالى:



﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ ﴾

أيْ إذا كان للإنسان . فرضاً . عمل أثناء الحج ليس له علاقة بالحج، هذا لا يلغي الحج، كمن ذهب إلى الحج وبعد الحج قام بعمل تجاري، هذا لا يمنع الحج.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾

المشعر الحرام: مكانٌ ينبغي أن نذكر الله فيه.

﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾

معنى ذلك أن الإنسان حقق هدفاً كبيراً جداً من الحج.

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

كان لشُرَفاء مكة قبل الإسلام مكان إفاضة خاص، وقد ألغي هذا في الحَج من خلال هذه الآية:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾

اصطفى الله مكاناً وزماناً وشخصاً ليكونوا قدوة لنا دائماً :

الحج عبودية لله عز وجل في أعلى درجاتها، فإذا ذهب الإنسان إلى هناك ونفسه أنه يحتل مكانة اجتماعية معينة، إذ له رتبة خاصة، فهذا مما يفسد الحج، ويجب أن تذهب إلى هناك وقد خلعت مع ثيابك كل الأقنعة المزيَّفة، وكل مراتب الدنيا.

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾

النقطة الدقيقة في الصيام والحج هي أنّه بعد انتهاء رمضان يجب عليك أن تستمر فيما أنت عليه في رمضان، وبعد انقضاء الحج يجب عليك أن تستمر فيما أنت عليه في الحج من كثرة ذكر الله عز وجل، والله عز وجل اصطفى رمضان من بين أشهر العام لينسحب ما يحصل للصائم في رمضان على كل أشهر العام، وحينما اصطفى مكان كبيت الله الحرام؛ حيث فيه الصفاء، والإقبال، والدعاء، والعبادة، لينسحب هذا الصفاء، والإقبال، والدعاء، والعبادة على كل الأماكن، وحينما اصطفى سيد الخلق ليكون مثلاً أعلى ينبغي أن ينسحب هذا المثل على كل الخلق، اصطفى الله مكاناً، وزماناً، وشخصاً؛ فقد اصطفى رمضان، لتكون كل أشهر العام كرمضان، واصطفى بيت الله الحرام ليكون كل مكانٍ كبيت الله الحرام، واصطفى محمداً سيد الأنام ليكون كل البشر على شاكلة محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

الآية التالية تبين أن للأب مكانةً كبيرة :



قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

يتضِح من خلال هذه الآية أن للأب مكانةً كبيرة، بل إن الله جل جلاله ينتظر من العِباد أن يذكروه كما يذكرون آباءهم، كلما قويّ إيمان إنسان فالأب معزز مكرم في المجتمع، وإذا ما ضعف إيمانه فالأب لا يعزز ولا يكرم.

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

هذا موجود في معظم بلاد العالم، دنياهم في أعلى مستوى وما لهم في الآخرة من خلاق.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 44]

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

من الممكن أن تحصِّل الدنيا بذكاء، لكن الآخرة لا تحصل إلا بعبادة، منهج الله كما قلت قبل قليل هو منهج موضوعي، إذ لو طبقه كافر لقطف ثماره، فأنت إن أردت الدنيا فقد تعرف أبوابها ومداخلها ومخارجها، ولكنك إن أردت الآخرة فلا بد من أن تعبد الله العبادة الصحيحة.

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

الحج لقاء مع الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام... آيات الحج هذه مهما قرأناها، ومهما تأمَّلنا في معانيها، ومهما وقفنا عند تفاصيلها ودقائقها، تبقى معلومات نظريّة ولا بد من أن تحج بيت الله الحرام، واسألوا الله من أن يمكنكم من حج بيت الله الحرام، لأن الحقيقة أن هذه العبادة كبيرة، وأنها مديدة، وأنها متنوعة، وأنها مالية، وشعائرية، ومناسك، فإذا أدّيتها كما أراد الله عز وجل عشت في سعادةٍ لا توصف وكانت شحنةً كبيرةً جداً.

والله أيها الأخوة... تستمع إلى بعض الحجاج بعد أن يعودوا من بيت الله الحرام فتصعق، يحدثك عن كل شيء إلا الحج، يحدثك عن كل شيء أين سكن؟ ماذا أكل؟ والتكييف، والماء البارد، والطرقات، والأقواس، وبيت الله الحرام، والإضاءة، وتكبير الصوت، يحدثك عن كل شيء، لكن بماذا شعرت وأنت تطوف؟ ماذا فعلت وأنت بين الصفا والمروة؟ ماذا دعوت وأنت في عرفات؟ معظم الناس إن جهلوا حقيقة الحج يحدثونك عن كل شيءٍ إلا الحج.

وهناك بعضٌ من هؤلاء يحدّثك عمّا شعر وهو في هذه المناسك، تشتهي أن تذهب إلى الحج فوراً، وتشتهي أن تحج كل عام، وتشعر أن الله قد استضافك، وأنت ضيف الرحمن، وأكرمك إكراماً لا حدود له، فهل من المعقول أن تترك بيتك، وولدك، وزوجك، ومالك، ومتجرك، ومحلك، ومكانتك، ووظيفتك، ورتبتك، ولباسك، ومركبتك، وأن تذهب إلى بيت الله الحرام! يتابع الكلام دون انقطاع.

تكون إنساناً عادياً جداً لا أحد يعرفك، وتؤدي مناسك الحج في وقتٍ حارٍ جداً، تنفق نفقة باهظة، الأسعار هناك غالية جداً، هكذا دون أن تكافأ!! قال: من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له. فهل من المعقول أن تأتي من بلادٍ بعيدة، قد تأتي من الصين، وقد تأتي من أمريكا، وقد تأتي من استراليا، تركب الطائرة عشرين أو ثلاثين ساعة، تدفع مئتين أو ثلاثمئة ألف ليرة، وأن تقف في عرفات هكذا؟!

والله سمعت من يتحدَّث عن الدنيا في عرفات، فهل من المعقول أنّ إلهاً عظيماً قال لك: تعالَ إليّ يا عبدي. قلت: لبيك اللهم لبيك، وتأتي إلى عرفات وتنشغل بحديث دنيوي، أو تنام، يقول لك: أنا أخذت معي فرشة للنوم، أهذا هو الحج الذي أمرنا الله به؟ فهل من الممكن أن تدخل على ملك وتدير له ظهرك؟ أممكن أن تدخل على ملك في مقابلة تجد مقعداً مريحاً فتنام، وتغط في النوم! ما هذا اللقاء؟ الحج لقاء مع الله عز وجل، الحج عرفة، فتجد في الحج أشياء لا يقبلها الدِّين ولا العقل، أيُمكن أن تؤذي المسلمين من أجل أن تُقَبِّل الحجر؟! تدفع هذا بيدك، وتدفع الآخر بقدمك من أجل أن تَقَبِّل الحجر وأن تؤذي جميع المسلمين، هناك جهلٌ كبير في الحج.

أيام ما بعد الوقوف في عرفة :

أيها الأخوة:



﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾

هذه أيام ما بعد الوقوف في عرفة، والنزول إلى مزدلفة، ورمي جمرة العقبة، هناك أيام ثلاثة أو يومان ترمي فيها الجمرات الثلاث وتؤدِّي بعض المناسك.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

ينبغي لك أن تبيت بمنى وأن ترجم الجمرات الثلاث؛ الكبرى والصغرى والوسطى.

﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين

8-1 لماذا هذا الزمان و هذا المكان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهمّ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، إنَّك أنت العليم الحكيم ، اللهمّ علِّمنا ما ينفعنا ، وانْفعنا بما علَّمتنا ، وزِدنا علمًا ، وأرِنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجْتِنابه ، واجْعلنا مِمَّن يستمعون القَوْل فيتَّبِعون أحْسَنَهُ ، وأدْخِلنا بِرَحمتِكَ في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس السادس والعشرين من سورة آل عمران ، ومع الآية السادسة والتسعين ، وهي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 96)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ

1 . البيت الحرام أول بيت للعبادة في الأرض :

أيها الإخوة ، ذكرت في الدرس السابق أن الإنسان له كيان مادي ، هو جسم له طول ، وعرض ، وارتفاع ، وله حيز يشغله ، وهو في الحياة الدنيا ذو كيان مادي ، فالله سبحانه وتعالى مع كل مخلوق ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

(سورة الحديد : الآية 4)



ولكن من أجل أن تشعر أنك فعلت شيئاً لله وضع الله بيتاً للناس ، بل إن أول بيت وضع للعبادة في مكة المكرمة ، ثم جدَّده سيدنا إبراهيم ، لكن هذا أول البيت وُضِعَ في الأرض ، في منطقة مكة ، والآية الكريمة :

﴿ بِبَكَّةَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 96)

أي بمكان البيت ، مكة حرم ، لكن بكة مكان البيت ، فمن دخله كان آمناً ، فالله عز وجل اتخذ بيتاً في الأرض ، ودعا الناس إليه ليشعر المسلم أنه ترك بيته ، وأهله ، وتجارته ، وزوجته ، وأولاده ، ومكانته ، وهيمنته ، وجاء إلى بيت الله الحرام ملبياً ، فالله عز وجل مقابل هذا التفرغ لتلبية ندائه ، مقابل هذا الإيثار ، إيثار تلبية ندائه على شؤونه الحياتية ، هيَّأ له عطاءً خاصاً هناك .

2 . طبيعة منطقة مكة خالية من أسباب التمتع الحسية :

الحقيقة أن الله عز وجل اختار بيته في منطقة حارة ، ليس فيها نبات ، وليس بالمواصفات الجمالية ، ليس فيها مسحة من جمال إطلاقاً ، بل فيها حر شديد ، وفيها مناظر لا تريح العين ، جبال جرداء قاسية ، أرض ملتهبة ، ومع ذلك فما من حاج يحج بيت الله الحرام إلا وتمنى أن يعود ثانية إلى هذا البيت ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ﴾

(سورة البقرة : الآية 125)

فالمثابة مصدر ميمي من ثاب أي رجع ، كل حاج حج بيت الله الحرام صادقاً دون أن يشعر يدعو ، ويقول: اللهم لا تجعل هذا الحج آخر عهدي بالبيت ، ارزقني حجاً متوالياً .

إن الله عز وجل ثبّت وسائل اللذة المادية ، وحرك السعادة الروحية ، لو أنه فرضاً في واد ذي زرع ، في جبال جميلة ، في جبال خضراء ، في جبال مشرفة على بحار ، الجو لطيف ، الحج على مدار العام ، لئلا يكون ثمة ازدحام ، لو جعل الله وسائل اللذة المادية متوافرة في بلده الحرام ، ثم اتخذ هذا البيت في مكان جميل كسويسرا مثلاً ، عندئذ يختلط السائح بالحاج، لا يدري هذا الذي يحج بيت الله الحرام ، أكان سروره بسبب إقباله على الله ، أم بسبب هذه المناظر الجميلة ، وهذا النسيم العليل ، فلحكمة أرادها الله كل أسباب اللذة الحسية منعدمة هناك ، ازدحام ، وحر ، ومناظر قاسية ، ومع ذلك تنهمر دموع الحاج ، ويتجلى الله على قلبه، إلى درجة أنه يقول : كنت أعيش أسعد لحظات حياتي في يوم عرفة .

إذاً : الله عز وجل تمشّياً مع كيان الإنسان المادي اتخذ لنفسه بيتاً في الأرض ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

3 . البيت الحرام بيت لناس جميعا :

الآن دقق للناس ، الناس جميعاً ؛ عربهم وعجمهم ، أسودهم وأبيضهم ، غنيهم وفقيرهم ، أصفرهم وأحمرهم ، مطلوبون لهذا البيت ، دين الله ينبغي أن يسعَ الناس جميعاً .

أضرب لكم مثلاً بسيطاً من الفقه ، أضخم جامع في بلدنا الجامع الأموي ، ويتسع أحياناً لمئة ألف مُصلٍ ، خمسون ألفًا في الداخل ، وخمسون ألفًا في الصحن ، ولو كلفنا أمهر خطيب في بلدنا أن يلقي خطبة في هذا المسجد الجامع ، ثم أغلقنا الأبواب ، وقفلناها ، فالخطبة باطلة ، لأن دين الله ينبغي أن يكون لكل الناس، ليس هناك في الدين شيء خاص بجماعة دون جماعة ، هذا دين الله كالهواء نستنشقه جميعاً ، إذاً : لا يمكن لإنسان أن يحتكره ، ولا لفئة ، ولا لجماعة ، ولا لطائفة ، ولا لمذهب ، ولا لشعب ، ولا لبلد ، ولا لمصر أبداً ، هو دين الله كالهواء ينبغي أن يستنشقه كل إنسان ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

فالأسود مطلوب ، والأبيض مطلوب ، والأصفر مطلوب ، والأحمر مطلوب ، والغني مطلوب ، والفقير مطلوب ، ومن كان في ذروة النسب مطلوب ، ومن كان في حضيض النسب مطلوب .

إن أول بيت وضع للناس هذا البيت ، أنت قد تصلي في بيتك ، وقد تصلي في دكانك ، لكنك إذا صليت في الجامع فهذا المكان خُصِص للصلاة ، فالإنسان حينما يصلي الفجر في المسجد سيستمع إلى قراءة مُتقنة ، وإلى سورة طويلة ، وإلى تراتيل في الصلاة ترتاح لها نفسه ، لعله إذا صلى الفجر في البيت تكون صلاته أضعف من صلاته في المسجد .

في حجّ بيت الله الحرام يستوي فيه جميع الناس :

في الحج أمرك الله جل جلاله أن تترك بلدك ، بيتك ، زوجتك ، أولادك ، تجارتك ، وظيفتك ، مدير دائرة مثلاً ، مدير مؤسسة ، مركبتك ، مكانتك ، ثيابك العسكرية أحياناً ، ثيابك المدنية الأنيقة جداً أحياناً ، دع الدنيا وراء ظهرك ، وتعال إلي ، تعال يا عبدي كي تذوق طعم القرب مني ، تعال يا عبدي كي أُرِيحك من هموم جاثمة على صدرك ، تعال يا عبدي لترى ما عندي من الرحمة ، كأن الله يدعوك إليه ، من هذا الذي يستحق رحمة الله ؟



هو الذي ضحى بدنياه من أجل هذا اللقاء ، ضحى بأهله ، وأولاده ، ومكتبه ، وزبائنه ، ومكانته ، ومركبته ، و ولائمه ، وتوجه إلى بيت الله الحرام ليكون شخصاً لا يرفعه شيء ، اسمه حال ، ليس له أية قيمة ، واحد من ملايين ، ولن يسمح لك أن ترتدي ثياباً غاليةً تُعَبِّر عن مرتبتك المالية، ولا أن ترتدي ثياباً خاصة تُعَبِّر بها عن مرتبتك العسكرية ، ولا أن ترتدي ثياباً أخرى تُعَبِّر عن مرتبتك الملكية ، ترتدي إزاراً وكساءً غير مخيطين ولا محيطين ، فكأن الله أرادك أن تذهب إليه ، وكأن الحج رحلة إلى الله ، هذا في الأصل في كل الأديان ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾

ذهب إنسان إلى الله ليصطلح معه ، ليُعَاهده ، ليتوب إليه ، ليُقبِل عليه ، ليجعل علاقته بالله طيبة ، ليصطلح معه ، ليكون بينه وبين الله مودة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

أي أن الله قد اتخذ لنفسه بيتاً في الأرض ، وقال : تعالوا إلي ، فالذي جاءه ماذا يقول ؟ يقول : لبيك اللهم لبيك ، يا رب ، أنا أجبت نداءك ، وأتيت بيتك الحرام طائعاً ، تائباً ، منيباً ، ملبياً ، مكبراً ، خاضعاً ، محباً ، مشتاقاً ، مخلصاً ، فالله عز وجل نظير هذه التضحية ، وهذا الإيثار يتجلى عليك تجلياً في الحج لا يعرفه إلا من زاره ، يشعر الحاج وكأنه وُلِد من بطن أمه لتوه ، كل شيء مضى غفره الله له ، ومن وقف في عرفات فلم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له ، عاد كيوم ولدته أمه .

أنا أستخدم مصطلحات إسلامية ، لكن هذا البيت قديم ، قديم قدم البشر ، أي ما من إنسان إلا وجُعِل هذا البيت له ، لأن البشر مدعوون جميعاً إلى معرفة الله وطاعته .

لمجرد إرادة الظلم في بيت الله الحرام يعاقب عليه :

لكن العلماء تحفظوا قالوا : ليس أول بيت بني في الأرض ، بل إنه أول بيت بني لعبادة الله عز وجل ، لذلك بيت الله الحرام يتميز بخصائص كثيرة ، أنه من أراد إيذاءه يُحاسَب على إيذائه ، وأصلاً الإنسان لا يُحاسَب إلا على عمله ، لا على إرادته ، لكن الله عز وجل يقول :

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(سورة الحج : الآية 25)

لمجرد أن تريد إيذاء هذا البيت ، وكم من جهة مشبوهة أرادت إحداث فتنة في الحج ، وكُشِفت فتنتها ، وخطتها مبكراً من دون جهد من بشر ، هذا الشيء ثابت ، يقولون : أمن الحجيج على الله ، وهناك محاولات كثيرة جداً أرادت أن تخلق فتنة في أثناء الحج ، لكنها لم تفلح ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾

بكة موضع البيت ، ومكة المدينة الحرم .

4 . بيت الله الحرام مبارَك :

قال : مباركاً ، إله العالمين يقول : مباركاً .

بالمناسبة أيها الإخوة ، نحن كياننا المادي نرى العطاء بيتًا ، دخلاً ، مركبة ، أسهمًا بشركة ، صحة طيبة ، لكن الله عز وجل عنده عطاء ، لا يقدر بثمن ، أن تكون آمناً في سربك ، أن تكون مطمئناً إلى عدالة ربك ، أن يكون قلبك مفعماً بمحبة الله عز وجل ، وفي قلب المؤمن من الأحوال الطيبة ما لو وزعت على أهل بلد لكفتهم ، معك الحكمة ، معك الأمن ، معك الرضا ، معك الإحساس بأن المستقبل لصالحك ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

(سورة التوبة : الآية 51)

5 . السكينة والرضا يجدهما الحاجّ في مكة :

لنا ، لا علينا ، هذا الشعور ليس له سبب ، المستقبل معك ، مضي الأيام لصالحك ، تقدمك في السن لصالحك ، قلبك مفعم بالرضا ، راضٍ عن الله قلبك مفعم بالسعادة ، قلبك مفعم بالأمن ، عطاء الله وإن كان في الظاهر غير منظور ، لكن الله عز وجل قادرٌ أن يعطيك الدنيا بحذافيرها ويشقيك ، وقادر أن يحرمك الدنيا كلها ، ويسعدك ، وكم من إنسان قابع في بيت صغير ضيق لا يرى النور ، وكأن هذا البيت جنة من جنان الدنيا ، وكم من إنسان يقبع في بيت ثمنه ملايين كثيرة ، فيه من كل صفات البيت الراقي ، وهذا البيت قطعة من الجحيم ، هذه السَكِينَة هي محيرة حقيقة ، يمنحها الله لإنسان ، ويحرمه الدنيا فإذا هو أسعد الناس ، يحرمها الله لإنسان ويعطيه الدنيا فإذا هو أشقى الناس ، ويحرمه الدنيا ، ويعطيه السكينة ، فإذا هو أسعد الناس ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

(سورة التوبة : الآية 103)



هذا الشيء المحير أن أصحاب رسول الله ، كانوا في حياة خشنة صحراء ليس هناك مركبات ، أو تكييف ، أو اتصالات ، كل هذه الوسائل التي معنا لم يعرفوها ، ولكن وصلوا إلى الله ، ونحن مع كل هذه الوسائل لم نصل إلى الله ، هم في سعادة ما بعدها سعادة ، ونحن في جفاء ، وفي بعد ، وفي شقاء ، ومعنا وسائل الدنيا بأكملها ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

لو أن الإنسان زار بيت الله الحرام ، أولاً تُمحى ذنوبه السابقة ، وعاد كيوم ولدته أمه ، يُمنح ما يسمى بالسكينة ، يُمنح ما يسمى بالسعادة ، بالأمن ، يُمنح صفات يسعد بها إلى أمد طويل ، قال تعالى :

﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

الأزمة أزمة علم ، أهل النار في النار ماذا يقولون ؟

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

(سورة الملك : الآية 10)

أزمة علم ، لأن كل إنسان يتمنى السلامة والسعادة ، ولو عرف أن السلامة والسعادة في طاعة الله لأطاع الله ، لكنه يجهل ، والجهل أعدى أعداء الإسلام ، ويفعل الجاهل بنفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

وقال تعالى :

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

وقال :

﴿ وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

الدعوة عالمية ، الإسلام لكل الخلق ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

وقال :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

وقوله تعالى :

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

ما هو مقام إبراهيم ؟

من هذه الآيات البينات مقام إبراهيم ؟

1 . موضع قيامه لبناء البيت :

بعضهم يقول : إن إبراهيم حينما جدد بناء البيت وقف على حجر ، فكان هذا الحجر يعلو بحسب الحاجة ، ويهبط بحسب الحاجة ، وهذا من آيات الله هذه الآية الحسية .

2 . مقام التوحيد :

لكن بعضهم قال : مقام إبراهيم ، مقامه في الدعوة إلى الله ، دعا إلى التوحيد ، دعا إلى طاعة الله ، دعا إلى محبة الله ، كان عابداً من الطراز الأول ، قال تعالى :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾

(سورة الصافات : الآية 102)

لعل ما من موقف تظهر فيه العبودية صارخة كهذا الموقف ، طبعاً هناك أوامر كثيرة ننتهي عنها لقناعتنا أنها تؤذينا ، لكن أن يقال لنبي كريم : اذبح ابنك النبي ، يقول :

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ(102) ﴾

فمقام إبراهيم أولاً توحيده ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾

(سورة الأنعام : الآية 76)

وقال :

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾

(سورة الأنعام)

ثم قال :

﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة الأنعام)

هذا هو التوحيد ، مقام إبراهيم مقام التوحيد ، مقام إبراهيم مقام العبودية .

التوحيد أعلى مقامٍ على وجه الأرض :

إن أعظم مقامين في بني البشر أن تكون موحداً ، وعابداً ، إبراهيم قدوة لنا ، هذا النبي الكريم ، أول مقام من مقاماته أنه كان موحداً، حينما رأى قومه يعبدون أصناماً من دون الله ، كسّرها و وضع الفأس في عنق أكبرها ، قال تعالى :

﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ﴾

(سورة الأنبياء : الآية 59)

قال :

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾

(سورة الأنبياء : الآية 63)

فرجعوا إلى أنفسهم ، نعبد أصناماً من دون الله ! نعبد أحجاراً لا تنطق ! فكان موحداً حارب الشرك ، وحارب الوثنية ، وحارب عبادة الأصنام ، وهل من مقام أعلى من هذا المقام ؟ وما الذي يهلك البشرية اليوم ؟ الشرك، فالناس يعبد بعضهم بعضاً من دون الله ، فهذا من الانحراف في الأديان ، والانحراف عند اتباع الديانات ، قال تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

(سورة التوبة : الآية 31)

والانحراف عند أهل غير الديانات عبدوا الحجر ، والوثن ، والشمس ، والقمر ، ماذا فعل إبراهيم عليه السلام؟ ما هو أول مقام من مقامات هذا النبي الكريم ؟ أنه حارب الشرك ، وحارب الوثنية ، وحارب عبادة الأصنام ، وهذا المقام مستمر ، فينبغي أن تستمر أنت في محاربة كل شرك خفي ، أو جلي ، وكل عبادة من دون الله، والإنسان وهو لا يشعر قد يعبد صديقه ، لأن له مركز قوي ، ومعه رقم هاتفه ، وقال له : في أية لحظة اتصل بي ، وأنا أُري خصمك نجوم الظهر ، مثلاً ، فلديه بطاقة ، ولديه هاتف ، هذا شرك ، اعتمد على إنسان ، ولم يعتمد على الله ، ابنه بدرجة عالية من المرض فعالجه طبيب ، ونسي الله ، وأثنى على الطبيب، مع أن الثناء على الطبيب واجب ، لحديث أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ))

[الترمذي ، أحمد]

لكن يجب أن تشكر الطبيب ، وتعتقد أن الله سمح بالشفاء ، ألهم الطبيب صحة التشخيص ، ثم ألهم الطبيب الدواء الناجع ، ثم سمح للدواء أن يفعل فعله ، هذا هو الإيمان ، فأول مقام من مقام سيدنا إبراهيم أنه حارب الشرك ، حارب الوثنية ، حارب عبادة الأصنام ، وهذا المقام ينبغي أن يكون في كل مسلم ، لا تعتمد على أحد اعتماد التأليه ، اعتمد على الله من اعتمد على ماله ذلّ ، من اعتمد على قدرته ضلّ ، لكنه من اعتمد على الله لا ذلّ ولا ضلّ ، مقام إبراهيم ينبغي أن تأخذ بالأسباب ، وكأنها كل شيء ، وينبغي أن تتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء ، أول مقام من مقامات سيدنا إبراهيم أنه حارب عبادة الأصنام ، المقام الثاني دعي إلى عبادة الواحد الديان ، وقال :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة الأنعام : الآية 79)

3 . مقام الانصياع لأمر الله :

المقام الثالث انصاع لأمر الله إلى درجة لا تصدق ، بربكم لو أن أباً صالحاً قال لابنه : يا بني إني سأذبحك، ماذا يقول ابنه له ؟ يقول : أبي قد جَنّ ، ما هذا الانصياع الذي لا يصدق لأمر الله ، قال :

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ(102) ﴾

(سورة الصافات : الآية 102)

4 . مقام التوكل :

المقام الرابع : التوكل ، نحن بحسب أفقنا ، إذا أردت أن تسافر تهيئ كل الأسباب ، وكل الحاجات قبل أن تسافر ، من طعام ، وشراب ، ومال ، وكل شيء مؤمَّن ، اتصالات ، وهاتف ، وفلان توصيه ، ومع كل هذه الأسباب تقول : توكلت على الله ، أما سيدنا إبراهيم فقد أمر أن يضع زوجته وابنه في أرض قاحلة .

((... وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا))

[البخاري]

من يستطيع أن يضع ابنه وزوجته في صحراء ، ويتركهم ، ويمشي ، طبعاً هناك ثقة بالله تفوق حد الخيال ، سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يجلس في غار حراء الأيام المتتالية ، مكان مخيف ، والصعود إليه يحتاج إلى ساعتين أو أكثر ، بجهد شاق فكم كان أنسه بالله ؟! حتى إن أنسه بالله غلب على وحشة المكان.

أنت لا تستطيع أن تسير ليلاً بمفردك ، لو نمت في البيت لوحدك ، وسمعت صوتاً تستيقظ مذعوراً ، أي حركة عفوية تظنها لصاً ، كم كان أنس النبي بالله ، وهو في غار حراء ، حتى غلب أنسه بالله على وحشة المكان ؟ وكم كانت ثقة هذا النبي الكريم بالله كبيرة ، حينما أمر أن يدع زوجته وابنه في مكان لا طعام فيه ولا شراب ، آالله أمرك قال : نعم ، هذا مقام سيدنا إبراهيم ، حارب الشرك والوثنية ، ودعا إلى التوحيد ، وكان عبداً من الطراز الأول ، وكان متوكلاً من الطراز الأول ، هذا مقام إبراهيم ، وهناك مقام حسي ؛ أنّ الله سخَّر له هذا الحجر يعلو ، ويخفض بحسب حاجته للبناء ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ(96)فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾

(سورة آل عمران)

أي من هذه الآيات البينات مقام إبراهيم ، وقال :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا

1 . الأمن مطلب كل إنسانٍ :

مُنيباً لله ، مخلصاً له ، ملبياً لدعوته ، لا يبتغي سمعة ولا ثناء ، إنما يبتغي رضوان الله عز وجل ، لا شك أن الله سيغفر له ، ولا شك أن الله سيرحمه ، ولا شك أن الله سيطمئنه إلى مستقبله في الدنيا ، ومستقبله في الآخرة .



هذا هو الأمر ، كل إنسان إن كان عنده وسائل للأمن ، عنده دخل ثابت ، له مأوى يأوي إليه ، له زوجة وأولاد ، عنده وسائل الحياة الأساسية ، ينام قرير العين ، أما لو فرضنا إنسانًا سُرِّح من وظيفته، بقي بلا دخل ، يقول لك : لم أنم الليل ، ولو ظهر لشخص في التحليل شيء مخيف لا ينام الليل، ما معنى الأمن ؟ يعني أنّ الله عز وجل أعطاك أسباب الراحة النفسية ، أعطاك شعورًا أنك ناجٍ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، أعطاك إحساسًا أنّ الله معك ، ولن يتخلى عنك ، هذا معنى :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

إذا اصطلح إنسان مع الله ، وعاهده على الطاعة ، جعل همومه كلها هماً واحداً ، ومن جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها ، اعمل لوجه واحد يكفِك الوجوه كلها ، إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ؟ قال :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

2 . الأمن نعمة عظيمة :

هل هناك نعمة أغلى من الأمن في الحياة الدنيا ؟ أنا أسميه أمن الإيمان ، هناك أمن المال ، قد يكون مع الإنسان ملايين كثيرة ، واضع في كل بلد بأوروبا مبلغاً ضخماً في البنك ، لذلك ليس لديه مشكلة مالية أبداً ، فهو آمن من جهة المال ، إنسان آمنٌ من جهة مركزه في وظيفته ، لا يخشى منافساً إطلاقاً ، نظم الأمور

تنظيماً دقيقاً حيث لم يبق له منافس ، ينام قرير العين ، هذا أمن السلطان ، وهناك أمن المال ، أحدهم أجرى تحليلاً ، وكان كله نظاميًا ، وفي الحدود الدنيا ، عنده أمن الصحة ، لكن الأمن الذي يمنحه الله للإنسان يفوق أمن المال ، وأمن الصحة ، وأمن السلطان ، أمن مستمر إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا(51) ﴾

(سورة التوبة : الآية 51)

وقال :

﴿ قُلْ هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾

(سورة التوبة : الآية 52)

لو استشهدنا في الحرب فإلى جنة الله ، ولو انتصرنا كسبنا عز الدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

الأمن أساسه أن تسلمَ نفسك من كل مُنَغِّص ، من كل خوف ، من كل قلق ، من كل هم ، من كل حزن ، من كل توقع شيء مخيف .

3 . سيف المصائب مسلَّط على رقبة الإنسان :

والله أيها الإخوة ، لو شققت على صدر إنسان بعيد عن الله لرأيت قلبه مفعماً بالمخاوف ، يشعر أن مائة سيف مسلط عليه ، أحدها سيف المرض ، سيف الفقر ، سيف عقوق الولد ، سيف خيانة الزوجة مثلاً، أحد المفكرين الأجانب قال : لا تشككوا في وجود الله ، اتقوا الله ، لولا الله لخانتك زوجتك ، ولولا الله لعَقَّك ابنك ، لولا الله لسرقك خادمك ، الإيمان بالله نعمة كبيرة ، علقت مرة على هذا الكلام ، أن الله عز وجل أمرك أن تكون صادقاً ، وغاب عنك أنه أمر مليار مسلم أن يصدقوا معك ، أمرك أن تكون أميناً ، وأمر مليارَ مسلمٍ أن يكونوا أمناء معك ، وأمرك أن تكون عفيفاً ، وأمر مليار مسلم أن يعفوا عن محارمك ، نعمة الإيمان لا تعدلها نعمة ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

لذلك هؤلاء الذين يطلبون العلم في بيت الله ، ويتلقون شيئاً عن الله عز وجل ، وعن آياته الكونية ، والقرآنية والتكوينية ، هؤلاء عندهم توازن نفسي ، عندهم تصور صحيح ، الأيام لا تقلقهم ، ومضي عمرهم لا يقلقهم ، أما لو شققت على قلب إنسان شارد عن الله لرأيتَ المخاوف ، والأحزان ، والقلق ، والسأم ، والضجر ، هذا هي المعيشة الضنك ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾

(سورة طه : الآية 124)

وهذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد : الآية 28)

اذكر الله يطمئن قلبك ، الآن معنى آخر قال تعالى :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

4 . وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا : خبرٌ بمعنى الطلب :

هذا تعبير خبري ، جاء بمعنى الطلب ، أي اجعلوه آمناً ، أي يا عبادي هذا بيتي ، أنتم مكلفون من قِبَلي أن تجعلوه آمناً ، صار الأمر تكليفي ، لو أخذنا معنى آمناً بالمعنى المادي فهذا مشكلة ، لأنّ هذا البيت ضُرِب بالمنجنيق ، وهذا البيت في عام أربعمائة وألف ظهرت فيه فتنة ذهب ضحيتها مئات الأشخاص ، فإذا قلنا : هذا خبر ، في وقت ما لم يكن آمناً ، فهل يُعقل أن يقول الله :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

ثم تقوم في هذا البيت مشكلة ، ويذهب ضحيتها مئات الناس ، هذا مستحيل .

إذاً : المعنى : من دخل هذا البيت ، من جاءه منيباً طائعاً مخلصاً ، ألقى الله في قلبه الأمن ، وهو أثمن عطاء ، أمن الإيمان ليس أمن الصحة فقط ، ولا أمن المال فقط ، ولا أمن السلطان فقط ، أمن الإيمان ، أمن الإيمان يمتد إلى ما بعد الموت ، أما أمن السلطان فيمتد ما دمت على قيد الحياة ، أمن المال يمتد ما دام بيدك المال ، أمن الصحة ما دامت الفحوص جيدة ، أما إذا طرق طارق فلم يعد هناك أمن للصحة ، بينما أمن الإيمان يمتد إلى ما بعد الموت ، والدليل قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة التوبة : الآية 51)

المعنى الثاني أنه يا عبادي اجعلوه آمناً ، أي ينبغي أن يكون آمناً ، هذا البيت ينبغي أن يكون آمناً ، لذلك عباد الله المؤمنون مكلفون من قبل الله أن يجعلوا هذا البيت آمناً لمن دخله ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

لله على الناس حج البيت : سؤال يتردد كثيراً ؟ لِمَ لَمْ يقل الله عز وجل : لله على المسلمين حج البيت ؟ أو لله على المؤمنين ، أنت لاحظ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

وقال :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

1 . دعوة من الله للحج :

أي أنها دعوة الله إلى كل عباده ، لا يوجد دعوة خاصة بالمسلمين ، دعوة الله لكل عباده أن يتعرفوا إليه ، وأن يصطلحوا معه ، وأن يوحدوه ، وألا يشركوا به شيئاً ، وأن ينصاعوا له بالأمر والنهي ، فكما أن الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾

قال :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾



الحقيقة أن حج بيت الله الحرام فرضه الله علينا في العمر مرة واحدة ، وقد ورد في بعض الأحاديث عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَرْفَعُهُ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

((إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ جِسْمَهُ ، وَأَوْسَعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَأْتِى عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَمْ يَفِدْ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ))

[البيهقي في السنن الكبرى]

بعضهم اعتمد على هذا الحديث ، وقال : إذا كنت في بحبوحة مادية ، وفي صحة طيبة فينبغي أن تحج بيت الله الحرام كل خمسة أعوام مرة ، وكل حج له طعم قد يفوق الذي قبله ، وكل حج له مستوى قد يأتي الذي بعده أعلى منه ، قال :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

على تفيد الإلزام ، مثلاً :

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾

(سورة النحل : الآية 9)

وقوله :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

(سورة الليل : الآية 12)

وأيضاً :

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود : الآية 56)

حينما تأتي على مع لفظ الجلالة المعنى أن الله ألزم ذاته العلية أن يعدل بين العباد ، إن الله عز وجل حينما تأتي كلمة على مع اسم ذاته معنى ذلك هناك إلزام ذاتي .

هنا :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ(96)فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ ﴾

(سورة آل عمران)

أعلى درجات الوجوب ، ولله على الناس ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

2 . الحج واجب على المستطيع :



ذكر بعض العلماء تحليلاً لطيفاً ، الفقير أو المريض في محنة ، وهذه المحنة من شأنها أن تقربه من الله ، من هو الذي يكون في غفلة أحياناً؟ صحيح الجسم ، غني الدخل ، الصحة تنسيه ربه أحياناً ، والقوة المالية ، أو القوة الأخرى تنسيه مصيره أحياناً ، فهذا الذي غارق في نعيم الدنيا ، في نعيم المال ، في نعيم السلطان ، في نعيم الصحة ، نقول له : أنت ينبغي أن تحج بيت الله الحرام ، لأنك تعيش في أقنعة مزيفة ، الحقيقة الحج هو نزع أقنعة مزيفة عن وجه الإنسان ، وهو في بلده حجمه المالي كبير ، معتز بحجمه المالي ، أو منصبه كبير ، معتز بمنصبه ، أو صحته جيدة ، معتز بصحته ، نقول له : أنت يا من تستطيع بمالك و صحتك و قوتك أن تحج بيت الله الحرام ، عليك أن تحج بيت الله الحرام ، وأنت أيها الضعيف ، أو المريض ، أو الفقير ، فقرك ، وضعفك ، ومرضك يدفعان بك إلى الله عز وجل ، فأنت معفى من هذه الفريضة ، هذا تحليل طبعاً غير ملزم ، لأنه :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

3 . مفهوم الاستطاعة :

قال العلماء : الاستطاعة تعني أن الطريق سالك إلى بيت الله الحرام ، فلو كانت هناك حرب ، وكان بالطريق فقدٌ للأمن لسقط الحج عن أهل هذه البلدة من هذا الطريق ، فلابد من أمنِ الطريق ، و لابد من قوة البدن . الصحة . و لابد من وفرة المال ، مال تنفقه على أهلك في غيبتك ، و مال تنفقه في الوصول إلى هذا البيت، وفي السكنى ، والطعام ، والشراب ، أما هذا الذي يذهب ليتكفف الناس في الحج فهذا عاص لله عز وجل ، الله لم يكلفك أن تحج بيت الله الحرام ، وأنت لا تجد ما تأكل ، ليس عليك حج ، أما أن تعبد الله وفق مزاجك، وفق أهوائك فهذا شيء غير مقبول ، وإنّ الله عز وجل لا يعبد إلا وفق ما شرع ، وهناك من يجمع المال ،

من أموال الصدقات ليحج بيت الله الحرام ، وهناك من يتكفف الناس ، وهناك من يقترض ، وهناك من يرشي، هناك من يدفع ثمن تأشيرة دخول إلى الحجاز فرضاً ، أن تبدأ حجك برشوة ، أو أن تبدأ حجك بتصريح كاذب ، أو أن تبدأ حجك بمال مقترض ، أو أن تبدأ حجك بمال مجموع من أموال الصدقات ، فهذا كله خلاف منهج الله عز وجل :

﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

ينبغي أن تكون مستطيعاً في بدنك ، و في مالك ، و في أمن الطريق ، و ينبغي أن تكون مستطيعاً في سماح ولي الأمر لك ، لو فرضنا أن أولياء أمور المسلمين اجتمعوا ، وقرروا من أجل سلامة الحجيج أن يُسمَح لواحد بالمئة من كل أمة إسلامية أن تحج بيت الله الحرام ، فهذا النظام كان موضوعاً ولا يزال ، فبلد فيها خمسون مليوناً يُسمَح بخمسين ألفًا ، بلد فيها عشرون مليوناً يُسمَح فيها بعشرين ألف ، مجموع المسلمين في شتى بقاعهم واحد بالمئة منهم ، أي مليونان ، طاقة المشاعر مليونان ، فلو أن أولياء أمور المسلمين لمصلحة المسلمين الراجحة ، و لحسن أداء هذه الفريضة الكبيرة وضعوا نظاماً ، فأنت لست مكلفاً أن تخالف هذا النظام ، وأن تدفع رشوة كي تحج بيت الله الحرام ، لا ، لست مكلفاً ، إذاً أنت مستطيع بصحتك ، وبمالك ، وبسلامة الطريق ، وبإذن ولي أمر المسلمين .

الكلام الخطير أن الله عز وجل بعد هذه الآية يقول :

﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

4 . من لم يحج الفرض وهو مستطيع فهذا نوع من الكفر :

أي من ملك الزاد ، والراحلة ، ولم يحج بيت الله الحرام ، وكان مستطيعاً ، ولم يحج بيت الله الحرام ، فهذا عند الله نوع من الكفر :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾

لذلك من كان مستطيعاً ، و لم يحج بيت الله الحرام هذا في منطوق هذه الآية كفر ، أو نوع من الكفر ، لذلك حجة الفرض لا يسبقها شيء .

حج النافلة يقدَّم عليها أداء واجبات أخرى :

أما حجة النافلة ربما يُفضل عليها أداء واجباتك ، إنسان حج حجة الفرض ، وله ابن في سن الزواج ، ويخاف عليه العنت ، لو أنه زوجه أفضل ألف مرة من حجة النفل ، و قد قيل : إن ولي أمر المسلمين من صلاحيته أن يمنع نافلة أدت إلى ترك واجب .

هناك مسلمون يحرصون على حج بيت الله الحرام كل عام ، الآن ثلاثون حجة ، ثلاثة وثلاثون ، أربعة وثلاثون ، أحياناً تباهياً ، وعنده مشكلات ، وأولاده بلا زواج ، وبلا بيوت ، يخاف عليهم العنت ، نقول : حجّ حجة الفرض ، وأدِّ الذي عليك من واجبات تجاه من حولك ، وأكبر دليل أن أحد كبار علماء المسلمين ، و لعله عبد الله بن المبارك كان في طريقه إلى الحج فرأى فتاة صغيرة تنقب في القمامة ، فعثرت على طير ميت ، فأخذته ، وانطلقت إلى بيتها ، تبعها جماعته فإذا أسرة ذات فقر مدقع ، فأعطاها كل ما يملك ، وعاد، ولم يحج ، هذا من فقه هذا الإمام ، فإذا كان عليك حقوق ، وعندك مشكلات ، وعندك أبناء في سن الزواج ، تخشى عليهم العنت ، ينبغي أن تودي واجباتك تجاه أولادك قبل أن تحج حجة نافلة ، أما الفريضة فلا شيء يقدم عليها أبداً :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران : الآية 97)

5 . الله غنيٌّ عن المستطيع الذي لم يحجّ :

عن هذا المستطيع الذي لم يحج ، غني عن العالمين ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :

((يَا عِبَادِي ... لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ...))

[مسلم ، الترمذي ، ابن ماجه ، أحمد ، الدارمي]

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلْ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

(سورة الحجرات : الآية 17)

الآيات

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ(96)فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ﴾

و في درس آخر إن شاء الله نتابع هذه الآيات .

و الحمد لله رب العالمين

الأسئلة :

س : قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾

(سورة التوبة : الآية 28)

أليس المشركون أناسًا ؟

ج : لكن ليس عندنا إنسان مشرك ، بائع خمر ، عابد صنم ، تعال وحج ، تعال أسلم أولاً ، ندعوه للإسلام ، أنا أردت من قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ (97) ﴾

أن معرفة الله و عبادته مطالب بها أيّ إنسان ، و أنت أيها المسلم إن رأيت مشركاً نجساً حاول أن تعرفه بالله، وأن تجعله يسلم بعد ذلك يحج ، لكن هل من المعقول من إنسان فرضاً ، وإن كان قاصراً مثلاً أن يكون جنباً من زنا يقوم على قيام الليل رأساً ، هذا غير معقول ، هل معقول لشخص مشرك يحج ، الإله كله هو كافر به ، فهذا كلام غير مقبول لأن الله قال :

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ(28) ﴾

أنا قصدت أن هذا الدين العظيم دين الله و هو لكل البشر .

الملمح في الآية : أن دين الله ليس لفئة دون فئة ، ولا لأمة دون أمة ، لكل البشرية قاطبة ، لكن بعضهم نجس ، ليس نجاسة حقيقية ، فلو فرضنا شخصا كافرا قد اغتسل بشكل جيد ، يظل نجساً ، لأن علاقاته نجسة ، ومزحه بذيء ، نظراته فاحشة ، تعليقاته لاذعة ، كسبه حرام ، هذه نجاسة سماها العلماء حكمية .

هناك شخص استلم مسجداً من إنسان غير مسلم فصافحه بالطريقة التالية حتى لا تلمس يده بيده ، هذه غير معقولة ، نجاسته ليست حقيقية إنها نجاسة حكمية .

س : هل يجوز الزواج من امرأة طلقت ثلاث مرات بقصد تحليلها لزوجها ؟

ج : هذا الذي يفعل هذا سماه النبي تيساً ، سماه التيس المستعار ، و لا يجوز طبعاً ، لا تحل لزوجها الأول حتى تتزوج زواجاً حقيقياً طبيعياً عفوياً على نية التأبيد من قِبلها ، و من قِبله ، ثم لسبب طارئ يطلقها ، عندئذ تحل لزوجها الأول ، حكمة هذا التشريع ، امرأة سيئة الخلق ، وتتهم زوجها بأنه سيئ ، فإن طلقها وتزوجها إنسان آخر ، وطلقها لسوء خُلُقها عندئذ تقتنع أن العلة فيها ، عندئذ يمكن أن تعيش مع الأول . أما إن طلقها وهو ظالم لها ، و جاء زوج آخر ، وأكرمها فلن يطلقها ، ولن تستغني عنه ، إذاً : هذا تأديب للزوج الأول ، وهذا كلام دقيق ، فإن طلقتها ظالماً ، ثم اقترنت بآخر أكرمها لن تحظى بها إطلاقاً ، وإن طلقها مظلوماً ، تقول له : طلقني ، ثم طلقها إنسان آخر لعلّة فيها عندئذ تقتنع أن زوجها الأول كان محقاً فتعود إليه ، وتصطلح معه .

س : ما قولكم في حفلات النساء ، و هم يستمعون إلى أصوات المطربين و المطربات ، الأحياء منهم و الأموات ، و تنكشف العورات و تقع المنكرات ؟

ج : طبعاً هذا لا يجوز .

س : كيف نوفق بين قضاء الناس حوائج بعضهم ، بل و تعلّق رجاء بعضهم على بعض فيما يسمى اليوم بالواسطة ، و بين قوله صلى الله عليه وسلم لِابْنِ عَبَّاسٍ :

((يَا غُلامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلامُ ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ))

[الترمذي ، أحمد]

ج : الحقيقة هذه بطولة ؛ أن تعتقد أن الله بيده كل شيء ، وأنت بهذا العمل تبحث في الأسباب ، لكن الأمل معقود على الله ، فإذا حصل هذا الأمر ، و نجحت فيه تشكر الله أولاً ، هذه البطولة ، ويمكن لإنسان أن يتعلق بإنسان ، والإنسان يحل له مشكلته ، لكن إن كان ضعيف الإيمان لا يرى الله حل مشكلته ، يرى أن

هذا الإنسان هو الذي حلها له ، هذا شرك ، أنت مأمور أن تأخذ بالأسباب ، فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ))

[أبو داود ، أحمد]

أنت عندك مشكلة مَن يحلها ؟ أسأل فلانا ، أعمل طلباً ، أو اعتراضاً ، لي صديق يمون على هذا الإنسان أكلفه أن يكلمه ، وأنا بكل هذه الأعمال أمَلي معلق بالله ، يا رب توفقني ، يا رب ألهمهم أن يوافقوا لي ، فأنت معلق الأمل بالله عز وجل ، هذا هو التوحيد ، لكن هذا لا يمنعك أن تأخذ بالأسباب ، وأن تتحرى بالوسائل ، لكن الذي يُخاف منه أن تأخذ بالأسباب ، وأن تنسى الله ، لذلك الجواب الشافي : قمة الإيمان أن تأخذ بالأسباب ، و كأنها كل شيء ، كما فعل النبي في الهجرة ، ثم تتوكل على الله ، و كأنها ليست بشيء ، يمكن أن تعمل مراجعة كاملة لسيارتك ، كل شيء جديد ، تطلع على السفر ، لا يوجد عندي مشكلة ، ممتازة ، تقطعك رغم كل احتياطك ، ممكن تذهب لست مراجعها إطلاقاً توكلت عليك يا رب ، كذلك هذه سذاجة ، يجب أن تأخذ بالأسباب ، وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله ، و كأنها ليست بشيء هذا الإيمان ، أعمل مراجعة للسيارة ، ويا رب أنت المُسلّم ، أنت الحافظ ، يا رب يسر هذا السفر ، يا رب احفظني من مشكلة ، من حادث ، من قطع ، هذا هو الإيمان ، و هنا البطولة .

إن كثيرا من الناس يأخذون بالأسباب فينسون الله ، و يعتمدون عليها ، و هذا شأن الغرب ، و كثير من الناس بالشرق لا يأخذون بها معصية ، كُلْ سمِّ بالله لا يضر مع اسمه شيء ، لم يغسل الفاكهة ، هناك أمراض ، هناك جراثيم ، أنت تحتقر نظام الله عز وجل ، النبي قال :

((من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه))

[ورد في الأثر]

أي مَن أكل فاكهة غير مغسولة ، انظر الموقف المتناقض يأكل فاكهة لا يغسلها ، سمِّ بالله لا يضر مع اسمه شيء ، توكل على الله لن يصير شيئاً ، ابنه مرض الله يعافيه ، يكون معه مشكلة خطيرة ، تحل في الأول ، ولن يكون لها حل بعد ذلك ، لا يسأل ، هذه معصية ، والطرف الثاني يقول لك : أنا المحامي عني فلان ، أريد أن أخضع رأس خصمي ، قد تحدث مشكلة جديدة ، لعل المحامي يموت ، فهذا الذي يأخذ بالأسباب ، و يعتمد عليها ، و ينسى الله فقد أشرك ، وهذا الذي لا يأخذ بها تهاوناً أو سخرية فقد عصى الله، والموقف الكامل أن تأخذ بالأسباب ، وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء .

س : قرأت لبعض العلماء عن زواج القرابة فذكر أنه مكروه استدلالاً بالحديث :

((اغتربوا لا تضووا))

[الطبراني عن سلمان]

و قرأت عن آخر أن هذا الحديث ضعيف ، و الحديث الضعيف لا يُعمل به إلا في فضائل الأعمال ؟

ج : هذا الحديث أيها الإخوة عندنا حديث مرفوع ، و حديث موقوف ، و حديث مقطوع ، فالحديث المرفوع إلى رسول الله ، و المقطوع على بعض الصحابة ، و الموقوف على بعض التابعين ، تابعي قال كلاماً فهذا حديث مقطوع ، صحابي قال كلاماً فهذا حديث موقوف ، النبي قال كلاماً هو حديث مرفوع ، لكن في أمور التشريع ليس هناك صحابي واحد يجرؤ أن يقول كلاماً من عنده إلا إن سمعه من النبي لذلك الحديث الموقوف يؤخذ به ، و هذا قضية علمية ثابتة أي هذه الجينات كلما اقتربت من سلالة واحدة تكرس الخطأ ، و كلما تباعدت قوي النسل ، شيء تؤكده العلوم كلها ، عقد مؤتمراً علمياً في أسبوع العلم الرابع عشر في دمشق ، وكان هناك رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، وألقيت محاضرات عن تحسين النسل ، محاضرات من أمريكا ، من بريطانية ، و من فرنسا ، من جميع أنحاء العالم ، و أربعة خمسة أيام هذه المحاضرات كلها عن تحسين النسل فقام رئيس المجمع العلمي العربي ، وهو طبيب مشهور توفي رحمه الله، و قال : كل هذه المحاضرات ملخصها قول النبي الكريم : اغتربوا لا تضووا ، فكلما كان هناك تباعد يأتي النسل قوياً .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : حكم الحج و أركانه و شروطه

2-1 حكم الحج

2-2 الحج ركن من أركان الإسلام

2-3 أركان الحج و العمرة

2-4 أحكام و شروط الحج

2-5 شروط الحج

2-1 حكم الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الإسلام عقيدة و شريعة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ بعض الأخوة الأكارم رَغِبَ أن يكون موضوع هذا الدرس عن حِكَمِ فريضة الحج التي فرضها الله علينا ، وكنت قد ذكرت في الخطبة يوم الجمعة بعضاً من هذه الحِكَم ، وأنا أستجيب لهذه الرغبة، فأجعل جُلَّ هذا الدرس أو بعضه بحسب التيسير في موضوع الحج .

بادئ ذي بدء أقول : الإسلام عقيدةٌ وشريعة ، لخَّصها الله سبحانه وتعالى في آيةٍ واحدة فقال :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾

[سورة الكهف : 110]

هذه العقيدة " لا إله إلا الله " فلو ضغطتها كلها ضغطاً كثيفاً كثيفاً ، لانتهت بقوله تعالى :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة محمد : 19]

لذلك قال العلماء : نهاية العلم لا إله إلا الله ، هي كلمةٌ خفيفةٌ على اللسان ، ثقيلةٌ في الميزان .

وهنا نقطة دقيقة أتمنى على الله عزَّ وجل أن يوفقني إلى توضيحها ، وهي أنّ فهم الآية شيء وأن تكون في مستواها شيءٌ آخر ، بل شتانَ بين فهم الآية وبين أن تكون في مستواها ، فقد تفهم قوله تعالى :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة محمد : 19]



ولكن إذا كنتَ في مستواها فإن إيمانك بهذه الكلمة، أو بأنه لا إله إلا الله يحملك قطعاً وحتماً على طاعة الله ، فمن كان في سلوكه خَلَل ففي عقيدته خلل ومن كان في سلوكه معصية فإيمانه بأنه لا إله إلا الله لم يُسْتَكْمَل بعد ، فنحن إذا قسَمنا الإسلام إلى عقيدة ، فهذه العقيدة تنتهي بقول لا إله إلا الله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ وَلا تَتْرُكُ ذَنْبًا))

[ابن ماجة عَن أُمِّ هَانِئٍ]

وإذا تركنا العقيدة جانباً ، فهناك جانب العبادات التي تتمثَّل بقوله تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

[سورة الكهف : 110]

في الإسلام جانب نظري ، وجانب اعتقادي ، وجانب فكري ، وجانب عقلي هذه كلها مرادفات ، وفي الإسلام جانب سلوكي ، وجانب عملي تطبيقي ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال يؤكِّد ذلك :

((تعلموا ما شئتم فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم))

[رواه ابن عدي في الكامل ، والخطيب البغدادي في كتاب اقتصاد العلم للعمل عن معاذ ابن جبل]

وقال أيضاً : كل علمٍ وبالٌ على صاحبه ما لم يعمل به ، فجانب العمل قَسَمَهُ العلماء قسمين ، عباداتٌ ومعاملات ، علاقتك مع الله تنظِّمُهَا العبادات ، وعلاقتك مع الناس تنظمها المعاملات ، لذلك أحكام البيع والشراء ، والزواج والطلاق ، والإيجار والشركات ، والمُضاربة المُزارعة والمساقاة ، وأحكام الوديعة واللقطة والأيْمَان ، كل هذه الأحكام مهما اتسعت وتعددت وتشعَّبت فإنها تنضوي كلها تحتها تحت عنوان المعاملات ، وهي علاقتك بالخلق .

أما علاقتك بالحق فهذه تنظمها العبادات ، وفي مقدمتها الصلاة ، والصلاة في كل مكان وزمان ، في الصحة والمرض ، والغنى والفقر ، وفي الحَضَر والسفر ، فلا يمكن أن ينقطع الإنسان عن الصلاة إلا في حالتين ؛ الإغماء والجنون ، ولو كان في مرضٍ شديد فله أن يصلّي بالإيماء ، أو بجفنه ، أو بعينه .

قلت لكم قبل قليل : الله سبحانه وتعالى أمرنا بأوامر بعضها عبادات وبعضها مُعاملات ، والمعاملات جاءت أحكامها الكُلِّيَةَ في كتاب الله وسُنَّةِ رسول الله ، وجاء العلماء المجتهدون فاستنبطوا الأحكام التفصيلية من هذه النصوص الكلية فكان الفقه ، فالفقه هو أحكامٌ مستنبطةٌ من الكتاب والسُنَّة ، والفقه أحكام اجتهادية ، وأما العبادات فأحكام الله التي أَلْزَمَ عباده بها ، فالصلاة مثلاً " الصلاة عماد الدين من أقام فقد أقام الدين " ، فهدف الصلاة أن تصل بها إلى الله ، والصيام لعلكم تتقون ، وهو أن تصل به إلى الله ، والصلاة عبادة بدنية ، والصيام عبادة بدنية ، أما الزكاة فعبادةٌ مالية ، وأما الحَج فهو عبادةٌ بدنيةٌ ، وماليةٌ ، وروحيةٌ ، مكانيةٌ وزمانيةٌ في وقتٍ واحد ، ويبدو أن الحج من أعلى العبادات مستوىً ، لأسبابٍ كثيرة . .

العبادات طريق لمعرفة الله عز وجل :

بادئ ذي بدء ، الله سبحانه وتعالى خلق الكون لنستدلَّ به على ذاته ، وعلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى ، فالكون تجسيدٌ لأسمائه الحسنى ولصفاته الفضلى ، ومن أسمائه العليم ، فهو العليم الحكيم ، وهو الرؤوف الرحيم ، وهو القدير الغني ، وهو السميع البصير ، فكل هذه الأسماء الحسنى لا بدَّ أن تعرفها من خلال الكون ، فالكون دالٌ على عظمته، والشيء الثاني أن العبادات لو تأمَّلت فيها تأمُّلاً صحيحاً لكان هذا التأمُّل طريقاً إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .


الكون تجسيد لأسماء الله الحسنى ولصفاته الفضلى

فالحج بشكلٍ مختصر أن الله سبحانه وتعالى يقول لك : أن يا عبدي تعالَ إليّ أمَّا الصلاة فصلِّ وأنت في بيتك ، وأنت في بلدتك ، وأنت بين أهلك ، وأنت في مجتمعك ، وأنت بين قومِك، والزكاة ادفع من مالك ، والصوم دعِ الطعام والشراب ، لكن الحجَّ تعالَ إليّ ، كما قال الله عزَّ وجل على لسان سيدنا إبراهيم :

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

[سورة الصافات : 99]

إنّ الإنسان يسافر بدافع التجارة ، وقد يُسافر بدافع التعلم ، وقد يسافر بدافع الاستجمام والسياحة ، فالحج بشكلٍ أو بآخر رحلةٌ إلى الله عزَّ وجل ، تعالَ إليّ واترك همومك، دع عنك هذه الشهوات التي أثقلت ظهرك وتعال إليَّ ، دع هموم المعاش في بلدك وتعالَ إليّ ، دع هموم العمل في بلدك وتعالَ إليّ ، دع هموم صحَّتك في بلدك وتعالَ إلي ، وأكثرُ الذين حجوا بيت الله الحرام يؤكِّدون هذه الحقيقة ، وهذه حكمة الله البالغة؛ أن الهموم التي يحملها الإنسان في بلده سواءٌ أكانت هموم المعاش ، أو هموم العمل ، أو هموم الأُسرة ، أو هموم الصحة ، يُجَمِّدُها الله سبحانه وتعالى كلها ، ويريحك منها ما دمت في ضيافته في بيت الله الحرام ، فهذه فرصة للإنسان لكي ينسلخ عن هموم الدنيا ، خلِّ عنك وتعالَ ، دع عنك الهموم كلها ، تعالَ إليّ يا عبدي ، فهو أمر إلهي ، وخالق الكون يقول لك :

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

تترك أهلك وولدك ، وتتحمل مشاق السفر ، وتنفق من مالك عشرات الألوف من أجل أن تلبِّي هذه الدعوة ، ثم ترجع كما ذهبت ؟ هذا مستحيلٌ في حق الله عزَّ وجل ، ولا تصدِّق أن إنساناً يترك بيته وأهله وبلده وعمله، ويدفع عشرات الألوف ، ويتحمَّل المخاطر والازدحام والحَرَّ من أجل أن يتواجد جسمياً في عرفات ، أو من أجل أن يطوف حول الكعبة طوافاً مادياً ، أو من أجل أن يسعى بين الصفا والمروة سعياً مادياً ، فالله سبحانه وتعالى جلّ وعلا أن يكون أمره كذلك . قال لك : تعالَ إليّ لأذيقك طعم القرب ، تعال إليّ لتعرف طعم المحبَّة ، تعال إلي لترى أن الله عزَّ وجل هو كل شيء . . وأن كل شيء سوى الله باطل ، وأن كل نعيمٍ لا محالة زائل . .

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

***

فالحج فرصةٌ واحدة في العمر ، وقد تكررها مراتٍ كثيرة بحسب الذي حَصَّلْتَهُ في هذه المرة .

حكم الحج :

1 . الإقبال على الله يعينك على أن تقبل عليه و تنعم بقربه :

إذاً يجب أن نستنبط عظمة الله عزَّ وجل لا في خلقه فحسب بل في تشريعه ، وليس في تشريعه فحسب بل في عباداته ، ولا في الصلاة والصيام والزكاة فحسب بل في الحج، فلو أن إنساناً كان بعيداً بُعداً كبيراً عن

الدين ، ورأى الحجاج يطوفون ويسعون ويرجمون ، ولم يعرف الأحوال النفسية التي ترافق هذه المناسك لظنَّ بالحج الظنون .



إذاً أول شيء كما أن الكون خلقه – هذه الكلمة دققوا بها – ومن خلال الكون تتبدَّى عظمته ، كذلك هذه العبادة أمره ، ومن خلال هذه العبادة يجب أن تتبدَّى عظمة الله عزَّ وجل سواءاً بسواء ، فالله عزَّ وجل حينما قال لك : تعال إليّ قطع عنك الهموم ، وحينما أمرك أن تنفق من مالك الحلال من أجل أن تصل إلى بيته الحرام ، جعلك تنفق من أجله حتَّى تُحِسَّ أن لك عنده حظوة ، فإذا دعوت إنسانًا وتكلَّفتَ في الدعوة تشعر أنك قدَّمت له شيئًا ، والله عزَّ وجل غني عنك . .

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾

[سورة الحج : 37]

فقد أمرك أن تبتعد عن مكان الهموم ، وعن هموم المعاش وهموم العمل والأسرة والصحة ، وقال لك : تعالَ، وأنفق أجرة الطريق ، ورسم الدخول ، وأجرة الإقامة ، وثمن الطعام والشراب ، وثمن الهدي ، وبهذا الإنفاق تشعر أنك قدَّمت شيئاً ، كأن الله عزَّ وجل يعينك على أن تُقبل عليه ، فيقدِّم لك المبرر والمسوّغ كي تُقبِل عليه ، إذاً حكمة هذه العبادة أنْ تغادر بيتك، وبلدتك ، ومكان إقامتك ، وأهلك ، وزوجتك ، وأولادك ، وعملك، وعزك ، وشأنك ، وجاهك ، وهذه الأشياء التي تَسْعَد بها دعها كلها وتعالَ إليّ ، هذا أول معنى ، تركتها وتجشَّمت مشاق السفر ، فشعرت أن لك عند الله حظوة ، وكأن الطريق إلى الله عزَّ وجل صار سالكاً وأبواب السماء قد فُتِحَت لك ، حتّى أصبح الإقبال على الله ميسراً لك ، وكأن أنوار الله عزَّ وجل أصبحت قريباً منك، وأصبحت المناجاة في مقدورك وكأنك تصنعها ، وكأن القرب والإقبال أصبحا قريبي المنال ، هذا هو المعنى الأول . فقد حملك على أن تقبل عليه ، فحملك على أن تَنْعُمَ بقربه ، فحملك على أن تسعد بالاتصال به ، فهذا هو المعنى الأول .

2 . الحج يحجم الإنسان و يريه حقيقته :

أما حينما أمرك أن تُحْرِم هناك ، وأن تدخل بيته الحرام من المواقيت مُحرماً ، وتخلع عنك الثياب المخيطة ، فلو أن الحج سُمِحَ فيه بالثياب ، لجاء هذا بالزي الفلاني ، وهذا بالثوب الفلاني ، وهذا الثوب غالي الثمن ، وهذا ألوانه زاهية ، وهذا خيط خياطةً راقية ، لعادَ التفاوتُ بين الناس ، ويعود النظر إلى ما عند الناس ، فأمَرَك أن ترتدي ثوبين أبيضين بسيطين غير مخيطين من أجل شيءٍ واحد ؛ من أجل أن يكون الناس كلهم سواسيةً في نظر الله عزَّ وجل وهم كذلك ، لذلك لا فرق بين الكبير والصغير ، ولا الغني والفقير ، ولا الذي له سيطٌ ولا خامل الذِكْر ، الكل عند الله سواء ، كأن الله يشعرك أن يا عبدي هناك رحلة أخيرة تُنزَع منك كل هذه الأقنعة المُزَيِّفة ، فالمال تتركه والجاه والأهل تتركهم ، وكذا الزوجة والأولاد ، وكل الميزات التي تنعم بها في بلدك لا بدَّ من التخلِّي عنها ، إذاً كأن الحج رحلة قبل الأخيرة .

في الرحلة الأخيرة تدع كل شيء بلا عودة ، إنها مغادرةٌ بلا عودة ، لكن الرحلة قبل الأخيرة مغادرةٌ موقوتةٌ مع العودة ، من أجل التدرُّب على الرحلة الأخيرة التي لا عودة فيها ، فدع عنك الدنيا قبل أن تدعك ، دعها عنك قبل أن تدعك هي ، وتخلَّ عنها قبل أن تتخلى عنك ، اعرِفْ حقيقتها قبل أن تصطدم بها ، هذا هو حجمك ، عبدٌ ضعيفٌ فقيرٌ ، أشعث أغبر ذو طمرين ، يقف على أرض الله الواسعة في الموقف في عرفات، أو حول البيت الحرام ، أو بين الصفا والمروة ، عبد حجمك صغيرٌ ، وشأنُك حقير ، فهذا الحج إن صح التعبير يُحَجِّمُ الإنسان يريه حقيقته كما قال الله عزَّ وجل :

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[سورة الأنعام : 94]

لقد تركت هموم المعاش ، وتجشَّمت مشاق السفر ، وخلعت عنك كل الزينة ، هذه كلها تمهيدات لإحكام الصلة ، لأن الإنسان قد يصلي في بلده ، قد يصلي صلاةً شكلية ، ويعيقه عن هذه الصلاة همومه ، ومشكلاته ، أو دنياه ، وقد يُعيقه ماله ، أو شأنه ، فالله عزَّ وجل أعانك على نفسك في الحج ، وقال لك :

تعالَ إليّ لأحُطَّ عنك ذنوباً أثقلت ظهرك ، لذلك " إذا رجع العبد إلى الله عزَّ وجل نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله " . . فبشكل أو بآخر الحج صُلْحٌ مع الله ، بالتعريف الدقيق هو صلحٌ مع الله . فإذا صالحت إنسانًا له شأن لم تَتِمْ من فرحك ، وأحياناً يصالحُ إنسانٌ زوجتَه فيقول لك :

الحمد لله كابوسٌ زال عني ، أو إذا هي صالحته ، يقول لك : يا أخي الحمد لله الأمور رجعت إلى مجاريها ، فكيف إذا صالحت رب السموات والأرض ؟! كيف إذا صالحت من بيده ملكوت كل شيء ، من بيده أمر حياتك وموتك ، إذا صالحته فهنيئاً لك ، فالحج مشروع صلح مع الله .

3 . الإحساس بمغفرة الله عزَّ وجل :



لكن أيها الأخوة الأكارم ؛ والله الذي لا إله إلا هو كما ذكرت لكم في درس العقائد قديماً أن في الكون شيئًا واجب الوجود ، وممكن الوجود ، ومستحيل الوجود ، فالله سبحانه وتعالى واجب الوجود ، ونحن من باب ممكن الوجود ، أما المستحيل فأن يكون مع الله إلهٌ آخر وهذا مستحيل ، بل من هذه المُستحيلات أن تذهب إليه ولا يكرمك : " إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها ، فطوبى لعبدٍ تطهَّر في بيته ثم زارني ، وحُق على المزور أن يكرم الزائر " فالإنسان ذاهبٌ إلى بيت الله ، لا يبتغي إلا الحج ، لا يبتغي شيئاً آخر من حطام الدنيا ، فإذا ذهبت كذلك فمن المستحيل على الله عزَّ وجل أن ترجع بِخُفَّي حُنَيْن ، بل لا بد أن ترجع إلى بلدك وقد جبرك الله عزَّ وجل ، جبر كسرك ، وحقق رغبتك ، وأعانك على أمر دينك ودنياك . هناك تشبيهٌ رأيته مناسباً لهذا المقام ، وكأنك إذا ذهبت إلى هناك . .

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ]

كأنك فتحت مع الله صفحةً جديدة بيضاء ، وانتهى الحساب ، ودخلتَ في مسامحة وعلى كلٍّ انتهى الحساب القديم ، وفُتِحت صفحةٌ بيضاء ، وهل من شعورٍ أعظم عند المؤمن من أن تفتح لك مع الله صفحةٌ جديدة ؟ إذاً أنت الآن عُدْتَ من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، وهذا الشعور لا يعرفه إلا من ذاقه ، إنه الإحساس بمغفرة الله عزَّ وجل لك ، ومغفرة الله عزَّ وجل لا يعرفها إلا من ذاقها .

4 . في الحج يحس الإنسان أنه ضيف الرحمن :

شيء آخر قد بدا هو أن الحج بشكل يغلبُ عليه أنه دعاء كله ، ففي طواف القدوم دعاء ، وفي السعي بين الصفا والمروة دعاء ، وفي الإقامة بمنى دعاء ، وفي الوقوف بعرفة دعاء ، وفي الوقوف بمزدلفة دعاء ، وفي أثناء رمي جمرة العقبة دعاء ، وفي طواف الإفاضة دُعاء ، وفي الإقامة بمنى في أيام النحر وأيام التشريق ورجم الجمرة الأولى والثانية والكُبرى دعاء، وفي طواف الوداع دعاء ، وكما قال عليه الصلاة والسلام :

((الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

إنّ مخ العبادة الدعاء ، فإذا دعوته لا بدَّ أن يستجيب لك ، فإذا كان الدعاء مستجابًا وأنت في بلدك فكيف بالدعاء وأنت في بيته ؟ فإذا طلبت من إنسان وأنت في ضيافته حاجة ، أعتقد اعتقاداً جازماً أن إمكان تلبيتها مئةٌ في المئة ، فأنت في بيته ، وفي إكرامه وضيافته لذلك فالإحساس بأنك ضيف الله عزَّ وجل ، ضيف الرحمن ، هذا الإحساس صارخ ، وتستطيع أن تحسَّ به وأنت هناك في بيت الله الحرام .

5 . تشريف الإنسان بزيارة بيت الله الحرام :

وثمّة شيء آخر ، أنك إذا ذهبت إلى هناك لا ينبغي أن تشعر أنك قد حججت البيت ، لا ، ينبغي أن تشعر أن الله عزَّ وجل جلَّ وعلا سمح لك أن تزور بيته ، وشرَّفك وتفضَّل عليك بأن أعانك على زيارة بيته ، وهذا الشعور يجب أن يكون واضحاً عند الحاج ، لأنك إذا قلت : يا رب لقد شرَّفتني بزيارة بيتك الحرام ، وهذا كرم منك ، فقد أكرمك الله بزيارته وبتجلِّيه على قلبه .

فلذلك هذه الأحوال التي يعانيها الحاج لا أقول لكم إن قلةً قليلةً يعانيها ، لا والله بل تشمل كل حاج ، لأنّ رحمة الله وفضله يسع كل عباده ، بشرط واحد أن يكون الانطلاق إلى الحج بإخلاص ، لا تبتغي لا سمعةً ولا رياءً ، ولا زينةً ولا وجاهةً ، ولا تجارةً ولا عملاً ، ولا إقامةً ولا ولا ، فإذا كان الهدف خالصاً لوجه الله عزَّ وجل ، فهو سبحانه وتعالى يتكفَّلُ أن يُكرمك إكراماً لا تنساه مدى الحياة .

الإكثار من الدعاء في الحج لأن الدعاء مستجاب :

أنت إذا طُفْتَ حول الكعبة ، تدعو الله عزَّ وجل : " ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار "

ماذا بقي ؟ في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً ، هذا الدُعاء الذي أؤثر عن النبي عليه الصلاة والسلام ادعُ به :

((اللهم إنك عفوٌ كريم تحب العفو فاعفُ عني يا كريم))

[الترمذي عن عائشة]

و يحب أن يعفو عنك ، وها أنت ذا تطلب منه العفو ، إذاً لا بدَّ أن تشعر بالعفو وكما قلنا قبل قليل : فتحت لك مع الله صفحةٌ جديدة ، فإذا قلت :

((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها مردي))

[الترمذي عن عائشة]



الدعاء في بيت الله الحرام أو عند النبي العدنان له طعم مختلف

وإذا قلت : واجعل الحياة زاداً لي من كل خير ، فما دامت الحياة فيها زيادةٌ لي من الخير فأحيني يا رب . . واجعل الموت راحةً لي من كل شر ، تشعر أن حياتك خير ، وأن انتهاء الحياة خير ، فهذه الأدعية في بيت الله الحرام أو عند النبي العدنان تحس أن لها وَهْجًا ، لأنك لو دعوت بها آلاف المَّرات وأنت في بلدك لا تذوق طعمها ، إلا إذا دعوت بها وأنت في بيته ، وأنت في في ضيافته ، وأنت متعرضٌ لكرمه في الطواف دعاء ، فإذا وصلت إلى الحجر الأسود ، والنبي عليه الصلاة والسلام قَبَّلَ الحجر الأسود وبكى كثيراً ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ :

((اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَرَ ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ يَبْكِي طَوِيلا ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَبْكِي فَقَالَ : يَا عُمَرُ هَاهُنَا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ))

[ابن ماجة عن ابن عمر]

لذلك أجمع أهل العلم على أن الحجر الأسود يمينُ الله في أرضه ، لذلك عند تقبيله تدعو وتقول :

((بسم الله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، واتباعاً لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، ووفاءً بعهدك ، وعهداً على طاعتك))

[ابن ماجة عن ابن عمر]

لكن أيها الأخوة الأكارم ؛ أتمنى أن كل من أتيح له أن يقبّل الحجر الأسود ألا ينسى هذا التقبيل طوال حياته ، كلما شعر بالتقصير تذكَّر أنّه قبَّل الحجر الأسود ، وعاهد الله عزَّ وجل على طاعته ، فهل أنت في مستوى هذه الطاعة ؟ وهل أنت ذاكرٌ لهذا العهد ؟ "عهداً على طاعتك" ، فكلما قطعتَ شوطاً وقفتَ أمام الحجر الأسود ، وسرتَ أمامه عَرْضَاً ، وقلت : " بسم الله ، الله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، واتباعاً لسنة نبيك محمدٍ صلى الله عليه وسلم ووفاءً بعهدك ، وعهداً على طاعتك " ، وبعد هذا الطواف الذي هو سبعة أشواط ، تتوجَّهُ إلى المسعى ، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام : " بسم الله الرحمن الرحيم نبدأ بما بدأ الله به " . . تتلو قوله تعالى :

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

[سورة البقرة : 158]

وأيضاً في الطواف دعاء ، فالله عزَّ وجل أعطاك أمكنة وحركات يجب أن يرافقها الدعاء ، فهل أنت في مستوى الدعاء ؟ لذلك إذا أزمع الإنسانُ الحجَّ فأنا أنصح له أن يكثر من حفظ الأدعية ، لأنك لو فتحت الكتاب هكذا فإنّ رونق الدعاء يتلاشى ، وروحانية الإقبال تذهب، وهناك أشخاص يفتحون الكتاب ويرفعون أصواتهم بالدعاء إلى درجة أنهم يشوِّشون على كل من يسعى ويطوف ، وهناك من يرفع صوته ليرُدَّ النساء خلفه ، وصوت المرأة عورة لذلك تفقهوا قبل أن تحُجّوا ، فيجب أن تدعو من ذاكرتك ، فإذا أعدَّ الإنسانُ نفسَه قبل الحج بشهرين أو ثلاثة ، وجمع الأدعية كلها ، وحفظها إلى درجة أنه أصبح يدعو بها من ذاكرته وقلبه فعندئذٍ يستطيع أن يلتفت إلى الله ، أما إذا فتح الكتاب وفُتِحت ورقة معه بالخطأ فغيَّر ، فإنّ هذا الحال الطيب الذي يظن أنه سيصل إليه قد يتفلَّت منه .

ثم إن الدعاء إذا تعلمته أو أمسكت بهذا المفتاح السحري ، فإنّه أكبر سلاح ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " الدعاء سلاح المؤمن " . لأنك بالدعاء تنتصر على أقوى إنسان، لأن الله معك ، قال له : "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ " ما قولك ؟ وما ظنك بإنسان الله سبحانه وتعالى معه ؟ فإذا دعوت الله في الحج ينبغي أن يصبح الدعاء رفيقاً لك في بلدك ، كلما واجهتك مشكلة ، أو ألمَّت بك مُلِمَّة أوشعرت بالضيق ، أو لاح لك شبحُ مصيبة ، أو أخافك إنسان ، أو أوقعك القلقُ في شعورٍ وحزن ، في هذه الحالات ادعُ الله عزَّ وجل . .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[سورة غافر : 60]

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجـــةً وسل الذي أبوابه لا تُحجَـبُ

الله يغضب إن تركتَ سؤاله وبُنَيَّ آدم حين يُسألُ يغضب

***

إنَّ العبدَ إنْ سألته يغضب ، أما الله عزَّ وجل فيغضب إن تركت سؤاله . فالطواف إلى صلاة ركعتين في مقام سيدنا إبراهيم ، وأكثر الحجَّاج يصرون على أن يصلُّوا خلف المقام ، وفي أيام الطواف الشديد يصبح هذا المصلي عقبةً كؤودًا أمام الطائفين ، مع أن العلماء أجمعوا على أن أي مكانٍ في الحرم المكي الشريف صالحٌ لصلاة ركعتين بعد الطواف ، فهناك أشخاص يضعون حواجز من أجل أن يصلي بعضهم في هذا المقام في ازدحام وتعسر ، فهذا الذي يذهب إلى هناك من دون فقه يؤذي المسلمين كثيراً . فأنا اصبحت أُلِحّ كثيراً على أن الإنسان ينبغي أن يفحَص قبل أن يذهب إلى الحج هل تعرف مناسك الحج وواجباته وأركانه

والسنن المُستحبات ؟ فمن أجل أن يفعل سنة يرتكب معصية كبيرة ، أهكذا الحج ؟ من أجل أن تُقَبِّل الحجر تؤذي عشرات المسلمين ، أبهذا أمرك النبي عليه الصلاة والسلام ؟ فلذلك : " تفقهوا قبل أن تحجوا" .

حاجة الحج إلى إعدادين فقهي و نفسي :



قلت في نفسي : إن الحج يحتاج إلى إعدادين ؛ إعداد فقهي ، وإعداد نفسي، فالإعداد الفقهي يجب أن تدرُسَ أحكام الحج الكُبْرَى والفرعية ، إلى أن تصل إلى دقائق الأعمال لأنك هناك قد تواجه مشكلة ، ما حكمها ؟ أعليها دم ؟ أهي سنةٌ أم هي واجبٌ ؟ هل عليَّ شيءٌ أم لا شيء عليَّ ؟ هذا الأمرُ ينبغي أن يكون واضحاً عند كل أخ ، فلا بدَّ من أن يتلقَّى دروساً مكثفةً في أحكام الحج ، وأركانه ، وواجباته ، وسننه ، ومستحبَّاته ، وآدابه ، وحكمته ، من أجل أن تكون هذه المعلومات زاداً للأخ الذي يحجُّ البيت ، أما الإعداد النفسي فأنْ تكون قد أَنَبْتَ إلى الله إنابةً صحيحة ، وتبتَ إليه من كل الذنوب ، فتوبتك واستقامتك ، وعملك الطيِّب وتحرّيك المالَ الحلالَ هو الإعدادُ النفسي للحج ، لذلك قال الله عزَّ وجل في الحديث القدسي :

((إذا أصححت لعبدي جسمه ، ووسعت عليه في المعيشة ، فأتت عليه خمسة أعوام لم يَفِدِ إليَّ لمحروم))

[البيهقي في السنن الكبرى ومسند أبي يعلى والترغيب والترهيب للمنذري]

إضافة الله عز وجل إلى ذاته النبي و البيت الحرام و الكعبة :

الإمام البوصيري رضي الله عنه قال واصفًا النبي عليه الصلاة والسلام :

خفضت كل مقامٍ بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المُفْرَدِ العلم

* * *

في هذا البيت حقيقتان ؛ أولاً : في القرآن آيةٌ واحدة أضاف الله عزَّ وجل النبي عليه الصلاة والسلام إلى ذاته، قال تعالى :

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾

[سورة الجن : 19]

من هو عبد الله ؟ إنه النبي عليه الصلاة والسلام ، أضافه اللهُ إلى ذاته ، لذلك قال البصيري :

خفضت كل مقامٍ بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المُفْرَدِ العلم

***

وقد خاطب الله عزَّ وجل الأنبياءَ بأسمائهم صراحةً ، فناداهم بأسمائهم . .

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾

[سورة مريم : 7]

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

[سورة المائدة : 116]

لكن الله عزَّ وجل لم يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام إلا باسمين ؛ يا أيها النبي، ويا أيها الرسول ، ولم يقل له : يا محمد ، ولقد ذكر اسمَه في معرض الإخبار ، لا في معرض النداء ، فقال تعالى :

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾

[سورة الفتح : 29]

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

[سورة الأحزاب : 40]

أما إنّه لم يقل له : يا محمد . .

خفضت كل مقامٍ بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المُفْرَدِ العلم

***

وقياساً على هذه الحقيقة ، فقد أضاف الله عزَّ وجل البيت الحرام إلى ذاته فقال :

﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

[سورة البقرة : 125]

إذاً الكعبة المُشَرَّفة أضيفت إلى الله عزَّ وجل ، فهي أقدس مكانٍ على وجه الأرض.

الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة :

ثم إن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة ، وهذا الشيءُ – سبحان الله – ملموسٌ لأنّ الإنسان أحياناً حتى تنعقد الصلة يحتاج إلى بذل جهد كبير ، وهناك في بيت الله الحرام بجهدٍ بسيط تنعقد هذه الصلة ،

فكأن الله عزَّ وجل أزال الحُجُب ، وكما يقول الله عزَّ وجل في الحديث القدسي عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر :

((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

وكأن الله سبحانه وتعالى هنا نزل إلى السماء الدنيا ، وخاطب عباده فغفر لهم ورحمهم ، وقذف في قلبهم النور ، وتجلَّى عليهم ، فسَعِدوا وأسْعَدوا . فلا أريد أن أطيل عليكم ، فمن ذاق عرف ، ومن سار على الدرب وصل ، ومن توجَّه إلى بيت الله الحرام فلا بدَّ أن يعود وقد امتلأ قلبه محبةً لله عزَّ وجل .

يوم عرفات أشرف يوم في السنة :

هناك شيء آخر أنّ الله عزَّ وجل في عرفات يُباهي الملائكَةَ ، فيقول : "انظروا عبادي ، جاؤوني شعثاً غبراً ، فاشهدوا أني قد غفرت لهم "



فلا يستطيع الإنسان بعرفات أن يكون في حالة غفلةٍ ، لأن هذا اليوم أشرف يومٍ في السنة ، فأشرف الشهور رمضان ، وأشرف أيام السنة يوم الموقف . . عرفات . . وأعظم أيام الأسبوع يوم الجمعة ، فالجمعة أشرف أيام الأسبوع ، ورمضان أشرف أشهر السنة ، والموقف في عرفات أشرف أيام السنة قاطبة ، فلذلك حينما يأتي الإنسانُ وكأن عرفات موعد اللقاء الأكبر مع الله عزَّ وجل . .

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾

[سورة البقرة : 198]

كما هداكم إليه ، فهذه المناسك المتنوعة ؛ من طوافٍ ، إلى سعيٍ ، إلى صلاةٍ ، إلى وقوفٍ في عرفة ، إلى وقوفٍ في مزدلفة ، إلى رمي الجمار ، هذه المواقف المتعددة جعلها الله عزَّ وجل مناسبةً كي تقبل عليه منها، فإذا وصل الإنسان إلى رمي الجمرات ، وقد سألني أخ كريم فقال لي : والله أنا لما حججت لم يستقِم الرميُ معي ، بعض الحصيات وصلت ، وبعضها لم يصل ، بعضُها كبير ، وبعضُها صغير ، يا ترى يصح رجمي ؟ سبحان الله ، خطر ببالي هذا الخاطر فقلت له : لو اخترت حصيات من وزنٍ واحد ، وكان الوزن مناسباً ، ووقفت أمام مكان الرمي ، ورميت وفق الأصول الشرعية مئةً في المئة ، وأصبت المرمى إصابةً صحيحة ، وعدتَ إلى بلدك ، وعصيت الله عزَّ وجل ، فإن الشيطان هو المنتصر ، فمهما أتقنت رمي الجمرات وعصيت الله عزَّ وجل فالشيطان هو المنتصر ، فإذا أطعتَ الله عزَّ وجل بعد الحج ، فأنت المنتصر ، لذلك قال الإمام الغزالي : " لا يحصل إرغام أنف الشيطان إلا بطاعة الله " .

فأنت مِن الآن إذا أردت أن ترغم أنفه من دون أن ترجمه فأطع الله عزَّ وجل وأنت في بلدك ، وانتهى الأمر، طاعتك لله عزَّ وجل وأنت في بلدك إرغامٌ لأنف الشيطان ، عليه لعنة الله .

شيءٌ آخر ، أن الإنسان حينما يرجم الشيطان يشعر أن هذه المعرفة التي حَصَلَت له تقتضي معاداة الشيطان، وهذه المعرفة التي حصلت له من لوازمها الحقيقية أن تعاديَ الشيطان ، وأن تبعدهُ عنك ، وعن خواطرك ، وسلوكك ، وعاداتك ، وعن كل أعمالك اليومية ولا أملك إلا أن أقول لكم : من ذهب إلى بيت الله الحرام مخلصاً بهذا الذهاب ، ومن أحرم من الميقات ، وضبط نفسه . .

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة : 197]

ومن سعى وطاف وصلى ووقف ورمى ، وأقام بمنى ، فهذه المشاعر لا بدَّ أن تكون بالنسبة إليه معالم الهُدَى التي ينتظرها من الله عزَّ وجل ، وبعد الحج إذا توجَّهَ إلى الحرم النبوي الشريف ، فالمشاعر هناك من نوعٍ آخر ، أي إن هذا الهدى كان على يد النبي عليه الصلاة والسلام .

من وقع في ضيق فوقف أمام قبر الرسول أكرمه الله :

قلت لكم يوم الجمعة في الخطبة أن العتبي وهو أحد التابعين كان في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام أمام حجرته الشريفة ، فجاء أعرابي وسلم على النبي عليه الصلاة والسلام وقال : أشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغمة ، وجاهدت في الله حق الجهاد ، وبعدها قال : يا رسول الله سمعت الله يقول :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 64]

وهأنذا يا رسول الله قد جئت إليك فاستغفر لي الله عزَّ وجل ، يروى أن هذا التابعي الجليل العُتبي أدركته سنةٌ من النوم ، فنام ، فرأى النبي عليه الصلاة والسلام يقول له : يا عُتبي الْحَقْ الأعرابيَّ وبشّره أن الله قد غفر له ، يقول العالم ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 64]

هذه الآية تَصِحُّ بعد وفاة رسول الله ، فتصحُّ في حياته ، وتصح بعد مماته ، فكل إنسانٍ ضاقت به الدنيا ، وضعفت حيلته ، أو أخافه شيء ، أو أقلقه شيء ، إذا ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وتلا هذه الآية:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 64]

هذا الأعرابي قال بيتين من الشعر :

يا خير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنـــــت ساكنــه فيــه العفاف وفيه الجود والكرمُ

* * *

وقد سمعت من أناس كثيرين واللهِ وهم صادقون أنَّ أشياء كثيرةِ أقلقتهم ، فلما وقفوا أمام قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وتلوا هذه الآية ، واستشفعوا به ، فَرَّجَ الله سبحانه وتعالى عنهم كربهم ، وما هم فيه . وتعليل هذه القصة أن الأب أحياناً يريد أن يقيم علاقةً طيبةً بين ابنه وأمه ، فإذا سأل الابن أباه شيئاً فإنَّه يُمَكِّن الأمَّ من تلبية هذه الرغبة ، وبهذا تنمو العلاقة الطيّبة بين الأم وابنها ، فالله سبحانه وتعالى إذا وقع الإنسان في ضيق ، فوقف أمام هذا القبر العظيم ، أمام مقام رسول الله عليه أتم الصلاة و التسليم ، فإنّ الله يكرمه إكراماً لهذا النبي ، لذلك أنا حيٌ طري في قبري وقال : حياتي خيرٌ لكم ومماتي خيرٌ لكم .

والحمد لله رب العالمين

2-2 الحج ركن من أركان الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتَّصَلَت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بِخَبر . اللَّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين، اللَّهمّ ارْحمنا فإنّك بنا راحِم ، ولا تعذّبنا فإنّك علينا قادر ، والْطُف بنا فيما جرَتْ به المقادير ، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير ، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزِدْنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتّبعون أحْسنه، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الحج ركن من أركان الإسلام :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قبل أن نبدأ موضوع الخطبة لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ مجتمع المسلمين ، ومجتمع المؤمنين مجتمعٌ منظَّم ، فعلى مستوى المسجد وعلى مستوى خطبة الجمعة ، تجدُ القسم الجنوبي مكتظّا بالأخوة المُصلّين ، بينما القسم الآخر يكادُ يكون فارغًا ، الذي أتمنَّاهُ عليكم في كلّ خطبة أن يبقى ممرّ من الأيْمَن ، وممرّ من الأيْسَر ، كي يصل الأخوة المصلّون إلى القسم الجنوبي من هذا المسجد ، حتى لا يكون هناك مكانٌ مكتضّ ، ومكانٌ فارغ ، دَعُوا ممرًّا في هذا المجال ، وممرًّا في هذا المجال كي يصل الأخوة إلى هذا المكان الذي يكاد يكون فارغًا .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الموضوع المتسلْسِل الذي نحن بِصَدَدِه هو تربيَة الأولاد ، قُطِعَ في الأسبوع الماضي بِسَبب الخطبة المنقولة ، وهأنذا أقْطَعُهُ مرَّةً ثانيَة بسبب قُرْب موْسِمِ الحجّ ، فنحن على مشارف ذي الحجّة أو بدأنا فيه ، ولمْ يبق للوُقوف بِعَرفة إلا عدة أيام .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الحجّ كما تعرفون جميعًا رُكْنٌ من أركان الإسلام ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

لذلك يُعَدُّ الحجّ فرْضَ عَين يُكفَّرُ جاحدُه ، ويُفسَّقُ تاركُهُ ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان))

[البخاري وابن خزيمة عن عبد الله بن عمر]



لكنّ حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ، بينما الصلاة والصّيام ، الصّيام على المقيم الصحيح ، والزكاة على الغنيّ ، والشهادة مرّة واحدة ، ما الفرْض المتكرّر الدائم الذي لا يسقطُ بِحَال ؟

الصلاة ، الحجّ لِمَن استطاع إليه سبيلاً ، والزكاة على الغنيّ الذي يملكُ النّصاب، والصوم على المقيم الصحيح ، والشهادة مرّة واحدة ، أما الفرْضُ المتكرّر الذي لا يسقط بحال ، لا في الصحّة ولا في المرض ، لا في الإقامة ولا في السّفر ، لا في السِّلْم ولا في الحرْب ، لا في الصِّغَر ولا في الكِبَر ، فإنه الصلاة ، لأنّها عمادُ الدِّين ، فمن أقامها فقد أقام الدِّين ، ومن هَدَمها فقد هدَمَ الدِّين ، ولا خيرَ في دينٍ لا صلاة فيه ، وما قولكم في أنَّ الحجّ إنَّما فُرِضَ مِن أجل إحكام الصِّلة بالله عز وجل ، والصوم إنَّما فُرِضَ مِن أجل إحكام الصِّلة بالله عز وجل، والصلاة والزكاة إنَّما فُرِضَتْ مِن أجل إحكام الصِّلة بالله عز وجل ، تكادُ تكون الصّلاة هي كلُّ شيءٍ ، لأنّ الحجّ من أجلها ، والصوم من أجلها ، والزكاة من أجلها ، والصلوات من أجل الصلاة ، والشهادة من أجل أن تعرف أنّهُ لا إله إلا الله فَتُقْبِلَ عليه .

مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى :

فيا أيّها الأخوة المؤمنون ؛ الحجّ فرْضُ عيْنٍ على كلّ مسلم لقول الله عز وجل :

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

أما بُنِيَ الإسلام على خمْسٍ فهذا الحديث المعروف المشهور ، الذي لا يجهلهُ مُسلم فيه إشارةٌ دقيقة إلى أنّ الإسلام بناءٌ عظيمٌ ، بناءٌ أخلاقيّ في الدرجة الأولى ، الإسلامُ صِدق ، الإسلام أمانة ، الإسلام تواضُع ، الإسلامُ إنصاف ، هذا البناء الضّخم أساسهُ أركان الإسلام ، لا تستطيعُ أن تكون أخلاقيًّا إلا إذا اتَّصَلْتَ

بِمَصْدر الأخلاق ، إنّ مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى ، فإذا أحبّ الله عبْدًا منَحَهُ خلقًا حسنًا ؛ لأنّ الخلق الحسَن هو العمل الصالح ، والعمل الصالح سببٌ في دُخول الجنّة ، وليس ثمنًا لها ، لأنّ الجنّة بِفَضْل الله عز وجل ، والنار بِمَحض عدْل الله عز وجل ، ولكنّ العمل الصالح ففي قوله تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف: 110]



لن تستطيع أن تكون كاملاً إلا إذا اِتَّصَلْتَ بِمَنْبع الكمال ، لن تستطيع أن تكون محْسنًا إلا إذا عرفْت الله عز وجل ، لن تستطيع أن تكون منْصِفًا ومتواضِعًا ، أن تكون عفيفًا، أن تكون نزيهًا ، إلا إذا عرفت الله ، فمكارمُ الأخلاق مجموعةٌ عند الله ، فإذا منحَ الله عبدًا منحَهُ خلقًا حسنًا ، ومتى يحبّ الله العبْد ؟ إذا أقبلَ عليه ، ومتى يقبلُ عليه ؟ إذا عرفه ، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف: 110]

ثمَنُ اللِّقاء العمل الصالح ، هذه حقيقةٌ طبِّقْها ، لا أقول جرِّبها ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يُجرَّبُ ولا يُشارط، اعْمَل عملاً صالحًا خالصًا لوجْه الله عز وجل ، من دون أن تظهرهُ ، من دون أن تُشيعهُ بين الناس ، اعْمَلْهُ وانتظِر كيف أنّ الله سبحانه وتعالى يُقبلُ عليك ، كما قلتُ في الخطبة السابقة : العمل المشترك لا يقبلهُ الله عز وجل ؛ الذي فيه شِرْك ، والقلب المشترك لا يُقْبِلُ الله عليه ، فيه شِرْك .

الحجّ مرّة فمن زاد فهو تطوّع :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ عن ابن عباس أن الأقرع بن حابس سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : الحج في كل سنة أو مرَّة واحدة ؟ قال :

((بل مرةً واحدةً ، فمن زاد فهو تطوع))

[أبو داود عن ابن عباس]

ولو أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام سنَّهُ كلّ عام لكان شيئًا فوق طاقة أُمَّته ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في سنَّته المطهّرة ، وفي الحديث الصحيح ، وفي إجماع الأئمّة أنّ الحجّ مرّة فمن زاد فهو تطوّع . يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مثلٌ أنْتَزِعُهُ مِن نِظام الامتحانات ، لو أنّ الطالب ركَّزَ جهده كلّه على مادّة واحدة، فنال بها العلامة التامّة ، والمواد الأخرى لمْ ينْجَح بها ، هذا الطالب لا ينْجح في هذا العام ، العِبرة أنْ ينجح، وينتقل إلى صفّ أعلى ، كذلك هذا الذي يُضَيِّع الحقوق ، يقصِّرُ في واجباته ، ويركِّزُ على فريضةٍ واحدة ، قد نقول له : الأولى أن تؤدّيَ ما عليك من حُقوق ، وتؤدِّيَ ما عليك من واجبات ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يريد منك التوازن ، أن تُعْطِيَ كلّ ذي حقٍّ حقّه ، أن تعطِيَ أولادك حقّهم ، أهلك حقّهم ، مجتمعَكَ حقّه ، جيرانك حقّهم، زبائنك حقّهم ، من لهم صلة بك حقّهم ، لابدّ من التوازُن ، فالله سبحانه وتعالى لا يقبلُ نافلةً أدَّتْ إلى ترْك واجبٍ .

التعجل إلى الحج :

شيءٌ آخر ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((تعجلوا إلى الحج ، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له))

[رواه أحمد عن ابن عباس]

وتَرَوْنَ معي أنَّه كلّما مرَّت السنون والأعوام وُضِعَتْ قُيودٌ جديدة على حُجّاج بيت الله الحرام بِسَبب الكثْرة الكاثرة ، والازدِحام الشديد ، فإذا كان هذا العام قد تيسَّر لك الحجّ فتعجَّل لأنّك لا تدري ماذا يعرضُ لك ، ويعرضُ لِنِظام الحجّ في العام القادِم :

((تعجلوا إلى الحج ، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له))

[رواه أحمدعن ابن عباس]

حِكَم الحج :

أيها الأخوة الأكارم ؛ للحجّ فوائد عظمى ، وآثارٌ كبرى ، كيف لا وهو أمرٌ إلهي ؟ والذي خلقَ الكون خلقهُ في أحْسن نِظام ، وأبدعهُ في أبدع نِظام ، هذا أمْرُه ، وكمال الخلق يدلّ على كمال الأمْر ، هذا الكون خلْقُه ، وهذا الحجّ أمْرُه .



فلا بدّ من أن يكون في الحجّ فوائد كبرى، وحِكَمٌ عظمى ، لأنّه هنا يفترق الحجّ كعِبادة عن الوَثَنِيَّات والطّقوس التي عُرِفَت في الديانات الأخرى التي لا أصل لها ، إذا كان الدِّين الإسلامي دين الله عز وجل ، إذًا أوامرُه من عند الخالق ، والخالق عليمٌ حكيم ، فلا بدّ من أن نسْتنبطَ من فوائد الحجّ ما لا سبيل إلى حصْرِهِ، لكنّ الإنسان مأمورٌ أن يؤدِّيَ هذه الفريضة ، أَعَرَفَ الحِكْمة أم لمْ يعْرفها ، ولكن إذا عرف الحِكمة بل إنّ بعض العلماء يقول : إذا بِدافعِ عبوديتِك أدَّيْت الأمر الإلهي كما يريد كشفَ الله لك حِكمتَهُ مكافأةً لك .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من أولى حِكَم الحجّ أنّه برهان عمليّ لك ، دائمًا الإنسان قلق ، يحبّ أن يعرفَ مكانةُ عند الله تعالى ، يحبّ أن يعرف ما له عند الله ، فالله سبحانه وتعالى ورسوله يجب أن يكونا أحبَّ إليك من أهلك ومالك وولدك والناس أجمعين ، لا يؤمن أحدكم كما ورد في الحديث الصحيح :

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَحَتَّى يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي كُفْرٍ بَعْدَ إِذْ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))

[أحمد عن أنس بن مالك]



فإذا تركْتَ بيتَكَ ، وترَكْتَ أهلك ، وتركْتَ ولدك ، وتركْت مالك ، وتركْت متْجرك ، وتركْت وظيفتك ، وتركْتَ مكانتك ، وتركْت كلّ الذي حصّلتهُ في هذه الدّنيا ، وذهبْت إلى بيت الله الحرام ، حيث الحرّ الذي لا يُطاق ، وحيث الازدحام الشديد ، وحيث النّفقات ، ماذا فعلْت أنت ؟ أنت برْهَنْتَ لِنَفْسِكَ قبل كلّ شيء أنّ الله ورسوله أحبّ إليك من أهلك وولدك ومالك والناس أجمعين ، كيف أنّ الصّيام عبادة الإخلاص ، وأنت في البيت وحدكَ تمتَنِعُ عن شرْبة ماءٍ باردة ، لا يراك أحد إنَّما تمْتَنِعُ عن هذه الشَّرْبة امْتِثالاً لأمْر الله الذي يراك ، كذلك الحجّ برهانٌ لك على أنّ الله ورسوله أحبّ إليك من أهلك ومالك وولدك ، من مالك لابدّ من إنفاق المال هناك ، من أهلك لابدّ من ترْكهم ، من ولدك لابدّ من مُفارقتهم ، من عملك لابدّ من ترْكِهِ.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الحِكمة الأولى ، لذلك شاء الله عز وجل أن يكون بيتَهُ في منطقةٍ حارّة ، وشاءَتْ حكمتهُ أن يكون الحجّ في وقتٍ واحدٍ ، فلابدّ من أن يتَّجِهَ مليون أو أكثر إلى مكانٍ واحد ، وأن يسْعَوا ، وأن يطوفوا ، وأن ينتقلوا إلى عرفات ومنى في وقتٍ واحد، وهذا ما فيه من المشقّة من أجل أن تعرف أنَّك آثرْت الله على كلّ شيءٍ ، هذه بعضُ فوائد الحجّ .

الحجّ رِحلةٌ إلى الله عز وجل :

شيءٌ آخر أيّها الأخوة ، هذه الرّحلة إلى الله عز وجل ، الله سبحانه وتعالى أضافَ البيت إلى ذاتِهِ ، قال تعالى :

﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾

[سورة البقرة : 125]

أضاف البيت إلى ذاته ، وأمرنا أن نتَّجِهَ إليه ، فكأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نذهب إليه ، فكأنّ الحجّ في أعْمَقَ مَدلولاته رِحلةٌ إلى الله عز وجل :

((إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زواري فيها هم عمارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني ، وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري]

إذا انتقلت من بيتك إلى مسجدٍ جانب البيت حُقّ على الله عز وجل أن يُكرمَك ، تعود من هذا المسجد بآيةٍ لم تكن تعرفها من قبل ، تعودُ بحديث نبويّ شريف ، تعود بآيةٍ كوْنيّة زادَتْ معرفتَكَ بالله عز وجل ، تعودُ بانْشِراح صدْرٍ ، تعود باسْتقرار نفسٍ ، تعود بشُعور الطاعة، وبِشُعور أنّ الله يحبّك ، إذا زُرْتَ مسجد حيّك ، واسْتَمَعْت إلى درس علْمٍ ، أو خطبة جمعة ، نِلْتَ ما نلْتَ في هذا اللّقاء إذا كان خالصًا لِوَجه الله تعالى فكيف إذا تركْت البلاد ، وتركْت أهلك وأولادك وأموالك ومكانتك ووظيفتك ، وتحمَّلْت المشاقّ الكبيرة من أجل أن تلبِّيَ دَعوة الله عز وجل ؟ ماذا ينتظرُكَ في البيت الحرام ؟ ماذا ينتظرُك في عرفات ؟ ماذا ينتظرك في المسْعى ؟ ماذا ينتظرك في مِنى ؟ ماذا ينتظرك عند النبي عليه الصلاة والسلام ؟ من ذهب إلى الحجّ وذاق لذّة القرب ، وحلاوة المناجاة ، وصِدْق الإقبال على الله عز وجل ، والشُّعور بأنّ الله عز وجل قد قبلَهُ وغسلَهُ من ذنوبه وخطاياه ، هذا الشُّعور لا يعرفُه إلا من ذاقَهُ .

الحج تدريب على الرحلة الأخيرة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ كلّنا إلى الموت صائرون ، ولا شكّ في هذا ، ولكن قد يأتي الموت من دون أن تستعدّ له ، وهذه مصيبة المصائب ، أن يأتِيَ بغْتةً وأنت لسْتَ مسْتَعِدًّا له ، لذلك كأنّ الحجّ فرضَهُ الله عز وجل لِيَكون تَدريبًا على الرّحلة الأخيرة ، هذا الحجّ رِحلةٌ قبل الأخيرة ، لماذا ؟ تخْلعُ ثيابك ، والثّياب لها معنى كبير ، الإنسان يتيهُ على الناس بِثِيابِهِ ، ثيابُ الإنسان تُنبئ عن مركزِهِ المالي ، أو عن مركزه الاجتماعيّ ، لِكُلّ مهنةٍ ، ولكلّ وظيفةٍ راقيَةٍ ثيابٌ تتناسبُ معها .



ففي الحجّ يجبُ أن تخْلعَ ثيابك ، أيْ تتخلّى عن مركزك المالي ، وعن مكانتك الاجتماعيّة ، لا ترتدي إلا ثوْبَي الإحرام ، هذا المعنى الأوّل ، المعنى الثاني لا ترتدي شيئًا على رأسك ، لا شيءَ يسْترُ قدمك ، لا تستطيعُ أن تتطيَّب ، لا تستطيعُ أن تقصّ أظافرك، إذًا تدريبٌ على التخلّي المفاجئ على كلّ ما في الدنيا ، رِحلةٌ أخيرة ، ترْكٌ للدنيا كلّها ، الأشياء المُباحةُ في بلدك ؛ العِطرُ ، الطِّيبُ ، الصابون المطيّب ، أن تحلقَ رأسك ، أن تقلّم أظافرك ، أن ترتدي ثوبًا مخيطًا ، وثوبًا مريحًا ، هذا كلّه ممنوعٌ في الحجّ ومن مَحظورات الإحرام ، لماذا ؟ أنْ يا عبدي لابدّ من تَرْك الدنيا كلّها ، كأنّ الحجّ تدريبٌ مبكّر ، إنذارٌ مبكّر على أنّ الدنيا لا بدّ من أن تُتْرَكَ ، إذًا يمكن أن نُسمّي الحجّ : الرحلة قبل الأخيرة .

شيءٌ آخر ، ربّنا سبحانه وتعالى جعَلَ الناس في الدنيا مراتب ، هناك مراتب بِحَسب الدّخول ، وهناك مراتب بِحَسب الوظائف ، وهناك مراتب بِحَسب الإمكانات الاجتماعيّة ، الناس جميعًا في الحجّ غَنِيُّهم وفقيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، قويُّهم وضَعيفهم ، أعلى مَن فيهم وأدنى من فيهم سواسيَةٌ كأسنان المِشط ، وهذا يذكِّرُك بِيَوم الحشر ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[سورة الأنعام: 94]

تقف بين يدي الله عز وجل لا شأن لك إلا عملك الصالح ، عشيرتك ، جماعتك، من حولك ، مالك ، بيتك ، من هم فوقك ، جميعًا تَخَلَّوا عنك ، فيا أيها الأخوة المؤمنون دعوا في أذهانكم أنَّ الحجّ تدريبٌ على الرّحلة الأخيرة ، على رحلة الآخرة التي لا عوْدَةَ منها إلى الدنيا ، والحجّ نموذجٌ عملي ليوم الحشر ، يوم يقوم الناسُ لربّ العالمين ، والحجّ برهانٌ على أنّك تحبّ الله ورسوله أكثرَ مما تحبّ أهلك وأولادك ومالك والناس أجمعين.

الحج عبادةٌ شعائريّة وماليّة وبدَنِيَّة :

هناك شيءٌ آخر ، هذه العبادة التي وُصِفَت بأنَّها عبادة بدنِيَّة ، تحتاجُ إلى جهدٍ كبير ، وعبادةٌ ماليَة تحتاجُ إلى إنفاق مال ، وعبادةٌ شعائريّة لا بدّ من دُعاءٍ خاصّ ، ووقْفةٍ خاصّة ، ومَسْعى خاص ، وتوازن خاص ، عبادةٌ شعائريّة وماليّة وبدَنِيَّة ، هذه العبادة كأنّها تُعَوِّدُ المؤمن الصّبْر ، تُعَوّدُهُ تحمُّل المشاقّ ، وتعوّدُه خُشونة العَيش ، تُعَوّدُه أن يكون جاهزًا للجهاد في سبيل الله .

الحج تعريف بالجهد الكبير الذي بذله النبي لنشر الدعوة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيءٌ آخر في الحجّ ، هو أنّ الإنسان إذا ذهب إلى هناك، ورأى الكعبة المشرّفة ، حيثُ طافَ النبي حولها ، وحيثُ بناها سيّدنا إبراهيم عليه وعلى نبيّنا أفضلُ الصلاة والسلام ، أو أتمّ بناءها، أو جدَّد بناءها لقوله تعالى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران : 96]

وحيثُ المَسعى بين الصفا والمروَة ، وحيث جبل الرحمة في عرفات ، النبي وأصحابُه الكرام طافوا حول البيت، وسَعَوا بين الصفا والمروَة ، ووقفوا في عرفات ، وباتوا في مِنى ، إذا رأيْتَ الأماكن المقدَّسة صارَتْ في نفْسِكَ العواطف التي ينبغي أن تثور في نفسِ كلّ مؤمن ، كيف بدأت الدعوة ؟ وكيف بدأها النبي عليه الصلاة والسلام وحدهُ ؟ كيف عارضَهُ المشركون ؟ كيف آذَوْهُ ؟ كيفَ أخرجوه ؟ كيفَ هاجَرَ إلى المدينة ؟ طريقُ الهِجرة أربعمئة وخمسون كيلو متراً في حرّ الهاجرة قطَعَها النبي عليه الصلاة والسلام من أجل الدعوة إلى الله عز وجل ، ماذا بذلنا نحن ؟ إذا رأيْتُم الحرّ الشديد هناك تعرفون ما في السيرة من جُهْدٍ جهيدٍ بذلهُ أصحابُ النبي في الغزوات ، وفي التنقّل ، وفي الهِجرة .

الفرق بين الحاج و السائح :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قد يسأل سائلٌ لماذا المشَقَّة ؟ ولماذا الازْدِحام ؟ ولماذا هذه النّفقات؟ والجواب ؛ لِيَكون هناك فرْقٌ بين الحاجّ الذي يبتغِي بِحَجِّه رِضوان الله عز وجل ، وبين السائِح الذي يبتغي من رحلتِهِ المتْعَة والنُّزْهة ، فهناك يسْعَدُ الحاجّ سعادةً لا توصَف إذا كان مخلصًا لله في حجّه ، وهذا يعرفُه كلّ أخٍ حجّ البيت واعْتَمَرَ ، وأما الذي يذهبُ إلى هناك لِيَجِدَ المكان اللّطيف ، والخدمات الجيّدة ، ويجدُ ما يحتاجهُ السائحُ من رفاهٍ ، إنَّه لن يجِدَ من هذا شيئاً لأنّه اخْتلَّت عندهُ النيّة التي أرادها الله عز وجل أن تكون خالصةً إليه .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا فلْنَتَّخِذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتْبَعَ نفسه هواها ، وتمنّى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

كل شيء خلق بقدر من لدن حكيم عليم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربّنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم :

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

[سورة القمر : 49]

هناك تقدير دقيق في كلّ شيءٍ خلقه الله عز وجل ، هذا المعنى يُستنبطُ أيضًا من قوله تعالى :

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

إضافةً لِمَعنى الحق إنّه الشيءُ الثابت الذي لا يزول موازنةً له مع الباطل الذي يزول :

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

[سورة الحجر : 85]

معنى آخر للحق ، هو الشيءُ الهادف الذي يتناقضُ مع العبث ، قال تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾

[سورة الأنبياء : 16]

والمعنى الثالث أنَّ الشيء الذي خلقَ بالحق ، أيْ قُدِّرَ تقديرًا دقيقًا من لدُنْ حكيمٍ عليم خبير .



صمم الله الحنجرة لتكون جهاز الصوت في الإنسان

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الحنجرة التي هي جِهازُ الصوت عند الإنسان ، ضبْطُها في اللّغة حَنْجَرَة لا حُنْجُرَة كما يلفظها عامّة الناس ، هذه الحَنجرة التي خلقها الله عز وجل وصمَّمَها لتكون جهاز الصوت في الإنسان ، يقول الأطبّاء : إنّ فتْحة الحَنْجرة قد قُدِّرَت تقديرًا دقيقًا جدًّا بحيثُ لو اتَّسَعَت أكثر مِمَّا هي عليه لاختفى صوت الإنسان ، ولو ضاقَتْ أكْثَر مِمَّا هي عليه لأصْبحَ التنفّس عسيرًا ، إما أن يكون التنفّس مريحًا ويختفي الصوت ، وإما أن يكون الصوتُ واضحًا ويصعُب التنفّس ، أما أن تكون فتْحةُ الحَنجرة مدْروسةً دِراسةً دقيقةً في لغتنا ، أو من تَصميم حكيم عليم قدير ، بحيثُ لو أنَّها اِتَّسَعت أكثر مِمّا هي عليه بقليل لاختفى الصّوت ، ولو ضاقَت أقلّ مِمَّا هي عليه بِقَليل لأصبحَ التنفّس عمليَّةً شاقّة ، من جعَلَ هذه الفتْحة بهذا القَدْر ؟ إنَّ الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل : 88]

هذا ينقلنا أيها الأخوة إلى عتبات الحواسّ ، إنّ هذه العَين ترى ، وهي ترى بين عَتَبَتَيْن ، لو أنَّ الرؤية زادَت عن حدِّها الذي هي عليه لأصبَحَت حياتنا شقاءً ، إنّك إذا نظرتَ إلى كأس الماء الذي تشربُهُ الآن ، كأسٌ صافٍ عذبٌ فراتٌ رائِق ، لو أنّ عتَبَة البصر زادَتْ قليلاً ، ودقَّت أكثرَ مِمَّا هي عليه لرأيت في هذا الكأس العجَب العُجاب ، لرأيت الكائنات الحية والجراثيم غير الضارة والبكتريات بِعَدَدٍ لا يُحصى ، إنَّك لن تشربَ الماء ، ولرأيْتَ هذا الطّفل الصغير بِخَدِّه الأسيل كأنّه مغاراتٌ ونتوءات ، لذلك ربّنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

[سورة القمر : 49]

ولو أنَّ عَتَبَة السَّمْع ارْتَفَعَ مُستواها قليلاً لما أمْكنك أن تنام الليل ، لأنّ الأصوات كلّها تتلقّفها ، بل إنّ أصوات جهاز الهضْم وحدهُ تكادُ تكون كالمعمل الكبير ، جعل الله لك عتبةً خاصّة في السّمْع لا تزيدُ عن هذا الحدّ ، لو أنّ حاسّة اللّمْس زادَت لشَعَرْتَ بالكهرباء الساكنة التي تُحيل حياتك جحيمًا ، كلّ شيءٍ فيه كهرباء ساكنة ، إذا زادَت حاسّة اللّمس عن هذا الحدّ لأصبحَت الحياة لا تُطاق ، لو أنّ حاسّة الشمّ زادَت ، بعض الحيوانات حاسّة الشمّ عندها تزيدُ مليون ضعف عن حاسّة الإنسان ، غير أنَّ الله سبحانه وتعالى شقّ لنا السمع ، وأنشأ الأبصار والأفئدة ، وخلق حاسّة اللّمْس ، وحاسّة البصَر ، غير كلّ هذا إنّ هذه الحواس صُمِّمَتْ تصميمًا دقيقًا جدًّا من قِبَل الله تعالى .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

2-3 أركان الحج و العمرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً ، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه ، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

الحج رحلة روحية إلى الله تعالى :

أيها الأخوة الأكارم ؛ مع اللّقاء الثاني من دروس الحج ، ففي اللّقاء الأول تحدَّثنا عن آداب السَّفر ، والحج سفر إلى الله عز وجل ، ورِحْلةٌ روحِيَّة إلى الله تعالى ، وفي هذا اللِّقاء الحديث عن أركان الحج ، بهذا سَنَدْخل في صميم مناسك الحج .

أنتم لا يغْنيكم أركان الحج عند أبي حنيفة وعند الشافِعي ، فَكُلُّ حاجٍ عليه أن يؤدي الأركان والسُّنن والشروط، فأركان الحج عند أبي حنيفة الوُقوف بِعَرَفة ، وطواف الإفاضة ، فهي عنده – رحمه الله تعالى – رُكْنان ، والشيء الذي يُؤْلِمُ ألَماً كثيراً أنَّ حُجاجاً كثيرين عادوا إلى أوطانهم ولم يَطوفوا طَواف الإفاضة .

يا أيها الأخوة الأكارم ، إنَّ هذه العِبادة هي عِبادة العُمْر ، وهي فيه مَرَّة واحدة ، وهي من أرْقى العِبادات ، فلا بدَّ من أن تتَفَقَّهَ في مناسِكها وشُؤونها ودقائِقِها ، وهي عند الإمام الشافِعي الإحْرام ، والوُقوف بِعَرَفَة ، والطواف ، والسَّعْي ، والحَلْقُ أو التَّقْصير ، والترتيب بين الإحرام والوقوف والطواف ، فإذا قلنا : عند الشافعي سِتَّة ، وعند أبي حنيفة اثْنان ، فَكَيْفَ نُوَفِّقُ بينهما ؟ فهذه الأربعة تنْقلب عند الإمام الحنفي إلى واجِبات ، فكما قُلْتُ قبل قليل : لا يغْنيكم هذه الخِلافِيات فلا بُدَّ أن تُحْرِموا وتَقِفُوا بِعَرَفة وأن تطوفوا وأن تَسْعوا وتُحَلِّقوا أو تُقْصروا ، وأن تطوفوا طَواف الإفاضة ، إذاً نحن نَدْخل الآن إلى صميم الدَّرْس .

الإحرام في الحج :

أوَّلُ شيءٍ هو الإحْرام ، وفي الحقيقة من الأخْطاء الشائِعَة عند بعض الحُجَّاج أنَّهُ بِمُجرَّد أن يخْلع ثِيابه ويرْتدي ثِياب الإحْرام يظُنُّ أنَّهُ قد أحْرم ، لو تَصَوَّرْنا أنَّ إنْساناً دخل الحمام وخلع ثِيابه واغْتَسَل وارْتَدى

مناشِف ليتنَشَّفَ بها فهل أحْرم ؟ الإحْرام ليس هذا ، لكنَّ الإحْرام أساسه نِيَّةُ الحجّ والدُّخول فيه ، لأنَّ الحجَّ عِبادةٌ عظيمة ، فإذا بدَأْتَ بِها كان عليك إتْمامها لِقَوْل الله عز وجل :

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[سورة البقرة : 196]

فهي عِبادة من أرْقى العِبادات ، فَبِمُجَرَّد أن تبدأ بها عليك إتْمامها ، وهناك تَلْبية خاصَّة فيما إذا كان الحاج أصابه أمْرٌ قاهِر ، كما حصل في العام الماضي ؛ أُناسٌ كثيرون ما تمَكَّنوا أن يَقِفوا في عَرَفَة ، فما حُكْمهم ؟ بعد قليل نَصِل إلى هذا الموضوع . فالإحرام نِيَّةُ الحجّ والدُّخول فيه ، وليس هو مُجَرَّد خَلْعِ الثِّياب ، ولُبْس الإزار والرِّداء ، وثمة مُلاحظات ، فَبَعْضُ الحُجاج يحْرِمون من بُيوتِهم ، وهذا جائِز ، إلا أنَّني لا أنْصَحُهُم أن يفْعلوا هذا ، لأنَّك إذا أحْرَمْتَ من بيْتِك ، ولِسَبَبٍ قاهِر لم تتمَكَّن من السَّفَر ، فأنت مُحْرِم ، وتُطَبَّق عليك كُلّ مَحْظورات الإحرام ، لذلك لا تُحْرِم إلا وأنت في الطائِرَة ، وهناك حُجاج أحْرموا ولم يتيسَّر لهم الحج ، فعادوا إلى بُيوتِهم ، وظنُّوا أنَّ الحج أُلْغي ، فالْتَقوا مع زوْجاتِهم ، وقد فعلوا كبيرة من كبائِر الحج ، إذاً لا تُحْرِم إلا وأنت في الطائِرَة ، من أجل أن تضمن أنَّ الإقْلاع قد حصل ، لكن بالمناسبة هناك طَيَّارون لا يعْبَؤون بِمَناسِك الحج ، ولا يُبَلِّغونهم الميقات فأنا أنْصَحُكم نصيحة ثانِيَة ، وهي أن تُحْرِموا بعد نِصْف ساعة من إقْلاع الطائِرَة ، أما الإحرام الصحيح فهو بعد ساعة .



الآن نتحَدَّث عن الإحْرام من دمشْق ، أو من المدينة فهو واحد ، الإحرام أيها الإخوة له ميقات زماني وله ميقات مكاني ، فأما الميقات الزماني فهُوَ شَهْرُ شوال وذو القِعْدة وعَشْر ليالٍ من ذي الحجَّة ، ولا يَصِحُّ الإحرام قبل هذه الأشْهر ، ولا بعدها إذْ يكون الحج قد انتهى ، ولو أنَّه أحرم قبل هذه الأشهر كان إحْرامه عُمْرَةً ، أما الميقات المكاني فيخْتَلِف على حسب مَوْطن الحاج .

وبادِئَ ذي بدْء ، لدينا حاج آفاقي وحاج مكِّي ، فَمَن كان بلده مَكَّة ، أو من كان مُقيماً بين مكَّة وبين حُدود الميقات ، فهذا الحاج ليس آفاقيًّا وله أحْكام خاصَّة ، ولكِنَّنا كُلُّنا حُجاج آفاقيون ، أي نقْطُن خارِجَ حدود الحرم ، فميقات إحرام الحاج آبار علي إن كان من أهل المدينة ، والجُحْفة أو رابِغ إن كان من أهل الشام أو أهل المغرب أو مصْر ، وقرن المنازل إن كان من أهْل نجْد ، ويَلَمْلَم إن كان من أهْل اليمن أو تِهامة ، وذاتُ

عِرْق إن كان من أهْل العِراق ، وقد قال العلماء : هذه المواقيت لِمَن كان بِها ، ولِمَن مرَّ بها ، فالصينيون إنْ جاؤوا من العراق فَميقاتهم كأهل العراق ، وأهل المغْرب إن جاؤوا من جهة الشام فميقاتهم كأهل الشام وهكذا . بالمناسبة هناك خطأ يُمْكن أن يقع فيه الحاج ؛ وهو حينما جمع أغراضه في المحافظ الكبيرة وضع المناشف مع هذه الأغراض ، وحينما أقْلَعَت الطائرة قال : أعْطونا المناشف هذه لا حلَّ لها ، إذا دَخَلْتَ منطقة الحرم وأنت غير مُحْرِم يجب عليك الدمّ ، أما إذا دخلْتَ مُتَعَمِّداً فلا يصِحُّ حجُّك إطلاقاً ، فلو أنَّ غَنِياً قال : أنا لا أحبّ أن أرتدي لِباس الإحرام إذا دخلت مكّة فماذا عَلَيَّ ؟ يقولون : عليك كذا وكذا ، فيقول : أنا أدفع ثلاثة أضعاف ما تقولون ! فنحن نقول لِهذا الصِّنْف : لو دفعْتَ ألف مليون لما صَحَّ حجُّك ! فالذي يقصد الخطأ ويتعمَّده لا يصِحّ حجُّه البتَّة ، أما الناسي والساهي فعليه دم فقط ، فالملاحظة المُهِمَّة أنَّ ثياب الإحرام يجب أن تكون في مِحْفظة اليد ، لا في محفظة الشحن .

وكما قلتُ قبل قليل يجوز أن يُحْرِم الآفاقي من بيته قبل الوصول إلى الميقات ، إلا أنَّ الأفضل الإحرام من الميقات ، والأحْوط قبل الميقات بقليل مثلاً كنت في رِحْلة للحج قبل عامين أو ثلاثة ، وَزَّعوا الطعام ، ووزَّعوا مناديل مُعَطَّرة ، ولم يتجَشَّم الطيار أن يُبَلِّغ الحُجاج أنَّ هذه المناديل توجِبُ عليهم هدْياً ! أقول لكم هذا الكلام ، هناك طيارون لا دين لهم ، ولا يعْرفون شيئاً من الدِّين ، لذا الأفضل الإحرام بعد نصف ساعة من إقلاع الطائرة حتى يتجنَّب المرْءِ الخطأ ، أو أنَّ الطيار نَسِيَ أن يُذَكِّر بهذا ، فإنْ كان الحاجُّ مُقيماً بين حُدود الميقات وبين مَكَّة فإحْرامُهُ من قَرْيَتِه ومن مكان إقامَتِه ، أما إذا كان مُقيماً بِمَكَّة فيُحْرِمُ من بيتِه . هناك حالة من الحالات ، وهي لو تجاوَزَ الحاجُّ الميقاتَ وهو يريد حجَّة أو عُمْرة ولم يُحْرِم ، فلهُ خِياران ؛ إما أن يعود إلى ميقات بلدِهِ وإما عليه الدَّم .

آداب الإحرام :

أمّا آداب الإحْرام ، فيُسْتَحَبّ إذا أراد الحاجُّ الإحرامَ أن يقوم بالأعْمال التالية :

أوَّلاً : الغُسل ، يغْتَسِلُ اغْتِسال الإحرام ، وغُسْلُ الإحرام سُنَّة ، حتى الحائِض والنُّفساء ، الذي معه زوْجَتُه بِإمْكانها أن تفعلَ كُلَّ شيءٍ في الحجّ إلا الطواف والصلاة ، أما الإحْرام ، والتَّلبِيَة ، والوُقوف بِعَرَفة ، فإن لم يجِد الحاج فلْيَتَيَمَّم ، والغُسل أحبّ .

ومن لوازِم الغُسل اسْتِكْمال التَّنْظيف بالحَلْق ، وقَصّ الأظافر ، والنَّتْف وقص الشوارب ، أي التنْظيف لا بدّ أن يكون كامِلاً ، من حلْقِ العانة ، والإبِط ، وغَسْلِ الرأس بالصابون ، ونحوه ، هذه من سُنن الإحرام ، ثمَّ خلْعُ المخيط والمحيط ، فلو فَرَضْنا أنَّ هناك ثِيابًا ليسَتْ مَخيطة ، ولَكِنَّها مُحيطة فهي لا تجوز ، لكنَّ

المنْشفة لو دَرَزْت الخيوط الخارجة منها شرْط أن تكون سائِبة فلا مانع ، أما المرأة فتَلْبسُ كُلَّ شيء ، بل حجّها يقوى كلَّما أكثرتْ من اللِّباس وتَسَتَّرَتْ .



والتَجَرُّد عن المَلْبوس المَحظور للمُحْرِم ، وأن يلْبِسَ رِداءً ، وهو ما يضعُهُ الحاج على كَتِفَيْه ، لِيَسْتُرَ به جُزْءَهُ الأعلى ، هناك مُلاحظة ؛ ثمّة حُجاجٌ كثيرون يَخْلعون هذا الرِّداء فما دام هناك حجاج وحاجات فهل من اللَّباقة ومن أدب الحاج أن يبْدُوَ أمام النِّساء عارِياً من قِسْمِهِ الأعلى ؟! فأنا أتمنى من إخواننا أن يكونوا في المُسْتوى الأعلى من الأدب ، لذلك فهذا الرِّداء يوضَعُ على الكَتِفَيْن ، ولك أن تجْمَعَهُ ، فأصبح الكتفان والظهْر والصَّدْر مُغَطّى بِهذا الرِّداء، والإزار هو ما يسْتر به الحاج عَوْرته من سُرَّتِه إلى رُكْبَتيْه ، وكثيرٌ من الأشْخاص تَجِدُ الإزار تحت سُرَّتِه ، معنى ذلك أنَّ سُرَّتَهُ مَكْشوفة ، فلا بدَّ أن تضع الحزام بِقِسْمٍ عالٍ ، وينبغي أن يكون الإزار واسِعاً لِيَلُفَّ الحاج عِدَّة لَفات ، وينبغي أن يُباعِدَ بين قَدَمَيْه حينما يلُفُّه عليه ، أما إذا لَفَّهُ وهو متقارب القَدَمَيْن شَعَر بِصُعوبة الحركة ، كما أنَّ المناشف القصيرة لا تصْلح إطْلاقاً ؛ لأنَّهُ ليْس في الحجّ أبْشع من أن تظْهر عَوْرةُ الحاج ، فلإِخْواننا الذين لم يَحُجُّوا القَضِيَّة ليْسَت سَهْلة ترْتَدي مَنْشَفة بلا ألْبِسَة داخِلِيَّة ، وأن تبْقى مُحْرِماً عَشْرة أيام ، ولا تبْدو عَوْرتُكَ لأحدٍ فهذا من الأدب العالي والحِرْص الشديد ، لذلك عليك أن تسْعى لأنْ يكون الإزار طويلاً، وعريضاً ومعنى أنّه عريض ، حيث بإمْكانك أن ترْفَعَهُ فوق السُرَّة ، وبإمكانك أن تجْعله يتجاوز الركْبتين ، وبإمكانك أن تلفَّهُ لفات كثيرة ، وقد لاحظْتُ في الحج بعض الإخوة اشْتَرَوا مناشف خفيفة ، ولما غسلوها قصُرَت ، فينبغي التنبيه لهذا ، حتى إذا اشْترى الحاج منشَفَة تنبَّه لأن تكون طويلة وعريضة أكثر من اللازم ، حتى إذا غُسلتْ أصبَحت بِقِياسِها اللازم ، والأفْضل أن يكونا أبْيَضَيْن إذْ أحْياناً نجد ألواناً مُزَرْكَشَة ومُلَوَّنة ، فهذا يُلفِتُ النَّظر .

ولُبْس نَعْليْن لا يسْتُران أصابع القدمين ولا الكَعْبين ، فأنا بِحَسب خِبْرتي الشحاطة الصينيَّة زنوبيا طَرِيَّة جداً ، وهي شَرْعِيَّة ، فالسنَّة أن يُكْشَفَ العَقِب ، والكعب وعقد الشِّراك أي ظاهر القدم ، وأخْطر شيءٍ في الحج هذا الذي تَلْبَسُهُ بِرِجْليك ، فإذا صار هناك دمامات، وفقاعات بالجلد ، والْتِهابات ، أصبح الحج مُعَكَّرًا ، فعلى الإنسان الاهتمام بما يلبسه في رجله . ولك الحق في الإحرام أن تُطَيِّب بدنك ، فلو طَيَّبْتَ المنْشَفَة فَسَدَ إحْرامك ، لأنَّ الطيب يبقى فيها، ثمَّ إنّ الإنسان حينما يُحْرِم له أن يغْتسل ما شاء ، ويعود ويرْتدي ثياب الإحرام .

ثم يصلي ركعتين سنَّة الإحرام ، ولك أن تُصَلي وأنت في مقعد الطائرة ، أما أن تُصَلي في ممرّ الطائرة ، والمُضيفات ذاهبات وراجِعات ، فهذا غير وارد إطْلاقاً ، لأنّ قبلة المسافر جهة دابَّته ، أي طائِرَتِه ، وتقرأ في هذه الصلاة ما تقرأه في سنَّة السَّفر ؛ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ، بشرْط عدم وجود أوقات الكراهة، وبعد أن يصلي الحاج ركعتي الإحرام في الميقات أو في بيته ينوي بقلبه الدخول في الحج .

وأقول لكم من علامة القبول البِداية الطيّبة ، فالحاج حينما يقول : لبَّيك اللهمّ لبَيْك ، يدْخل في عبادة الحج ، ويشعر بأشْواق وتَجَلِّيات وكأنَّهُ يبكي ، فَحَجُّهُ يبْدأ حينما يبْدأ بالتَّلْبِيَة ، أما ما يجب أن يقول : نوَيْتُ الحج وأحْرَمْتُ به لله تعالى : لَبَّيْك اللهم لبَّيْك ، لبَّيْك لا شريك لك لبَّيْك إنَّ الحمد والنِّعْمة لك والمُلك ، لا شريك لك.

الإفراد والقِران والتَّمَتُّع :

في الدرْس القادم إن شاء الله تعالى نتَحَدَّث عن الإفراد والقِران والتَّمَتُّع ، فإذا أردْتَ أن تُفْرِد ، ولا أقول ينبغي، وإنما أقول : يُمكن أن يأتي إفرادك في نِيَّتِك ، والأفضل أن تكون نِيَّة الحجّ مَلْفوظة بِلِسانِك ، وقد قال العلماء: العِبْرة بما نوى لا بما لبَّى ، فلو فرضْنا أنَّ أحداً نوى الحج وقال : نوَيْتُ العمرة فيَسّرْها لي ! فالعبرة على ما انعقد عليه قلبه ، وإنما الأعمال بالنيات .

ومعلوم عند إخواننا الحجاج أنَّ الإفراد أن تنوي الحج فقط ، وهذا أفضل شيء ، فإذا انْقضَتْ أيام العيد لك أن تأتي بعمرة ، وانتهى الأمر ، وهناك من يدْخل الميقات مُعْتَمِراً ، يطوف ويسْعى ويحْلق ويفكّ إحرامه ، ويبقى في مكَّة أياماً طويلة مُتَمَتِّعاً ، يَرْتدي ثيابه العاديَّة ، ويأكل ويتطَيَّب ويحْلق ويقلِّمُ أظافره ويفعل ما يشاء، كما لو كان في بلده ، فإذا كان اليوم الثامن من ذي الحِجَّة نوى الحج ؛ هذا اسْمُهُ مُتَمَتِّع وعليه هَدْيُ جَبْر ، فَهَدْيُ التَّمَتُّع هَدْيُ جبْر ، لأنَّ هناك نقْصًا أما دمُ القِران فَدَمُ شُكْر ، فأنت أكرمك الله تعالى بِعُمْرة ، وبقيتَ مُحْرِماً إلى أيام الحج ، فَحَجَجْتَ وبقيتَ مُحْرِماً أياماً كثيرة ، فقد جَمَعتَ بين الحج والعمرة ، فأنت إذاً قارن ، وعليك دم الشُّكْر لكن أكثر العلماء وأكثر أعضاء البِعْثات الدينيَّة يَحُجون مُفْردين .

والتمتّع أن يحْرم من الميقات بعمرة في أشْهر الحج ، فإذا انتهى من مناسكها تَحَلَّلَ ولَبِسَ ثيابه ، إلى أن يحينَ وقْتُ الحج ، فَيُحْرِم بالحج من مكَّة ، وعليه إذا تَمَتَّعَ دمُ شاةٍ، وبالمناسبة أنا مع أنصار من يروْن بأنَّ ذبائِحَهم تُهْدى إلى فقراء المسلمين من الصُّومال وباكستان وهو عبارة عن اشْتراء شيك ، وثمنها مئتان وخمسون ريالاً ، تذهب طائرة خاصَّة تَرَوْنها في الأخبار إلى هذه البلدان الفقيرة ، ويجوز التوكيل في موضوع الهَدْي ، فكُلُّ الأماكن في مكَّة وجدَّة هناك بنك التوكيل الراجحي ، وأنت تكتب في الشيك نوع الذَّبْح إن كان شكْراً ، أم جبْراً ، أم ذبح كفارة ، وهم الذين يتَوَلَّوْن الأمر ، وعلى الإنسان أن يُبَكِّر في اشْتِراء هذا الشيك ، ثمَّ

إنَّ المملكة حرصتْ على عدم ضياع هذا الهدْي ، لأنه في الأوَّل كانت منى لأشْهر فيها رائِحةِ جِيَف ، هذه القَضِيَّة انْتَهَت والحمد لله . وعليه إذا تَمَتَّع دَمُ شاةٍ فمن لم يجِد فَصِيامُ ثلاثة أيامٍ في الحج ، وسبعة أيام بعد أن يعود إلى أهْله ، وإنَّما يجب الدمُ والصوم على المُتَمَتِّع بأرْبعة شُروط :

الشرط الأول : ألاَّ يخْرج عندما يريد الإحرام بالحج إلى ميقات بلده فَيُحْرِم ، فإذا دخل الإنسانُ من الميقات ، وأدى عمرة ، ثمَّ عاد إلى الميقات ، وأدَّى الحج لم يصبح مُتَمَتِّعًا ، أما أن يبقى في مكَّة ويُحْرِم من مكَّة فهذا هو التَّمتّع .

والشرط الثاني : أن يكون إحْرامه بالعُمْرة في أشْهر الحجّ ، ولو ذَهَبَ قبل شوال وأحْرم لم يكن مُتَمَتِّعاً ، ويجب أن يُحْرِمَ بالعُمْرة في أشْهر الحجّ ، والشيء الثاني أن يكون إحْرامه بالحجّ في نفْس سنة العُمْرة ، وألاّ يكون من حاضِري المَسْجد الحرام ، فإذا كان آفاقِياً وكان الحج والعمرة في سَنَة واحدة ، وتَمّتْ العُمْرة بِأشْهر الحج ، وما عاد إلى الميقات لِيُحْرِم بالحج من جديد فقد وجب عليه الدم ، فإن لم يسْتَطِع وجب عليه صيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع إلى بلده .

أما القران فأن يُحْرِمَ بالحج والعُمْرة معاً ، فَيَطوفُ طوافاً واحِداً ، وسَعْياً واحِداً ، وحَلْقاً واحِداً ، ويُجْزِئ عن ذلك أعمال الحج والعمرة معاً ، إذْ تدْخل أعمال العُمْرة في الحجّ ، ويجب عليه الدم أيْضاً كما في المُتَمَتِّع ، بِشرْط ألا يعود إلى الميقات فَيَكون من حاضِري المسْجد الحرام، فأنت مُخَيَّر بين القران والإفراد والتَّمَتّع ، ففي القران تتداخل المناسك ، وفي التمتَّع تتباعد وفي الإفراد حجٌّ فقط ، والعمرة بعد أيام عيد الأضْحى .

والوجْهُ الرابع وأنا أُرَجِّحُ هذا الوَجْه وهو الإطلاق ، وهو أنْ ينْوي الإحرام دون أن يُحَدِّد ، فهو حُرّ .

الإكثار من التلبية :

والتَّلْبِيَةُ سنَّة ، ويُسْتَحَبّ أن تكون كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام : لَبَّيْك اللهم لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبَّيْك ، إنَّ الحمد والنِّعْمة لك والمُلك ، لا شريك لك ؛ ثلاثًا ، ثمَّ يُصلي على النبي صلى الله عليه وسلّم بِصَوْتٍ أخفض ، وبِصيغة الصلوات الإبراهيميَّة ، ثمَّ يقول : اللهمّ إني أسألك رضاك والجنَّة ، وأعوذ بك من سَخَطِك والنار ، ثمَّ يدْعو لنفسه ، ولِوالِدَيه ولِمَن أحبّ ، ويُسْتَحَبّ الإكثار من التَّلْبِيَة على كُلِّ حال ، عند تغاير الأحوال ، وتلاقي الرِّفاق ، وإقبال الليل ، وإدْبار النهار ، وفي المَسْجد الحرام ، وفي مسْجد الخيف ، وسائر المساجد ، ويرْفع بها صَوْته من غير مُبالغة بشَرْط ألا يُشوّش على مُصَلٍّ أو قارئٍ أو نائِم . ولا يُلَبِّي في أثناء الطَّواف والسَّعْي ؛ لأنَّ للطواف والسَّعْي أذْكاراً مَخْصوصة ، ولا ترْفع المرأة صَوْتها بالتلْبِيَة ، وهذا من عُيوب الحاجَّات .

ولا ينبغي أن تُسَلِّم على من يُلَبِّي ، لأنَّهُ في ذِكْرٍ ، أما إذا سُلِّمَ عليه فعليه أن يَرُدَّ السلام ، وإذا رأى الحاج ما يُعْجِبُهُ من مظاهر الدنيا ينبغي أن يقول : لَبَّيْك إنَّ العَيْش عيْش الآخرة ، طرقات وقُصور وسيارات وتكْييف وسوبرماركتْ .

ويبدَأ وقْتُ التلْبِيَة حينما يُحْرِم ، وينتهي حينما يشْرع في التَّحلُّل بِرَمْي جمْرة العقبة صباح يوْم العيد ، وبعد ذلك تنتهي التَّلْبِيَة .

ما يجوز لمُحْرِم بِحجٍ أو عمرة إذا خاف مَرَضاً أو عَدُوًّا :

هناك حالة خاصَّة ؛ وهي إذا كان جسْمُ الإنسان فيه بعض الأعْراض ، ويمكن أن يمْرض في الحج ، واللهُ تعالى من كرمِهِ للحجاج أنَّه يُعافيهم من أمْراض يُعانون منها في إقامَتِهم، ولكن من باب الاحْتِياط يجوز لمُحْرِمٍ بِحَجٍ أو عمرة إذا خاف مَرَضاً ، أو عَدُوًّا ، أو نفاذ زادٍ ، أو أيّ مانعٍ يشُقّ معه الاسْتِمرار في الحج أن يشْترط في نفْسِه عند الإحْرام التَحَلّلَ عند طروء العُذْر بِهَدْي ، أو دون هَدْي بأنْ يقول : نَوَيْتُ الحجّ، وأحْرَمْتُ به لله تعالى ، لَبَّيْكَ اللهمَّ بِحَجٍ ومَحَلِّي حيث حَبَسَني العُذْر أتَحَلَّل ، فهذا الكلام يجْعل حجَّك مقبولاً فيما إذا طرأ بينك وبين إتمام الحج طارئ ، وقد بلغني أنَّ المملكة عادَتْ إلى التَّقْنين ، وهي أنَّ مليون ونصف فقط ، وهذه الفئة يمكنها الحج بِرَاحة تامَّة ، أما أربعة ملايين فهذا غير معْقول !! كالعام الماضي .

ويجوز أن يشْترط الحاج في نفْسه عند العُذْر أن يقْلب حجَّهُ إلى عمرة ، وتُعَدُّ العمْرة مُجْزئة عن عُمْرة الإسلام، لأنَّ الله تعالى قال :

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[سورة البقرة : 196]

فالعمرة لا بدّ منها ، وهي غير الحج .

الأشياء التي لا يجوز أن يفعلها المحرِم و المُحرم :

الأشياء التي لا يجوز أن يفعلها المحرِم ، والأشياء التي لا يجوز أن يفْعلها المُحْرم ؛ اللِّباس بالنِّسْبة للرَّجل ، فَيَحْرُمُ عليه لُبسُ المخيط والمُحيط ، المصنوع على قَدْر البدن ، أو على قدْرٍ منه ، ويحْرُمُ عليه أيْضاً ستْرُ رأسِه بأيِّ شيءٍ يُعَدُّ ساتِراً ، وتُكْرَهُ المِظَلَّة عند الشافعِيَّة ، وتجوز عند الأحناف من دون كراهة ، إلا أنّ المظلَّة الآن واجبة ، لأنَّ تحرّك الإنسان بِمَكَّة أو المدينة فيه احْتِمال كبير لضربة الشَّمْس ، والله تعالى قال :

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة : 195]

أما من ضاعت مِنْشفته فلا بأس أن يضع عليه جُبَّة ، ولو أنَّها مخيطة إلا أنَّها ليْستْ مُحيطة .

فلو الْتَحَفَ بِجُبَّة أو لحافة عند نومه جاز له ذلك ، لكِنَّكم لا تحْتاجون لا إلى جبَّة ولا إلى لحافة ، إنما تحْتاجون إلى مُكَيِّف ، وله أن يشُدَّ عليه نِطاقاً ، وأن يلبس خاتماً ونظارات وساعة ، وله أن يعْقِدَ الإزار من طَرَفَيْه فعند الشافِعِيَّة يجوز ، وله أن يجْمعه بالدبابيس ، طبْعاً نحن نتَكَلَّم عن الإزار وليس عن الرّداء ؛ فالإزار في القِسْم السُّفلي أما الرِّداء في القِسْم العُلوي .

وله أن يجعل في إزاره تكّةً أو خيطاً أو مطاطاً يعْقِدُهُ من طَرَفَيْه كي يشدّ الإزار على وسطِه ، ولكنّه ليس له أن يخيطه من جانِبَيْه على بعْضِهما ، أما المرأة فيجوز لها أن تلْبِسَ ما تشاء ، كما تلْبِسُ في حالتها العاديَّة، ثمّ مسألة وجْه المرأة تعود على حسب القناعات فإذا الزَّوْجة تسْتر وَجْهها في بلدها فينبغي أن تسْتره هناك ، وهناك طريقة لِسَتْر وجْهها في الحج وهي أن تضع واقِيَة صغيرة بِمَطاطة يأتي المنديل بعدها ، فيأتي المنديل بعيداً عن وَجْهها وهي عَمَلِيَّة مَشْروعة ، وأنا أُفَضِّل سَتْر الوجه بهذه الطريقة ؛ واقِيَة صغيرة بِمَطاطة يأتي المنديل بعدها والوجْه وجْه مهما كان بالحج أو بغيْره ، والدليل :

" كنا مُحْرمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم – السيّدة عائِشَة – فكان الركبان إذا مروا بنا أو حاذَوْنا أسْدَلَتْ إحْدانا جِلْبابها على وَجْهِها " فإذا خَشِيَتْ المرأة كَشْف وَجْهها جاز لها أن تسْترهُ بمنديل كما ذكرنا قبل قليل ، ولُبسُ القُفازَيْن عند الأحْناف جائز ، وعند الشافِعِيَّة لا يجوز . ولو احْتاج الرجل إلى أن يسْتر رأسه بِنَحْو مُداواة ، أو المرأة أن تسْتر وجْهها لِمِثْل ذلك جاز ووجَبَتْ الفِدْية .



ويحْرم على المُحْرم أن يتطيَّب في بدنه أو ثوْبه أو فراشه بِكُلِّ ما يُعَدُّ طيباً ، أما ما كان طَيِّبَ الرائِحَة، ولَيْس بِطيبٍ كرائِحَة الفواكه ، كالتفاح والبرتقال فلا تحْرم ، لكن الذي يحْرم أن تدَّهِنَ بالأدْهان والكريمات فهذه كُلُّها مُحَرَّمة ، ودُهْنُ ما ليس بِطيبٍ كالزَّيْت والسَمْن ونحوهما فلا يحْرم الادِّهان بِهما إلا في الرأس واللِّحْيَةِ ، ومن العادة قديماً أن يدْهنوا الشَّعْر بالزيت ويحْرُمُ اسْتِعمال الكُحْل المُطَيَّب ، وأكْل الطعام المُطَيَّب ، كبعض الحلويات .

وشمُّ الورْد عند الشافِعِيَّة يُعَدُّ تطيُّباً ، وعند الأحْناف مكْروهٌ ، فلو جلَسْتَ بِحانوت عطَّارٍ بِقَصْد شمِّ رائِحة ما عمدًا كُرِهَ ذلك ، وتطِّيب الناسي والجاهل والمُخْطِئ والمُتَعَمِّد سواءٌ في وُجوب الجزاء ، إلا أنَّ الناسي لا يُحاسب عند الله ، والجاهل يُحاسب على جهْله ، والمُخْطِئ كذلك ، إلا المُتَعَمِّد فيُحاسب على تَعَمُّدِه ، أما في الجزاء فهم فيه سواء .

ثمَّ على الإنسان أنْ يأخذ ما يكْفيه من أكْل وشُرْب ومُواصلات بالحدِّ الأدْنى ولا يزيد. وتُحْرَمُ إزالة الشَّعْر بنَتْفٍ ، أو حلْقٍ ، أو حرْقٍ ، أو قَصٍّ في أيِّ موْضِعٍ كان من البدن ، وتُحْرَمُ إزالة الظُّفْر أيضاً ، أو جُزْءٍ منه، فلو فعل أثِم وعصى ، ولَزِمَتْهُ الفِدْية ، فلا يتسَلَّى الإنسانُ بِوَضْع ظُفْره في فمه ، والمُهِمّ الانْتِباه لهذه الأمور ، ثمَّ الحلْق أوْلى من التَّقْصير ، وكذا لو عَلِمَ أنَّ شعْرهُ خفيف وكلَّما مشَطَه سقط فلا يمسّ شعْره ، أما إذا سقط شعْره من تلقائِهِ فلا شيء عليه .

((وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ))

[الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه]

فكلَّما كانت هيْئتك مُنَفِّرَة كلَّما كان حجّك أضبط ، فالأناقة بِبَلَدِك ، أما في الحج فالعجّ والثجّ .

بالمناسبة بلغنا أنَّ معْجون الأسنان كريستال فيه لحْم خنزير ، وقد أخْبرنا بهذا إخوانٌ لنا .

و يحْرُمُ على المُحْرِمِ أن يُزَوِّجَ أو يتزَوَّج ، و كُلُّ عقْدُ نكاح كان فيه الوليّ والزوْج أو الزوْجة مُحْرِماً فهو باطِل، و يجوز للمُحْرم الشهادة في عَقْدٍ لِغَيْر المُحْرِم ، قال تعالى :

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة : 197]

ويدخل في ذلك الجماع ومُقَدِّماته كُلُّها . وإتْلاف الصَّيْد من كُلِّ حيوانٍ برِيٍّ وَحْشيٍّ مأكول مُستأنس أو غير مُستأنِس ، مملوكٍ أو غير مملوك يحْرُمُ على المُحْرِم ، فإن فعله لزِمَهُ الجزاء ، وقيمته لِصاحِبِه إن كان مملوكاً ، ولو توَحَّشَ إنسيٌّ لم يحْرُم ، ولا يحْرُمُ صَيْدُ البحْر وتحْرُمُ الطُّيور .

كما يحْرُمُ على المُحْرِمِ كُلّ شكْل من أشْكال المُعاوَنَة على الصَّيْد المُحَرَّم ، ويجوز للمُحْرِمِ أن يغْتَسِل ، ويكون ذلك بالصابون غير المُعَطَّر ، فَكُلُّ هذا مُتَعَلِّقٌ بالإحْرام ، وفي الدَّرْس القادِم إن شاء الله تعالى نتحَدَّثُ عن دُخول مكَّة زادَها الله تعْظيماً وتَشْريفاً .

والحمد لله رب العالمين

2-4 أحكام و شروط الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينْفعنا، وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتِّباعه، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ بمناسبة قرب موسم الحجِّ سنبدأ الحديثَ عن بعض أحكام الحجِّ، وسأخصِّص درسًا للإخوة الأكارم الذين يزمعون أداء فريضة الحج هذا العام، وفي آخر الدرس سأحدِّد هذا الدرس.

تعريف الحج:

الحج – بفتح الحاء وبكسرها – فلك أن تقول حَج وحِج، الأول اسمٌ والثاني مصدر حَجَّ يحُجُّ حِجًّا، وهو القصد إلى معظَّمٍ، أي أن تتَّجه إلى مكان عظيم، أو إلى شيء عظيم، هذا معنى الحجِّ في اللُّغة، وأما تعريف الحج شرعًا، فهو زيارة بقاع مخصوصة، في زمن مخصوص، بفعلٍ مخصوص، والمرادُ بالزيارة الطَّوافُ حول البيت العتيق، الكعبة المشرَّفة، و الوقوف بعرفة، و أما البقاع المخصوصة فهي الكعبة و عرفة و أما الزمن المخصوص ففي الطَّواف من طلوع فجر يوم النحر إلى آخر العمر، و في الوقوف بعرفة من زوال شمس يوم عرفة إلى طلوع فجر يوم النحر، إذًا هو زيارة بقاع مخصوصة، في زمن مخصوص، بفعل مخصوص.

مكانة الحج في الإسلام:

الحجُّ أيها الإخوة ركنٌ كبيرٌ من أركان الإسلام، فرضه اللهُ تعالى على المستطيع فإذا كان الإنسانُ فقيرًا و بحث عن مبلغ يستقرضه، نقول له: لا، لا حجَّ عليك، الحجُّ على المستطيع، الحجُّ أحد أركان الإسلام الخمسة، و لكنَّ اللهَ سبحانه تعالى فرضَه على المستطيع أي إنَّ أغلبَ الظنِّ أنَّ المستطيع مشغولٌ بماله، وكأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يقول له: تعالَ إليَّ ودعْ بيتَك الفخمَ، وتجارتَك العريضةَ، ومكانتك المرموقة وتعالَ إليَّ، فيقول الحاجُّ: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك.

قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران]

((وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؛ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))

[رواه البخاري]



فأركان الإسلام ؛ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجُّ البيت، أمَّا إذا قلنا: بنِيَ الإسلامُ على خمسٍ، شهادةِ – بالكسر – فهي بدل مِن خمسٍ، أن لا إله إلا الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان وحجِّ البيت.

الحجُّ فرضُ عينٍ، وكلُّكم يعلم أنَّ هناك فروضُ كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكلِّ، كصلاة الجنازة، ولكنَّ الحجَّ فرضُ عين على المستطيع، يُكَفَّرُ جاحدُه، ويُفسَّق تاركُه وهو فرضٌ في العمُر مرَّةً واحدةً، لحديث الأقرع بن حابس،

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَطَبَنَا يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ، قَالَ فَقَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ: فِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا، أَوْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ))

[رواه أحمد]

وقد انعقد إجماعُ المسلمين أنه واجبٌ على الفور، من حين الاستطاعة، و الدليل قول النبيِ عليه الصلاة و السلام عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ، يَعْنِي الْفَرِيضَةَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ))

[رواه أحمد]

وقد ثبتتْ فرضيةُ الحجِّ بالكتاب الكريم، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) ﴾

[سورة آل عمران]

ولقول الله عزوجل:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) ﴾

[سورة الحج]

فلا يعرف معانيَ هذه الآيات إلا من ذاق و أدّى هذه الفريضة بإخلاص و بصدق.

والآية الثالثة التي تؤكِّد فرضية الحجِّ قولُه تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[سورة البقرة]

إذًا الحجُّ ثبت بنص القرآن الكريم، ونصُّ القرآن الكريم كما تعلمون قطعيُّ الثبوتِ وهذه الآيات قطعية الدِّلالة، وبالسُّنة المطهَّرة، لقول النبيّ عليه الصلاة و السلام فيما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فقال:

((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قَالَ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

[رواه مسلم]

لَوَجَبَتْ – أي في كلِّ عام – إذًا هو في العمر مرة واحدة، ودائمًا الذي سكت عنه الشَّرعُ فيه حكمةٌ بالغةٌ، قال عليه الصلاة و السلام: إن الله أمركم بأشياء، ونهاكم عن أشياء وسكت عن أشياء" فسكوتُ الشارع الحكيم عن بعض الأمور توسعةٌ على المسلمين، و الذي أمر به الشرعُ لا يقلُّ حكمةً عن الذي سكت عنه، والشرعُ حكيم فيما أمر به، وفيما نهى عنه، وفيما سكت عنه، فإن الله كتب عليكم الحج، ولم يحدِّد النبيُّ ، بل أطلقه، وسكت النبيُّ الكريم، قال: كل عام مرة، ثانية، بقي ساكتًا، ثم قال أفي كل عام ؟ فقال عليه الصلاة و السلام: لو قلتُ نعم لوجبت – أي في كلِّ عام – و لما استطعتم، لأنّ هذا فوق طاقتكم، و في رواية أخرى لهذا الحديث حينما قال: أفي كل عام فقال عليه الصلاة و السلام: لو قلتها لوجبت، و لو وجبتْ – أي في كل عام – لم تعملوا بها و لن تستطيعوا أن تعملوا بها " الحج مرة، فمن زاد فهو تطوُّع.

وهناك حديثٌ آخر عامٌ يبيّن أنَّ المؤمنَ لا ينبغي له أن يكثر من السؤال إذا سكت النبيُّ عليه الصلاة والسلام عن بعض الأشياء

((فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ، فَقَالَ رَجُلٌ: فِي كُلِّ عَامٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ حَتَّى أَعَادَهُ ثَلَاثًا، فَقَالَ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ مَا قُمْتُمْ بِهَا، ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالشَّيْءِ فَخُذُوا بِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ))

[رواه النسائي]



أي دعوني ما دمتُ قد سكتُّ عن شيء، فلا تسألوني عنه، ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ... وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، انظُرْ فإنَّ الاستقامة مطلقةٌ، والأعمالُ الصالحة فبمقتضى الاستطاعة، أمَّا المنهياتُ فيجب أن تُترَك كلّيًّا، وإلا وقع الحجابُ بين العبد وبين الله عزوجلّ أمَّا المأموراتُ المندوباتُ فنأخذ منها بقدر ما نستطيع، وقد أجمعت الأمَّةُ الإسلامية على فرضية الحجِّ على المستطيع، كما أجمعت على فرضية الصلاة و الصوم والزكاة، إذًا فرضيةُ الحجِّ ثبتت بالكتاب والسُّنة و الإجماع، و الكتابُ والسُّنةُ أصلانِ كبيران من أصول التشريع والإجماعُ والقياسُ أصلانِ فرعيانِ منه.

تحدَّثتُ يوم الجمعة في الخطبة عن فوائد الحجّ، وكيف أن الحجَّ رحلة إلى الله عزوجل، وتفريغٌ لهذه النفس من مشاغل الدنيا، وتسريعٌ في إقبال العبد على الله عزوجل ورحلة تدريب على الرحلة الأخيرة إلى الدار الآخرة، رحلةٌ قبل الأخيرة، فهي رحلةٌ إلى الله عزوجل، بل انسلاخٌ من الأقنعة الكاذبة التي نتوهَّمها كقناعِ المال، هذا القناعُ يخلَع عنك في الحجِّ، وقناعُ المكانة الاجتماعية، وقناعُ المُتَع التي تمارسها و أنت في بلدك، هذه الأقنعة كلُّها ستسقط عن صاحبها في الحجِّ، كأنَّ الحجَّ يعيدك إلى حجمك الحقيقي، وكأنَّك هناك تتفرَّغ إلى الإقبال على الله عزوجل، من أجل أن تذوق طعمَ قربه، وعلى كلٍّ ؛ كان الحديث يوم الجمعة طويلًا عن فوائد الحجُّ، وقد غلبَ على هذا الدرس الطابعُ الفقهي، لذلك ننتقل إلى شروط وجوبه.

الحجُّ فرض عين على المسلم، فمن شروط وجوبه الإسلام، فلا يجب الحجُّ على غير المسلم، فلو أنّ إنسانًا كافرًا كان مستطيعا ماليًا أو أنّ إنسانًا كافرًا غنيًّا أسلم ثم افتقر فرَضًا هل عليه الحجُّ ؟ لا، لأنه لمَّا كان كافرا مستطيعًا لم يكن محلَّ الخطاب، فهذه نقطةٌ مهمَّةٌ، لأنّ من شروط الحجِّ الإسلام، فلا يجب على غير المسلم، لعدم خطاب الكافر بالفروع، و من شروطه العقلُ، فلا يجب على المجنون لأنه ليس أهلا للتَّكليف، لفقده أداةَ فهم الخطاب ومعرفة الأحكام، وإذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب، والبلوغ فلا يجب على الصغير لأن التكليفَ يبدأ بالبلوغ، لكنَّك ترى في الحجِّ أطفالاً صغارا يرتدون ثياب الإحرام و يحُجُّون مع آباءهم ، فهذا من قبيل التدريب والتَّبرُّك، ولكنَّ الصغير ليس عليه الحجُّ، والحرِّيةُ، فلا يجب الحجُّ على العبد ويقاس على العبودية مَن فَقَدَ حرِّيته، كَمَن كان مسجونا، فليس عليه الحجُّ، فلا يجب على العبد لأن الحجّ فريضةٌ بدنيَّة مالية، والعبدُ وما ملكتْ يده لسيِّده.


الصغار ليسوا مكلفين لكن يأخذهم أهلهم للحج من باب التدريب

فلو حجَّ الصبيُّ، أو حجَّ العبدُ مع سيّده وقع حجُّهما نفلاً، لا فريضةً، بمعنى أن الصبيَّ إذا كبُر عليه حجَّة الإسلام، و أن العبد إذا أعتِق عليه حجَّة الإسلام، ويُشترط العلمُ بفرضية الحجِّ لمن أسلم بدار الحرب، أي إن الإنسان إذا أسلم حديثًا في دار الحرب - نحن عندنا ثلاثُ دور، دارُ الإسلام، فرجل نشأ في بيئة مسلمة، نشأ في الشام، و يقول:

واللهِ أنا لا علمَ لي بالحجِّ، هذا كلامٌ مرفوض، أو إنسان نشأ في بلاد إسلامية وليس عنده علم بأن الحجَّ قد فُرِض عليه، هذا كلام مرفوض أيضًا، هذه دار الإسلام فلا جهل فيها، وعندنا دار الحرب، و عندنا دار الكفر، و ثمَّة احتمال أن يسلم الإنسانُ في أثناء الحرب، في أثناء الفتوح، أسلم وقد ودخل في أشهر الحج، هذا ليس علمه بفرضية الحج قائمًا، ومن شروط الحج العلمُ بفرضية الحج لمن أسلم بدار الحرب، أما مَن أسلم بدار الإسلام فلا يُشترَط العلمُ، بل يُعدُّ وجودُه في دار الإسلام علمًا، وما دمتَ في دار الإسلام فأنت قطعًا تعلم أن الحج فرضٌ.

وتأسيسا على هذه الأفكار أقول: يجب الحجُّ على العبد بعد العتق، وعلى الصبيّ بعد البلوغ، و على المجنون بعد أن يعود إلى عقله، دخل المِصحَّ فصحا وجب الحجُّ عليه، وقد كان ساقطًا عنه حينما كان عبدا أوصبيًّا أو مجنونا، والنقطة الدقيقة أنَّ الفقيرَ إذا حجَّ يقع حجُّه عن الفريضة، فإذا كان الإنسان متشوِّقًا كثيرا، وكان

فقيرا وجمَّع قرشين وأعانه الناسُ ذهب إلى الحجِّ، هل نقول له: هذه حجَّةٌ نافلةٌ ؟ لا، فإذا حجَّ الفقيرُ يقع حجُّه عن الفريضة، أي لا تلزَمه حَجَّةٌ أخرى، و لو أصبح فيما بعدُ غنيًّا، هكذا الحكمُ الشرعي.

ومن شروط الحجّ أن يُؤدَّى في الوقت المناسب، ووقتُ الحجِّ هو أشهر الحجّ، فمن ملك مالًا و صرفه في غير أشهر الحجِّ، كَمَن كانت لديه خمسون ألف ليرة، واشترى بها دكّانا في غير أشهر الحجِّ، فلا حجَّ عليه، ومن ملك مالاً وصرفه قبل حلول أشهر الحجِّ فلا شيء عليه و أشهرُ الحجِّ هي ؛ شوَّال وذو القعدة والعشرُ الأولُ من ذي الحِجَّة، هذه أشهر الحجِّ قال تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة]

ويجب أن يُؤدَّى في الوقت المناسب ويجب العلمُ به وبفرضيته والحريَّة والعقلُ والبلوغُ والإسلام هذه شروط الوجوب.

وبقيت الاستطاعة، ومعناها القدرةُ، ولها وجوهٌ كثيرةٌ لا بدَّ من تحقُّقها، لأنها تكون بالمال وبالنفس وبالطريق، فأما الاستطاعة بالمال فتكون بمُلك الزاد، أي أن تملك نفقات الطَّعام والشراب طيلةَ أيام الحجِّ، و يجب أن تعلم كم يكلِّف طعامُ الحاجِّ، وأن تملك قيمة الزاد وأن تملك الراحلةَ أو أجرتَها، والآن ثمن ركوب الطائرة، ذهابًا وإيابًا، وبعضُ العلماء قالوا: من كان غيرَ مستطيعٍ أن يركب الباخرة و لم يملك ثمن ركوب الطائرة فليس مستطيعاً، فيجب أن يملك الزاد و الراحلةَ ذهابا وإيابًا، ويجب أن يملك نفقاتِ السكنى أيضًا، كلُّ هذه النفقات يجب أن تكون زائدة عن نفقات سكنه، وأثاث بيته وثيابه ونفقات عياله الملتزِم بالإنفاق عليهم إلى حين عودته، ومصروف البيت وأجرته، والطعام و الشرابُ، ونفقات الكهرباء والماء، فكما كان هذا البيتُ في وجوده يجب أن يستمر بعد سفره للحج، وهذه النفقات بالحدِّ الوسط، وليس بالحدِّ الأعلى، من غير إسراف و لا تقتير، فهذه هي الاستطاعة التي تشترط لوجوب الحجِّ، فمن لم يملك هذا المال الذي يمكّنه من الحجِّ فلا يجب عليه الحجُّ.

أما الاستطاعة بالنفس فهي أن يكون المكلَّف صحيح البدن و الأعضاء، فلا يجب الأداءُ مع العجز الدائم كالمُقعَد، ومقطوع اليد و الرِّجل، ولا على الشيخ الكبير الذي لا يثبت على الراحلة بنفسه، ولا على الأعمى ولو وجد قائدًا، و لا على المريض الذي لا يُرجَى بُرْؤُه كلُّ هؤلاء لا يستطيعون الحجَّ، لا لعلَّة المال، بل لعلَّة الصحَّة.

وأما الاستطاعة بالطريق، فيجب أن يكون الطريق آمنًا بغلبة السلام، فإن خاف على نفسه القتل أو خاف على ماله السرقة فلا يجب عليه الأداء، فوجب عليه الحجُّ و سقط عنه الأداءُ، وهناك أحكامٌ أخرى سوف نراها بعد قليل.

قال العلماءُ: والذين يشعرون بدُنُوِّ أجلهم قبل أن يؤدُّوا حجَّ الفريضة بسبب عدم أمن الطريق، أو بسبب عدم صحَّة البدن لعجزهم، كالمُقعد الذي لا يستطيع المشيَ، أو الشيخ الهرِم أو الأعمى، وغيرهم ممَّن لا يتمكَّنون من أداء الحجِّ بأنفسهم، فيجب عليهم الإيصاءُ بالحجِّ عنهم بعد الوفاة، فما دمتَ تملك المالَ فقد وجب عليك الحجُّ، فعندنا شروط الوجوب، وعندنا شروط الأداء، وما دمتَ غيرَ مستطيع لصحَّتك سقط عليك الأداءُ بذاته، ووجب عليك أن تجهِّز حاجًّا آخر، أو أن توصي بأن يُحجَّ عنك.

شروط أداء الحجِّ:

أمَّا الآن فمع شروط الأداء، أوَّلاً: سلامة البدن من الآفات المانعة من القيام بما لا بدَّ منه في السفر، فلا يجب الأداءُ على المُقعَد و الأعمى وإن وجد قائدًا، والشيخُ الكبير الذي لا يثبُت على الراحلة.



ومن شروط أداء الحجِّ زوالُ المانع الحسِّي من الذهاب إلى الحجِّ، كالحبس، والمنع من السفر، أو الخوف، أو عدم وجود وسيلة للسفر، ومن شروط الأداء أمنُ الطريق، ومن شروط الأداء عدمُ قيام العِدَّة للمرأة، من طلاق بائن، فالمرأةُ المطلّقةُ وهي في العِدَّة ليس عليها حجٌّ، ولكن ليس عليها أداؤه في هذا العام، هذا فرق بين شروط الوجوب و شروط الأداء، أو أنها مطلَّقةٌ طلاقًا رجعيًّا و هي في العِدَّة، أو أنها معتدَّةٌ من وفاة زوجها، فجميع أنواع العِدَّة تُسقِط أداءَ الحجِّ لا فرضِيتَه، لأن الله تعالى نهى المعتدَّاتِ عن الخروج من بيوتهن لقوله تعالى:

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1)﴾

[سورة الطلاق]

أما بالنسبة إلى المرأة فلا بدَّ من أن تخرج – إنتبهوا جيّدًا – فلا بدَّ أن تخرج مع زوجٍ أو مَحرَمٍ تأبيدًا، وليس محرما مؤقَّتًا، بل على التأبيد، فهناك أشخاصٌ كزوجِ أختك لا يجوز أن يتزوجها، ولكنْ إذا ماتت أختُها يحقُّ لها الزواجُ به، فهذا مَحرمٌ مؤقَّتٌ، فلا يجوز أن تخرج المرأةُ إلى الحجِّ إلا مع زوج أو مَحرم على التأبيدِ

((لحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ))

[رواه البخاري]

هذا ليس للحجِّ فقط، بل لأيِّ سفرٍ، وهناك قصصٌ كثيرة تثبت حكمة الشرع في هذا النهي، فإذا سافرت المرأةُ وحدها كان الطمعُ فيها كبيرًا.

فإذا وجدت المرأة محرمًا ؛ وليكن أخاها ؛ لم يكن للزوج أن يمنعها لحجِّ الفرض وله أن يمنعها لحجّ النفل، فالزوجُ لا يحِقّ له أن يمنع امرأتَه من أن تحُجُّ حجَّ الفرض إذا وجدتْ مَحرمًا.

تعريف المَحرَم:

وتعريف المَحرم بالضبطِ ؛ من لا تجوز مُناكحتَه على التأبيد، لنسب أو رضاعٍ أو مصاهرة، وقد منع العلماءُ أن تسافر المرأةُ مع أخيها من الرضاعة لغلبة الفساد، ويؤكِّد الفقهاءُ أنه لا يجوز للأخ أن يخلُوَ بأخته من الرضاع لغلبة الفساد.

وهناك شروط ثالثة، شروط الوجوب تحدَّثنا عنها، وشروط الأداء تحدَّثنا عنها وبقيَ شروطُ صحَّة الأداء، وهي؛ الإسلام و العقل و الإحرامُ بالحجِّ، فالإحرامُ من شروط الحجّ في المذهب الحنفي، و الفرقُ بين الشرط والركنأنّ، الشرط ليس داخلا في صُلب الفريضة، بل يجب أن يُؤدَّى قبل الشروع في الفريضة، والمرادُ بالإحرام النيةُ مع التلبيةِ، فهو بالنسبة للحجّ كالنية للصلاة، والوقت المخصوص أشهرُ الحجِّ، و المكان المخصوص الميقاتُ المكاني، أيْ الأماكنُ التي حدَّدها الشارعُ الحكيم لأداء فريضة الحجِّ.

بعضُ الملاحظاتِ المتعلِقة بفرضية الحجِّ:

إذا حجَّ الكافرُ هو كافر ؛ و لماذا كفر؟ إمَّا أنه نطق بكلمة الكفر، فلو قال إنسانٌ: لا أرى الصلاةَ واجبةً، وهذه الأشياءُ قديمةٌ ولا تناسب هذا العصرَ فقد كفر، وإذا أنكر الإنسانُ أحدَ الفروض فقد كفر، وإذا أنكرها قولاً أو عملاً فقد كفر، فإذا حجَّ الكافرُ ثم أسلم فلا يُغنِي حجُّه ذاك عن حَجَّة الإسلام، وهي غيرُ مقبولة، وأحيانا الإنسان بحكم عمله التعاقدي في السعودية مع أصدقاءَ ويتحرج فيحُجَّ معهم، أما هو الحجُّ عنده فغير راضٍ

به إطلاقًا، بل شعائره أشياء لا قيمة لها، غيبيات وخرافات، فحجَّ معهم وهذا اعتقادُه في الحجِّ فهو كافر، فإذا أسلم فلا تُغني حجَّتُه هذه عن حَجَّة الإسلام.

وإذا حجَّ الصغيرُ ثم بلغ لا يُغني حجُّه في صِغره عن حَجَّة الإسلام أيضًا، وإذا ارتدَّ المسلمُ سقطتْ أعمالُه الصالحةُ كلُّها بارتداده، و منها الحجُّ، فإذا عاد و أسلم وجب عليه حجُّة الفريضة، لأن وقتَ الحج هو العمُر، وهو باطل، و الارتدادُ هو الخروج عن الإسلام، و يكون بالاعتقاد، كاعتقاد شريك لله تعالى، أو إنكار اليوم الآخر، أو إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالصلاة والصيام والزكاة و الحجّ أو نحو ذلك، أو أن ينطق بكلمة الكفر، فإذا كان ثمَّة تشدُّد، وسبَّ الإنسانُ الدينَ فهذا ارتداد، ويُستتابُ، فإن لم يتُبْ تطلّق امرأتُه و تصادر أموالُه، لأن هذه كلمة الكفر.

وإذا حجَّ الفقيرُ بمالٍ أُدِّيَ إليه، أو وُهِب له، أو استدانه، صحَّ حجُّه، هذه نقطةٌ مهمَة، فباعتبارك فقيرا، و لستَ مستطيعا، و حججْت فحجُّك باطل !! لا، هذا غلط، فإذا حجَّ الفقيرُ بمالٍ أُدِّيَ إليه أو وُهِب له أو استدانه صحَّ حجُّه و سقط عنه حجُّ الفريضة.

ومن كان له بيتٌ لا يسكنه، وهو زائد عن حاجته وجب عليه أن يبيعه ليحجَّ، أمَّا لو كان له بيتٌ كبيرٌ لا يحتاج إليه كلّه، فلا يجب عليه بيعُ بعضه، والشرعُ لم كلَّفك بذلك.

ويُكرَه الخروجُ إلى الحجِّ في حقِّ المدين، الذي عليه ديْن، إذا لم يكن له مالٌ يقضي به الديْنَ، إلا أن يأخذ إذنًا من الدائن، فيستأذنه، كأن يكون شخص له معك مبلغ ضحمٌ، وذهب إلى الحجّ، تنهاه قبل أن يحُجَّ حتّى يؤدّي ما عليه من دين، و قد يكون الدائن راقيا كثيرا، وأَذِن فلا مانع في ذلك، فالمدين لا يصحُّ حجُّه إلا إذا أذِن له الدائنُ.

حكم الحج من حيث الفور و التراخي:

آخرُ موضوع نعالجه ؛ هل يجب الحجُّ على الفور أم على التراخي ؟ مذهب أبي حنيفة و أبي يوسف ؛ تلميذه الأول و الإمام مالك و المُزَني من الشافعية تلميذ الشافعي ر حمهم الله تعالى أنَّ الحج يجب علىالفور، و هو الإتيان به في أول أوقات الإمكان و في أول سنة من سنين الاستطاعة، فإن أخَّره بلا عذر سنين يُفسَّق ويأثم، وتُردُ شهادتُه إلا إذا أدَّى ولو في آخر عمره فإن الإثم يرتفع، أما إن كان تأخيرُه لعذر فشيء آخر.

وما الدليلُ ؟ ما دليل وجوب الفور ؟ هو الاحتياطُ، لأن الحجَّ لا يجوز إلا في وقت معيَّن واحد من السَّنة، و الموتُ يقع في شكل غير نادر في السنة، واحتمال موت الإنسان قبل أن يحُجَّ واقعٌ، إذًا الدليل هو الاحتياط، فتأخيره بعد التمكُّن تعريضٌ له على الفوات، فيكون التأخيرُ مكروها كراهة تحريمية، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَعْنِي الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ))

[رواه أحمد]

هذا مذهب الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومالك والمزني، أما الإمام الشافعي ومحمد بن يوسف التلميذ الثاني لأبي حنيفة رحمهم اللهُ تعالى أنه يجب على التراخي لا على الفور، لأن الحج يُؤدَّى في العمر، و العمر كلُّه وقتٌ للحج، كالوقت في الصلاة يصح تأخيرُها عن أوَّل الوقت، إلا أنه إذا أخَّر بعد التمكُّن حتى مات ولم يحُجَّ فقد أَثِم، وفي كل الأحوال يُفضَّل التعجيلُ للحج، وسوف نأخذ في درس قادم إن شاء اللهُ تعالى بعض فروض الحج وبعض سننه وواجباته.

و الأن إلى قصة التابعي الأحنف بن قيس، نحن في أوائل خلافة الفاروق نضَّر اللهُ وجهه، وها هم هؤلاء الأنجاد الأمجاد رهطُ الأحنف بن قيس من بني تميم يمتطون صهوات الخيول الصافنات، و يتقلَّدون الرِقاق المُرهفَات، و يرحلون عن منازلهم في الأحساء ونجد ميمّنين وجوههم شطرَ البصرة، يريدون الانضمام إلى جموع المسلمين المحتشدين هناك تحت قيادة عتبة بن غزوان لقتال الفرس جهادا في سبيل اللهِ، و طلبًا لما عند الله من حسن الثواب، و كان معهم فتاهم الأحنف بن قيس، وذات يوم تلقَّى عتبةُ بن غزوان كتابًا – قائد الجيش – من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه يأمره أن يرسل إليه عشرةً من صُلَحاء عسكره وأحسنهم بلاءً في القتال، ليقف منهم على أحوال الجيش، و ليتملَّى مما عندهم من غير مشورة، فصدع عتبةُ بالأمر و جهَّز عشرة من صفوة عسكره، وجعل بينهم الأحنف بن قيس ووجَّههم إلى المدينة، و لمل مثُل رجالُ الوفد بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحَّب بهم و أدنى مجالسهم، ثم سألهم عن حوائجهم و حوائج عامَّة الناس، فنهضوا إليه تِباعًا وقالوا: أمَّا عامَّةُ الناس فأنت وليُّهم، لا علاقة لنا بهم، وصاحبُ شؤونهم، أما نحن فنتكلَّم عن خاصَّة أنفسنا، ثم طلب كلٌّ منهم حاجته التي تعنيه، وكان الأحنفُ بن قيس آخر الرجال كلامًا، لأنه كان أصغرَهم سنًّا، فلما جاء دورُه في الكلام حمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إن جند المسلمين الذين حلُّوا في مصرَ قد نزلوا في الخُضرة والنُّضرة، والخصب من منازل الفراعنة، وإن الذين حلُّوا في ديار الشام قد نزلوا في الرغد والثمار والرياض من منازل القياصرة، وإن الذين حلُّوا في ديار الفرس قد نزلوا على ضفاف النهر العذبة، والجنان الوارفة من منازل الأكاسرة، لكنّ قومنا الذين حلّوا في

البصرة قد نزلوا في أرض هشاشةٍ نشاشةٍ –الهشاشة الأرض اللينة المُستَرخِية، والنشاشة المالحة– لايجفُّ ترابُها ولاينبُت مرعاها، أحدُ طرفيها بحرُ قُجاجٌ وطرَفُها الآخرُ فَلاةٌ قفرٌ – وصفٌ دقيق جدًّا – فأَزِل يا أمير المؤمنين ضرَّهم، وأنعِش حياتهم ومُرْ والِيَك على البصرة أن يحفر لهم نهرًا يستعذبون منه الماءَ، ويسقون الأنعامَ والزَّرعَ وتحسُن حالُهم، ويصلُح عِيالُهم، وترخُص أسعارُهم، ويستعينون بذلك على الجهاد في سبيل اللهِ فنظر عمرُ إليه في إعجاب و قال: هلاَّ فعلتم مثل ما فعل هذا، الجماعة قالوا: أما عامة الناس فأنت وليُّهم، فقال سِّدنا عمرُ : إنه واللهِ لسيِّدٌ، هذا سيّد .



لأن سيّد القوم خادمُهم، إنه و اللهِ لسيّد إذا كان الإنسانُ في مرتبة عُليا في مجتمعه، فعليه تبِعاتٌ كثيرةٌ، عليه أن يخدم الناس جميعا ليكون حقًّا سيّدَهم، ثم قدَّم إليهم جوائزَهم، وقدَّم للأحنف جائزته فقال: واللهِ يا أمير المؤمنين ما قطعنا إليك الفَلَواتِ و لا ضربْنا إليك أكبادَ الإبل في البُكور والعَشِياتِ لنيل الجوائز، وما ليَ من حاجة لديَّ إلا حاجةَ قومي التي ذكرتُ، فإن تقضِها لهم تكنْ قد كفيتَ ووفّيتَ، فازداد عمرُ إعجابًا به و قال: هذا الغلامُ سيّد أهل البصرة، و لما انفضَّ المجلسُ وهمَّ رجالُ الوفد بالانصراف إلى رواحلهم ليبيتوا عندها أجال عمرُ بصرَه في حقائبهم فرأى طرَف ثوب خارجًا من إحداهم فقام فلمسه بيده و قال: لمَن هذا ؟ فقال الأحنفُ: ليَ يا أمير المؤمنين، و قد أدرك أنه استغلاه فقال له عمرُ : بِكَمْ اشتريته ؟ فقال: بثمانية دراهم، فقال: هلاَّ اكتفيتَ بواحد ووضعتَ فضلَ مالك في موضعٍ تعين به مسلما، أي اشترِ ثوبا بدرهم ووضعتَ فضلَ مالك في موضعٍ تعين به مسلما، ثم قال رضي اللهُ عنه:خذوا من أموالكم ما يصلِح شأنكم، وضعوا الفضولَ في مواضعها تُريحوا أنفسكم و تربحوا.

سيّدنا عمر أذِن للرجال بالعودة إلى البصرة، غير أنه لم يسمح للأحنف أن يعود إليها، واستبقاه عنده حولاً كاملاً، ولقد أدرك عمرُ بثاقب نظره ما توافر لهذا الفتى التميمي من حِدَّة الذكاء، ونصاعة البيان، وسمُوّ النفس، وعُلُوّ الهمَّة، وغِنى المواهب، فأراد أن يُبقيَه قريبا منه ليصنعه على عينه، وليلقى كبارَ الصحابة فيهتدي بهديهم، ويتفقَّه في دين الله على أيديهم ثم إنه كان يريد أن يختبرَه عن كثَب، وأن ينفُذ إلى دخيلة نفسه قبل أن يولّيه بعضَ شؤون المسلمين ذلك أن عمر كان يخشى الأذكياءَ الفصحاء أشدَّ الخشية، لأنهم إذا صلحوا ملؤوا الدنيا خيرًا وإذا فسدوا كان ذكاءهم وبَالاً على الخلق، فالأذكياءُ يُخوِّفون، يا أحنف إني قد

ابتليْتُك واختبرتُك فلم أرَ إلا خيرًا، وقد رأيتُ علانيتَك حسنةً، وإني لأرجو أن تكون سريرتُك حسنةً أيضًا مثلَ علانيتك، ثم وجَّهه لحرب الفرس و كتب لقائده أبي موسى الأشعري: أمَّا بعدُ فأدنِ الأحنفَ بن قيس و شاورْه واسمعْ منه، فانضوى الأحنف تحت ألوية المسلمين المشَرَّقة في بلاد فارس، و أبْلى من ضُروب البطولات ما جعل سهمَه يعلو، ونجمَه يتألّق، وأبلى هو وقومه بنو تميم في قتال العدوِ أكرمَ البلاء، وبذلوا أسخى البذل، حتى فتح اللهُ على أيديهم مدينةَ تُوسْتَرْ، دُرّةَ التاج الكِسرَوِي، وأوقع في أسرهم الهُرمزان.

كان الهرمزان من أشدِّ قواد الفرس بأسًا، وأقوى أمرائهم شكيمةً، و أمضاهم عزيمةً وأوسعهم مكيدةً في الحرب، وقد ألجأتْه انتصاراتُ المسلمين إلى مصالحتهم أكثر من مرة، غير أنه كان يغدر بهم كلما سمحتْ له الفرصةُ، وظنَّ أنه قادرٌ على النصر، فلمل أطبقوا عليه تحصَّن منهم في بُرْجٍ من أبراج الحصن و قال: إن معي مائة سهم وواللهِ ما تصلون إليَّ ما دام في يدي شيءٌ منه، و أنتم تعلمون أني رامٍ لا تخطِأ له رمية، فما جدوى أسركم إيايَ بعد أن أقتل منكم مائة ؟ فقالوا و ماذا تريد ؟ فقال: أريد أن أنزل على حكم خليفتكم عمر، ولْيفعلْ بي ما يشاء، فقالوا: لك ذلك، فرمى قوسه على الأرض، ونزل إليهم مستسلمًا، فشدُّوا وثاقه وأُرسِل إلى المدينة مع وفد من أبطال الفتح، و كان على رأسهم أنسُ بن مالك خادم رسول الله صلى الل عليه و سلم و الأحنفُ بن قيس تلميذُ المدرسة العُمرية، ومضى الوفدُ يحُثُّ الخُطى بالهرمزان نحو المدينة ليبشِّر سيِّدَنا عمر بالفتح، ويحمل إلى بيت مال المسلمين خمس الغنائم، وليسلّم ناقض العهود، خوَّانَ الذمم إلى الخليفة ليحكم فيه بحكمه، وسيدنا صلاح الدين لما انتصر على الفرنجة عفا عن كلِّ ملوك فرنجة إلا ملكًا واحدًا كان كلَّ عامٍ يغدِر بالمسلمين، ويقتل حجَّاجهم هذا لم يعفُ عنه، بل قتله بيده، لأنه كان غدَّارا، فهذا كان ناقضًا للعهود، خوَّانا للذِّمم، أُرسِل إلى المدينة ليحكم فيه سيدنا عمر بحكمه، و لما بلغوا حواشيَ المدينة أعدُّوا الهرمزان ليعرضوه على المسلمين على هيئته هناك، فألبسوه ثيابَه المنسوجة من ثمين الديباج، و المُوشَّاة بخيوط الذَّهب، ووضعوا على رأسه تاجَه المرَصَّعَ بالدُّرِّ و الجوهر و قلَّدوه صوْلجانَه المصنوعَ من الإبريز المُكلَّل باليواقيت و اللآلئ، وأدخلوه إلى المدينة بهيئته العظيمة يوم كان قائدًا كبيرا في بلاد فارس، فما أن وطِأتْ أقدامُهم أرضَ يثربَ حتى تجمَّع الناسُ عليهم شِيبًا وشبَّانًا، إنه منظرٌ غريبٌ، و جعلوا ينظرون إلى أسيرهم، ويعجبون من هيئته وزيِّه أشدَّ العجَب، توجّه الوفدُ بالهرمزان إلى دار عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه، فقيل هو في المسجد يستقبل وفدًا قدِم عليه فانطلقوا إلى المسجد فلم يجدوه، و كانوا كلما طال بهم البحثُ عن الخليفة تكاثر الناسُ عليهم و اشتدَّ الزحامُ، فصار الأمرُ فُرجة، وفيما هم في حيرتهم رآهم صبيةٌ صغارٌ يلعبون فقالوا: ما شأنكم ؟ نراكم ذاهبين آيبين لعلَّكم تريدون أميرَ المؤمنين، قالوا: نعم نريده، قالوا: فإنه نائمٌ في ميمنة المسجد متوسِّدٌ بُرنسَه، و كان عمرُ رضي اللهُ عنه قد خرج للقاء وفدٍ من أهل الكوفة، فلما

انصرف الوفدُ خلع البُرنس ووضعه تحت رأسه وأسلم جفنيه للتراب، فانطلق الوفدُ بالهرمزان إلى ميمنة المسجد فلما رأوا الخليفةَ نائما جلسوا دونه، وأجلسوا أسيرَهم معهم، و لم يكن للهرمزان يفقه العربيةَ، وما كان يخطر بباله أن هذا النائمَ في ناحية المسجد هو أمير المؤمنين عمر، حقًّا لقد كان قد سمع عن تقشُّفه، وزهده في زخرُف الدنيا وزينتها، لكنه ما كان يتخيَّل أن ينام قاهرُ الروم و الفرس في طرف المسجد من غير غطاء، و لا وِكاء و لا حرَّاسٍ و لا حُجَّابٍ و لما رأى القومَ يجلسون صامتين، ظنهم الهرمزانُ يتأهَّبون للصلاة، ويترقَّبون قُدوم الخليفة لكنَّ الأحنفَ بن قيس جعل يشير إلى الناس أن يسكتوا، ويكفُّوا عن الجلبة لكي لا يوقظوا الخليفة فقد كان يعلم علم اليقين من صحبته السابقة أنه قلَّما يُغمَض له جفنٌ في الليل، فهو إمَّا قائمٌ في محرابه يعبد اللهَ، وإمَّا متخفِّفٌ من ثيابه يجوب أحياءَ المدينة ليعرف أحوالَ الرعية، أو عاسٌّ يحرس بيوت المسلمين من الطُّراق، فأثارتْ إشاراتُ الأحنف إلى الناس انتباهَ الهرمزان، فالتفت إلى المغيرة بن شعبة و كان يعرف الفارسية و قال: مَن هذا النائمُ ؟ فقال له المغيرةُ: إنه عمر فتَغَرَ الهرمزانُ فمه دهشةً و قال: عمر! أين حرسُه و حجَّابُه ؟ فقال له المغيرةُ: ليس له حارسٌ و لا حاجبٌ، فقال الهرمزان: ينبغي أن يكون نبيًّا، فقال المغيرة: لا، بل يفعل فعلَ الأنبياء إذ لا نبيَّ بعد رسول اللهِ، ثم كثُر الناسُ، و ارتفعتْ الجلَبةُ فاستيقظ عمرُ، واستوى جالسًا، ونظر إلى الناس في دهشةٍ، فرأى الأميرَ الفارسي وعلى رأسه تاجُه المتَوهِّج تحت أشعَّة الشَّمس، وفي يده صولجَانُه الذي يخطف بريقُه الأبصارَ، فحدَّق وقال: مَن هذا ؟ فقالوا: هو الهرمزانُ، فقال: الهرمزانُ فقال الأحنفُ:: نعم يا أمير المؤمنين، فتأمَّل عمرُ ما عليه من الذهب واللآلئ واليواقيت، و الجواهر والحرير، ثم أشاح بوجهه و قال: أعوذ بالله من النار، و أستعين به على الدنيا، الحمد لله الذي أذلَّ هذا و أشياعَه للإسلام، و قال: يا معشر المسلمين تمسّكوا بهذا الدين ؛ كلمة عميقة ؛ يا معشر المسلمين تمسّكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيّكم الكريم ولاتُبْطِركم الدنيا فإنها غرَّارةٌ، فلما فرغ من كلامه بشَّرهِ الأحنفُ بن قيس بالفتح و أخبره بما أفاء اللهُ على المسلمين من الغنائم، وقال: يا أمير المؤمنين إن الهرمزان قد استأسَر لنا – أي استسلم – وطلب أن ينزل على حكمك فيه، فكلِّمه إذًا، قال: لا أكلّمه حتى تخلعوا عنه هذه المظاهر فخلعوا عنه حِليته وتاجه، وأخذوا منه صولجانه، وألبسوه ثوباً يستره، عند ذلك التفت عمر إليه، وقال: يا هرمزان – طبعا هناك مترجِم – كيف وجدتَ وبالَ الغدر، وعاقبة أمر الله ؟ فأطرق الهرمزان في ذِلَّة، ثم قال: يا عمر لقد كنا في الجاهلية نحن و إياكم و لم يكن الله معنا و لا معكم، فغلبناكم، فلما أسلمتم صار اللهُ معكم فغلبتمونا، فقال له عمر: لقد غلبتمونا لهذا الذي ذكرتَ، ولأمر آخر هو اجتماعكم وتفرُّقنا، ثم نظر إليه بشدة و قال: ما عذرُك في انتقاضك المرة تِلْوَ المرة عهود المسلمين يا هرمزان، هل لك عذرٌ في الغدر ؟ فقال الهرمزانُ: أخاف ؟ أن تقتلني، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تخبرني – أي أنت في أمان إلى أن تخبرني، فلما سمع الهرمزان ذلك من عمر هدأ رَوْعُه بعض الشيء، وقال: إني عطشان، فأمر له عمر أن

يسقوه، فأُتِيَ له بماء في قدحٍ غليظ، فتأمله – طبعا هذا ملِك – قال: و اللهِ لو متُّ عطشا ما شربتُ من هذا الإناء، فأمر عمرُ فأُتيَ له بماء في إناءٍ يرضاه ؛ فلما أخذه من يده جعلت يدُه ترتجف، فقال له عمرُ: ما بكَ؟ فقال إني أخاف أن أُقتَل وأنا أشرب هذه الجرعة من الماء فقال له عمر: لا بأس عليك حتى تشربها، فما كان من الهرمزان إلا أن كفَأَ الإناءَ، وسفح الماءَ فقال عمر: أحضروا له ماء غيرَه، ولا تجمعوا عليه القتل والعطشَ، فقال الهرمزان: لا حاجة لي بالماء أبدا، وإنما أردتُّ أن أستأمِن به على نفسي من القتل، فقال له عمر: إني قاتلُك، فقال الهرمزان: لقد أمَّنتني، فقال عمر: لقد كذبتَ، فقال أنسُ بن مالك: صدق يا أمير المؤمنين لقد أمَّنتَه، فقال عمر: ويحك يا أنس أَؤُأمِّن قاتلَ أخي، هيهات، فقال أنسُ: لقد قلتَ له: لا بأسَ عليك حتى تخبرني، وقلتَ له: لا بأس عليك حتى تشرب الماء، وأيَّد الأحنف قول أنس، وأقرَّ الحاضرون بأن سيّدنا عمر قد أمَّن الهرمزانَ، فنظر عمر إليه، وقال: لقد خدعتَني، وإني واللهِ لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم الهرمزانُ، فأراد سيدنا عمر أراد أن يقسُوَ عليه كي يحمله على الإسلام، و أحيانا تحدث تمثيلية بين الأب والأم على الطفل، وسيدنا عمر كان يقلق بالَه كثرةُ نقض الفرس لعهودهم وانقلابهم.

والحمد لله رب العالمين

2-5 شروط الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر. وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممـن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحكمة من حجّ بيت الله الحرام :

أيها الأخوة الكرام: نحن في أشهر الحج، والإسلام كما تعلمون عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، والحج أحد العبادات الكبرى في الإسلام، إنه الفريضة البدنية، المالية، الشعائرية، التي خصَّت بأمكنة وأزمنة معينة. أيها الأخوة الكرام: فرق كبير بين العبادات والطقوس، الطقوس: حركات لا معنى لها ولكن العبادات كما تعلمون وكما ذكر الإمام الشافعي معللة، فالله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ الْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[سورة العنكبوت: 45]

ويقول في القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة : 183]

ويقول في القرآن الكريم:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾

[سورة التوبة: 103]

أيها الأخوة الكرام: الإنسان أحياناً يشرد عن الله عز وجل، تتحكم فيه قيم مادية، يلهث وراءها، ويستخدم موازين غير الموازين التي أرادها الله سبحانه وتعالى، لئلا يُفاجأ حينما يغادر هذه الدنيا، لئلا يشعر أن قيمها باطلة، وأن موازينه خاطئة، فرض الله جل جلاله على الموسر أن يحج بيت الله الحرام كي يستعد لرحلة شاءها الله لكل مخلوق، رحلة الإنسان عن الدنيا إلى الآخرة. ماذا في الحج أيها الأخوة؟ أول شيء في الحج التجرد من الثياب، والثياب تعني أشياء كثيرة، تعني الدنيا، وتعني مرتبتك المالية، ومرتبتك الاجتماعية، وتعني تعلق الإنسان بدنياه، يتجرد عن الثياب، ويتجرد عن المباحات التي أبيحت له خارج الحج، وفضلاً عن ذلك عليه أن يقوم بأعمال ونسك ربما كانت شاقة، عليه أن يحج الغني مع الفقير في مكان واحد، وفي مطاف واحد، وفي مسعى واحد، وأن يقف الناس جميعاً في عرفات، مجردين من الثياب التي يلبسونها في دنياهم بثياب أشبه شيء بالأكفان.



فرض الله على الموسر أن يحج استعدادا لرحلة الآخرة

أيها الأخوة الكرام: التجرد عن الدنيا، والمساواة بين الخلق أحد معالم الحج، لعل الإنسان يذكر يوم القيامة، يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، لعل الإنسان في هذا المكان الطاهر، وفي هذا المجتمع المتساوي، وفي هذا التجرد عن زينة الحياة الدنيا، يذكر الإنسان ربه، ويذكر العودة إليه، ويذكر وقوفه بين يديه. لعل الحج أيها الأخوة تهيئة لمغادرة الدنيا إلى الآخرة، فالمؤمن كما تعلمون حينما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة ينتقل كما ينتقل الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا.

الحج صلة متميزة أساسها التّفرغ التّام :

أيها الأخوة الكرام: كلكم يعلم أيضاً أن العبادات في الإسلام أساسها الاتصال بالله عز وجل، فالصلاة من أجل الصلة، والصيام من أجل الصلة، والحج من أجل الصلة، والزكاة من أجل الصلة، من أجل أن تتصل النفس بربها، إلا أن الحج سمة متميزة أساسها التفرغ التام، لابد إذاً من مغادرة الأوطان، لابد من مغادرة الأهل والخلان، لابد من ترك الأسرة، لابد من ترك الزوجة، لابد من ترك الأولاد، لابد من ترك العلم، لابد من تحمل نفقات الحج.

هذا التفرغ التام وإن كان باهظ التكاليف إلا أنه باهر النتائج، فالصلة التي تحصل للحاج في الحج غير الصلة التي تحصل له في الصيام، وغير الصلة التي تحصل له في الصلاة.

أيها الأخوة الكرام: الحج صلة متميزة أساسها التفرغ التام، وأضيف إلى التفرغ التفريغ التفرغ من قبل العبد، حينما ترك بيته، وترك عمله، وترك أهله، وترك أولاده، ودفع التكاليف الباهظة، فرغ نفسه لله عز وجل، أما التفريغ فهذا من إكرام الله جل جلاله لكل حاج مخلص زار بيته الحرام.

إن الدنيا تُنزع من قلب الحاج، لا يذكر شيئاً من متاعب الدنيا، لا يذكر شيئاً من همومها، هو حينما غادر بلده، وترك أهله وأولاده، وترك علمه، كافأه الله بالتفريغ التام، فالتفرغ من العبد، والتفريغ من الرب.

الحج رحلة إلى الله و اتصال به :

أيها الأخوة الكرام: ولا تنسوا أن الحج رحلة إلى الله، لا تنسوا أن الحج رحلة من أجل الاتصال بالله، و لا تنسوا أن الحج مستويات، في أولى مستوياته الصلح مع الله، وفي بعض مستوياته العروج، كما ورد في الأثر: " الصلاة معراج المؤمن" .

التنقل من درجة إلى درجة، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام.

أيها الأخوة الكرام: الذي يحج البيت الحرام، ويلبي دعوة ربه وأمره التكليفي إنما يؤكد لنفسه أن تلبية دعوة الله جل جلاله أغلى عليه من أهله، ومن أولاده، ومن عمله، ومن مرتبته الاجتماعية، ومن مقامه في بلده، ومن الناس أجمعين.

أيها الأخوة الكرام: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل. حينما تبرهن لنفسك أن طاعة الله عز وجل وطلب مرضاته أغلى عندك من كل شيء هذا الذي يُمكّن الثقة في نفسك، ويجعلك تقبل على الله عز وجل، وتذوق حلاوة المناجاة.

شروط الحج :

أيها الأخوة الكرام: الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلِلَّهِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

والاستطاعة شرط من شروط الحج، الاستطاعة البدنية، والاستطاعة المالية، والاستطاعة الأمنية إن صحّ التعبير. فالذي لا يجد قوةً في جسده تعينه على أداء مناسك الحج ليس مستطيعاً، وبإمكانه أن ينيب من يحج عنه، بحسب نوع من الحج هو حج البدل، توسع الفقهاء في الحديث عن شروطه، والذي لا يجد المال الكافي

لذهابه، وإيابه، ونفقته، وسكناه في مكة والمدينة، ليس مستطيعاً، فلا ينبغي للمؤمن أن يقترض من أجل أن يحج، ولا ينبغي أن يجمع المال بطريقة أو بأخرى من أجل أن يحج.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

وحينما لا يسمح له أن يحج ليس له أن يسلك الأساليب الملتوية من أجل أن يحج.

أيها الأخوة الكرام: الحج فرض على المستطيع، والاستطاعة بدنية، ومالية، وأمنية، فإن اختلت أحد هذه الشروط ليس مستطيعاً، والله سبحانه وتعالى يعينه على الحج في الأعوام القادمة.

أيها الأخوة الكرام: ورد في الحديث الشريف:" أن الذي يحج بمال حرام ويضع رجله في الركاب ويقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد لك والنعمة والملك لا شريك لك، يناديه مناد أن لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك".

لابد من النفقة الحلال، لابد من كسب المال الحلال كي تؤدى به هذه العبادة، بين أن يقول الحاج: لبيك اللهم لبيك، ويسمع نداء الحضرة الإلهية يقول: حجك مقبول، وسعيك مشكور، وذنبك مغفور، وبين أن يقول: لبيك اللهم لبيك، فيناديه مناد أن لا لبيك، ولا سعديك، وحجك مردود عليك.

أيها الأخوة الكرام: مادام الحج عبادة مالية، إذاً يجب أن يكون المال حلالاً من كسب مشروع، ومن طريقة مشروعة، وحتى يُبارك لهذا الحاج في حجه.

أيها الأخوة الكرام: يقع بعض العوام في وهم كبير، وهذا الوهم أساسه فهم خاطئ لبعض الأحاديث الشريفة، فمن حج بيت الله الحرام رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه. أية ذنوب هذه؟ إنها الذنوب التي بينك وبين الله؛ لأن الذنوب التي بينك وبين العباد لا تسقط إلا بالأداء أو المسامحة، أما الذنوب التي بينك وبين الله فهذه التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال:

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذا الحديث ينصرف إلى الذنوب التي بين العبد وبين ربه، أما إذا كان هناك حقوق لم يؤدها، إذا كان هناك واجبات لم يؤدها، إذا تعلقت بذمته أموال لم يعطها لمن يستحق، فهذه الذنوب تبقى عالقة في رقبته، وعليه أن يدفع ثمنها.

أيها الأخوة الكرام: تفقهوا قبل أن تحجوا. حقوق الله جل جلاله مبنية على المسامحة، إلا أن حقوق العباد مبنية على المشاححة.

درء المفاسد مقدم على حجة النافلة :

أيها الأخوة الكرام: شيء آخر: من حجّ حجة الفريضة، ويرغب أن يحج حجة نفل يجب أن ينتبه إلى أن درء المفاسد مقدم على حجة النافلة، أداء الحقوق مقدم على حجة النافلة، أداء الواجبات مقدم على حجة النافلة، فلأن يزوج الإنسان ابنه الذي يخشى عليه العنت، ويخشى عليه الانحراف ولاسيما في فساد الزمان، ربما كان تزويج ابنه أفضل عند الله من حجة نافلة. حجة الفريضة ينبغي أن تؤدى على المستطيع، لكن حجة النافلة هذه التي يمكن أن نقول: إن درء المفاسد مقدم عليها، وإن أداء الحقوق مقدم عليها، وإن أداء الواجبات مقدم عليها، وإن إصلاح ذات البين مقدم عليها.

التّفقه قبل الحج :

أيها الأخوة الكرام: شيء آخر: هو أن الذي يحج بيت الله الحرام، ويطوف طواف الزيارة، ويسعى بين الصفا والمروة، ويقف في عرفات، هذه المشاعر المقدسة ينبغي أن ترافقها في الحج مشاعر مقدسة، قد تعجب أن بعض الحجاج يأتي من حجه، وتسأله عن هذا الحج فيحدثك عن كل شيء إلا الحج !.. تعجب. أيعقل أن يكون أمر الله جل جلاله بلا معنى؟ أيعقل أن يكون أمر الله الذي ورد في القرآن الكريم فريضة من الله أن يؤدى أداءً شكلياً دون أن يشعر الحاج بشيء؟



يا أيها الأخوة الكرام: تفقهوا قبل أن تحجوا. النبي عليه الصلاة والسلام علمنا نسكنا، وذكر لنا تفصيلات كثيرة، وأشار إلى بعض المشاعر التي ينبغي أن ترافق الحاج وهو يؤدي نسكه، حينما قبّل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود ورد عنه قوله: هنا تذرف العبرات.. ما الذي يدعو الحاج إلى البكاء؟ أليس شعوره بالقرب من الله عز وجل؟

من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حج له.

أيها الأخوة الكرام:

((ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل: يا رسول الله، هن أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا عبادي جاؤوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة))

[البيهقي عن جابر]



إذا ذهبت إلى بيت الله الحرام، ملبياً دعوة الله عز وجل، متجشماً المشاق، تنفق من مالك الحلال، ترجو رحمة الله عز وجل، ترجو المغفرة، ترجو العتق من النار، وقفت في عرفات، تناجي ربك، تتوب إليه، تعاهده على السمع والطاعة، تعاهده على طلب معرفته، وعلى بذل الغالي والرخيص من أجل مرضاته، أنت إذا وقفت في عرفات تناجي ربك، تتوب إليه، تعاهده على السمع والطاعة، تعاهده على طلب معرفته، وعلى بذل الغالي والرخيص من أجل مرضاته، إذا وقف الحاج في عرفات، بهذه النوايا الطيبة، وبهذا الإنفاق من مال حلال، وبهذا القصد النبيل، عندئذ يتجلى الله على أهل عرفات، فيغفر لهم ما كان منهم، ويقبلهم، ويعتقهم من النار. لذلك لا يرى الشيطان في يوم هو أدحر فيه من يوم عرفة.

أيها الأخوة الكرام: ورد في الأدعية التي كان يدعوها النبي عليه الصلاة السلام في عرفات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رجل: هذا ثناء وليس بدعاء، فذكر هذا الرجل بالحديث القدسي:" إذا شغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطي السائلين". فالثناء في القرآن دعاء، يؤكد هذا أن النبي الكريم يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء :88]

فاستجبنا له: أي ثناؤه كان دعاءً. وثناء العبد على ربه في عرفات من أجلّ الأدعية.

من استطاع الحج و لم يحج فقد كفر :

أيها الأخوة الكرام: يقول الله جل جلاله:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران:96]

يا أخوة الإيمان: يُستنبط من هذه الآية أن الذي يملك الزاد، والراحلة، والاستطاعة البدنية، أي أن الذي يستطيع الحج ولا يحج فربما شمله الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كفر دون كفر.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران:97]

الحج فريضة ينبغي أن يؤديها المستطيع، ولا أن يتعلل، ولا أن يسوف، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران : 97]

أي من كان مستطيعاً ولم يؤد هذه الفريضة، فهذا نوع من الكفر بها، وكفر دون الكفر الأكبر.

موضع مكة بالنسبة للقارات الخمس :

أيها الأخوة الكرام: وقد قال بعض العلماء: إن مكة تقع في الوسط الهندسي للقارات الخمس، وقد أكد هذا بدقائق مصورة عن موقع هذه المدينة المقدسة، وأما قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران:96]

قال بعض العلماء: إن بكة موضع البيت الحرام من مكة المكرمة، وقال بعض العلماء: إن أول بيت وضع للناس لنسكهم وعبادتهم. العبادة ألزم شيء في حياة الإنسان.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]

وهذا مكان العبادة، وهذا المكان يحتاج إلى تفرغ تام، ويحتاج إلى تفريغ من الله عز وجل.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران: 96-97]

من يصطلح مع الله و يتوب إليه يأمن من عذاب الدنيا و الآخرة :

وقد وقف العلماء حول كلمة ومن دخله كان آمناً مواقف شتى، من أبرزها، ومن أوجهها، أن الذي يهتدي إلى الله عز وجل ويصطلح معه ويتوب إليه يأمن من عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ:



((بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ ابْنَ جَبَلٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))

[متفق عليه عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا.. ومن دخل هذا البيت بنية طيبة، ملبياً دعوة الله عز وجل، مصطلحاً معه، معاهداً إياه على التوبة، أمن من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. هذا هو الأمن الذي ذكره الله في القرآن الكريم.

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: 81-82]

من يعلم أن الله يعلم و يحاسب يستقيم على أمره ويسعد في الدنيا والآخرة :

أيها الأخوة الكرام: وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة: 97]

كما أن القرآن الكريم من خصائصه أنه مثاني، أي أن كل آية تنثني على أختها لتوضحها وتفسرها. الآية الكريمة التي تقول:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

[سورة الطلاق : 12]

إذا علم الإنسان أن الله يعلم وسيحاسب لابد من أن يستقيم على أمر الله، إذا شئت قانوناً لاستقامة النفس على أمر الله يجب أن تؤمن بأن الله موجود، وواحد، ويعلم، وسيحاسب. ما من نفس على وجه الأرض تتحقق من هذه الحقائق؛ أن الله موجود، وواحد، لا إله غيره، ويعلم ما تفعل، وسيحاسب، إلا واستقامت على أمر الله، لذلك هذه الآية الكريمة:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة: 97]

إذا علمت أن الله يعلم استقمت على أمره، وسعدت في الدنيا والآخرة، و إن علمت أن إنساناً قوياً يراقبك لابد من أن تستقيم على أمره، إنساناً قد لا تحبه، وقد لا تعظمه، ولكنه قوي ويراقب، ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾

[سورة النساء: 1]

ألم تقرأ قوله تعلى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

[سورة الفجر: 14]

ويبدو من خلال هذه الآية أن أداء هذه العبادة العظيمة يسهم في أن تعلم أن الله يعلم، أن تعرف بأن الله سبحانه وتعالى وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

الحج المبرور :

أيها الأخوة الكرام: روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا))

[مسلم عن أبي هريرة]



وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور، والحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم.

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث متفق عليه:

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أي الإنسان أمام فرصة وهو حي يُرزق، أمام فرصة أن يغفر الله له كل ذنوبه السابقة، أن تُفتح له مع الله صفحة جديدة، أن يعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه، هذا هو الحج المبرور.

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي حديث آخر متفق عليه:

((العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلى الجنة))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام: ماذا بعد آيات الحج؟

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾

[سورة آل عمران : 97]

وماذا بعد هذه الأحاديث المتفق عليها؟ إني أعجب أشدّ العجب ممن يستطيع أن يحج ولا يحج، تهاوناً أو تسويفاً، والله سبحانه وتعالى هو الغفار الرحيم، هو التواب الرحيم، أعطانا فرصة كي يتوب علينا، أعطانا فرصة كي نمحو الماضي كله، أعطانا فرصة كي نخرج من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، أعطانا فرصة أن نستحق الجنة بحج مبرور.

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

ظاهرة النبات وحدها آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام: أخ كريم من رواد هذا المسجد وهو أستاذ في الجامعة، أهداني في الأسبوع الماضي كتاباً عن النبات، وهو كتاب مقرر في كلية العلوم تصفحته قبل أيام وجدت فيه العجب العجاب.



في هذا الكتاب موضوع معنون بانجذاب النبات، النبات ينجذب إلى ماذا؟ هل النبات يعقل؟. النبات ينجذب إلى الضوء، فلو وضعت نباتاً في غرفة، ولهذه الغرفة نافذة واحدة، ترى أن أغصان النبات، وأوراق النبات تتجه إلى تلك النافذة التي يأتي منها الضوء، ولكن الأدق من ذلك أن أوراق الشجر تنتظم بشكل رائع بحيث تواجه كلها أشعة الشمس، فقلّما تتداخل أوراق الأشجار فيما بينها، وإذا تداخلت ففي حدّ أدنى من التداخل، لابد من أن تتجه أوراق الأشجار جميعها إلى أشعة الشمس، من أودع في هذا النبات هذه الخاصة؟

﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾

[سورة النمل : 63]

شيء آخر: جاؤوا بنبات ووضعوه بشكل أفقي في أنبوب، فإذا بالجذر يتجه نحو الأسفل، وبالساق يتجه نحو الأعلى، الجذر يتجه نحو الرطوبة والماء، والساق يتجه نحو الشمس والهواء، ما الذي جعل هذا النبات بجزئيه جزء يتجه نحو أشعة الشمس وجزء يتجه نحو الأرض؟

﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾

[سورة النمل : 63]

أيها الأخوة الكرام: شيء رابع هو أن جذور النبات تتجه نحو الماء، وهناك أشجار يصل طول جذورها إلى ثلاثين متراً بحثاً عن الماء. من أودع في النبات هذه الخاصة؟ الساق يتجه نحو الأعلى، والجذر يتجه نحو الأسفل، فلو كان الماء في طرف في التربة دون طرف لاتجهت الجذور نحو الماء وهي في باطن الأرض،

ولو كان الساق متجهاً نحو الأعلى وكان الضوء من جهة أخرى، من جهة واحدة لاتجهت الأغصان نحو الضوء. هل المادة عاقلة؟..



إن ظاهرة النبات وحدها أيها الأخوة تلفت النظر، إن ظاهرة النبات وحدها تُعد آية من آيات الله الدالة على عظمته. الانجذاب نحو الضوء، والانجذاب نحو الأرض للجذور، ونحو السماء للفروع، والانجذاب نحو الماء.

وفضلاً عن كل ذلك فهناك ظاهرة في النبات يقشعر منها الجلد، أن النبات إذا عطش ينبغي أن يستهلك ماء الجذور، لا يستهلك إلا ماء الأوراق، وبعد أن يستهلك ماء الأوراق يستهلك ماء الأغصان، وبعد أن يستهلك ماء الأغصان يستهلك ماء الفروع، وبعد أن يستهلك ماء الفروع يستهلك ماء الجذع، وبعد أن يستهلك ماء الجذع يستهلك ماء الجذور، وآخر ماء يستهلكه النبات حينما يُمنع من الري ماء الجذور. فقد ينسى الفلاح أن يسقي الشجرة أياماً كثيرة، وقد تشح السماء بماء الأمطار، لكن هذا النبات لا يستهلك إلا الماء الذي لا يضر وجوده. آخر ماء يستهلكه النبات ماء الجذور، فإذا استهلك ماء الجذور ويبست الجذور يبس النبات ومات.

أية حكمة وراء هذه القاعدة؟

يا أيها الأخوة الكرام:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس: 101]

كل شيء في الأرض يدل على عظمة الله، ويدل على حكمة الله، ويدل على علم الله، ويدل على رحمة الله، ويدل على فضل الله عز وجل.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، ارضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشيتك، ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، مولانا رب العالمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين, اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء.

اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من فوقهم ولي العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء.

اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين.

اللهم ارزقنا التأدب ونحن في بيوتك يا رب العالمين. اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : فروض الحج و سننه و محظوراته

3-1 فروض الحج

3-2 سنن الحج

3-3 محظورات الحج

3-1 فروض الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا، وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

فروض الحج :

1 . الإحرام :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع الحج، و قد تحدَّثتُ إليكم في الدرس الماضي عن فرضية الحج، وعن فوائد الحج و شروط وجوب أدائه، وعن شروط صحة الأداءِ، وعمَا إذا كان الحجُّ واجبًا على الفور أو على التَّراخي، واليوم ننتقل إلى ثلاثة موضوعات: الموضوع الأول : فروض الحج، و الموضوع الثاني : واجبات الحج، و الموضوع الثالث : سنن الحج.


الإحرام نية بالقلب وتلبية باللسان من غير فاصل بينهما

فمن فروض الحج الإحرام، والإحرام عند الأئمة الثلاثة ركن، عند الإمام أبي حنيفة شرطٌ، ومعنى الشرط أنه يجب أن يستمر طوال أداء الفريضة، كأن تكون متوضِّئا للصلاة، واستقبال القبلة شرط للصلاة، فالشرطُ يستمر طوال العبادة، بينما الركن ينقضي بانقضاء أفعاله.

وعلى كلٍّ فالإحرامُ في حقيقته نيّةٌ بالقلب، وتلبيةٌ باللسان، من غير فاصلٍ أجنبيٍّ بين النية والتلبية، فإذا نوى الإنسانُ الحجَّ والتقى مع إنسان و تحدَّثوا في موضوع تجاري، ثم عاد فقال: لبيك اللهم لبيك، هذا غلطٌ، نيَّةٌ بالقلب وتلبية باللسان من دون أن يكون بينهما فاصل أجنبيٌّ، والتلبية كما وردت عن النبي عليه الصلاة و السلام: " لبَّيك اللهم لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريك لك."

أمَّا النية فيستحب أن يلفظها الإنسانُ بلسانه، و إن كانت النية من عمل القلب، فيقول الحاجُّ مثلا: لبَّيك بحجّ و عمرة، اللهمَّ تقبَّلهما مني و يسِّرهما لي، أو لبيك بحج، اللهم تقبَّله مني و يسِّره لي، هذا إذا كان مُفرِداً، أمّا إذا كان متمتِّعاً أو قارناً يقول: لبيك بعمرة و حج، يبدأ بالعمرة، و إذا كان مفرداً يقول: لبيك بحج، فالنية التي يلفظها الإنسانُ بلسانه مع التلبية هذا هو الإحرامُ .

2 . الوقوف بعرفة في وقته :

الفرضُ الثاني، الوقوف بعرفة في وقته لِما رواه الترمذي :

((عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى الْحَجُّ عَرَفَةُ مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ أَيَّامُ مِنًى ثَلَاثَةٌ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْه))

[الترمذي عن عبد الرحمن بن يعمر]

ووقته من زوال يوم عرفة من بعد الظهر ؛ إلى قبيل طلوع الفجر من يوم النحر، هذا الفرض الثاني، فالإحرام هو الفرض الأول، و الوقوفُ بعرفة هو الفرض الثاني.

3 . طواف الزيارة :

الفرض الثالث ؛ طواف الزيارة، فالطواف سبعة أشواط، أربعة منها فرضٌ، و طواف الزيارة هو طواف الركن، بعدَ أن يأتيَ الحاجُّ من عرفات إلى مزدلفة إلى رمي الجِمار، يتوجَّه إلى الكعبة ليطوف طواف الركن، هذا الطواف أحدُ أركان الحج، أيضًا الطوافُ في وقته حول الكعبة، قال تعالى:

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ﴾

[سورة الحج: 29]

الترتيب بين الفرائض :

ويلحق بهذه الفرائض الترتيبُ بين الفرائض، فهل يُعقَل أن الإنسانَ يقف في عرفات قبل أن يحرِم؟ هذا مستحيل، إذًا لا بد الترتيب بين الفرائض، فالإحرامُ أولاً، والوقوف بعرفة ثانياً، والطواف حول الكعبة ثالثاً، بهذا الترتيب، والترتيب جزءٌ أساسيٌّ من أركان الحج.

الآن مما يكفي في أركان الحج أن يُؤدَّى كلُّ فرض في وقته و مكانه، كلُّ فرض من فرائض الحج له وقتٌ مخصوص و مكان مخصوص، لذلك قالوا في تعريف الحج: هو عبادة بدنية مالية مكانية زمانية روحية، فالوقوف بعرفة وقتُه كما ذكرنا من زوال يوم عرفة إلى قبيل فجر يوم النحر، و المكانُ أرضُ عرفات، و وقتُ الطواف بعد فجر يوم النحر وإلى آخر العمر، و لو أخَّره لكان طوافُ الركن مقبولاً، ومكانه المسجدُ الحرامُ، و حول الكعبةِ.


السعي بين الصفا والمروة من أركان الحج

فهذه الفرائض لا يصِحُّ الحجُّ إلا بوجودها جميعاً، فلو ترك الحاجُّ واحدًا منها لم يصحَّ حجُّه، سواء أكان هذا التركُ عن عمْدٍ أو عن سهوٍ أو عن خطأٍ أو عن جهلٍ، فالأمرُ سِيَانِ، ولو ترك أحدَ هذه الفرائض عامدًا أو ساهيًا أو مخطِئًا أو جاهلاً، في كلِّ هذه الأحوال بطُل حجُّه، و هنا سؤال: إذا ترك هذه الأركان، شتَّان أن يتركها عامدًا أو ساهيا أو مخطئاً أو جاهلاً؟ نجيبه : إن الإنسانَ يكسب الإثمَ بحسب نوع هذا الترك، فإثم الذي يتركها عمدًا كبيرٌ، و الذي يتركها ساهياً أو مخطئاً فهي أقلُّ، لكن بأيَّة حال إن كان هذا التركُ عمداً فالحج باطل، أما الإثم فيتفاوت بحسب هذه الأسباب. ويضيف الإمام الشافعي رضي اللهُ عنه ركنا آخر للحج وهو السعيُ بين الصفا و المروة، وهو عند الأحناف واجب، وعند الشافعية ركن من أركان الحج، فعند الشافعية ؛ الإحرام، والوقوف بعرفة، وطوافُ الركن، والسعيُ بين الصفا والمروة، وعند الأحناف ؛ الإحرامِ، و الوقوف بعرفة، والطواف ؛ أيْ طواف الركن.

فهذه الواجبات إذا ترك الحاجُّ أحدَها لا تُجبَر بدمٍ، فإنْ ترك طوافَ الزيارة، هل يذبح الهديَ ؟ لا، ذلك غير مقبول منه، فلا بد أن يقف بعرفة، ولا بدَّ أن يطوف طواف الركن فإن لم يفعل فحجُّه باطلٌ.

واجبات الحج :

1 . إنشاءُ الإحرام من الميقات المكاني :


الأفضل أن تحرم بالطائرة بعد اقلاعها بنصف ساعة

لكنَّ الواجبات إذا تركها الحاجُّ في الحجِّ تُجبَر بالدم، و من هذه الواجبات مثلاً ؛ إنشاءُ الإحرام من الميقات المكاني، ولو أن حاجًّا حديثَ عهدٍ بالحج، يحجُّ لأول مرة، وضع المناشف البيضاءَ في المحفظة، و صارت هذه المحفظة مع متاع الركاب إلى أسفل الطائرة، فلما ركب الطائرةَ وأعلن المُضيفُ مثلا أن الميقاتَ المكاني قد آنَ أوانُه، فطلب المحفظةَ ليأخذ منها المناسف، أين المحفظة الآن؟ فتجاوز الميقات المكاني من دون أن يحرم هذا واجب الإحرام، لذلك عليه دمٌ، أو أن يرجع إلى الميقات المكاني بعد وصوله إلى جدّة فيحرم برًّا ممكن، فإما أن يرجع إلى الميقات المكاني، وإما ان يجبر هذا الخطأ بدمٍ.

ويمكن لك أن تحرم قبل الميقات من بيتك، و لكن هناك أخطاراً كبيرة، ربما أُلْغِيت رحلةُ الطائرة فوقعتَ في بعض محظورات الإحرام، لذلك أنصح الأخوةَ الحجَّاج أن يحرموا من الطائرة، و أنصحهم مرةً ثانية أنه إذا انتظر الرُّكابُ أن يُعلَن عن الميقات المكاني، ربما سَهَا المكلَّف بالإعلان عن الميقات، فإذا تجاوزته بأمتار وقعتَ في مشكلة كبيرة، فبعد أن تُقلِع الطائرة بنصف ساعة أَحرِمْ، هذا أصحُّ شيءٍ، فلا تحرِم من البيت، ولا تحرم حتى تنتظر أن يُعلَن عن الإحرام، أَحرِم بعد إقلاع الطائرة بنصف ساعة.

2 . تركُ لُبس المَخيط من الثيات للرجل :

ومن واجبات الحج أيضًا تركُ لُبس المَخيط من الثيات للرجل، فلا ثياب مخيطة، بل هناك رداءٌ وإزارٌ، الإزارُ يضعه على وسطه، وهنا ملاحظة، إذا نزل الإزارُ عن سرَّته وقع في مشكلةٍ، لأن ما بين السُّرَّة و الركبة عورةٌ، فيجب أن يرتفع الإزارُ إلى ما فوق السُّرة، و أما الرداءُ فيُلقَى على الكتفين، والاضطباعُ فقط في أثناء الطواف، ويمكنُ أن تضع


لباس الإحرام رداءين أبيضين غير مخيطين

الرداءَ الثاني على كتفيك هكذا، و كشفُ الرأس للرجل، أي أن يضع الواحدُ قبَّعةً أو لفَّةً، لا يوجَد شيءٌ من هذا، يجب أن يكون الحاجُّ مكشوفَ الرأس، أما المرأةُ فعند مقابلتها للرجال تُسدِل على وجهها منديلاً، و تجافيه عن وجهها لئلاَّ يلتصق بوجهها، و في عهد النبيّ عليه الصلاة و السلام لم يكن هناك اختلاطٌ بين النساء والرجال، فهنا كشفُ الوجه للمرأة مقبول، لكن إذا قابلت الرجالَ يجب أن تُسدِل المرأةُ منديلاً على وجهها، وتجافيه عن وجهها، وأن تبعدَه عنه، لذلك الأخوات المؤمناتُ يضعن على جبينهن قطعة من الورق المُقوَّى و بعدها يأتي المنديلُ بعيداً عن الوجه.

3 . السعي بين الصفا و المروة :

ومن واجبات الحج السعيُ بين الصفا و المروة في أشهر الحج، ويكون بعد الطواف، فإن سعى بين الصفا والمروة بعد طواف القدوم أجزأه ذلك، فإن لم يسعَ بعد طواف القدوم يمكنه أن يسعى بعد طواف الركن، لا بدَّ من السعيِ بين الصفا و المروة في أشهر الحج، و لا بدَّ من المشي فيه لمَن لا عذرَ له يمنعه، فلو ترك الحاجُّ المشيَ بلا عذرٍ أعاده، فإن لم يُعِده فعليه دمٌ، تجد أناسًا راكبين عرباتٍ، و يقولون: و اللهِ هذا أكثر راحةً لنا، إنما الراحةُ للمعذور، أما الإنسان الصحيح فيركب عربةً ليسعى بين الصفا والمروة فهذا غيرُ مقبول منه، فإن فعله فعليه دمٌ، هذا عند السادة الأحناف، أما عند السادة الشافعية فقالوا: يجوز الركوبُ مع القدرة على المشي، لكنْ هذا خلافُ الأولى، والأولى أن يمشيَ، أما عند الأحناف فعليه دمٌ، أي كما ترون تنوُّعُ الأحكام فيه رحمةٌ للمسلمين، واختلاف أمتي رحمة، واتِّفاقُ الأئمة حُجَّةٌ قاطعة، و اختلافُهم رحمةٌ واسعةٌ.

4 . الوقوف بعرفة من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحِجة إلى ما بعد الغروب :

و من واجبات الحج الوقوف بعرفة من زوال شمس اليوم التاسع من ذي الحِجة إلى ما بعد الغروب، حيث يدرك الحاجُّ جزءًا من الليل، و النزول من عرفة مع الإمام أو نائبه، أي لا يخرج من عرفة إلا بعد شروع الإمام في الإفاضة.

ومن واجبات الحج أيضاً الوقوف بمزدلفة.

صورة المناسك و حقيقتها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه المناسك لها صورةٌ و لها حقيقة، صورتها أن تقف في عرفة ولكنَّ حقيقتها أن تصحَّ المناجاةُ، وصورةُ الوقوف في مزدلفة أن تقف في المكان والزمان المناسبين، ولكنَّ حقيقتها أن تكون قريباً من الله في مزدلفة، إنها اسمٌ على مسمَّى، وأن ترميَ الجِمارَ، وصورتُها أن ترميَ هذا المكان بالحصَيَاتِ، لكنَّ حقيقتها أن ترميَ الشيطانَ، وأن تحاربه إلى الأبد، وأن تعاديَه عداءً لا رجعة فيه، فكلُّ منسك من مناسك الحج له صورة يؤدِّيها الحاجُّ، ولا بدَّ من حقيقة في داخله يشعر بها، فإذا توافقت الصورة مع الحقيقة صحَّ الحجُّ، أما من أدَّى هذه المناسكَ وهو ليس في مستواها فهذا الحجُّ يحتاج إلى إعادةٍ، لأن الله سبحانه و تعالى ما أمرك أن تأتيَ إليه من بلادك البعيدة، و أن تترك أهلك وأولادَك وعملك، وتنفق النفقات الطائلة لتكون كالسَّائح، لا، بل أرادك أن تأتيَه طائعاً، و أن تأتيَه مُخبِتًا، ومنيباً، ومحبًّا، و مناجيًا، فلذلك هذه المناسك لا يعرف طعمَها إلا من ذاقها، و ذاق الأحوالَ التي يجب أن ترافق الحاجَّ في أثناء أدائها.

5 . الوقوف بمزدلفة :

والوقوفُ بمزدلفة ولو لحظةً بعد فجر يوم النحر، و قبل طلوع الشمس و المبيتُ ليلا سُنَّة عند الحنفية.

6 . تأخير المغرب والعشاء إلى مزدلفة :

ومن واجبات الحج تأخيرُ المغرب والعشاء إلى مزدلفة، ولو أذَّن المغربُ في عرفات لا ينبغي أن تصلِّيَ المغربَ، فالمغربُ و العشاءُ يُصلَّيان في مزدلفة على شكل جمعٍ، تصلي المغربَ أولاً، ثم العشاءَ ثانياً، والجمعُ بمزدلفة بين المغرب والعشاء جمعُ تأخيرٍ، بينما جمعُ صلاة الظهر والعصر جمعُ تقديم، لذلك جمعُ التقديم يحتاج إلى أذانٍ و إقامتين، بينما جمعُ التأخير يحتاج إلى أذان وإقامة واحدة، وعند السادة الأحناف من صلى المغربَ في الطريق أو بعرفة فعليه أن يعيد صلاةَ المغربِ مع العشاء جمعَ تأخيرٍ بمزدلفة.

7 . رمي الجمار مرتباً في أيامها :

ورميُ الجمار مرتَّبًا في أيامها، فرميُ الجمار أيضا من واجبات الحج، لئلا يؤخِّر رميَ كلٍّ منها إلى ثانيه من الأيام الثلاثة، أي إذا أخَّر رميَ الجمار إلى وقت آخر غير وقتها فقد ترك واجباً من واجبات الحج.

8 . الحلق أو التقصير :

الحلقُ أو التقصيرُ لشعر الرأس كلِّه أو رُبعِه، والحلقُ أولى للرجال، و التقصير أولى للنساء، والشرعُ الحنيفُ رحِم النساءَ حيث لم يأمرْهنَّ أن يحلقن رؤوسهنّ، فهذه رحمة من الله عز وجل، الحلق للرجال أولى، و التقصيرُ للنساء أولى.

هذه ملاحظة، أحيانا يفقد الإنسانُ شعرَ رأسه، وتبقى مكانتُه هي هي، ولكن لم يُرَ في النساء امرأةً فقدتْ كلَّ شعر رأسها، هذه مِن رحمةِ الله بها، فهناك إلهٌ حكيمٌ، لأنَّ شعر المرأة جزءٌ من رأس مالها، فإذا فقدتْه كلَّه وقعتْ في أزمةٍ شديدة.

والحلقُ أو التقصيرُ لشعر الرأس كلِّه أو ربعه، و يجب أن يكون في أرض الحرم أو داخل حدوده.


الحلق أو التقصير يكون في أرض الحرم أو داخل حدوده

بالمناسبة نحن عندنا المواقيتُ المكانية، ميقاتُ أهل الشام، ميقاتُ أهل العراق، و ميقاتُ أهل اليمن، و الميقاتُ من طرف جدَّة، لو وصلْنا خطوطًا بين هذه المواقيت المكانية نحصلُ على شكلٍ، و هذا الشكلُ يُسمَّى الحِلَّ، و الآن البيتُ الحرام له مواقيتُ خاصة به؛ التنعيم من جهة المدينة، و الجعرانة من جهة أخرى، و هناك مكانٌ من جهة الطائف، فهذه الحدودُ التي حول الحرم لو وصلنا بينها خطوطًا يصيرُ عندنا شكلان، شكلٌ يعبِّر عن المواقيت المكانية للبلاد المقدسة، و شكل آخر يعبِّر عن حدود الحرم، بين الحرم و بين المواقيت المكانية منطقة تُسمَّى الحِلُّ، ومَن يقتنِي كُتَيِّبًا عن الحج يرَ هذا الشكلَ، وهو الحِلُّ، وكلُّ منطقة لها ميقاتٌ، و الشكلُ الثاني للكعبة فيه مواقيتُ أيضًا، فهذه المنطقة التي حول الكعبة كلُّها حرَمٌ، و إذا قلنا يجب أن يحلق في الحرم، ليس معنى هذا في الكعبة ، أي في الحدود التي حول الكعبة، التنعيم باتِّجاه المدينة المنوَّرة، و الحُديبة باتِّجاه جدَّة، و الجعرانة باتِّجاه الطائف، هذه الأماكن حول الحرم، لذلك الحلقُ لشعر الرأس كلِّه أو ربعه يجب أن يكون في أرض الحرم، أو داخلَ حدوده، وفي أيام النحر بالذَّات، أوَّلُ يوم من أيام عيد الأضحى يُقال له: أوَّلُ أيام النحر، وثاني يوم: ثاني أيام النحر، وثالث يوم: ثالثُ أيام النحر، ثلاثة أيام للنحر بعد يوم عرفة، وهو ثاني يوم من أيام العيد أوّلُ أيام التشريق، وثالث يوم ثاني أيام التشريق، ورابعُ يوم ثالثُ أيام التشريق، فصار أولُ

يومٍ يومَ النحر فقط، وآخرُ يوم يومُ التشريق فقط، واليومُ الثاني والثالث مشتركٌ بين النحر والتشريق، فالحلقُ يجب أن يكون في أرض الحرم أو داخل حدوده، و في أيام النحر.

ويكون الحلقُ بعد رمي جمرة العقبة لمَن أفردَ الحج، وبعد الذَّبح للقارن والمتمتِّع، وبعد السعيِ في العمرة، فالحلقُ له ثلاثُ حالات ؛ بعد الرمي للمُفرِد، وبعد الذَّبح للقارن والمتمتِّع، وبعد السعي في العمرة.

9 . ذبحُ شاةٍ للقارن أو المتمتِّع :

ومن واجبات الحج ذبحُ شاةٍ للقارن أو المتمتِّع، فالقارن الذي ذهب إلى البلاد المقدسة وأحرم بعمرة وحجٍّ، وتابع بينهما مُحرِماً، أي وصل قبل عشرة أيام فأحرم بعمرة و بقي محرما إلى أن جاءتْ أيامُ الحج، فهذا قارن، فعليه هديُ شكرٍ، أمَّا المتمتِّعُ فذهب إلى مكة وأنشأ عمرةً ثم تحلَّل من ثياب الإحرام وبقي إلى أن جاء ميقاتُ الحج، فأحرم من مكة و تابع الحجَّ، فهذا متمتِّع، يجب عليه هديُ جبرٍ، والقارنُ عليه هديُ شكرٍ، بينما المفرِد لا هديَ عليه، إذًا ذبحُ شاةٍ للقارن و المتمتِّع لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾

[سورة البقرة: 196]

أما المفرِد فلا يجب عليه الذَّبحُ بل يُسنُّ، ومن سنن الحج أن يذبح المفرِدُ، أما لو ترك الذَّبحَ فلا شيءَ عليه، أما الذَّبحُ للمتمتِّع فواجبٌ، و لو تركه وقع في مخالفة كبيرة، و يجب أن يكون الذبح قبلَ الحلق، وأن يكون الذبح في أيام النحر حصرًا، لأنه دم شكرٍ على توفيقه على أداء نسُكَيْ الحج و العمرة، فلا يجوز تقديمه على يوم النحر.

10 . الترتيبُ بين الرمي و الذبح و الحلق :

ومن واجبات الحج أيضا الترتيبُ بين الرمي و الذبح و الحلق، فيرتِّب القارنُ والمتمتِّعُ بينهما، بأن يفعل الرميَ أوّلاً، ثم يذبح، ثم يحلق، أما المفرِد فلا يجب عليه الذبح فيرتِّب بين الرمي و الحلق فقط.

11 . طواف الوداع :

و من واجبات الحج طواف الصدرِ، أو طوافُ الوداع مشيًا إلا من عذرٍ للآفاقي، و معنى الآفاقي الذي يقدُم للحج من بلاد بعيدة .



أما الذي مكانُه في الحلِّ ضمنَ المواقيت فلا عليه أن يطوف طواف الوداع، هو في البيت دائمًا، وطواف الوداع واجبٌ على الآفاقي، ويسقط على المرأة الحائض و النفساء، أما المرأةُ غيرُ الحائض فعليها طوافُ الوداع، لكنْ يُسنُّ للمرأة إذا أدركها الحيضُ و لم تطُفْ طوافَ الوداع، يُسنُّ لها أن تقف على باب الحرم و تدعو من الخارج.

12 . إيقاع طواف الإفاضة في يوم من أيام النحر الأول أو الثاني أو الثالث :

ومن واجبات الحج إيقاعُ طواف الإفاضةِ ؛ أي طواف الركن ؛ في يوم من أيام النحر الأول أو الثاني أو الثالث.

13 . أن يكون الطوافُ مشيًا إلا بعذرٍ :

ومن واجبات الحج أن يكون الطوافُ مشيًا إلا بعذرٍ، الكعبةُ أمامها يوجد قوسٌ مبنيٌّ، و ضمنَ القوس يُعدُّ داخل الكعبة، فلو طاف الإنسانُ بين الكعبة وهذا القوس فطوافُه باطلٌ، فيجب أن يطوف خلفه .

14 . الطهارةُ في طواف الإفاضة من الحدث الأكبر و الأصغر :

ومن واجبات الحج الطهارةُ في طواف الإفاضة من الحدث الأكبر و الأصغر، فلو طاف طواف الإفاضة جُنبًا أو حائضًا أو نفساء أثِمَ وعليه هديٌ، لأن الطوافَ صلاةٌ، والصلاة تحتاج إلى طهارة، لذلك فالمرأة أميرةُ الرجال في حالةٍ واحدة، حينما يأتيها حيضُها ولم تطُفْ طوافَ الركن، يجب أن ينتظرها أهلُها إلى أن تطهرَ، فهي أميرةٌ عليهم، افْعلي كلَّ شيءٍ إلاَّ أن تطوفي بالبيت، وإذا طاف الإنسانُ وهو غيرُ متوضِّئ فعليه شاةٌ،

فالإنسانُ يختارُ، أيرجع ليتوضَّأ أم يذبح شاةً؟ على حسب الأسعار. أما طهارة الثوب والبدن والمكان فأكثرُ العلماء قالوا: إنها سُنةٌ، ومنهم من أوجبها.

15. ستر العورة :

وسترُ العورة فيه واجب أيضًا، أي إذا أراد الإنسان أن يحُجَّ وارتدى ثياب الإحرام، فلا يليق بالحاج أن يتساهل في جلسته وقعدته، لأنه لو أن عورتَه كشفت لكان هذا قبيحًا به، فثياب الإحرام تحتاج إلى اتباهٍ شديد جدًّا، والإنسانُ حينما يرتدي ثيابًا مَخيطةً قد لا ينتبِه إلى أوضاعه في الجلوس والقعود، لكنَّ ثيابَ الإحرام تحتاج إلى انتباهٍ شديد.

16. ترك المحظور في كل طواف :

ومن واجباتِ الحج تركُ المحظور في كلِّ طواف، والمحظورُ لُبسُ المخيط، وتغطية الرأس، والرَّفثُ، والفسوقُ، والجدالُ، وقتلُ الصيدِ، والإشارةُ إليه، والدلالةُ عليه كما سيمرُّ معنا في بحث الجنايات.

17. المبيت في منى ليالي الرمي :



ومن واجبات الحج عند السادة الشافعية المبيتُ في مِنى ليالي الرمي، أما عند الأحناف فالمبيتُ في منى سنَّةٌ وليس واجبًا، و أن تطوف بدءًا من الحجر الأسود بعد أن تستلمَه، و أن يكون الطوافُ وراء حجر إسماعيل، و أن يكون مشيًا إلا من عذرٍ، وأن يتمَّ سبعةَ أشواط.

إنّ حكمَ الواجبِ حكمُ الفرض، فإن تركتَ الفرضَ بطُل الحجُّ، أما حكمُ الواجب لو تركتَه للزمَ الجزاءُ، وهو ذبحُ شاةٍ أو سُبْع بدنةٍ، ، سبعة أشخاص يشتركون في ذبحِ جملٍ، أو سُبع بقرة، ولا يبطل الحجُّ بتركه سواء أكان سهوًا أو عمدًا أو خطأً أو نسيانًا، عالمًا بالوجوب أو جاهلاً، لكن العامدَ له إثمٌ كبير، أما النتائجُ فواحدةٌ، وفي درسٍ قادمٍ إن شاء الله نتحدَّث عن سنن الحج.

* * *

حكم دخول الحائض إلى المسجد :

والآن إلى سؤالٍ كان قد وردني من أسابيع ثلاثة حول حكم دخول الحائض إلى المسجد و في الحقيقة أن رأيَ العلماء الأربعة السادةُ الأحناف و الشافعية و الحنابلة و المالكية لهم رأيٌ موحَّدٌ، و لهم تفصيلاتٌ بحسب مذاهبهم، فيحرم على الجنبِ، لماذا الجنبُ؟ لأن حكمَ الجنب و حكم الحائض و حكم النفساء واحدٌ، فيحرم على الجنب أن يباشر عملاً من الأعمال الشرعية الموقوفة على الوضوء، و كلُّ عمل موقوف على الوضوء يحرم على الجنب أن يفعله، من باب أولى إذا كان المحدِث حدثًا أصغر لا ينبغي له أن يفعله، فالمحدِث حدثًا أكبر من باب أولى أن يغتسل، فلا يحلُّ للجنب أن يصليَ نفلاً ولا فرضًا، إلا إذا فقد الماءَ أو عجز عن استعماله لمرضٍ، مما سيأتي في أبحاث التَّيمُّم طبعًا، أما الرجل فله أن يصوم فرضاً أو نفلاً وهو جنُب ثم يغتسل بعد الفجر، وصيامه يصحُّ، لكن المرأةَ لا ينعقد صيامُها حائضًا أو نفساء. ومن الأعمال الدينية التي لا يحلُّ للجنب فعلُها قراءةُ القرآن، على المذاهب الأربعة فيحرم عليه قراءة القرآن وهو جنُبٌ، كما يحرم عليه مسُّ المصحف من بابٍ أولى، فإذا كانت قراءته لا تجوز، فمسُّ المصحف من باب أولى، لأن مسَّ المصحف لا يحلُّ بغير وضوءٍ، و لو لم يكن الشخصُ جُنُبًا، فإذا كان جنُبا من باب أولى، و قد تحدَّثتُ عن هذا طويلاً في دروس سابقة، فلا يحلُّ مسُّه للجنُب من بابٍ أولى.

أمّا موضوعُ سؤالنا، وهو دخولُ المسجد، فيحرم على الجنب أن يدخل المسجد، على أن الشرعَ الحنيفَ قد رخَّص للجنُب في تلاوة القرآن الشيءَ اليسير، وفي دخول المسجد بشروط مفصَّلة على المذاهب، و نحن سنأخذ رأيَ المذهب الحنفي في موضوع قراءة القرآن و دخول المسجد للجنُب.

رأي المذهب الحنفي في موضوع قراءة القرآن و دخول المسجد للجنُب :

السادةُ الأحنافُ قالوا: يحرُم على الجنُب تلاوةُ القرآن، قليلاً كان أو كثيرًا، إلا في حالتين؛ إحداهما: أن يفتتِح أمرًا من الأمور الهامة، كأن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم.

((فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ قَالَ أَقْطَعُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

فالبسملةُ مباحةٌ للجنُب، أن يُبسْمِل. ثانيها: أن يقرأ آيةً قصيرة ليدعوَ بها لأحدٍ، أو ليُثْنِي بها على أحدٍ، كأن يقول:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾

[سورة نوح : 28]

أو كأن يقول:

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة الفتح: 29]

فيجوز له أن يقرأ بعضَ هذه الآيات، ويحرم على الجنب دخولُ المسجد إلا للضرورة، و ما هي الضرورة؟ منها ألا يجد ماءً يغتسل به إلا في المسجد، فلو أنّ ماءَ الغُسل موجودٌ حصرًا في المسجد وهو جنُبٌ فلا بدَّ له من دخول المسجد، أو أن يمُرَّ بالمسجد مرورًا إلى مكان ما ليغتسل، و مع هذا يجب عليه أن يتيمَّم قبل أن يمُرَّ بالمسجد.

وهناك حالةٌ ثانيةٌ ؛ إذا كان العدوُّ يتبعه وكان جنُباً، فإذا دخل المسجدَ اتَّقى شرَّ العدوِّ رحمةً به، فيجوز للجنُب أو الحائض أو النفساء أن يدخلوا المسجد خوفاً من ضرر يلحقهم، فهذا رأي الأحناف في موضوع قراءة القرآن، ودخول المسجد للجنُب والحائض و النفساء.

رأي المذهب الشافعي في موضوع قراءة القرآن و دخول المسجد للجنُب :

أما رأيُ السادةُ الشافعية فيحرم على الجنُب قراءة القرآن و لو حرفًا واحداً، إن كان قاصداً تلاوتَه، أما إذا قصد الذِّكر أو جرى على لسانه من غير قصدٍ فلا يحرم، فلو أكل فقال: بسم الله، وهي آية، أو ركب دابَّته فقال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾

[سورة الزخرف: 13]

هذا ذكر. ويجوز لفاقد الطُّهورين أن يقرأ القرآن في صلاته التي أُبيحتْ له، فإن كان الإنسانٌ مسافرا وأدركتْه الجنابةُ في السفر، و لم يجد ماءٌ ليغتسل، أو ليتوضّأ، فتيمَّم ودخل المسجدَ وصلى وقرأ القرآن، فيجوز ذلك، لأنّ هذا فاقد الطهورين، وله حكمٌ خاصٌ، قال تعالى:

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾

[سورة النساء: 43]

ففاقدُ الطهورين له حكمٌ خاصٌ، وكذلك الحائض والنفساءُ، أما المرورُ بالمسجد فإنه يجوز للجنُب و الحائض و النفساء من غير مُكثٍ فيه و لا تردُّدٍ، بشرط أن يأْمَن من عدم تلوُّث المسجد، أي إذا لم توجد ثقةٌ أنه ربما يصيبٌ المسجدَ دمٌ، حتى هذا المرورُ لا يجوز، فالمرورُ مسموحٌ وبشرط أن يأمن تلويثَ المسجد، فلو دخل من بابٍ و خرج من بابٍ جاز عند الشافعية، أما إذا دخل و خرج من بابٍ واحدٍ لم يجُز، لأنه صار تردُّدًا، ويجوز للمحدِث حدثًا أكبرَ أن يمكث في المسجد للضرورة، كالأحناف تمامًا، كما إذا نام في المسجد فاحتلم وتعذَّر خروجُه، والبابُ مغلقٌ، وليس هناك حالة ثانية، أو خاف على نفسه أو ماله، لكنْ يجب عليه التيمُّمُ فورًا، بغير تراب المسجد إن لم يجد ماءً أصلاً، هذا رأيُ السادة الشافعية.

رأي المذهب الحنبلي في موضوع قراءة القرآن و دخول المسجد للجنُب :

أما الحنابلة فأسهلُ، قالوا: يُباح للمحدِث حدثًا أكبرَ بلا عذر أن يقرأ ما دون الآية القصيرة، فقد أجازوا أن تقرأ آيةً قصيرة وأنت جنبٌ، أو حائض، أو نفساء، أو قدْرها من سورة طويلة، كالعصر، و المعوذتين، ومن البقرة أوَّلَ آية، ويحرم عليه قراءةُ ما زاد على ذلك، وله أن يأتيَ بذكرٍ يوافق القرآن، كالبسملة عند الأكل، وعند الركوب:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾

[سورة الزخرف: 13]

أما المرور بالمسجد والتَّردُّد فيه دون مُكثٍ فإنه يجوز، والمرور و التردد عند السادة الشافعية لا يجوز، وكذلك الأحنافُ، أما الحنابلة فأجازوا المرور والتردد، فإنه يجوز للجنب والحائض والنفساء حالَ نزول الدم إن أمِن تلويثَ المسجد أن تمرَّ به، وأن تتردَّد فيه، و يجوز للجنب أن يمكث في المسجد بوضوء، ولو من غير ضرورة، أما الحائض والنفساء فإنه لا يجوز لها المكثُ بالوضوء إلا إذا انقطع الدمُ، فإذا انقطع الدمُ يجوز لها أن تمكث في المسجد بوضوء هذا رأيُ السادة الحنابلة.

رأي المذهب المالكي في موضوع قراءة القرآن و دخول المسجد للجنُب :

بقيَ علينا رأيُ الماكلية. قال المالكية: لا يجوز للجنب أن يقرأ القرآنَ إلا بشرطين؛ أحدهما: أن يقرأ ما تيسَّر من القرآن كآية و نحوها في حالتين؛ الحالة الأولى: أن يقصد التحصُّنَ من عدوٍّ، واجة عدواً، ربِّ اغفر لي ربِّ وارحمني، ذكَرَ آيةً قرآنية كقوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

[سورة الفلق: 1-2]

مثلاً إذا واجهَ عدواًّ، وذكرَ آيةً بنية التحصُّن بها من هذا العدوِّ جاز له ذلك عند الماكية. والحالة الثانية: أن يستدلَّ بها على حكمٍ شرعيٍّ في أثناءَ المناقشة، فذُكِر حكمٌ شرعيٌّ و قال له: هذا الحكمُ أساسُه هذه الآية، هذا ممكنٌ للجنب، أو الحائض، أو النفساء، وفيما عدا ذلك فإنه لا يحلُّ له أن يقرأ شيئًا من القرآن ؛ كثيرًا كان أو قليلاً، أما دخول المسجد فإنه يحرمُ على الجنب أن يدخله ليمكُث فيه، أو ليتَّخذه طريقاً يمرُّ منه، و لكن يُباح له دخول المسجد في صورتين؛ الصورة الأولى: ألا يجد ماءً يغتسل منه إلا في المسجد، كالأحناف و الشافعية، و ليس له طرقٌ إلا المسجد، فحينئذٍ يجوز له أن يمرَّ بالمسجد ليغتسل، و الصورة الثانية: أن يخاف من أذًى يلحقه و لم يجدْ له مأوى سوى المسجد، فإن له في هذه الحالة أن يتيمَّم و يدخل و يبيتُ فيه حتى يزول عنه ما يخاف. أما إذا كان مسافرًا أو كان مريضاً وكان جنبًا ولم يتيسَّر له استعمالُ الماء فله أن يتيمَّم و أن يدخل المسجدَ ويصلي فيه بالتيمُّم، و لكن لا يمكث فيه إلا للضرورة، وإذا احتلم في المسجد فإنه يجب أن يخرج سريعًا، وإذا أمكنه التَّيمُّمُ تيمَّم.

وكما ترون الأحكامُ كلها متشابهة، أي لا يجوز أن تقرأ من القرآن إلا في حالة الذكر البسملةُ والتعوذُّ، والاستدلالُ على حكم شرعي، لا يجوز أن تمكث في المسجد إلا في حالة الضرورة، هذا رأي الأئمة الأربعة في شأن قراءة القرآن ودخول المسجد للحائض و الجنب و النفساء.

و على كلٍّ تعقيبًا على أحكام الشرع في شأن دخول المسجد، هذه الأحكام الشرعية المفصَّلة على المذاهب من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، صفحة (120) فمن أراد أن يستزيدَ فلْيرجعْ إلى هذا الكتاب، و إلى هذه الصفحاتِ.

أبو حنيفة النعمان :

والآن إلى قصة من قصص التابعين، وقصَّةُ اليوم عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان.



الإمامُ أبو حنيفة رحمه الله تعالى، كان حسَن الوجه، وسيمَ الطَّلعة، عذبَ المنطق، حُلوَ الحديث، ليس بالطويل البائِن، ولا بالقصير الذي تنبو عنه العيونُ، وهو إلى ذلك لبَّاسٌ، أصلحوا رحالكم وحسِّنوا لباسَكم حتى تكونوا شامةً بين الناس، والنبيُّ الكريم كان يُعرَف بطيب المسك، و كان له ثيابٌ لا يلبسها إلا في المواسم، و عند حضور الوفود، فالأناقة في

اللباس والنظافةُ مطلوبةٌ للمؤمن، وهو مع ذلك لبَّاسٌ، أنيقُ الثياب، بهِيُّ الطلعة، كثيرُ التَّعطُّر، ولكن ليس عطر المشايخ الثقيل، بل خفيف، إذا طلع على الناس عرفوه من طيبه قبل أن يروْه، ذلكم هو النعمانُ بنُ ثابتٍ، المُكنَّى بأبي حنيفةَ، أوَّلُ من فتقَ أكمامَ الفقه، و استخرج أروعَ ما فيه من طيوبٍ.

أدرك أبو حنيفة طرفًا من آخر عصر بني أمية، و آخَرَ من أول عصر بني العبَّاس فكان مخضْرماً، فأدرك الأمويّين و العبَّاسيين، و عاش في زمنٍ أغدق فيه الخلفاءُ و الولاةُ على أصحاب المواهب إغداقًا حتى صار رزقُهم يأتيهم رغدًا من كلِّ مكان، وهم لا يشعرون، ومن علامات تقدُّم الأمم أن العباقرةَ والموهوبين يعيشون في كرامة عالية، و من علامات تخلُّف الأمم أن الأذكياءَ و العباقرة دخلُهم أقلُّ دخلٍ في المجتمع، فعاش أبو حنيفة في زمن أغدق فيه الخلفاءُ و الولاةُ على أصحاب المواهب إغداقًا حتى صار رزقُهم يأتيهم رغداً من كلّ مكان و هم لا يشعرون، قال الشاعرُ:

و لو كانت الأرزاقُ تجري مع الحِجا هلكْن إذًا من جهلهنَّ البهائمُ

الحِجا: العقول.

بَيْدَ أن أبا حنيفة أكرم علمَه و نفسَه عن ذلك، أكرم علمَه و نفسَه عن أن يأخذ من الأموال العامة، وحَزَم أمرَه على أن يأكل من كسب يمينه، وأن تكون يدُه هي العليا دائمًا، دعاه المنصورُ ذاتَ يوم إلى زيارته فلما صار عنده بالغ في إعظامه و إكرامه و التَّرحيب به، و أدنى مجلسَه منه، وجعل يُسائلُه عن كثيرٍ من شؤون الدين و الدنيا، فلما أراد الانصرافَ دفع إليه كيسًا فيه ثلاثون ألف درهم، على ما كان معروفًا من إمساك المنصور، ومع ذلك أعطاه ثلاثين ألف درهم، فقال له أبو حنيفة: يا أميرَ المؤمنين إني غريبٌ في بغداد و ليس لهذا المال موضعٌ عندي، و إني لأخشى عليه، فاحفظْه لي في بيت المال، حتى إذا احتجتُه طلبتُه منك،، فأجابه المنصورُ إلى رغبته، غيرَ أن الحياة لم تطُل بعدئذٍ بأبي حنيفة، فلما وافاه الأجلُ وُجِدتْ في بيته ودائعُ للناس تزيد على أضعاف هذا المبلغ، فلما سمع المنصورُ بذلك قال: يرحمُ اللهُ أبا حنيفة لقد خدعنا، و أبَى أن يأخذ منا شيئًا، بهذه الطريقة اعتذر.

ومرةً قال له: يا أبا حنيفة لو تغشَّيْتَنا، أي لو تزورنا و تتردّد علينا، فقال: و لِمَ أتغشَّاكم و ليس لي عندكم شيءٌ أخافكم عليه؟ وهل يتغشَّاكم إلا من خافكم على شيء؟ وكان أبو حنيفة رضي اللهُ عنه سريعَ البديهة، مرةً كان عند المنصور وكان أحدُ القضاة عدوًّا له لَدُودًا وأراد هذا القاضي أن يُحرِجَه، و أن يضعه في مأزِق، فقال: يا أبا حنيفة إذا أمرني الخليفةُ بقتل امرئٍ أأَقتله أم أتريَّث ؟والخليفةُ جالسٌ، فقال له أبو حنيفة: الخليفةُ

على الحق أم على الباطل؟ قال له: على الحق، قال: كُنْ مع الحق، فلما خرج قال: أراد أن يقيِّدَني فربطتُه، فكان سريعَ البديهة.

جود أبي حنيفة و بره بالناس :

وكان أبو حنيفة يوقنُ أنه ما أكل امرؤٌ لقمةً أزكى ولا أعزَّ من لقمةٍ ينالها من كسب يده، لذلك نجده يخصِّص شطرًا من وقته للتجارة، فقد جعل يتَّجِر بالخزِّ، و هناك قولٌ: و لو اتَّجر المؤمنون في الجنة لاتَّجروا بالخزِّ أي بالقماش، و لو اتَّجر الكفارُ في جهنم لاتَّجروا بالصَّرف أي صرفُ العملة، لقد جعل يتَّجر في الخزِّ وأثوابه، و كانت تجارتُه ذاهبةً آيبةً بين مدنِ العراق، لكنَّ الصرف له أحكام خاصة، و ليس مطلقًا، وأحياناً يضطرُّ الإنسان ليذهب إلى بلدٍ آخر أن يشتري العملةَ التي تروجُ هناك، فلا بدَّ من أناسٍ يقومون بهذا العمل، وهذا الموضوع ليس معناه أن هذا القول حكمٌ شرعيٌّ، الموضوع له حكمٌ مفصَّلٌ، و في وقتٍ آخر قد نبحثه إن شاء اللهُ، أما هذا فليس حكمًا شرعيًّا، كان له متجرٌ معروفٌ يقصِده الناسُ، و في هذا المتجر الصدقُ في المعاملة، والأمانةُ في الأخذ والعطاء، ولا ريبَ في أنهم كانوا أيضًا يجدون فيه الذَّوقَ الرفيعَ، وفيه الأقمشةُ الحديثةُ، واختيارُها جيِّدٌ، و لقد كانت تجارتُه تدُرُّ عليه خيرًا وفيرًا وتحْبوه من فضل اللهِ مالاً كثيرًا، فكان يأخذ المالَ من حِلِّه ويضعه في محلِّه، هذه عبارةٌ لطيفةٌ جدًّا، يأخذه من حِلِّه، أي في الحلال، ويضعه في محلِّه، فلقد عُرِف عنه أنه كلما حالَ عليه الحوْلُ أحصى أرباحَه من تجارته، واستبْقى منها ما يكفيه لنفقته ثم يشتري بالباقي حوائجَ القرَّاءِ و المحدِّثين، والفقهاء و طلاَّب العلم، وأقواتهم وكسوتهم، فحبَّذا المالُ أصونُ به عِرضي و أتقرَّب به إلى ربي، ويخصِّص لكلِّ منهم مبلغًا من النقد العيني، ويدفع ذلك كلَّه لهم، ويقول: هذه أرباحُ بضائعكم أجراها اللهُ لكم على يدي، أي إنه اعتبر هذه الأموالَ أموالَ الفقراءِ، قال: هذه أرباحُ بضائعكم أجراها اللهُ على يدي، وهو أيضا لطيفٌ في إعطاء المال، وليس خذْ، خذْ هذا كسرتَ قلبَه، قال: هذه أرباحُ بضائعكم أجراها اللهُ على يدي، و اللهِ ما أعطيكم من مالي شيئًا، إنما هو فضلُ اللهِ عليَّ فيكم، هذه أموالُكم، فما في رزق اللهِ حولٌ لأحدٍ غيرِ اللهِ، قال: ولقد شرَّقتْ أخبارُ جودِ أبي حنيفة و سماحته وغرَّبتْ، وخاصَّةً مع جلسائه و أصحابه، من ذلك أن أحد جلسائه جاءه إلى متجره يومًا وقال: إنني بحاجةٍ إلى ثوب خزٍّ يا أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: ما لونُه؟ فقال: كذا و كذا، قال: اصبِرْ حتى يقع لي فآخُذه لك، فما إن دارتْ الجمعةُ حتى وقع له الثوبُ المطلوبُ فمرَّ به صاحبُه فقال له أبو حنيفة: قد وقعتْ ليَ حاجتُك، و أخرج إليه الثوبَ فأعجبه و قال: كم أدفع لغلامك ثمنَه؟ قال: درهمًا، قال في استغرابٍ: درهمًا واحدا! قال: نعم، قال: أتهزأ بي؟ قال: لا و اللهِ ما هزِئْتُ بأحدٍ قبلك ولا بعدك، و لا أهزأُ بأحدٍ وإنما اشتريتُ هذا الثوبَ و آخر معه بواحدٍ وعشرين، بعتُ الثوبَ الآخرَ بعشرين هذا الثوبُ أصبح ثمنُه عليك درهمًا واحدًا، و بقي عليَّ بدرهمٍ واحدٍ، وما كنتُ

لأربحَ على جليسي، من مروءة الإنسانُ أن يراعيَ إخوانَه، فيشعر الأخُ أن له كرامةً عنده، و لو حقَّضتَ له خمسين بالمئة من الربح، يشعر أن له مكانة عندك، هذا من المروءة، جليسك، أخوك، قريبك، صاحبك،جاء لدكَّانك، فله سعرٌ خاصٌّ، هكذا فعل أبو حنيفة، جاءتْه امرأةٌ عجوزٌ تطلبُ ثوبَ خزٍّ فأخرج لها الثوبَ المطلوب فقالت له: إنني امرأةٌ عجوزٌ و لا علم لي بالأثمان- بالأسعار - والنبيُّ الكريم قال: غبنُ المسترسِل ربًا، غبنُ المسترسِل حرامٌ " إذا كان الزبونُ غشيمًا، البائعُ المؤمن يخاف من الله، و يعطيه السَّعرَ الأدنى، والبائع الفاجر يجده مكسبًا كبيرا، فتكون عنده بضاعةٌ سيئة بسعر غالٍ، فيبيعها في فرح، فقالت: إنني امرأةٌ عجوزٌ و لا علمَ لي بالأثمان، و إنها أمانةٌ، فبِعْني الثوبَ بما قام عليك رأسَ ماله، وضِفْ إليه قليلاً من الربح- هامشًا قليلاً- فإنني ضعيفةٌ، فقال لها: إنني اشتريتُ الثوبَين الاثنين في صفقةٍ واحدة، بِعتُ أحدَهما برأس المال إلا أربعةَ دراهم، فَخُذِيه بهذه الدراهم الأربعة، و أعطاها أيضا الحدَّ الأدنى.

وذاتَ يومٍ رأى ثيابًا رثَّة على أحدِ جلسائه من إخوانه، فلما انصرف الناسُ ولم يبق في المجلس إلا هو والرجل على انفرادٍ، قال له: ارفعْ هذا المُصلَّى، وخذْ ما تحته، فرفع الرجلُ المصلَّى فإذا تحته ألفُ درهم، قال: خُذها وأصلِح من شأنك، وغيِّر لباسَك، فقال الرجل: إنني موسِرٌ- أنا غنيٌّ- و قد أنعم اللهُ عليَّ، ولا حاجة لي بها، فقال له أبو حنيفة: إذا كان اللهُ قد أنعم عليك فأين أثرُ نعمته؟ هكذا، أنت موسِرٌ وغنيٌّ وتلبس ثيابًا رثَّةً، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، قال له: أمابلغك أن النبيَّ عليه الصلاة و السلام يقول: " إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده " فينبغي عليك أن تصلح من شأنك حتى لا تُذِمَّ صديقَك. وبلغ من جود أبي حنيفة و بِرِّه بالناس أنه كان إذا أنفق على عِيالِه نفقةً تصدَّق بمثلها على غيرهم من المحتاجين، أي إذا أتى لزوجته بثوب و كان ثمَّةَ أناس فقراء ينفق عليهم ما ينفق على أهله، وإذا اكتسى ثوبًا جديداً كسا المساكينَ بقدْر ثمنه، و كان إذا وُضِع الطَّعامُ بين يديه غَرَف منه ضعفَ ما يأكل منه عادةً، وأعطى الفقراءِ ثُلُثا الطبخة.

و ممَّا يُروى أنه قطع على نفسه العهدَ ألاَّ يحلفَ باللَّهِ في أثناء كلامه أبدًا وإذا حلف تصدَّق بدرهم فضَّةٍ، هكذا عاهد نفسَه، ثم تدرَّج في الأمرِ فجعل على نفسه عهدًا إن حلف بالله صادقًا لَيتَصدَّقنَّ بدينارٍ من ذهبٍ، حتى يعوِّد نفسَه ألا يحلفَ أبدًا، فكان إذا حلف صادقاً تصدَّق بدينارٍ.

والحمد لله رب العالمين

3-2 سنن الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

سنن الحج :

1 . الاغتسال عند الإحرام :

أيها الأخوةُ المؤمنون ؛ لا زلنا مع دروس الحجِّ، و قد تحدَّثتُ بفضل الله و توفيقه في الدروس السابقة عن أركان الحج وواجباته، و بقيَ علينا السُّنن. نن الحج:

فالسُّننُ كثيرةٌ، منها الاغتسالُ عند الإحرام، ولو لحائضٍ أو نفساء، مع آداب الاغتسال، ومن آداب الاغتسال تقليم الأظافر، وتقليمُ شعر الشارب، ونتفُ الإبط، وحلقُ العانة، وما شاكل ذلك، وإن لم يغتسل المُحرِمُ فعليه أن يتوضَّأ إذا أراد الإحرامَ، و على الرَّجُل أن يلبس الإزارَ و الرِّداءَ، و يُندَب أن يكونا جديدين أبيضين، أوغسيليْن، فإن لم يكونا جديدين أبيضين فينبغي أن يكونا غسيلين أبيضين، أي مغسولين غسيلاً جيّدًا، و يُندَب التَّطيُّبُ قبله، باستعمال الطِّيب، و يُسنُّ للرجل و المرأة صلاة ركعتين بعد الإحرام، و الإكثارُ من التَّلبيةِ، لبَّيك اللهمَّ لبَّيك بعد الإحرام.

2 . طواف القدوم :

ومن سنن الحجّ طوافُ القدوم، فطوافُ القدوم سنَّة، و طوافُ الإفاضة فرضٌ، وطواف الوداع واجبٌ، على كلّ الحجَّاج أم على الآفاقيين؟ على الآفاقيين، والإكثارُ من الصلاة على النبيّ صلى اللهُ عليه و سلم.

3 . استلام الحجر الأسود :

ومن سنن الحجِّ استلامُ الحجر الأسود، الاستلامُ إمَّا أن تقبّله، وإمَّا أن تستلمه بيديك، ثلاثُ حالات؛



إما أن تقبِّله، وإما أن تستلمه بيديك وتقبِّل يديك، وإما أن تشير إليه.

4 . الاضطباع في جميع الأشواط للرجل فقط :

ومن سنن الحج الإِضْطِباعُ في جميع الأشواط للرجل فقط في كلِّ طوافٍ بعده سعيٌ، كلُّ طواف بعده سعيٌ لا بدَّ من أن تضطبِعَ، أي أن تكشف كتِفَك الأيمنَ، و تضع الرداءَ تحت الإبط الأيمنِ، وتلقيه على الكتف الأيسر، هذا هو الاضطباعُ في الطَّواف الذي بعده سعيٌ.

5 . الرّمل :

ويُسنُّ أيضًا الرَّمَلُ، أي الهَرْوَلةُ في الأشواط الثلاث الأولى، أو من طواف الفرض أي طواف الرُّكن يُسنُّ أن تهرْوِل و لو لم يكن بعد هذا الطواف سعيٌ.

6 . الهرولةُ بين المِيليْن الأخضرين للرجل فيما بين الصَّفا و المروة :

ويُسن أيضاً الهرولةُ بين المِيليْن الأخضرين للرجل فيما بين الصَّفا و المروة، في كلِّ شوط من أشواط السعي، و يسنُّ أن يمشيَ الساعي في باقي الأشواط.

7 . الإكثار من الطواف للآفاقي :

و يسن الإكثارُ من الطَّواف للآفاقي، أي إنَّ بيتَ اللهِ الحرام تحيَّتُه الطواف، بينما أيُّ مسجد آخر تحيَّته صلاة ركعتين.

8 . الخروجُ من مكةَ إلى منى بعد طلوع شمس اليوم الثّامن من ذي الحجة :

و يسنُّ أيضاً الخروجُ من مكةَ إلى منى بعد طلوع شمس اليوم الثّامن من ذي الحجة، لأن المبيتَ بمنى يوم الثامن من ذي الحجة لليوم التّاسع هذه سنَّة، لذلك حجَّاجٌ كثيرون يتوجَّهون من مكةَ إلى عرفاتٍ مباشرة، ولا شيءَ عليهم، لكنَّ السُّنة أن يبيت الحاجُّ في منى، و أن يصلِّيَ فيها خمسَ صلواتٍ ؛ الظهر و العصر و المغرب و العشاء من اليوم الثامن، والفجر في اليوم التَّاسع، وبعدها يتوجَّه إلى عرفات، و من السُّنة أيضا المبيتُ بمنى في أيام الرجْم، فعند السَّادة الأحناف المبيتُ بمنى سنَّةٌ، فمن تركها فلا شيءَ عليه، لكنَّه عند السادة الشافعية المبيت بمنى واجب، فمن ترك المبيتَ بمنى فعليه دمٌ.

9 . الخروج من منى بعد طلوع شمس اليوم التاسع إلى عرفات و الدعوة بالأذكار :

ومن السنة أيضا الخروج من منى بعد طلوع شمس اليوم التاسع إلى عرفات، و الأذكارُ في مواضعها، فيُسنّ أن تدعوَ بالأذكارِ التي أُثِرت عن النبي عليه الصلاة و السلام في مواضعها.

10 . دخول الكعبة :

و من السُّنة أن تدخل الكعبة، وهذا ليس مُتاحا الآن، لكنَّ العلماءَ قالوا: أن تصليَ ركعتين في حِجْر إسماعيل



فهذه تُجزئ عن دخول الكعبة، لأن ما بين الكعبة والحِجر هو مِن الكعبة، لذلك لا يجوز الطوافُ فيما بين الكعبة و بين حِجر إسماعيل، الطوافُ يُعدُّ باطلاً، لأن ما بين الكعبة و الحجر من الكعبة نفسها، فمن صلّى في هذا المكان ركعتين فكأنما صلَّى في الكعبة و دخلها.

11 . المحافظة على الطهارة في كلِّ مناسك الحج :

ومن السنة أيضا المحافظة على الطهارة في كلِّ مناسك الحج، و المحافظة على صون اللسان من المباح، أي الحديث عن الدنيا، وعن أسعار العملات، وعن أسعار الحاجيات، وأن هذه المسجِّلة لا يوجد منها في الشام، و ما أجملها، هذا الحديث عن الحاجات و البضائع و الانهماك فيها ليس من السنة.

12 . صون اللسان عن المكروه :

ومن السنة أن تصون لسانك عن المكروه، أما صونُ اللسان عن المكروه تحريمًا فواجبٌ، أي إذا تحدَّث الإنسانُ عن النساء، أو تحدَّث عن مقدِّمات الجماع فعليه دمٌ، لأن الحديث عن هذا الموضوع خرقٌ لمحظورات الإحرام، أما تنزيه اللسان عن المكروه تحريماً فواجبٌ، و إنما تنزيه اللسان عن المكروه تنزيهاً سنَّةٌ.

13 . المبيتُ بمزدلفة ليلة النحر :

المبيتُ بمزدلفة ليلة النحر وهذا من السنة أيضاً، ولكنَّ النبيَّ عليه الصلاة و السلام أجاز للنساء والضَّعفة أن ينطلقوا إلى رمي الجمرة الكبرى بعد منتصف الليل، و أن ينطلقوا إلى طواف الركن قبل الفجر، أي إذا كان أخٌ حاجٌّ ومعه نساءٌ فالأولى أن ينطلق بهن من مزدلفة بعد منتصف الليل ليتَّقيَ بهذا الوقت الازدحامَ الشديد الذي لا يرضي اللهَ عز وجل، كأن تكون المرأةُ بين الرجال صدرًا لظهر، وكتفًا بكتف.

14 . رمي جمرة العقبة الكبرى :

و من السنة أيضا أن يكون الرميُ في اليوم الأول ما بين طلوع الشمس و زوالها من يوم النحر، إلا إذا خاف شدَّةَ الزِّحام، و فيما بين الزوال و غروب الشمس في باقي الأيام، ثلاث مرات، هناك رميُ جمرة العقبة الكبرى، هذه تُسنُّ فيما بين طلوع الشمس وبين الزَّوال من أول أيام النحر، وأما باقي أيام الرجم فتُسنُّ من بعد الزوال إلى الغروب، لكنْ من كان معه نساءٌ يجوز أن يرميَ بعد منتصف الليل.

15 . تقديم الحاجّ المفردِ هديًا :

ومن السنة أيضاً أن يقدِّم الحاجُّ المفرِدُ هديًا، والهديُ على المتمتِّع واجبٌ، وهو هديُ جبْر، والهديُ على القارن واجب، وهو هدي شكر، لكنَّ الهدي على المفرِد سنة، فمن تركه فلا شيء عليه، و من السنة أيضاً أن تأكل من الهدي، ولك أن تأكل أيضًا من هدي القران و التَّمتُّع أما هديُ الجنايات فلا يُؤكَل منه، فإذا ارتكب الإنسانُ جناية و لزِمه هديٌ، فلا ينبغي أن يأكل منه الحاجُّ.

16 . الشرب من ماء زمزم :

ومن السنن الشُّربُ من ماء زمزم، و المبالغة فيه، أي التَّضلُّع، وهو الارتواءُ و الامتلاء، و ليس مصَّة



بل يجب أن تشرب من هذا الماء وأن ترتويَ منه، وهذا هو التَّضلُّع.

17 . التِزامُ المُلتَزَم :

ومن السنة أيضا التِزامُ المُلتَزَم، وهو ما بين الحجر الأسود و باب الكعبة، و قد أُثِر عن النبيّ صلى اللهُ عليه و سلم أنه: " ما من مسلم يقف في هذا الملتزم فيسأل الله حاجةً من حاجات الدنيا و الآخرة إلا أعطاه اللهُ إيَّاها".

18 . التَّشَبُّث بأستار الكعبة :

ومن السنة أيضا التَّشَبُّث بأستار الكعبة، أي أن تمسك بأستار الكعبة كالمتضرِّع المستجير، الملتجئ المستغيث بالله عز وجل.

19 . رفع الصوت بالتلبية :

ومن السنة أيضاً رفع الصوت بالتلبية، بما لا يضرُّ النفسَ، ولا يؤذي الناسَ لغير المرأة، لأن رفعَ صوتها قد يؤدِّي إلى الفتنة، و نساءٌ كثيراتٌ في الحجّ لا ينتبهن إلى هذه الحقيقة يرفعن أصواتهن بالدُّعاء و التلبية، و أصواتهن عورة، و في هذا إيذاءٌ للحجَّاج.

20 . الاغتسال لدخول مكة المكرمة ومزدلفة :

ومن السنة أيضاً الاغتسال لدخول مكة المكرمة ومزدلفة، لمن نزل بهما من الحجَّاج.

21 . الجمع بين صلاتي الظهر و العصر جمع تقديم بعرفة مطلقاً :

و من السنة الجمع بين صلاتيْ الظهر و العصر جمع تقديم بعرفة مطلقاً، كما هو عند أبي يوسف ومحمد.

22 . الصلاة في عرفة وراء أمير الحج :

ومن السنة أن تصلِّي في عرفة وراءَ أمير الحجِّ، كما هو عند أبي حنيفة، لا أن تصلِّي مفرَدًا .

23 . الإكثارُ من الدعاء عند جبل الرحمة :

ومن السنة الإكثارُ من الدعاء عند جبل الرحمة، عند الصخَرات المفروشات، مكان وقوف النبيِّ عليه الصلاة



والسلام فإن هذا اليوم يومٌ عظيمٌ، والدعاءُ فيه جديرٌ بالإجابة بفضل الله تعالى.

24 . أن يكون طوافُ الإفاضة في اليوم الأول من أيام النحر :

و من السنة أن يكون طوافُ الإفاضة في اليوم الأول من أيام النحر، تلك هي الفرائض، وبعدها الواجبات، وبعدها السُّننُ، من لم يأت بالأركان المفروضة بطُل حجُّه، عليه أن يحجَّ في العام القادم، لقول الله تعالى:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

[سورة البقرة: 196]

ومن وقع في مخالفة بعض الواجبات لزمه دمٌ، و من ترك السنة فلا شيءَ عليه، لكنه أساءَ، إلا إذا كان في تركها ترخيص من النبيّ عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات الخاصة فيكون تركُها في هذا الموطن أولى من الأخذ بها، كَمَنْ معه نساءٌ، فإذا أخذ بالرخصة فربما كان هذا أيسر لحجِّه وحجِّهن.

أحكام المرأة المتعلّقة بالحج :

وهنا موضوعٌ قصيرٌ متعلّق بهذا الموضوع الكبير، وهو الأحكام الخاصَّة بالنساء، كنتُ أرى في الحجِّ في العام الماضي النساءَ يُهَرْوِلْن، هذا مخالفٌ للسنة، فالمرأة لها أحكامٌ خاصَّة، فالمرأة كالرجل في أعمال الحج و لا تخالفه إلا في أشياء قليلة، ترجع إلى تحقيق الفرق الخِلْقي، أي الطبيعي، بين الرجل و المرأة، لقوله تعالى:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾

[سورة آل عمران: 36]

فإذا قلنا للرجل: اِلبسْ ثيابَ الإحرام، ثوبان أو رداءان، رداءٌ و إزارٌ غير مخيطين فهذا لا ينبغي للمرأة، وإذا قلنا للرجل: هَروِل، هذا لا ينبغي للمرأة، فالمرأة لا تتطيَّب عند الإحرام، لأن تطيُّبها حين يجد الرجالُ ريحَها محظور، إذًا يُلغَى من السنن التي على الرجل الطِّيبُ للنساء، و المرأة لا ينبغي أن ترتديَ ثياب غيرَ مخيطة، لأن هذه الثيابَ قد تكشف بعض مفاتنها، لذلك لا تلبس المرأةُ ثيابًا معيَّنة للإحرام، و إنما إحرامُها أن ترتديَ ثيابًا مخيطة، وكلّما بالغت المرأةُ في ارتداء ثيابٍ فضفاضةٍ ومزدوجة، كان هذا أبلغَ في ورعها، وأقربَ إلى ربها، وهذا مما يليق بالمرأة المسلمة إذا ذهبت إلى الحج، لا أن تكون مصدرَ فتنة و إيذاءٍ للحجَّاج. قال العلماءُ: و المستحبُّ أن تُسْدِل المرأة على وجهها شيئًا، أي نِقابًا و تجافيه عنه، لذلك بعضُ الأخوات المؤمنات يضعن على رؤوسهن واقيةً، فإذا أسدلن الحجابَ على وجوههن كان بعيدًا بحيث تطبِّقْن بهذا السنةَ، و الدليلُ ما فعلته السيّدةُ عائشةُ رضي اللهُ عنها، و ما فعلته نساءُ النبيّ عليه الصلاة

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ))

[أبو داود عن عائشة]

و هو حديث صحيح، والعلماءُ قالوا: يُستحبُ للمرأة أن تسدل على وجهها شيئًا تجافيه عنه، وقد دلَّت المسألةُ وهذا الحديثُ على أن المرأة منهية على إبداء وجهها للأجانب بلا ضرورة، أي إذا قلنا: إن المرأةَ يجب أن تصلّيَ مكشوفة الوجه، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنه يجب أن تصلِّي في مكان ليس فيه رجالٌ أجانب، فكشفُ الوجه في الصلاة لا يعني أن الوجه يُباح أن يظهر مطلقًا. ولا ترفع المرأةُ صوتها بالتلبية، لما في رفع صوتها من خوف الفتنة، و لذا لا يجوز للمرأة أن تؤَذِّن للصلاة كما تقدَّم، فإذا كانت المرأةُ لا يجوز أن تؤذِّن، فكيف إذا غنَّت؟! وإذا كان لا يجوز أن يستمع الرجل إلى صوت المرأة و هي تسبِّح اللهَ و تكبِّره، فكيف إذا استمع إليها و هي تغنِّي؟! ولا تضطبع المراةُ أبدًا، ولا ترمُل في طوافها، ولو كان المطافُ خاليًا، فالرجلُ أحيانا ليس في إمكانه أن يرملَ للازدحام الشديد، ولا يستطيع أن يطوف طواف الإفاضة فمستحيل على المرأة أن ترملَ، و لو أن الحرمَ خالٍ لا يجوز للمرأة أن ترمل في طوافها، ولا في سعيها، و أكثرُ الملاحظات التي ألاحظها في السعي بين الصفا و المروة أنّ الرجل يمشي مع زوجته، فلمَّا وصلا إلى الميلين الأخضرين هرولا جميعا، أين تهروِل معك؟ هذه امرأتك يجب أن تسير على هِناتها، وأن تسبقها أنت في ما بين الميلين الأخضرين حتى تلحق بك أما أن تهرول معك فهذا مخالفٌ للسنة، و قد قال عليه الصلاة و السلام: "تفقَّهوا قبل أن تحجوا".

ولا تقبِّل المرأةُ الحجر الأسودَ إن كان ثمة زحام، وأحياناً تدخل المرأةُ بين الرجال من أجل تقبيل الحجر الأسود، فتخرج من بينهم ولا شيءَ على رأسها، أين الفقه؟ فلا ينبغي للمرأة أن تقبِّل الحجرَ الأسودَ إن كان ثمةَ زحامٌ، و لا تكلِّف نفسَها استلامَه، ولا تصلِّي في أثناء الزحام خلف مقام إبراهيم، بل عليها أن تصلي في أيِّ مكان آخر، على أن يكون خلفها جدارٌ أو عمودٌ، أو ساريةٌ، أما أن تصلي خلف مقام إبراهيم، والزحام على أشُدِّه، فليس هذا من الفقه في شيء.

وفي الجملة اختلاطُ المرأة بالرجل حرام، ولاسيما في الحج، لأن هذا مبعثٌ للفتنة وعلى المرأة أن تتحيَّن أوقاتَ خفَّة الزحام لطوافها، تنتقي الفجر، قُبيل الفجر بساعتين، أو الساعة الثانية، أو منتصف الليل، أو الساعة الثالثة بعد الظهر، عليها أن تنتقيَ وقتًا يقلُّ فيه الزحامُ لئلَّا تؤذِي وتُؤذَى، كما كانت تفعل السيدةُ عائشة رضي اللهُ عنها.

و يُسنُّ للمرأة أن تجعل طوافها بعيداً عن الكعبة المعظَّمة، لأن القربَ من الكعبة مظنَّةُ ازدحامٍ، تحرُّزا من الازدحام مع الرجال، و لا تهرول بين الميلين الأخضرين في السعي بين الصفا والمروة، و لو كان المسعى خاليًا، ويجوز لها تركُ المبيت في مزدلفة، لأنها امرأة، و من أجل أن يُيَسَّر لها رميُ الجمار في وقتٍ غيرِ مزدحمٍ، و يجوز لها تركُ الوقوف عند المشعر الحرام لأنوثتها، فقد قدَّم النبيُّ عليه الصلاة و السلام بين يديه

النساءَ و الضَّعفةَ من أهله، حيث ذهبوا إلى منى و لم يبيتوا بمزدلفةَ، هكذا الفقهُ، فإذا كانت معك زوجتُك افعلْ هكذا. و الأفضلُ في حقها تأخيرُ الرمي يوم النحر إلى ما بعد الزوال، لتنافي شدَّة الازدحام و لو في آخر النهار خوفاً عليها و سترًا لها.

والفرقُ الدقيق بين المرأة والرجل في شؤون الحج الاستطاعةُ، فلا فرقَ في وجوه الاستطاعة بين الرجل والمرأة إلا في ثلاثة أمور؛ الأول: أن يرافقها في سفرها زوجُها، أو أحدُ محارمها، و هو ممن لا يجوز له أن ينكحها أبدًا، فزوجُ أختها يجوز له أن ينكحها إذا ماتت أختُها، ويجوز له أن ينكحها إذا طُلِّقت أختُها، إذًا هذا ليس بمحرمٍ، فلا ينبغي إلا أن يكون المَحرمُ مُحَرَّمًا لها على التأبيد، ومع ذلك يجب أن يكون مأمونًا بالغاً عاقلاً غيرَ فاسق، لو أن لها أخاً فاسقاً لا يجوز أن يكون مَحرماً، قد تكون الأختُ موسِرةً و كلَّفت أخاها، و دينه رقيق، أن يذهب معها كمَحرم، هذا قد يؤذي الحُجَّاج، و قد لا يهتم بصونها، لذلك فضلاً عن أنه يجب أن يكون زوجاً أو محرماً على التأبيد، يجب أن يكون هذا المحرمُ بالغاً عاقلاً غيرَ فاسق، و لا فرق في هذا بين العجوز و الشاب، تقول العجوز: أنا ما بقيَ لي شيءٌ يلفت النظر، من قال لكِ ذلك قد تجدين شيخًا عجوزًا تلفتين نظرَه، و لا فرق في هذا بين العجوز و الشاب، فيُكرَه تحريماً على المرأة أن تحُجَّ بغير مَحرم و إن لم تجد المرأةُ زوجًا أو مَحرمًا فهي في نظر الشرع غير مستطيعة، فاستطاعةُ الرجل بتوافر المال؛ الراحلة و الزاد و المال و الصحَّة، واستطاعة المرأة بتوافر المال و الزاد و الراحلة و الصحَّة و المَحرم، فالمرأةُ التي لا مَحرمَ لها لا حجّ عليها.

ويجب أن تكون المرأةُ غيرَ معتدَّةٍ بأيَّة عِدَّةٍ كانت، من طلاق أو وفاة، فإن حجَّتْ في العدَّة كانت عاصيةً آثمةً، قال: المعتدَّة في عدَّة طلاق أو وفاة لا حجَّ عليها، ويجب أن تكون قادرةً على نفقتها ونفقة المحرم، لأنها من مُؤَنِ حجِّها، فإذا كلَّفت أخاها أن يذهب معها، و كان رقيق الحال يجب أن تنفق عليه، أما إذا كلَّفت زوجَها أن يحجَّ معها على أنه محرمٌ لها، فعليها أن تنفق عليه نفقات الحجِّ، أما نفقاتُ الطعام والشراب التي عليه في الإقامة فتبقى عليه في الحجِّ هكذا العدلُ، أمَّا أن تكلّفه أن يدفع بطاقة الطائرة، عشرة آلاف، فهذه عليها إذا أرادت أن تحُجَّ ومعها زوجُها.

إنّ حيْضُ المرأة أو نفاسُها لا يمنع شيئاً من أعمال الحج، إلا الطواف، فقد تكون حائضاً وتذهب إلى عرفات، فلا يمنع الحيض والنفاس شيئاً من أعمال الحجِّ، تُحرِم وهي حائضٌ، تُلبِّي و هي حائضٌ، إلا الطواف و دخول المسجد الحرام، فإن طافت و هي حائض أو نفساءُ صحَّ طوافُها عند الحنفية و عليها بُدْنة، حوالي أربعين إلى خمسين ألف ليرة، البدنة جملٌ، و إن أخَّرت الطوافَ حتى تطهر فلا يلزمها شيءٌ، وهذا في

طواف الركن، حتى تطهر فلا يلزمها شيءٌ، أما الإمام الشافعي رضي اللهُ عنه فيقول: لا يصحُّ الطوافُ من الحائض و النفساء .

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا جِئْنَا سَرِفَ طَمِثْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ قُلْتُ لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَحُجَّ الْعَامَ؟ قَالَ: لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكِ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي))

[البخاري عن عائشة]

من أحكام المرأة أنه إذا أخذ أهلُها أو محرمُها أو زوجُها في الرَّحيلِ و هي حائضٌ أو نفساءُ سقط عنها طوافُ الوداع، و لا يلزمها شيءٌ، لكنَّ العلماءُ قالوا: يُستحبُّ لها أن تقف بباب الحرم و تدعو قبل أن تغادر هذه البلاد. ويسن لها تقصيرُ الشَّعر، فقط فقد روى ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنه عن رسول الله صلى اللهُ عليه و سلم أنه قال: "ليس على النساء حلْقٌ إنما على النساء تقصير " وهذا رحمةً بهن.

هذه أحكام المرأة المتعلِّقة بالحج، و قد أنهينا الفروض و الواجبات و السُّنن و الأحكام المتعلِقة بالمرأة.

* * *

صفات أبي حنيفة النعمان :

والآن نشدُّ رحالنا إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لقد كان أبو حنيفةَ رحمه الله تعالى طيّبَ المعاشرة .

((وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُؤْمِنُ مُؤْلَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

كان طيّب المعاشرة، حُلوَ المؤانسة، يسعد به جليسُه، و لا يشقى به من غاب عنه ولو كان عدوًّا له، حتى قال أحدُ أصحابه: سمعتُ عبدَ الله بن المبارك يقول لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبو حنيفةَ عن الغيبةِ؟ فإني ما سمعتُه يذكر عدوًّا له بسوءٍ قط، فقال له سفيانُ: يا أبا عبد الله إن أبا حنيفةَ أعقل مِن أن يسلِّط على حسناته ما يذهبُ بها.

وكان أبو حنيفة رحمه اللهُ تعالى كلفًا، أي محِبًا، يحبُّ أن يقتنص وُدَّ الناس، والنبيُّ عليه الصلاة و السلام هكذا يقول، فرأسُ العقل بعد الإيمان التَّودُّدُ إلى الناس، وكان حريصًا على استدامة صداقتهم، فقد عُرِف عنه أنه ربَّما مرَّ به الرجلُ من الناس فقعد في مجلسه من غير قصدٍ و لا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقةٌ وصله، وإن كان به مرضٌ عادة، و إن كانت له حاجةٌ قضاها، حتى يجُرَّه إلى مواصلته جرًّا، هذه هي الأخلاق، فإذا جلس شخصٌ معك اِسألْ عنه، و عن عمله، لعلَّه يحتاج إلى مساعدة، و لعلَّه مريضٌ، و الدواء عندك، لعلَّه يحتاج إلى معونة، إلى تخفيف، إلى تصبير، فالإنسان حينما يلتقي مع الناس يصبح لهم عليه حقٌّ، فكان هذا الإمام العظيم في جلسةٍ طارئة عابرةٍ غير مقصودة إذا التقى مع شخص عرَضًا سأل عنه، ما اسمُه، و ماذا يعمل، و أين يسكن، فإن كانت به فاقةٌ وصَله، أو فقيرًا أعطاه، و إن كان به مرضٌ عاده، و إن كانت له حاجةٌ قضاها، حتى يجرَّه إلى مواصلته جرًّا، حتى يصير من إخوانه بهذه الطريقة، و قد كان أبو حنيفة قبل ذلك كلِّه و فوق ذلك كلِّه صوَّام النهار، قوَّام الليل، خديمًا للقرآن، أي صديقًا، مستغفرًا بالأسحار، و كان من أسباب توغُّله في العبادة و اندفاعه فيها له قصة، فقد أقبل ذات يوم على جماعة من الناس فسمعهم يقولون إن هذا الرجل الذي ترونه يقوم الليل فما أنْ لمست كلمتهم هذه أسماعَه حتى قال: إني عند الناس على خلاف ما أنا عند الله، واللهِ لا يتحدث الناسُ عني شيئاً إلا بما أنا فيه، أي مدحوه، قالوا: هذا الرجل يقوم الليل، وربما كان يقوم الليل، لكنْ ليس دائماً، فآلمه أن يكون هذا الوصفُ غير مطابق للحقيقة، عندئذٍ انطلاقاً من هذا المدح تابع قيامَ الليل حتى آخر حياته، وكان إذا أرخى الظلامُ سُدولَه على الكون، وأسلمتْ الجنوبُ إلى المضاجع، والناسُ كلُّهم نائمون، قام فلبس أحسنَ ثيابه، وسرَّح لحيتَه، وتطيَّب وتزيَّن، ثم وقف في محرابه يقطع أطراف الليل في الصلاة و الركوع والقنوت والسجود، وربما قرأ السورةَ الطويلة في الركعتين و ربما قام الليل كلَّه بآية واحدة يُعيدها و يبكي، ويُروَى أنه قام الليلَ كلَّه مرةً وهو يردِّد قولَه تعالى:

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾

[سورة القمر : 46]

وكان أحياناً يصلي الفجرَ بوضوء العشاء، و كان إذا قرأ سورة الزلزلة اقشعرَّ جلدُه ووجِل فؤادُه، وأخذ لحيتَه بيده، وطفِق يقول: يا مَن يجزي بمثقال ذرَّة خيرٍ خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شرٍّ شرًّا، أجِرْ عبدَك النعمانَ من النار، وباعدْ بينه وبين ما يقرِّبه منها، و أدخله في واسع رحمتك يا أرحم الراحمين.

تحلي أبي حنيفة بقوة إقناع عجيبة :

دخل أبو حنيفة النعمان على الإمام مالك و عنده ثُلَّةٌ من أصحابه، فلما خرج من عنده التفت الإمام مالك لجلسائه و قال: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال: هذا النعمانُ بن ثابت، هذا الذي لو قال عن هذه السارية – العمود – إنها ذهبٌ لاحتجَّ لِما قال، ولخرجتْ كذلك، أي عنده قوّة إقناع عجيبة، لو قال لك: هذه السارية من ذهب لجاء بالدليل، وأيقنتَ أنها من ذهب.

كان في أهل الكوفة رجلٌ ضالٌ، وكان ذا قدرٍ في عيون بعض الناس، وصاحبَ كلمة مسموعة لديهم، كان هذا الرجل الضال يزعم فيما يزعم أن عثمان بن عفان رضي اللهُ عنه كان يهودياً، يُروِّج في المدينة أن هذا الصحابي الجليل ثالث الخلفاء الراشدين كان يهوديًا، وأنه ظلَّ على يهوديته بعد الإسلام أيضاً، فلما سمع أبو حنيفة مقالَته هذه مضى إليه، قال له: لقد جئتُك خاطبًا ابنتَك فلانةً لأحد أصحابي، فقال: أهلاً بك و مرحباً، إن مثلك يا أبا حنيفة لا تُردُّ له حاجةٌ، ولكن مَن الخاطب؟ قال: رجلٌ موصوفٌ بين قومه بالشرف و الغنى، سخيُّ اليد، مبسوط الكفِّ، حافظٌ لكتاب الله عز وجل، يقوم الليل، كثير البكاء من خوف الله، بخٍ بخٍ حسبُك يا أبا حنيفة، إن بعض ما ذكرتَ من صفات الخاطب يجعله كِفئًا لبنت أمير المؤمنين، فقال أبو حنيفة: غير أن فيه خصلة واحدة لا بدّ من أن تقف عليها، قال: وما هي؟ قال: إنه يهودي فانتفض الرجلُ و قال: يهودي؟ أتريد أن أزوِّج ابنتي من يهودي يا أبا حنيفة، و اللهِ لا أزوِّجها منه، ولو جمع خصال الأولين والآخرين، فقال أبو حنيفة: تأبى أن تزوِّج ابنتك من يهودي وتنكر ذلك أشدَّ الإنكار، ثم تزعم للناس أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم زوَّج ابنتيه كلتيهما من يهودي، فدُهِش الرجل وأخذته رِعدةٌ، واستغفر اللهَ من قوله هذا قول السوء، و تاب إلى الله فوراً، لقد عالجه علاجاً واقعيًا.

أحد الخوارج، وهو الضحَّاك جاء إلى أبي حنيفة ذات يوم، و قال: تُبْ يا أبا حنيفة، فقال: مِمَّ أتوب؟ قال: من قولك بجواز التَّحكيم الذي جرى بين عليٍّ و معاوية، هذا التحكيم باطل، و من قبِله فهو كافر، فيجب أن تتوب منه، فقال له أبو حنيفة: ألا تقبل أن تناظرني في هذا الأمر– أتحبُ أن نتناقش –؟ قال الخارجيُّ: بلى، فقال أبو حنيفة: فإن اختلفنا في شيء مما نتناظر فيه فمن يحكم بيننا؟ فقال الخارجي: حكِّمْ مَن تشاء، فالتفت أبو حنيفة إلى الرجل من أصحاب الخارجي كان معه، و قال: أنت أيها الرجل أُحكمْ بيننا إذا اختلفنا، ثم قال للخارجي: أنا رضيتُ بصاحبك حكَماً، فهل ترضى به أنت؟ فسُرَّ الخارج و قال: نعم، فقال أبو حنيفة: ويْحك أتُجوِّز التَّحكيمَ لنفسك فيما شجر بيني و بينك و تنكره على اثنين من أصحاب رسول الله ؟! فانتهت المناقشةُ، حينما رضي معه هذا الخارجي بالتحكيم، وأقام عليه الحُجة.

ويروي العلماءُ أيضًا أنه جاءه خارجيان، و الخوارج كما عُرِف عنهم أنهم يكفِّرون بالصغيرة، أي إذا ارتكب المسلمُ صغيرةً يكفِّرونه بها، فدخلا عليه و شهرا عليه السيفَ، و قالا له: ما تقول في رجل زنى و فعل كذا و كذا، هل هو مسلم أم كافر؟ فإذا قال: مسلم قطعوا رأسَه، فقال: هذا الرجل الذي تتحدَّثون عنه أهو نصراني؟ قالوا: لا، قال: أهو يهودي؟ قالوا: لا، قال: فمَن هو؟ قالوا: هو مسلم، قال: قد أجبتم عن أنفسكم، أنتم أجبتم، نصراني؟ لا، يهودي؟ كلا، إذًا هو مسلم، هذا هو الجواب، هو مسلم إذًا، و ليس كافرًا.

ومن ذلك أيضاً أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى لقِيَ طائفةً من الملحدين الذين ينكرون وجود الخالق جلَّ وعلا، فقال لهم: ما تقولون في سفينة مشحونة بالأثقال، مملوءة بالأمتعة والحمال، قد أحاطتها لُجَّةُ البحر بأمواج متلاطمة، وعصفت بها رياحٌ عاتية، غير أنها ظلَّت تجري هادئةً في طريقها المرسومة و تمضي مطمئنة إلى غايتها المعلومة، من غير اضطراب ولا خلل ولا انحراف، وليس على ظهرها ملَّاحٌ يُحكِم سيرَها، أو موجِّهٌ ينظِّم خَطوها، أفيصحُّ هذا في الفكر؟ قالوا: لا، إن هذا شيءٌ لا يقبله العقلُ، و لا يجيزه الفهمُ أيها الشيخُ، فقال: يا سبحان الله تنكرون أن تجريَ السفينةُ في البحر جريًا مُحكمًا من غير أن يكون لها رُبَّانٌ يتعهَّدها و تقرُّون قيام هذا الكون ببحاره الزاخرة، وأفلاكه السائرة، وطينه السابح التارح، من غير صانع يُحكِم صنعته، ومدبِّر يحسن تدبيرَه؟ تبًّا لكم ولِما تأفِكون.

دفاع أبي حنيفة عن دين الله :

ويُروَى أن أبا حنيفة رحمه اللهُ تعالى بعد أن قطع رحلةَ الحياة كلَّها ينافِح عن دين اللهِ بما وهبه اللهُ من حُجَّة بالغة، و يجادل عن شرعه بما حباه الله من منطق فذٍّ، فلما أتاه اليقينُ وجدوا في وصيَّته، أنه عزم على أهله أن يدفنوه في أرض طيِّبة، وأن يجنِّبوه كلَّ مكان فيه شبهة غصبٍ، فالأرضُ المغتصبة، وفيها مقابر، يقتضي الورَعُ ألاّ يُدفَن فيها الإنسانُ، فكان أبو حنيفة رحمه اللهُ تعالى قد أوصى أهلَه و عزم عليهم، أي شدَّد ألا يدفنوه في أرض مغتصبة، فلما بلغتْ وصيَّتُه المنصورَ قال: مَن يعذُرُنا في أبي حنيفة حيًّا و ميِّتًا؟ أي مات و لم نرتاح منه، ولقد أوصى أبو حنيفة بأن يتولَّى غسله الحسنُ بنُ عمَّارة، فلما غسله قال: رحمك اللهُ يا أبا حنيفة، وغفر لك جزاءَ ما قدَّمتَ، فإنك لم تفطِرْ، أي كان صوَّامًا في النهار، قوَّامًا في الليل، وقد أتعبتَ الفقهاءَ من بعدك، لذلك يقولون: كلُّ الفقهاء عالةٌ على أبي حنيفة، و يسمُّونه الإمامَ الأعظم، و المذهبُ الحنفي من أوسع المذاهب انتشاراً و من أكثرها مرونةً و دقَّة.

* * *

النميمة :

والآن إلى إحياء علوم الدين في موضوع خطيرٍ جدًّا ابتُلِيَ به المسلمون أو معظم المسلمين، ألا وهو النميمةُ، قال تعالى يصف النمّام:

﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 11-13]

قال عبد الله بن المبارك: الزنيم ولَدُ الزنا، الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أنَّ كلّ من لم يكتم الحديث، ومشى بالنميمة دلَّ على أنه شبيهٌ بولد الزنا، أي ابن حرام، هذا الذي يفسد بين الناس، و بين الأحبَّة، وبين الإخوة، والشركاء، والأزواج، والجيران، وينقل حديث فلان إلى فلان، ويوغِر صدرَ الناس، ويوقع بينهم العداوةَ و البغضاءَ، ويقيم هُوَّةً كبيرة بينهم هذا عملُه مشابهةٌ لعمل ولد الزنا تماماً. و العلماءُ قالوا: الزنيم هو الدَّعِي، أي ولد الزنا، و قال تعالى :

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾

[سورة الهمزة: 1]

قيل: الهمزة النمَّام، وقال تعالى:

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾

[سورة المسد: 4]

و معنى حمالة الحطب، أي كانت نمَّامة، أي تحمل كلاماً من جهةٍ إلى جهة، فتورث بينهما العداوة والبغضاءَ، وكأنَّها أشعلت النار بينهم.

نقل الكلام بلية كبرى :

امرأة سيدنا لوط، وامرأة سيدنا نوح، قال تعالى في حقهما:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ

﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾

[سورة التحريم: 10]

قيل: كانت امرأةُ لوط تخبر بالضِّيفانِ، فإذا جاءها ضيفانٌ لزوجها تخبر قومَها كي يأتوا ليفعلوا معهم الفاحشةَ، وامرأة نوح كانت تخبر الناس أنَّ زوجها مجنون :

((وعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنُمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ*، و في حديث آخر، عَنْ هَمَّامٍ قَالَ كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ))

[البخاري عن حذيفة]

و القتَّات هو النمام:

((عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا))

[البخاري عن مسروق]

نقلُ الكلام بليةٌ كبرى، والمجتمع مفتَّتٌ على مستوى الأُسَر، والأحياء، والعشائر، ودائما هناك خصومات، ومشاحنات، والبغضاء بسبب نقل الكلام، وقال عليه الصلاة و السلام:

((ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا بلى، قال: المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب))

[ابن ماجه عن أسماء بنت يزيد بن السكن]

و قال عليه الصلاة و السلام:

((من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه اللهُ بها في النار يوم القيامة))

[الطبراني عن أبي ذر]

أشاع على مسلم إشاعة و هي باطلة ليحطِّم مكانته، ويجرح سُمعته بين الناس، قال عليه الصلاة و السلام:

((ما من رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار))

[الطبراني عن أبي الدرداء]

و قال عليه الصلاة و السلام:

((من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهلٍ فليتبوَّأ مقعده من النار))

[أحمد عن أبي هريرة]

شهد شهادة غير صحيحة، و ليس متأكِّدا، تسرَّع واتَّهمه بالانحراف، وتسرَّع واتَّهمه بالغبن.

النّمام يفتت العلاقة بين الناس :

يُقالُ: إن ثلث عذاب القبر من النميمة، وعن ابن عمر عن النبيّ عليه الصلاة و السلام أن الله تعالى لمَّا خلق الجنَّة قال لها: " تكلَّمي، فقالت الجنةُ: سعِد من دخلني، فقال اللهُ عز وجل: و عزتي و جلالي لا يسكن فيكِ نمَّامٌ و لا قاطِعُ رحمٍ" مستحيلٌ أن يدخل الجنةَ نمَّامٌ، أي إن الإنسانَ ينقل الكلام بين الناس ليفتِّت العلاقة.



و يقال: " اتَّبع رجلٌ حكيما سبعمئة فرسخٍ في سبع كلمات، فلما قدِم عليه قال: إني جئتُك للذي آتاك اللهُ من العلم، أخبِرني عن السماء و ما أثقلُ منها، و عن الأرض و ما أوسعُ منها، و عن الصَّخر و ما أقسى منه، و عن النار و ما أحرُّ منها، و عن الزَّمهرير و ما أبردُ منه، و عن البحر و ما أغنى منه، و عن اليتيم و ما أذلُّ منه، فقال الحكيمُ: البهتانُ على البريء أثقلُ من السموات و الأرض – تفتري على إنسان فِريةً باطلةً و هو منها بريء، و تُلبِسه تهمةً لا علاقة له فيها، هذا العمل أثقل من السموات و الأرض– و الحقُّ أوسعُ من الأرض، و القلبُ القانع أغنى من البحر، و الحِرصُ و الحسدُ أحرُّ من الجمر، و الحاجةُ إلى القريب إن لم تنجح أبردُ من الزمهرير، و قلبُ الكافر أقسى من الحجر، و النمَّامُ أذلُّ من اليتيم على مائدة اللئيمِ."

أراد إنسان أن يشتري عبدًا، فرأى عبداً ذكيًّا، وسعره رخيصاً، فلفت نظرَه السِّعرُ فقال البائعُ: هذا لا عيب فيه إلا النميمة، مشكلته أنه ينُمُّ، فاشتراه، فمكث الغلامُ أياماً، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدي لا يحبُّكِ، وهو يريد أن يتسرَّى عليكِ، فخذي المُوسى واحلقي من رأسه شعرةً عند نومه، حتى أسحره عليها، فيحبُّكِ، ثم جاء للزوج و قال: إن امرأتك اتَّخذتْ خليلاً غيرَكَ، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها الزوجُ، فجاءت المرأةُ بالموسى فظن أنها تريد أن تقتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهلُ المرأة فقتلوا الزوجَ ووقع القتالُ بين القبيلتين بعلَّة واحدة فقط النميمة، أذهب بقبيلتين، فموضوع النميمة خطير جسيم.

وإن شاء اللهُ في درس قادم نتحدَّث عن النميمة بالتعريف الدَّقيق، وعن واجب المؤمن إذا سمع رجلاً ينِمُّ له أو عليه، كيف يقف منه موقفًا صلبًا. يُروى عن عمر بن عبد العزيز رضي اللهُ عنه أنه دخل عليه رجلٌ فذكر له عن آخرَ شيئًا- أي نمَّ- فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك ، فإن كنتَ كاذباً فأنت من أهل هذه الآيات، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[سورة الحجرات: 6]

و إن كنتَ صادقاً فأنتَ من أهل هذه الآية، قال تعالى:

﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 11-13]

و إن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، و لا أعود إليه أبدًا، هذا موقف سيدنا عمر.

والحمد لله رب العالمين

3-3 محظورات الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيء قدير ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الحج المبرور :

أيها الإخوة الأكارم ؛ لقد سئل رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور))

[رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]



والحج المبرور أيها الإخوة الأكارم هو الحج الذي لا يخالطه أثم .

وقد قال الحسن البصري : أن يرجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة .

وقال عليه الصلاة والسلام ، مخاطباً عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ :

((أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله))

[أخرجه مسلم عن ابن شماسة]

أي يُغفر للحاج عن كل شيئاً فعله قبل الحج ، بشرط أن يعود إنسان آخر لا أن يعود كما ذهب ، وقال أيضاً:

((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ ، إنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر :

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة))

[أخرجه النسائي]

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، والنفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، وقال عليه الصلاة والسلام :

((تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له))

[أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس]

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ هنيئاً لمؤمن لبى دعوة ربه ، وسعد بقربه ، هنيئاً لمؤمن ألقى الدنيا وراء ظهره ، وذهب إلى البيت الحرام لينال المغفرة والرضوان ، هنيئاً لمؤمن أحرم بالميقات ، فنظف بدنه ، وتطيب ، وتجرد من ثيابه المخيطة ولبس ثوب الإحرام ، هنيئاً لمؤمن رفع صوته بالتلبية قائلا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

قال الزمخشري : معنى لبيك ؛ أي دواماً على طاعتك وإقامة عليها مرة بعد مرة ، وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :

((ياآل محمد من حج منكم فليهل في حجته))

[أخرجه الإمام أحمد]

ومعنى فليهل ؛ أي ليرفع صوته بالتلبية ، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((ما أهل مهل قط ، ولا كبر مكبر قط إلا بشر قيل : يا رسول الله بالجنة ؟ قال : نعم))

[رواه الطبراني في الأوسط]

وعلى المحرم أيها الإخوة أن يبالغ في تطبيق الآية الكريمة :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة الآية : 197]

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

((من حج ولم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))

ومن محظورات الإحرام أيضاً لبس المخيط من الثياب ، وتقليم الأظافر ، وإزالة الشعر بالحلق أو القص ، والتطيب بالثوب أو البدن والتعرض للصيد والأكل منه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هنيئاً لمؤمن وصل إلى مكة المكرمة ، التي قال فيها نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت))

[أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه والدرامي وابن حبان في صحيحه]

ما أطيبك من بلدٍ ، وما أحبك إلي ، هنيئاً لمؤمن رأى البيت الحرام ، فقال في ضراعة وخشوع أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله وسلم ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً ، وتعظيماً ، وتكريماً ، ومهابةً وزد من شرفه ، وكرمه ، ممن حجه ، أو اعتمره ، تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ، وبراً ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هنيئاً لمؤمن قبل الحجر الأسود ، من دون صوت ، فإن لم يتمكن استلمه بيده ، وقبله ، فإن عجز عن ذلك أشار إليه بيده .

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهما :

((استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ، فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا ، فالتفت فإذا هو بعمر يبكي فقال يا عمر : هاهنا تسكب العبرات))

[رواه ابن ماجه والحاكم وابن أبي الدنيا]



قال أحدهم إن الحجر يمين الله في أرضه ، يصافح بها عباده ، وتكره المزاحمة على الحجر الأسود إذا أدت إلى إيذاء المسلمين روى الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ في سننه أن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر : يا عمر ، يا أبى حفص : إنك رجل قوي فلا تزاحم على الركن فإنك تؤذي الضعيف ، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فكبر ، وامضي .

هنيئاً لمؤمن طاف طواف القدوم ، مضطبعاً أي ؛ جاعلاً وسط الرداء تحت الإبط الأيمن ، وطرفيه على الكتف الأيسر ، محاذياً الحجر الأسود ، مقبلاً له ، أو مستلماً ، أو مشيراً إليه ، جاعلاً البيت عن يساره قائلا بسم الله والله أكبر ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .



يستحب الشرب من ماء زمزم

فإذا أخذت الطواف استحب له أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ، فيسرع في المشي ، ويقارب بين الخطى مقترباً من الكعبة ، ويستحب له أن يكثر من الذكر والدعاء ، إذا أخذ بالطواف قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإذا انتهى إلى الركن اليماني دعا فقال : ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ويستحب كلما حاذ الحجر الأسود أن يكبر ويقول : اللهم اجعله حجاً مبرورا وسعياً مشكورا ، وذنباً مغفورا ، ويقول عند الانتهاء من كل شوط : ربي اغفر وارحم واعف عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم أتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، ويقول بين الركنين : اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة خير ، ويستحب استلام الركنين الأماميين لقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهما ، لم أر النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمس من الأركان إلا اليمانيين ، ويسن للطائف صلاة ركعتين بعد كل طواف ، عند مقام إبراهيم ، أو في مكان ما من المسجد الحرام ، ويستحب الشرب من ماء زمزم ، والدعاء عند الملتزم ، فقد روى البيهقي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهما أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ، لا يلزم ما بينهما أحد ، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه .

وفي الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى نتابع مناسك الحج والحكمة من هذه المناسك .

قصة الطفيل الدوسي .

أيها الإخوة الأكارم ؛ الطفيل بن عمر الدوسي ، سيدّ قبيلة دوس ، وشريف من أشراف العرب المرموقين ، وواحد من أصحاب المرواءت ، المعدودين ، لا تنزل له قدر عن نار ، ولا يرفض أمام بابه طارق ، يطعم الجائع ، ويؤمن الخائف ، ويجير المستجير ، أديب ، أريب ، لبيب ، شاعر ، قدم مكة فما إن ، هكذا يقول: قدمت مكة فما إن رأوني سادة قريش حتى أقبلوا علي فرحبوا بي أكرم ترحيب ، وأنزلوني أعز منزل ، هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، هكذا قالوا له ، أفسد أمرنا ، وفرق شملنا ، وشتت جماعتنا ، ونحن إنما نخشى أن يحل بك وبزعامتك ما حل بنا ، فلا تكلم الرجل ، ولا تسمعن منه شيئاً ، فإن له قولاً كالسحر يفرق بين الولد وأبيه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الزوجة وزوجها .

قال الطفيل :

فلما غدوت إلى الكعبة وضعت في أذني قطناً مخافة أن أسمع كلام هذا الرجل ، رأيته في الكعبة قائماً يصلي ، هزني منظره ، هزتني عبادته ، وجدت نفسي أدنو منه ، قلت لنفسي ثكلتك أمك يا طفيل ، إنك رجل لبيب شاعر ، وما يخفى عليك الحسن من القبيح ، وما يمنعك أن تسمع من الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان الذي يأتي به قبيحاً تركته ، فلما انصرف النبي إلى داره تبعته ، وقلت له يا محمد إن قومك قالوا لي عنك كذا وكذا ، وقد سددت أذني لئلا أسمع قولك ، فأبى الله إلا أن يسمعني الله شيئاً ، فوجدته حسناً اعرض علي أمرك ، وقرأ علي بعض السور فو الله ما سمعت قولاً أحسن من قوله ، ولا رأيت أمراً أعدل من رأيه ، درس بليغ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[سورة الحجرات الآية : 6]

ما من رجل إلا وله أعداء ، يروى أن سيدنا موسى أن في المنجاة قال يا رب لا تبقي لي عدواً ، فقال الله عز وجل يا موسى هذه ليست لي لم تكن لي ، أليس في الأرض أعداء لله .

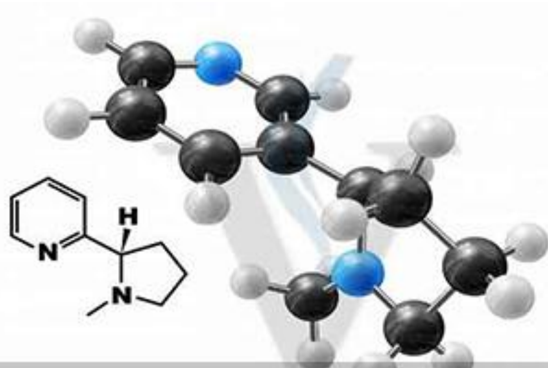
فالإنسان المنصف لا يسمع عن الرجل ، بل يسمع من الرجل لا تسمع عن الرجال ، بل فاسمع منهم ، هذا لو أنه سمع مقالة زعماء قريش في النبي عليه الصلاة والسلام لبقي كافراً ، وبقي مشركاً ، ودخل جهنم لكنه تبع النبي ، وسمع منه ، فلما سمع منه عرف الحسن من القبيح ، والشر من الخير ، كل إنسان يملك ميزاناً.

أيها الإخوة الأكارم ؛ هذه قصة ليس المقصود روايتها ، ولكن المقصود ألا تحكم على غائب ، ألا تحكم على الرجل إن سمعت عنه بل احكم عليه بعد أن تسمع منه ، وهذا فرق دقيق بين طالب الحق ، وبين المنافق ، المنافق يسمع عن الرجل فيصدق قول أعداءه فيه ، والمؤمن يسمع من الرجل فيفاجئ بأن الذي سمعه عنه لا ينطبق عليه ، إنما هو كذب ، وبهتان ، وزور .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

مضار التدخين :

أيها الإخوة الأكارم ؛ لجنة من الأطباء عقدت لتدرس موضوع الدخان ، عقدت اجتماعات طويلة ، وتليت محاضرات قيمة ، وتوصل المجتمعون إلى تقرير كتب في 387 صحيفة ، ونشر هذا التقرير في الصحافة العالمية فكان من فقرات هذا التقرير أن الدخان ضار بالصحة حتماً ، وسبب رئيسي لعدد كبير من الأمراض المميتة ، والسبب أن أوراق الدخان تحوي على أشباه قلويات سامة ، في طليعتها النيكوتين ، فواحد من عشرة من الغرام ، من النيكوتين يكفي لقتل كلب متوسط الحجم ، ونقطة واحدة في عين فأرة تقتلها فوراً وأربع قطرات تحقن تحت جلد حصان يموت في أربعة دقائق .



النيكوتين من أشد السموم فتكاً بأجهزة الجسم

والدخان أيها الإخوة له أضرار تشمل جميع أجهزة الجسم ، من هذه الأجهزة جهاز التنفس ، الدخان يوقف الوظائف التنفسية ، ويؤدي إلى التهاب الأنف والبلعوم التهاباً مزمناً ، وإلى التهاب الحنجرة والقصبات وإلى انتفاخ الرئة وتصلبها ، ونسبة السرطان عند المدخنين ثمانية أمثال عند غير المدخنين ، والدخان يعطل وسائل الدفاع في الطرق التنفسية ، في الحنجرة ، في الرغامى أيها الإخوة زغابات على جدرانها لها حركة نحو الأعلى دائماً فكل جسم غريب تدفعه نحو الأعلى ، إلى أن يلفظه الإنسان من فمه ، هذه الزغابات تصاب بالشلل بفعل التدخين ، فتصبح الرغامة بؤرة للإنتانات الخطرة ، لذلك التهاب القصبات المزمن سببه التدخين ، هذا جهاز التنفس .

ولكن الشيء الخطر جهاز الدوران ، فالدخان يحرر نسباً عالية من الإدرالين وتبلغ هذه النسبة 43% هذه المادة إذا غضب الإنسان ، أو إذا خاف تفرز في دمه من أجل أن تعينه على نشاط إضافي ، هذه المادة تفرز عند المدخن بشكل طبيعي ، فإذا كانت في الدم سرعت ضربات القلب وقبضت الشرايين ، وتصلبت ، فإذا انقبضت الشرايين وتصلبت ارتفع الضغط ، وإذا ارتفع الضغط أصيب الإنسان بالذبحة الصدرية .



أكثر الذبحات الصدرية القلبية بسبب إدمان التدخين

أي ضيق في الشريان الإكليلي الذي يغذي القلب ، هذه بعض الحقائق التي توصل إليها العلماء ، يعني قديماً كان العلماء في حيرة من أمر الدخان ، بعضهم أفتى بحله ، بعضهم أفتى بكراهيته ، بعضهم أفتى بحرمته ، والسبب أن المعطيات العلمية لم تكن بين أيديهم وقتها ، فالذي أفتى بحرمته أخذ برأي أن كل ضار حرام ، وأن الله عز وجل حرم الخبائث ، والذي أفتى بحله لم يرى به بأساً ولكن بعد وصول العلم إلى هذه النتائج الخطيرة يعني الدخان يحرر نسباً عالية من الأدرلالين هذه المادة تعين على تسرع القلب ، وعلى تصلب الشرايين ، ولاسيما الشريان الإكليلي التاجي الذي يغذي القلب وأكثر الذبحات الصدرية القلبية بسبب إدمان الدخان ، على كلٍ مضاره في جهاز الدوران أن الإنسان يصاب بتشنج الشرايين الأكليلية للقلب وهذا ما قاله العلماء في الدخان ، وهناك مضار أخرى أبحثها إن شاء الله في أسبوع قادم حتى يتضح للذين يدخنون أنهم يؤذون صحتهم ، ويسبب لصحتهم أمراضاً ليس أقلها أمراض القلب ، يعني هناك أمراض تصيب التنفس ، تصيب الحواس ، تصيب الجهاز العصبي ، لكنها أمراض ليست خطرة إلى حد الموت ، أما أمراض القلب ، فإنها أمراض مميتة .

أيها الإخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام نهانا عن الخبائث ، الله سبحانه وتعالى أمرنا بالطيبات ، ونهانا عن الخبائث ، والدخان من الخبائث .

و الحمد لله رب العالمين

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيمن أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادنا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا مولانا رب العالمين ، اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، اللهم يا أكرم الأكرمين أعلِ كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : تفصيلات في الحج

4-1 ميقات الحج

4-2 دخول البيت – الطواف

4-3 السعي بين الصفا و المروة 1

4-4 السعي بين الصفا و المروة 2

4-5 الوقوف بعرفة

4-6 أدعية عرفة

4-7 رمي الجمرات

4-8 ماذا بعد عرفة

4-9 المبيت بمزدلفة

4-10 الأضحية

4-11 الحج من البداية إلى النهاية

4-12 زيارة المدينة المنورة

1-4 ميقات الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنى :

أيها الأخوة الكرام... مع الدرس الخامس والستين من دروس سورة البقرة، ومع الآية التاسعة والثمانين بعد المئة، وهي قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أيها الأخوة، يسألونك عن الأهلَّة، جمع هلال، وسُمِّيَ الهلالُ هلالاً لأن الإنسان إذا رآه هلَّل، على كلٍ أراد الله الهلال ولعل الآية الكريمة تَعْنِي الكون كلَّه، ما موقع الكون في الدين؟



الكون أيها الأخوة مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، أو تجسيدٌ لأسمائه الحسنى، والله عزَّ وجل لا تُدْرِكُهُ الأبصار، ولكن تدركه العقول من خلال آثار القُدْرَة، فالله عزَّ وجل أسماؤه كلها حسنى؛ هو الغني، والقوي، والسميع، والبصير، والحكيم، والرحيم، والمجيب، هذه الأسماء كلُّها يمكن أن تتبدَّى من خلال خلقه، فلو فكَّرنا في مخلوقاته لعرفناه.

هذا جانبٌ من جوانب زاوية فهمنا للكون، الكون يجسِّد حكمة الله، ويجسِّد عِلْمَ الله، ويجسد رحمة الله، ويجسد قوَّة الله، كل أسمائه الحسنى، وصفاته الفُضلى مجسَّدةً في الكون، فأنت إذا بحثت في الكون كما أمرك الله عزَّ وجل:

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة يونس: 101]

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس: 24]

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

[سورة الطارق: 5]

عرفته من خلال ذلك.

تحتَلّ آيات الكونيات سُدُسَ القرآن لأنها تعريفٌ بالله عزَّ وجل من خلال خَلْقِهِ :

لكن هناك شيء آخر، هو أن الله عزَّ وجل ذكر هذه الآيات التي تزيد عن ألفٍ وثلاثمئة آية في هذا القرآن الكريم الذي تقترب آياته من ستة آلاف آية، إذاً تحتَلّ آيات الكونيات سُدُسَ القرآن، لأن هذا السُدُس تعريفٌ بالله عزَّ وجل من خلال خَلْقِهِ، ولكن شاءت حكمة الله، أو أنه وجَّه نَبِيَّه ألاّ يتكلَّم عن هذه الآيات إطلاقاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام رأى من آيات ربِّه الكبرى، حينما كان في أعلى مقام، حينما كان في سدرة المنتهى رأى من آيات ربه الكُبرى، ولكن لو أن النبي عليه الصلاة والسلام شرح هذه الآيات الكونية شرحاً كما رأى، لأنكر عليه من حَوْلَهُ، ولو وصفها وصفاً مُبَسَّطاً لأنكرنا عليه نحن، وربما أنكر عليه من بعدنا، لأن علم الإنسان في تطوّر، ولأن الكشوفات العلميَّة في تطور، فالله جلَّ جلاله ترك الآيات الكونية ليكشِفَ أسرارها عُلماء كل عصرٍ بحسب تفوّقهم ووصولهم إلى بعض الحقائق. لكن الله عزَّ وجل أراد في هذه الآية أن يلفتنا إلى الجانب النَفْعِيَ من الآية.

بالمناسبة: الآية الكونيَّة لها جانب معرفي، وجانب نَفْعِي، فالنفعي في الدنيا، فالهلال مثلاً ننتفع به كمواقيت للناس والحج، والهلال يمكن أن يكون أداةً للتعرُّف على الله عزَّ وجل، هذه هي المهمة المَعْرِفية، وكل شيءٍ خلقه الله عزَّ وجل من دون استثناء له مهمتان: مهمةٌ كبرى؛ وهي تعريف الناس بالله، ومهمةٌ صُغرى؛ وهي الانتفاع به.

أهل الدنيا . الكفار . استفادوا من الناحية الثانية إلى أعلى درجة، فكل ما في الطبيعة من ثروات، من أشياء جمالية، من نباتات، من أزهار استفادوا منها، ولكن المؤمنين وحدهم استفادوا من الوظيفة الأولى: أنها تعرّفنا بالله عزَّ وجل، فأينما ذهبت، وأينما جلست، وحيثما نظرت أنت أمام آيات لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

الآيات الكونية أدوات معرفية لننتفع بها ونشكر الله :

أنت حينما تشرب كأس الحليب ربما لا تنتبه، كأس الحليب هذا مِن مخلوقٍ سخَّره الله لنا، وذلك لنا .



وهذا المخلوق يأكل من حشيش الأرض، وهناك غُدَدٌ ثديية بالغة التعقيد، على شكل غدد كبيرة، وأسناخ صغيرة، وعلى شكل حويصلات، وعلى شكل قُبَّة، وتجري حولها أوعيةٌ دمويةٌ كثيفةٌ جداً، وهذه الخليَّة الثديية يجهل العلماء حتى الآن طبيعة عملها؛ تختار من الدم المواد المعدنية، والفيتامينات، والمواد السُكَّرية، والمواد الدسمة، وغازات مُنْحَلَّة وتصنع منها قطرة حليبٍ تسقط في جوفٍ ينتهي إلى ضِرْعِ البقرة، فالإنسان حينما يشرب كأس الحليب، أو يأكل قطعة جبن، ينبغي أن يتذكَّر أن هذه آيةٌ كبرى:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾

[سورة النحل: 5]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾

[سورة يس: 71-73]

الذي أريد أن أبدأ به الدرس هو: أن هذه الآيات الكونية آياتٌ من أجل أن نعرف الله، وكلَّما فكَّرنا فيها ازدادت معرفتنا بالله، وهذه الآيات الكونية أدوات معرفية، والعقل مصمم على التعامل معها تعاملاً إيجابياً، فقد يكون طريق معرفة الله، أو أحد طرق معرفة الله، أو أحد أكبر طرق معرفة الله التفكُّر في خلق السماوات والأرض، الحد الأدنى من هذه الآيات الكونيَّة أن ننتفع بها، وإذا انتفعنا بها شكرنا الله عزَّ وجل.

نظرية أينشتاين التي يتباهى الغرب بها مودعةٍ في آيةٍ قرآنيَّة :

الإنسان قد لا يعرف ما هو تركيب الحليب ولا كيف يُصنع الحليب؟ أما عندما يشرب كأساً من الحليب يقول: الحمد لله، فلك أن تتحرَّك في المستوى الأدنى كأن تأخذ الانتفاع وتشكر الله عليه، ولك أن تصعد إلى المستوى الأعلى، أن تفهم سرَّ هذه الآية، بحسب ثقافة الإنسان، بحسب معطياته، بحسب علمه، بحسب البيئة التي يعيش فيها، إذا عاش في بيئة بسيطة، أو بيئة ذات تطوّر علمي كبير، قال تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

يمكن أن يفهمه كتقويمٍ موضوعٍ في السماء يراه كل الناس، تقويمٌ كبير تحت يدي كل إنسان، يقول لك: أول الشهر، نصف الشهر، القمر بدر، أما لو أردنا أن نفهم قضية القمر بشكلٍ علمي، أو بشكلٍ تفصيلي لدهشنا. أيها الأخوة... هذا القمر يدور حول الأرض دورةً كل شهر، لو حسبنا كم يقطع من الكيلومترات في رحلته حول الأرض؟ فالقضية بسيطة جداً، إذا وصلنا مركز القمر ومركز الأرض بخط، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، ومن نصف قطر الدائرة نعرف قطر الدائرة ضرب اثنين، ومن قطر الدائرة نضربه في [بي][3.14]نأخذ المحيط، فلو حسبنا البعد بين مركزِ الأرض ومركز القمر، أو بين سطح الأرض وسطح القمر مضافٌ إليهما المسافة بين السطح والمركز في كل من الأرض والقمر، لعرفنا نصف القطر، لو ضربنا هذا الرقم باثني عشر، كم يقطع القمر في رحلته في عام، لو ضربناه بألف، عرفنا كم يقطع القمر في رحلته في ألف عام، رقم كبير.

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: 47]

هذا الرقم لو قسَّمناه على ثوانِ اليوم لنتج معنا سرعة الضوء الدقيقة، فتكون مئتين وتسعة وتسعين ألفاً وسبعمئة واثنين وخمسون. هذه أحدث نظرية . نظرية أينشتاين . النسبيّة، القائمة على أن الأجسام إذا سارت بسرعة الضوء أصبحت ضوءاً، وتوقَّف الزمن، فالزمن هو البعد الرابع للأشياء، وأن هذه الأشياء لو سبقت الضوء لتراجع الزمن، وأن هذه الأشياء لو قصَّرت عن الضوء لتراخى الزمن، وأن الشيء إذا سار مع الضوء أصبحت كتلته صفراً وحجمه لا نهائياً، هذه النظرية الطويلة التي يتباهى الغرب أنه كشفها في القرن العشرين مودعةٍ في آيةٍ قرآنيَّة:

﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: 47]

أيْ ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يومٍ واحد.

الحكمة من دوران الأرض حول محور مائل :

أيها الأخوة.. شيءٌ آخر، لو أن القمر يدور في دورته حول الأرض بسرعة الأرض تماماً لم يعد ميقاتاً للناس والحج، لأن دورته تنزَلِقُ في سرعتها عن دورة الأرض ظهر هلالاً، لأن الشمس والأرض، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرَّة، والأرض أصغر منها . كما قلت قبل قليل . بمليون وثلاثمئة ألف مرَّة، والقمر بينهما .



فحينما تحجب الشمس القمر يظهر هلالٌ منه، وهذا الهلال يكبر ويكبر حتى يصبح بدراً، إذا القمر بين الشمس والأرض صار بدراً، فإذا لم يكن القمر بين الشمس والأرض حجبته الشمس أو حجبته الأرض فصار هلالاً، والقضية ترجعون إليها في كُتب الفَلَك.

مَنْ جعل هذه الدورة بهذا النَمَط؟ هناك أشياء بالفلك أيها الأخوة الكرام ربما لا نعلّق عليها أهميَّة، الأرض لها محور مائل، لو كان المحور عمودياً على مستوي الدوران، لألغيت الفصول، الشمس هنا والأرض هكذا، فهذا الوسط صيف دائماً، وهذا الوسط شتاء دائماً، ولكن لأن محورها مائل فصار هناك مكان عمودي ومكان مائل، فلمَّا انتقلت الأرض إلى الجهة الثانية صار المكان المائل عمودياً، والمكان العمودي مائلاً، صار هناك صيف وشتاء، وربيع وخريف.

لو أنّ الأرض تدور في محورٍ يوازي مستوي دورانها لألغيت الحياة من على الأرض، لو دارت هكذا، الشمس من جهة واحدة، الوجه المقابل للشمس مع دورانه حرارته ثلاثمئة وخمسون درجة فوق الصفر، والوجه المقابل مئتان وسبعون تحت الصفر، انتهت الحياة، أي تعديل على وضع الأرض؛ في حجمها، في شكلها، في دورانها، في ميل محورها يُعَطِّل هذا النظام المبدع الذي نحن نعاينه.

الكون سخره الله لنا تسخير تعريف كي نؤمن وتسخير تكريم كي نشكر :

أيها الأخوة الكرام:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

إذاً الكون الذي بين أيدينا، والذي سخَّره الله لنا، مسخَّرٌ لنا مرَّتين: تسخير تعريف، وتسخير تكريم، فَرَدُّ فعل التعريف أن تؤمن، ورَدُّ فعل التكريم أن تشكر، فإذا آمنت، وشكرت فقد حقَّقت الهدف من وجودك، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء: 147]

أيْ حينما تؤمنون، وحينما تشكرون حققتم الهدف من خلقكم، انتهت المعالجات كلها، معنى هذا حينما يسوق الله لعباده بعض المعالجات إما لضعفٍ في إيمانهم، أو لضعفٍ في عملهم، إما هناك خلل في إيمانهم فيسوقهم إلى إيمانٍ أعلى، أو أنّ هناك خللاً في استقامتهم فيدفعهم إلى استقامةٍ أتم.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

أهدافك في الدنيا لا يمكن أن تصل إليها إلا عن طريق استقامتك على أمر الله :

مركز الثِّقَلِ في الآية :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

هذه الآية أيها الأخوة مهمةٌ جداً في حياة المسلمين، البر مُطْلَق الخَيْر، فالخير العميم الصحة، المال، الأهل، انتظام الحياة، فسمِ الخير المطلق براً، والبر له طريق، قد يسلك الناس إليه طريقاً غير صحيح، الطريق مسدود .



فمن أراد أن يجمع المال بطريقةٍ ذكيةٍ غريبةٍ غير مشروعة ربما لا يجمعه، وقد يجمعه ثم يُتْلِفُهُ الله، أما لو أراد أن يجمعه عن طريق الاستقامة على أمر الله فإنه يُصِبْ هدفه، أريد أن أقول: أهدافك في الدنيا لا يمكن أن تصل إليها إلا عن طريق استقامتك على أمر الله..

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾

من اتقى أن يعصي الله عزَّ وجل وصل إلى البر، طريق النجاح على إطلاقه، طريق الفلاح، طريق الراحة النفسيَّة، طريق الاستقرار الأسري، طريق النجاح في العمل، طريق الشعور بالصحة النفسيَّة، طريق النماء هو أن تكون مع الله، وأن تكون مطبِّقاً لمنهجه. مثل قريب: معمل كان يعتمد في ترويج بضاعته على الصدق، والأمانة، والإتقان، وخدمة الناس، وبذل الصدقات، تأتي إدارة جديدة لهذا المعمل؛ يوقف الصدقات، يوقف كل مساعداتٍ للعمال، ويبدأ بحملة إعلانيَّة عالية جداً، هذا الطريق طريق غربي لترويج البضاعة. إن أردت أن تكون ذا مال فاسلك طريق حق، فهناك أساليب غربيَّة، أرضيَّة، نقتبسها من البلاد الشاردة عن الله عزَّ وجل، وهناك أساليب إسلامية، إنّ إتقان بضاعتك، والاستقامة على أمر الله، والإحسان للخلق سببٌ لترويج بضاعتك، وليس بأن تقوم بحملة إعلانيَّة عالية جداً، وهناك من يقول: لا بد مع هذه الحملة الإعلانية

من امرأةٍ تروّج هذه البضاعة. فالوصول إلى هدفك لا يكون عن طريق قوانين اخترعها الكفار، الوصول إلى هذا الهدف يكون عن طريق تقوى الله عزَّ وجل.

الإنسان حينما يقصِّر مع الله عزَّ وجل يدخل في حالة قلق :

قس على المال كل شيء، الوصول إلى النجاح في الزواج لا يكون عن طريق اختيار زوجة تملأ البيت حسناً وجمالاً، بل عن طريق اختيارها تملأ البيت تقوىً وصلاحاً، فالمرأة الصالحة هذه أحد أسباب السعادة الزوجية، فلذلك حينما يبحث الإنسان عن مصالحه، أو يبحث عن مطامحه بطريقةٍ غير منهجيةٍ، وغير صحيحة فهو يمشي في طريقٍ مسدود، فالآية دقيقة جداً..

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾

الإنسان حينما يقصِّر مع الله عزَّ وجل يدخل في حالة قلق، هذا القلق يدمِّر صحته النفسية، لأن الزمن ليس لصالحه، والإنسان معرَّض أن يقع في حادث، أن يقع في فقر مفاجئ، أن يقع في مرضٍ شديد، أن يقع في خلاف في عمله، أن يخسر بعض ما آتاه الله، فما دام يمشي وحده من دون مظلةٍ إلهيةٍ فهو في قلق، أما إذا أراد السعادة النفسية، فليجعل من طاعته لله سبباً لهذه السعادة، وعندها يكون قد حصَّل ما يريد..

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾

هناك أشياء واضحة، إذا أنت أقرضت قرض ربوي، المئة ألف تعود لك مئة وعشرين ألفاً على الآلة الحاسبة، أما إذا أقرضت قرضاً حسناً لوجه الله، المئة ألف تعود مئة ألف، وإذا كنت اقتصادياً، وعندك معلومات دقيقة في الاقتصاد، تقول: هناك تضخم نقدي بالمئة سبعة عشر، معنى ذلك أن المبلغ رجع لي ثلاثة وثمانين فقط، يأتي القرآن فيقول لك:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾

[سورة البقرة: 245]

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾

[سورة البقرة: 286]

أنت أمام حسابات بسيطة، وأمام آية قرآنية من عند خالق الكون، فأنا أريد من خلال هذه الآية أن أقول لكم: إن الطريق إلى البر، مطلق البر الذي هو السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة هو طاعة الله، وهناك مناهج أرضيَّة، وهناك مسالك أرضيَّة، وهناك سُبُل، وهناك قوانين لا تُعَدُّ ولا تحصى، إنها كلها تنتهي إلى طريقٍ مسدود.

لن نحقِّق أهدافنا الكبرى في الدنيا والآخرة إلا بطاعة الله عزَّ وجل :



في بلادٍ شردت عن الله عزَّ وجل، من أجل ترويج البيع البضاعة التي يقتنيها الرجال يضعون بائعات، وفي البضاعة التي يقتنيها النساء يضعون بائعين من أجل الجذب، وتارةً باليانصيب، وتارةً بالسحب، وتارةً بجوائز مُغْرية، وتارةً بإعلانات فاضحة، هذه كلها أساليب تستخدم لترويج البيع والشراء، أما البر: " **أن تأتوا البيوت من أبوابها** ".

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وابشروا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

[سورة فصلت]

قد يظن إنسان أن سعادته الزوجية باختيار زوجةٍ في أعلى مراتب الجمال، وبعد أن يقترن بها ينظر إلى غيرها بشكلٍ أو آخر، أما حينما يغُضُّ بصره عن محارم الله يصل إلى السعادة الزوجية دون أن يشعر، فالسعادة الزوجية لها طريق، والربح له طريق، كله ضمن منهج الله عزَّ وجل، فإذا أردت أن تبيع وتربح يجب أن تكون صادقاً، وأن تكون أميناً، وأن تكون بضاعتك شرعيَّةً. فأنا أضرب الأمثلة من أجل توضيح هذه الحقيقة: لن تحقِّق أهدافك الكبرى في الدنيا والآخرة إن لخَّصناها بسلامتك وسعادتك، إلا بطاعة الله عزَّ وجل.

الإنسان بعقله يصل إلى الله ولكنه لا يحيط به :

قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أيْ أنْ تكشف القوانين، فهناك حقيقة، الله عزَّ وجل يقول:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

[سورة آل عمران: 103]

قال بعض علماء التفسير: أن الأمة إذا أمسكت بهذا الحبل جميعاً، والله يمسك بهذا الحبل، فهم مع الله دائماً، هم في نجاةٍ من عدوانٍ، نجاةٍ من قهرٍ، نجاةٍ من ظلمٍ، نجاةٍ من خوف، فكلما تمسَّكنا بحبل الله كنا في سلامةٍ وسعادة، فإذا تفلَّتنا من هذا الحبل، واتبعنا، وأصبحنا في مناهج شتى، طبعاً لن يكون الله معنا. يا أيها الأخوة الكرام... دائماً وأبداً الخير كل الخير، والنجاح كل النجاح، والتفوُّق كل التفوُّق، والسعادة كل السعادة في طاعة الله، ومستحيلٌ وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر، أو أن تعصيه وتربح. أيها الأخوة... مرَّةً ثانية ينبغي أن نعلم أن الإنسان بعقله يصل إلى الله، ولكنه لا يحيط به، يصل بعقله إلى الله من خلال خلقه، وهذا الكون الذي هو خلق الله عزَّ وجل في مستوى أعلى في فهمه، وفي مستوى أدنى، لو أدركت الناحية النفعية منه فقط. كأن ذكرت مثل الحليب، ممكن أن تقول: هذا الحليب من صنعه لنا؟ الله الذي صنعه، صمم هذه البقرة وهي تعطي الحليب، ويمكن أن تكتشف آلية هذا العمل الدقيق جداً عن طريق العلم والدراسة والبحث. فأنت حينما تعرف الله من خلال الكون يقفز إيمانك، وحينما تشكر الله من خلال هذه النعمة يزداد حبك..

((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله إياي، وأحبوا أهل بيتي لحبي))

[من الدر المنثور في التفسير بالمأثور عن ابن عباس]

العبرة أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، والكون مسخَّر تسخيرين: تسخير تعريفٍ وتكريم. أنت إن آمنت حقَّقت تسخير التعريف، وأنت إن شكرت حققت تسخير التكريم، والآيات الكونيَّة في القرآن الكريم لم يتحدَّث النبيُّ عنها شيئاً بل تركها لكل عصرٍ، تُفهم بحسب تطوره العلمي. وكل آيةٍ كونيةٍ تفهم على مستوياتٍ عديدة، ولكن النهاية أن الله يحاسبك عن منهجه هل طبَّقته أم لا؟

في القرآن آياتٌ لمَّا تُفسّر بعد وكلما تقدَّم العلم ظهرت بعض التفسيرات :

لو تصوَّر إنسان حقيقة كونيَّة على خلاف ما هي عليها، وكان مطيعاً لله فإنه ينجو، معه تكليف: افعل ولا تفعل، فالعبرة أن تطبق التكليف، فإذا أحببت أن تفهم أن هذا القمر مواقيت للناس والحج فقط، أو إذا أحببت أن تفهم أن هذا القمر في دورته حول الأرض يعبر عن النظرية النسبيَّة بتفصيل دقيق، عندها تحتاج علماء فلك لِيقيسوا بعد الأرض عن القمر، ويكشفوا مركز القمر ومركز الأرض، والخط بينهما، ثم يُضرب بضعف، ثم يضرب بال بي [3.14]وبعدها نجري حساباً كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام؟ وبعدها نقسمه على ثوانٍ اليوم نحصل على سرعة الضوء، معنى هذا أن هذه النظرية العظيمة هي واردة في القرآن، واردة كأصول.

أنت حينما تفهم الشيء بشكل نفعي مباشر، مقبول ومشكور، العبرة أن تطيع الله عزَّ وجل، وحينما تفهم هذه الآية بشكل علمي عميق جداً، وقد تظهر علومٌ جديدةٌ في المستقبل، توضح لنا خفايا بعض الآيات التي نقرؤها الآن، وربما لا نفهم منها شيئاً، هذا ما يعنيه الإمام عليّ كرَّم الله وجهه: " في القرآن آياتٌ لمَّا تُفسَّر بعد "، كلما تقدَّم العلم ظهرت بعض التفسيرات، فمثلاً اقرأ قوله تعالى:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن]

افتح كل التفاسير، آيةٌ حيَّرت العلماء، أين هذا البرزخ بين البحرين؟ هذا البحر الأحمر والبحر العربي، والأبيض والأسود، والأبيض والأحمر، والأبيض والأطلسي، والأطلسي والهادي، عند المضائق والمعابر أين البرزخ؟ حينما صعدوا إلى الفضاء الخارجي رأوا خطاً بين كل بحرين، رسمت آلات التصوير خطاً بين كل بحرين، هذا الخط خط تباين ألوان، فلما نزلوا إلى الأرض وجدوا أن كل بحرٍ له كثافته، وملوحته، ومكوِّناته، وخصائصه، وأن مياه أيّ بحرٍ لا يمكن أن تختلط بالبحر الآخر، ولو كان هناك اتصالٌ بينهما، هذا الشيء كشفه عالم البحار الشهير ولم يعلم أن في القرآن آيةً تشير إلى هذه الحقيقة، الآن عُرف أن هذه الآية تعني أن بين كل بحرين برزخاً:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن]

ثم اكتشفوا أن بين كل بحرِ ملحٍ أجاجٍ وبحرٍ عذبٍ فرات أيضاً برزخ، لذلك مصبَّات الأنهار في البحار فيها أكبر تَجَمُّع سَمَكي، لأن أسماك المياه العذبة لا تنتقل إلى المياه المالحة، فأكبر مكان صَيْد هو مَصَبَّات الأنهار العذبة في البحار.

آيات من القرآن تؤكد الإعجاز العلمي في القرآن :

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً ﴾

[سورة الفرقان]

الحجر المحجور هو حاجزٌ بين المياه العذبة والمالحة أيضاً، فلا ينتهي موضوع الآيات الكونية التي كشف العلماء أنها تنطبق على الحقيقة العلميَّة



تداخل الليل والنهار في الكرة الأرضية سببه كرويتها

مئةً بالمئة.

فهناك شيء متعلق بخلق الإنسان، وشيء متعلق بالأجرام السماوية، ما من شكل هندسي إذا دار حول نفسه أمام منبعٍ ضوئي أدى لتداخل الأبيض والأسود، أو النور والظلام إلا الكرة، والأرض كذلك، معنى قوله تعالى:

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾

[سورة الزمر: 5]

أيْ يتداخل الليل والنهار في الكرةِ الأرضيَّة، لأنها كرة:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ﴾

[سورة الرعد: 3]

لا يوجد شكل هندسي تمتد عليه الخطوط إلى ما لا نهاية إلا الكرة، وأي شكل آخر؛ مكعَّب، متوازي، موشور، فيه حروف، أما الشكل الهندسي الوحيد الذي ليس له حروف هو الكرة:

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ﴾

[سورة الرعد: 3]

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

[سورة النحل: 15]

أصول العلوم كلها موجودة في الآيات القرآنية الكونية :

تحتاج العجلات إلى أثقال خفيفة، كي تستقيم في دورتها، لولا هذه الأثقال لاضطربت.

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾

[سورة النحل: 15]

هذه آية قرآنية، آيات كثيرة تشير إلى أن الجبال كالأوتاد، معنى كالأوتاد: أي أنها تربط طبقات الأرض بعضها ببعض.

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾

[سورة النبأ: 7]

لو قرأت الآيات القرآنية الكونية، لوجدت فيها أصول العلوم كلها، هذه موضوعاتٌ للتفكر ولمعرفة الله عزَّ وجل.

الآية التي درسناها:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

والحمد لله رب العالمين

2-4 دخول البيت – الطواف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بِما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً ، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه ، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

الحج مناسك و مشاعر :

أيها الأخوة الأكارم ، مع اللّقاء الثالث من لقاءات مناسك الحج ، وقد تَحَدَّثنا في اللّقاء السابق عن الإحرام ، وعن محْظوراته ، وبعد أن أحْرم الحاج واتَّجه إلى مكَّة المُكَرَّمة ، بقي أمامه دُخول مكَّة زادها الله شرَفاً وتعظيماً . وقبل أن نمْضي في الحديث عن تفاصيل مناسك الحج بعد الإحرام ، لا بدَّ من ملاحظة .



أيها الإخوة الأكارم ، الحجّ مناسك ، لكنَّ هذه المناسك لا بدّ لها من مشاعر ترافق هذه المناسك ، فإذا خَلَتْ هذه المناسك من المشاعر يشْعر الحاج بِعَدم جدْوى حجِّه ، ولا أقول : بعدم صحَّة حجِّه ؛ لأنَّ أمر الله عز وجل أعظم وأجلّ من أن يأمرك من أن تأتي من بلادٍ بعيدة وتدفع عشرات الألوف من أجل أن تقوم بِحَركات وسكنات ، ولا تشْعر معها بِشَيْء ، فهذا الذي أتمناه عليكم ؛ فإذا طاف أحدكم ولم يشْعر بِشَيْء ، وسعى ولم يشْعر بشَيْء ، وخواطره مُتَعَلِّقة بالدنيا ، ينبغي أن يعدّ هذا مُؤَشِّراً خطيراً في حياته ، كيف أنَّ الإنسان يجد ضوءًا أحْمر يتألّق في مرْكَبَتِه ، فهذا الضوء الأحمر مُؤَشِّر خطير ، وذلك أنَّ الزيْت انتهى في المُحَرِّك ، وربَّما احْترق المُحَرِّك .

فيا أيها الأخوة ، الدِّينُ النَّصيحة ، فإذا طُفْتَ البيْت ، وسَعَيْتَ بين الصفا والمرْوة ووقَفْتَ في عرفات ، ونَفرْتَ إلى مِنى ، وفي أثناء الصلاة ، وفي أثناء الدعاء ، لم تشْعر بِشَيْء إطْلاقاً فهذا مُؤَشّر خطير ، ماذا تفْعل ؟

تُتابِع المناسك على هذه الطريقة ، ويجب أن تُراجع نفْسك وتبْحث عن السَّبب وعن العلَّة ؛ لعلَّ هناك تقْصيرًا ومعْصِيَة ، وأنا أقول لكم – وهو ليس مفْروضاً عليكم – : إذا طُفْت البيْت ولم تشْعر بِشَيْء أعِدِ الطواف ، لأنَّك أنت هناك للطاعة والعبادة ، هل هناك في الحرمين الشريفين شيءٌ يُغْريك غير الصلاة أو الطواف والدعاء ؟ أنا أقول لكم : هناك حجَّاج مَحَلُّهم الأسْواق والشِّراء والأقرباء ، فهم من دون أن يشْعروا انْتَقَلوا من عبادة عظيمة إلى سِياحة ممتِعَة ! ومن لوازم السِّياحة الأكْل الطَّيِّب ، والمناظر الجميلة ، والكلام المُمْتِع على حِساب مشاعر الإيمان التي كان ينبغي أن يشْعروا بها ، وهم يؤَدِّون مناسك الحجّ .

الحجّ رِحْلةٌ روحِيَّة لها ميزاتٌ خاصَّة :

إذاً بادئ ذي بدْء دخلتَ إلى مكَّة ، وزُرْتَ الكعبة وطُفْتَ حولها ، وسَعَيْتَ بين الصفا والمروة ، فإن لم تشْعر بإقْبالك على الله ، وإن لم تشْعر بوجل واضْطِراب وقُشَعْريرةٍ ودموعٍ تنْهَمِر ، إذْ أنَّك في ضِيافة الرحمن فهذا مؤشر خطير ، وأنا أقول لك : صلاتك في البيْت الحرام، وصلاتك في مقام النبي العدنان صلى الله عليه وسلَّم غير صلاتك في بلدك ، إذا صحَّ التعْبير صلاتك في بلدك كأنَّك تسْبح معاكِساً للنَّهْر ، لكنَّ صلاتك في الحرمين الشريفين كأنَّك تسْبح باتِّجاه النَّهْر ، وبِبَساطة يخْشع قلبك وتتأثَّر ، لأنَّك في ضِيافة الرحمن ، فأوَّل عطاء إلهي تسْتحِقّه هناك أن يتَجَلَّى على قلبك ، وأن يُشْعِرَك بِطَعْم اللِّقاء وطعْمِ القُرْب ، ففي بلدك يمكن أن تُحاول أن تخْشع فلا تتمَكَّن إلا أنَّه هناك أدْنى مُحاوَلَة تفْعلها في البيت الحرام تجد الجواب جاهِزاً، وهو التَّجلي ، فالأمر أعظم بِكَثير ، إنَّنا دخلْنا مكَّة ، ما شاء الله ، ما هذه الشوارع وهذه الجُسور وهذه الإضاءة ؟ وقد يقول : ربَّما حرمُهم يمْلك إضاءة قطْرنا كُلِّه ! خطر بِبالي أن أضع بينكم هذا المثل : دعوْتُ أخوةً لنا لِيَتَغدُّوا ، فجاء أحدهم ، وحينما حضر رفع العتب وما أكل ، أنا أحرص على أن يأكل ، وكذا إذا دعانا ربُّنا إلى بيته ، لا من أجل أن يسْقط عنا الفرض ، وهو يسْقط لا شكّ ، فالله تعالى حينما يدْعو عبده إلى بيته فقط من أجل ألاَّ يُحاسبه على تقْصيره ، بل هناك دعوة إلى اللِّقاء مع الله عز وجل ، وضَعْ في ذِهْنِك أنَّ هذا الحجّ رِحْلةٌ إلى الله ، وهي رِحْلة روحِيَّة لها ميزاتٌ خاصَّة فالذي يُؤْلموني أشَدَّ الألم أنَّهُ في كُلِّ عام أُهَنِّئ الحجاج القادمين ، فأصبحتْ لي هواية أن أسْتَمِعَ إلى ما يقولون ، ستون بالمئة منهم أو ثمانون بالمئة ولا أُبالغ يُحَدِّثُكَ عن كُلِّ شيء إلا عن الحج ، يحْكي تفاصيل رُكوب الطائِرة ودُخول جدَّة، وتفاصيل الطعام والمَحَلات التِّجاريَّة ، وتفاصيل مُعاملة الجوازات ؛ هل هذا هو الحج ؟! إلهٌ يدْعوك إلى بيته من أجْل العبادة ثمَّ تنْقلب إلى سائِح !!

أوّلاً أنت مُحْرم ، بالإحرام نركب الطائرة ، ومحَطَّةُ الطائِرَة في مطار جدَّة ، وخرجْنا من المطار ، واتَّجَهْنا إلى مكَّة المكرَّمة ، ثم يتَوَجَّه الحاج بعد إحرامه إلى مكَّة أوّلاً ؛ ما معنى ذلك ؟ إذا كان لك صديق أو قريب فهذه الزيارات الجانبيَّة دليل عدم الشَّوْق الكافي ، أما إن ذَهَبْتَ قبل الحج إلى جَدَّة فلا مانع ، ولكن ليس في أيام الحج الحَرِجَة ، لذلك فالآداب أن يتَوَجَّهَ الحاج بعد إحْرامه إلى مَكَّةَ أوّلاً ، فإذا دَخَلَ حُدود الحرَمِ - أي حرَمَ مكَّة ، وأيّ كتاب ممكن أن تجد فيه حدود الحرم - يُسْتَحَبّ أن تقول : اللهمّ هذا حرمك وأمْنك ، فحَرِّمْني من النار وأمِنّي من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلني من أوْليائك وأهل طاعتك ؛ هذا قبل دُخول مكَّة ، فإذا وصل إلى مكَّة يسْتحبّ أن يغْتَسِل اتِّباعاً للسنَّة قبل أن يبْحث عن بيْتٍ ، يمكن أنه في الأيام السابقة كانت هناك أماكن للاغْتِسال ، أما الآن فلا يوجد أماكن تغْتَسِلُ فيها بِمَكَّة إلا في بيتٍ ، فإن كنتم أعضاءً في فوجٍ فهذه المُهِمَّة مُعْفَوْن منها ، والله عز وجل سَخَّر لكم أُناساً يبحثون لكم عن هذا البيت والمُقام .

البِداية الناجحة يعْقِبُها نِهاية ناجحة :

هناك نقْطة سَأضَعُها بين أيْديكم ، إن في مَكَّة أو المدينة الذي يحْصل عند بعض الحجاج أنه بِمُجرَّد أن وصل إلى المدينة ، علْماً أنَّ الإنسان أغلب الظنّ يكون له يومان إن لم نقل أكثر لم ينَمْ فيهما ، فإذا كنت مُنَهك القوى ، وخائر العزيمة ، ومتاعب المطار ، وانْتِظار الطائرة ، والصُّعود للطائرة ، والنُّزول من الطائرة ، والانْتِظار في الدَّوْر ، إذا أردْتَ أن تدْخل مكَّة المُكَرَّمة مُباشرةً رُبَّما تُفاجأ أنَّ تعَبَكَ الشديد وقواك المُنْهمرة حالَ بينك وبين هذا الحال القلبي الرائع الذي ينبغي أن يشْعر به الحاج إذا دخل مكَّة ، فهذه نصيحة أخَوِيَّة لا علاقة لها بِمَناسك الحج اِبْحث عن بيت ، وانْطلق إليه ، واغْتَسِل ، وخُذْ قِسْطاً من الراحة ، والْبِسْ ثِياباً جديدة ، أو المناشف الجديدة ولا تدْخل إلى الحرم المكّي إلا وأنت في كامل قِواك ، لأنَّ البِداية الناجحة يعْقِبُها نِهاية ناجحة ، ولأنَّك إن دخلت مع التعب والإرهاق لِتَطوف سبعة أشواط مُتتالِيَة ، وبعْدها تسْعى بين الصفا والمروة سبْعة أشْواط ، وتُصَلي بعدها ، فأغْلب الظنّ لن تشْعر بالمشاعر التي ينبغي أن تُرافق المناسك ، وإذا لم تشْعر بها شَعَرْتَ بِما يُسَمَّى الإحْباط ، فلئلا تقعوا في هذه المُشْكلة أنْصَحُكُم أن تتَوَجَّهوا إلى البيت الذي أُعِدَّ لاسْتِقْبالكم ، وأن تأخذوا قِسْطاً جيّداً مديداً من الراحة ، وأن تنْطلقوا للطواف في أوْقات يُرَجَّحُ أنَّها أقلّ الأوْقات ازْدِحاماً ، فلو أنَّك انْطَلَقْتَ إلى الحرم بلا خبرة ، وكان هناك ازْدِحام شديد ، وهذا دَفَعَكَ ، والآخر أزاحك ، وذاك عَصَرك ، وأنت أوَّل مرَّة تدخل فيها إلى الحرم ، فأنا أريد أن تكون خِبْرات الآخرين بِأيْديكم ، فالذين حَجُّوا ثلاثين حَجَّة يعْرِفون من أين تُؤكَل الكَتِف ، فعلى سبيل المثال لو أنَّ أحداً ذهب للحرم المدني وصلى الفجْر وبعد الصلاة مباشرة ذهب إلى المقام النبوي الشريف سَيَجِد ازْدِحاماً لا يوصف ، ودفْعاً غير معقول ، ولا يزال يدْفع حتى يجد نفْسه في الطريق ، أليس كذلك ؟ فأين المشاعر إذاً ؟

وأين الشوْق وأين المقامات التي يتحدَّث عنها العلماء في الخطب ؟ لذلك أنا أنصح أخواني بِصلاة الفجْر ؛ صَلِّ الفجْر واجْلس لتقرأ القرآن ساعة ، حتى ينْفضّ أكثر المُصلين إلى البيوت ، وفي الساعة السابْعة بإمكانك أن تقف أمام النبي عليه الصلاة والسلام نصف ساعة أمام الحائط من دون أن يُزْعِجَكَ أحد ، طبْعاً كُلُّ إنسان لا بدّ أن يقع فيِ خطأ في أوّل حجّه ، لكن باعتبار أنَّكم أعضاء فوْج ، وأُمناء الأفواج خبراتهم بين أيديكم مبْذولة ، فاسْألوا : أيّ الأوقات المناسبة للطواف حوْل الكعْبة ؟ فلو ذهبت وقْت المغْرب والعشاء، ووجدْتَ ازْدِحاماً غير معْقول ، فالأفضل الطواف على الساعة الثانية عشرة ليلاً أو الساعة الثانية ليلاً ، أو الساعة الثالثة بعد الظهْر ، حيث يكون هناك حرّ شديد ، وأنت شاب ومعك مظلة ، إذْ يمكن اسْتعمالها في أثناء الطواف ، وليس المهمّ أن تطوف ، وإنما المهمّ أن تشْعر أنَّك تطوف ؛ تأدية المناسك مع حصول المشاعر، والله لو بكى أحدكم في أثناء الطواف من شِدَّة القرب يعْرف أنَّ هذا هو الحجّ ، وهذا هو الصلْح مع الله ، وهذه هي حجَّة الفرْض ، وهكذا أمرَ الله بتأدية الحجّ ، والقُرْب يُعَبَّر عنه بالبكاء أحْياناً ، وبالقُشَعْريرة ، وبالوَجَل أو الخوف ، وبالسرور أحياناً ، فهذه هي مشاعر الحاج .

ما يستحب في مكة :

يُسَنّ أن تدْخل مكَّة حافياً ، ويجوز أن تمْشي حافياً وقْتاً مُعَيَّناً ، دليلاً على التواضع إلا أنَّ الأوْلى أن تكون مع المجموع في الأمور الفرعيَّة ، ويُسَنّ أنْ يتجَنَّب الحاج إيذاء الناس ومُزاحمتهم ، وأنْ يتلَطَّف ويرْحم إخوانه الحجاج ، ويُسْتحبّ أن يكون أوَّل عملٍ له حينما يدْخل مكَّة الطواف ، وذلك قبل السَّكن وتغْيير الثِّياب ، وقد علَّقْنا عليها تعليقًا بسيطًا وهو أنَّ السفر كان على مراحل ، أما الآن فقد صار مُتَّصِلاً ، فقد وصل المُتَحَدِّث في الحج الماضي منهكًا ، يقول : يمكن أنّه لم يمرَّ بِحياتي منذ خمْسين عاماً شُعورٌ بالتَّعَب المُتَّصِل كهذا الوقْت .



فإذا أراد الحاجُّ أن يدْخل الحرم ، أي المسْجد الحرام، فعليه أن يسْتحضِر الخُشوع والخُضوع لله تعالى ، ويبْدأ الدُّخول بِرِجْلِهِ اليُمْنى قائِلاً : أعوذ بالله العظيم ، وبِوَجْهه الكريم ، وسُلْطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله والحمد لله ، اللهمّ صلِّ على نبيِّنا محمَّد وعلى آل محمَّد ، اللهمَّ اغْفِر لي ذُنوبي ، وافْتَحْ لي أبواب رحْمتك ، إذْ أساساً دُخولك لى المسْجد من أجل الرَّحْمة ، وخُروجك منه من أجل الفضْل ، وقد علَّمنا النبي عليه الصلاة والسلام إذا

دخَلْنا المسْجد أن نقول :" اللهم افتح لي أبواب رحْمتك . . . ." فإذا خرجت من المسجد :" اللهمّ افتح لي أبواب فضْلك "، فالمسْجد لنزول الرحمة ، وخارجه لاكتساب فضل الله تعالى ، وهناك بشارة لكم وهي إذا وقع بصرك على الكعْبة أوّل مرَّة ، هناك دعْوة مُستجابة ، فاطْلب وتمنَّ ، هكذا ورد في السنَّة، وإذا كنت بطلاً فاسْأل الله خير الآخرة قبل خير الدنيا ، فالدنيا زائلة ، اللهمّ اهْدِني واهْد بي ، اللهمّ دُلَّني عليك ولا تجْعل حوائِجي إلا إليك ، أُدْع ساعة مثلما تريد ، شُغلُك هو الدعاء والمناجاة والاتِّصال بالله ، فينبغي أن تدْعو ، لأنَّ لك دعْوةً مُستجابة ، ولك دعوة مُستجابة إذا الْتَزَمْتَ المُلْتَزَم ، وكذا عرفات ، فالمَنْسَك الواحد فيه الدعاء، فالصلاة تُجْمع وتُقْصر من أجل الدعاء ، وأقول لكم : يا خَيْبة الحاج إذا اشْتَغَل بِعَرَفات بغير الدعاء ، ويا خسارته ، وقد أتى من بلادٍ بعيدة ودعاه المولى عز وجل لِيَسْتجيب له ، ويغْفر له ، لذلك من وقف في عرفات ولم يغْلب على ظَنِّه أنَّ الله تعالى قد غفر له فلا حجَّ له ، أنت في ضِيافة أكرم الأكرمين ، وأنت تأتي لهذه البلاد وليس لك لا أهل ولا تجارة ، ولا مصالح ولا منافع ، كُلُّ هذا من أجْل الله . أذكر أوَّل حجَّة بِعَرفات ، كان الحرُّ شديدًا ، فناقشْتُ نفسي وقلت : يا ربّ أنْ يأتي الباكستاني من عشرات ألوف الكيلومترات، ويدْفع آلاف الدولارات من أجل أن يقف في هذا المكان كالصَّنَم؟! ليس هذا هو الحج ! إنما الحج لِقاءٌ مع الله ، ولذلك : لَبَّيْك اللهمّ لبَّيْك أساسه نداءٌ تسْمعه ؛ تعال إليَّ يا عبدي ، وإلى ضِيافتي ، ولِأُريحك من هُمومٍ كالجبال . فإذا وقع بصر الحاجِّ على الكعبة المُشرَّفة ، رفع يديهِ وقال : " اللهمَّ زِدْ هذا البيت تشْريفاً وتعظيماً ، وتكْريماً ومهابَةً ، وزِدْ من شَرَّفَهُ وعَظَّمَهُ ممَّن حجَّهُ واعْتَمَرَهُ تشْريفاً وتعْظيماً وتكْريماً وبِراً ، اللهمّ أنت السلام ومنك السلام ، تباركتْ يا ذا الجلال والإكرام " ، وقد ورد أنَّهُ يُسْتجاب دُعاء المُسْلم عند رؤيته للكَعْبة المُشرَّفة ، فلْيُكْثِر من الدُّعاء ، فعليك أن تأخذَ قِسْطاً وافِياً من الراحة حين وُصولك لِمَكَّة ، واغْتسِل وارْتَدِ المناشف الجديدة ، وتوَجَّه إلى الكعْبة وحينما يقعُ بصرك على الكعْبة أكْثِرْ من الدُّعاء ما اسْتَطَعْتَ .

وإذا دخلتَ البيت الحرام فليس هناك صلاة تَحِيَّةِ المَسْجد لكِنَّ طوافك هو التَّحِيَّة ، أما إذا وَجَدْتَ أنّ هناك ازْدِحاماً لا يُحْتَمَل ونُصِحْتَ أن تبْقى إلى ساعَةً متأخِّرَةٍ من الليل قبل أن تطوف فصلِّ حينئذٍ ركعتين تَحِيَّةً للمسْجد ، ولا تُصَلَّى ركعتا تحيَّة المسْجد إلا إذا أخَّرْتَ الطواف عن وقْتِ دُخول المسْجد .

بِحَسَب الدرْس السابق ، إذا أحْرمْتَ مُفْرِداً فطَوافُكَ طواف القُدوم ، وإذا أحْرَمْتَ مُعْتَمِراً وفي نِيَّتِكَ أن تتمَتَّع بين العمرة والحج فَطَوافك طوافك الرُّكْن ، فالأمْر يخْتلف بين طواف السنَّة – طواف القُدوم ، وبين طواف الركنِ – وهذا بِحَسَبِ النِّيَّة ، وقد اتَّفَقْنا جميعاً على أنّ أنْسب حجَّةٍ لنا الحج المُفْرِد ، فإذا أحْرَمْنا من رابغ أحْرَمنا بِحَجّ ، فهذا الطواف طواف القُدوم .

كيفية الطواف :

كَيْفِيَّةُ الطواف : الكعْبة فيها رُكْن يماني ، والحجر الأسْود ، ولها أربع جِهات اتِّجاه نحو الشام ويُقابله الحِجْر وهو القوْس ، ونحو اليَمَن الرُّكْن اليماني ، والشرْق الرُّكْن العِراقي ، والغرب معْروف ، فأنت يجب أن تأتي الكعْبة من جِهَتِها المُقابلة للْيَمَن . فيستقبل الحاجُّ القبلة من الجهة التي بين الركن اليماني والحجر الأسود جاعِلاً الحجر عن يمينك ، ومَنْكِبَكَ الأيْمن عند طرف الحجر ، وهذا سنَّة ، وإلا فهناك طريقة أُخرى أشْرحها بعد قليل . وتكون الكعْبة على يسار الحاجّ ، ويمْشي فيَتَجاوز الحجَر وفالباب ، حتى يبْلغ الركن العِراقي ، ولا يفْعل في الأشْواط التالية ما يفعله في المرة الأولى ، أي أن تتَّجِه إلى الكعْبة من عند الحجر . قبل أن نمْضي في الحديث عن كيفيّة الطواف ، لا بدَّ من شروط الطواف .

شروط الطواف :

شروط الطواف : أوّلاً : الطهارة من الحدث الأكبر والأصْغر ، والطهارة من النَّجاسة ، فإذا انْتَقَضَ وُضوءك في أثناء الطواف فقد لا تُصَدِّق أنَّك تحْتاج إلى أكْثر من ساعة ونِصْف كيْ تُعيد الوُضوء لأنَّهُ ليس في الحرم المَكِّي دَوْرة مياه إطْلاقاً ، إلا مكان الشُّرْب ، وحينما تُحاوِل أن تتوضَّأ بِمَكان عالٍ ، تجد مَشَقَّة ما بعْدها مَشَقَّة ، فَمُلَخَّص كلامي ؛ الأوْلى قبل أن تدْخل البيت الحرام أن تنْقُضَ وُضوءك ، وأن تقْضي حاجاتك ولو بِشَكْلٍ قصْري حتى تضْمن أنَّك تبْقى ولو ساعَةً في البيت الحرام ، فَكُنْ مُسْتَعِداً ، ولا تترك قضاء الحاجة يشْغلك عن الطاعة ، فلا تدْخل الحرم المكي إلا متوضّئًا ، وأنت تشْعر بالخِفَّة ، واللهِ لما كنت أحجّ لا أغْبِطُ إلا الشباب ، وأقول : إنَّ الحجّ يحْتاج إلى شباب ! لأنَّهُ سبْعة أشْواط ، وازْدِحام ، وسَعْي ، فالقَضِيَّة ليسَتْ سهْلة لهذه الدَّرجة ! الحجّ عبادة بَدَنِيَّة بأعلى درجات العبادة ، فالطهارة من الحدث الأكبر والأصْغر ، والطهارة عن النَّجاسة .

ثانياً : مُلامسة الرجل المرأة تنْقض الوُضوء عند السادة الشافِعِيَّة ، فإذا كان الإنسان شافعِياً ومَسَّتْ يده امْرأة أجْنَبِيَّة عنه انتقض الوضوء ، إلا أنَّني أُبَشِّرُكم وأُطَمئِنُكم وأنتم في الحرم المكي ؛ صَدِّقوني إذا كنت مُخْلِصاً وصادِقاً ، وتبْتغي وجْه الله عز وجل لا تشْعر أنَّك رجل ، وأنَّ عنْصر النِّساء لا يدْخل في حِسابك إطْلاقاً ، بِمَعْنى إذا مسَّت يدك يد امْرأة لا تشْعر بِشَيْء إطْلاقاً لأنَّك في مكانٍ عظيم ، فهذا الموضوع ينْتَسِخ كُلياًّ ، وهي مُلاحظة أضعُها بين أيديكم ، قَلِّدْ المذْهب الحَنَفي وأنت مُطمئنّ ، لن تشْعر بِشَيْء من جهة النِّساء ، إلا إن كان ذهابك لِشَيْء آخر فهنا تكون علامة الاسْتِفهام . والطهارة عند الأحناف واجبة وليست بِفَرْض ، فمن طاف طواف الإفاضة مُحْدِثاً حَدَثاً أصْغر فعليه دم ، أي هَدْي ، أما عند الشافِعِيَّة فالطهارة شرْط لِصِحَّة

الطواف ، فالوُضوء شرْط أساسي لِصِحَّة الطواف ، إذْ لا يُعْقل من أجل الوُضوء تُقَدِّم هَدْياً بِخَمْسة آلاف .

ثالثاً : سَتْرُ العوْرة ، وما أكثر الحُجاج الذين يتساهلون فَتَنْزِل المنْشفة عن نصف بطنه ، وتظْهر سُرَّتُه ، ويكون طوافه غير صحيح ، وإذا كان في طواف الرُّكن أصبح حجُّه غير صحيح ، فتجد عَشَرات الحجاج منْشفتهم تحت السرَّة ، لذلك عليك بضبط المنشفة بِشَكْل صحيح حتى تتأكَّد أنَّهُ في أثناء الطواف لن تُكْشَف عَوْرتك .

وأن يكون طوافه ضِمْن المسْجد الحرام ، فإذا دَخَل في الحجر أصبح طوافه باطِلاً ضِمْن المسْجد وخارج الكعْبة ، لأنَّ الحِجْر يُعَدّ من الكعبة ، فالطواف به باطل ، ولو طاف بالطابق الثاني جاز له ذلك ، كما أنَّني أنصحكم أن تطوفوا حول الكعبة من تحت ، وهذا هو الشعور الروحاني فإن لم تجد ففي الطابق الثاني .

وأن يسْتكمل سبعة أشواط كاملات ، فلو شَكَّ هل طاف سِتَّةً أو سبْعةً ماذا يفْعل ؟ أخذ باليقين ، وهو السِتَّة ، أما عند الأحناف إذا شَكَّ في الطواف عليه أن يُعيد الطواف ! وهذا في طواف الركن ؛ وطواف الإفاضة ، وهو أخْطر طواف ، فإذا شَكَكْتَ فالأولى لك أن تُعيدَهُ ، إلا أنَّ هناك طريقًا يمكنك أن تسْتعملها كي تعرف عدد الطواف ، ولكن ليس أن تأخذ سُكَّرَة ولما تنْتهي من أكلها تدرك أنَّك طفْتَ سبْعاً !! لأنَّك إن شككْت بالركن عليك الإعادة ، أما إن شككْتَ بغير الركن كَطَواف القُدوم فيُمْكن أن تبْني على الأقلّ وتُكْمِل ، أحدهم أخذ كتاباً وبدأ يطوف ثمّ اخْتلط عليه كم طاف فذَهَب لِشَيْخه فقصَّ له ما حدث ، فقال الشيخ : يا بنيّ ، أنت طُفْتَ بالبيْت ولم تطُف برَبِّ البيت ، فعاد الغُلام ، والْتَجأ إلى الله ، وأخْلص فإذا به ينْسى كم طاف فعاد لِشَيْخه فقصَّ عليه ما جرى ، فقال الشيخ : أنت طُفْتَ برَبِّ البيت ولم تطُف بالبيت ، فالإنسان عليه أن يجْمع ببين الحال والضَّبْط ، أحدهم سأل شيْخاً فقال : يا شيخ ، لو أنَّ رمضان جاء في شهر الحج فهل أصوم ؟!! هذا سؤال فخّ ؟!! .

إذاً فالطواف بِعَكْس عقارب الساعة ، ومع حركة الذَّرة حول النواة ، كما أنَّ نظام الذَرَّة وحتى المَجَرَّة وكُلُّ ما في الكون يدور عكْس عقارب الساعة .



ثمَّ إنَّ مسألة تقبيل الحجر أيها الأخوة قلتُ لكم : إنَّهُ سنَّة ، وعدم إيذاء المؤمنين فرْض ، فكم هو جاهِلٌ ذاك الذي يُضَحي بالفرْض من أجْل السنَّة ، وما رأيْتُ من مَثلٍ حول هذه الحادثة ، مِن أبٍ حوله أولاده ، جاءه أحد أولاده الأشْقياء ، فرَكَلَ أوَّل ولدٍ فَطَرَحَهُ أرْضاً ، وضرب الثاني ، ودفع الثالث حتى وصل إلى أبيه ، وقال : دعْني أُقَبِّلُ يدك يا

أبت !!! وهذا الذي يفعله أكثر الحجاج ، لا يهمُّه الأمْر ، فتجده يضْرب بالمرفق ، مما قد يُصيب الآخرين بالإغْماء ، فأنت يا أخي المؤمن لسْتَ مُضْطرًّا ، فَكُلَّما كان علْمُكَ أعْمق تكون مناسكك أرْقى ، يُمْكن أن تُتاح لك خمْسون حَجَّة ، ولا يُتاح لك أن تُقَبِّل الحجر ، ولا شيءَ عليك ، فمن بعيد تُسَلِّم وتُشير ، إلا أنَّهُ يمكن للإنسان إذا اشْتاق له ، وأراد أن يُقَبِّلَهُ جاء في وَقْتٍ نادر ، فينْتظر دَّوْره ، فهذا لا مانع منه أما أن يدفع ، ويؤذي ، ويجعل بعض النِّساء ينْكَشِفْن من أجل التَّقْبيل فهذا لا يجوز ، ثمَّ إنَّ الحجر الآن قِطَع متناثِرَة ضِمْن بلاستيك شَفاف .

ثمَّ إنَّ المألوف في الطواف في هذه الأيام أن يكون حاجٌّ وراءه مجموعة وبيده كتاب، فهم يُرَدِّدون وراءه ، ولكن أنت كحاجٍّ راقٍ ولك علاقة بالله تعالى ، الشيء الجماعي لا قيمة له ، فأنت إن دعوْت الله في دينك واسْتِقامتك وأمور أولادك ، ثمَّ هذا الدُّعاء الجماعي يُصْبح مثل الفُلْكلور ، وانتَفَتْ الرُّوحانِيَّة منه ، وهي تحْتاج إلى خلْوة مع الله ، ومن أهَمّ الأدْعِيَة أن تقول : " اللهمَّ آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار " أجْمل شيء بالحج هو الدعاء ، وأن تدْعو لِزَوْجتك ، وأولادك ، ومن ناسبك .

ونِيَّةُ الطواف واجِبَةٌ في غير الحج والعُمْرة ، فالنِّيَّة في الحج والعمْرة سنَّة ، لأنّ الطواف أساس الحج .

سنن الطواف :

سنن الطواف : أمّا السنن فأن يطوف ماشِياً ، ولو طاف راكباً أو محْمولاً صَحَّ ، وفاتَتْه الفضيلة فليس لأتْفَهِ سَبَبٍ تقول : أريد حمَّالة ! أما لسبب كالمرض ، أو مُقْعد فلا مانع ، اللهمَّ لا تجْعلني لِطَوافٍ محْمولاً .

ومن السُّنَن الاضْطِباع والرَّمَل في الطواف الذي بعْده سَعْي للذَّكَر لا للأنثى، فالاضْطِباع أن تجْعل الرِّداء على الكَتِف الأيْسَر ، والكَتِف الأيْمن مَكْشوف ، هذا هو الاضْطِباع، وأوَّل الأشْواط الثلاث تَرْمُل ، إلا أنَّ الرَّمَل في الطواف المُزْدَحِم مُسْتحيل ، وهو سنَّة من تركه لا شيء عليه ، لكن إذا كنت شاباً ، وأمكنَك إذا وَسَّعْتَ الدائِرَة أنْ ترْمُل فهو أفْضل ، وقد ذكر لي أخوة أطِباء كثيرون وأقسَموا لي أنَّ لهم مئات المرْضى عندما يذْهبون للحجّ يُجَمَّد مَرَضُهُم ! لأنَّهُم في ضِيافة الله تعالى ، فأنا أُطَمئِن كُلّ من له متاعب صِحِيَّة إن شاء الله تعالى لن يجد شيئاً منها وهو في بيت الله ، إذاً الاضْطباع والرَّمَل في الطواف الذي بعده سَعْي بالنِّسْبة للذَّكَر لا للأنثى ، وهو في الأشواط الثلاث الأولى ثمّ يكون الطواف عادِياً .

القُرْب من الكَعْبة إنْ اسْتطاع ، ولم يخْش ازْدِحاماً ولا إيذاءً ، وأمْكن معه الرَّمَل وهو مُسْتَحَبٌّ للرَّجُل دون المرأة .

واسْتِلام الحجر وتقْبيله عند الطواف الأوَّل ، وعند كُلّ طواف ، واسْتِلامُ الرُّكْن اليماني وتقْبيل اليد بعْده عند مُحاذاته ، فإن خَشِيَ الزِّحام أشار بيَدِه وقَبَّل يدَهُ ، ولا يجوز للنِّساء اسْتِلامُ ولا تقْبيل الحجر والرُّكْن إلا عند خُلُوِّ المطاف ، واللهِ أرادتْ حاجَّةٌ أن تُقَبِّلَ الحجر فَخَرَجَتْ كما خلقها الله تعالى ! هذا لا يجوز ، تَفَقَّهوا قبل أن تَحُجُّوا :

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا أَسْدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزَنَا كَشَفْنَاهُ))

[أحمد عن عائشة]



فكيْف إذا خلَعَتْ كُلَّ ما على الرأس من أجْل أن تُزاحم الرِّجال ؟!

وعند إسْتِلام الحجر الأسود أوّل مَرَّة يقول : " بسم الله ، والله أكبر ، اللهمَّ إيماناً بك، وتَصْديقاً بِكِتابك، ووفاءً بِعَهْدك ، واتِباعاً لِسُنَّة نَبِيِّك محمَّد صلى الله عليه وسلم "، ويقول عند كُلِّ شَوْطٍ : " الله أكبر ، ولا إله إلا الله " ويقول في أثناء رَمَلِهِ في الأشْواط الثلاث الأولى : " اللهمّ اجْعله حجاً مبْروراً ، وذنْباً مغْفوراً ، وسَعْياً مَشْكوراً " ، وفي الأربع الأخيرة : " اللهمّ اغفِر وارْحَم واعْفُ عما تعْلم إنَّك أنت الأعزّ الأكْرم ، ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حَسَنة وقِنا عذاب النار ".



أنْصح أخواننا الكرام أن يقْتَنوا كُتباً صغيرة في الأدعية النبَوِيَّة ، فأنت كيف بك إذا كنت بِصَحْراء في أيام الصيْف الحارة ، أثْمن شيء بهذه الرِّحْلة الماء البارد ، وأثْمن شيء في الحج أن تحْفظ الأدْعِيَة النَّبَوِيَّة ، فالحجُّ دُعاء ، بِعَرَفَة دُعاء ، وبِمِنى دُعاء ، وبالطواف دُعاء، وبالسَّعْي دُعاء ، وأينما كنت دُعاء ، وما أكثر كتب الدُّعاء ،

والأسْواق تَعُجّ بهذه الكُتب ، لأنَّها سبْعة أشواط ، فهل يُعْقل أنْ تَظَلَّ ساكتاً ؟! ولو أدَّى الأمْر أن تدْعوَ بالعامِيَّة ، المهمّ ألا تسْكت احْفظ الأدعية ، وتذاكرها مع إخوانك ، كما أنَّه مما يُفْسد الدُّعاء التفاصيل ، وادْع بِجَوامع الدعاء وبِأدْعِيَةِ النبي صلى الله عليه وسلَّم وأدْعِيَة القرآن .

هناك بعض الأدْعِيَة كأن تقول : " اللهمّ البيت بيْتك ، والحرم حرمك ، وهذا مقام العائذ بك من النار " .

الحج عبودية لله :

إسْمحوا لي بهذه الملاحظة من خِبْرتي في الحج والعُمْرة : إذا ذهب الإنسان إلى الحج وله مرْكز اجتماعي مُتألِّق بِبَلَدِه وذهب بهذه النَّفْسِيَّة فَصَدِّقوني أنَّهُ يُحْجب عن الله تعالى لماذا ؟ لأنَّ هذا الحج عبوديَّة لله ، فإذا كان لك مرْتبة عسْكَرِيَّة أو دينيَّة أو مدير له شهادة كبيرة كُلُّ هذا اتْرُكْهُ بِبَلَدِك ، وكُنْ عبْداً لله تعالى في هذا الموْطن ، صار الحج لا طعْم له ، وذهب مقْصَدُه ، الكبرياء رداء الله تعالى فلا تُنازعه فيه ؛ هذا الأمْر الأوَّل .



الشيء الثاني : إذا كنت من أهل اليسار ، فلا تقل: أنا أُذِلُّ الدراهم ولا أُذَلَّ ، تضيعُ على الفندق ، فإذا اعْتَمَدْتَ على مالك في الحج فلا ينْفعك مالك ، وإن اعْتَمَدْتَ على مكانتك الرفيعة فالله يُلْهم رجلاً وضيعًا يُهينك في الحرم ، فإياك أن تدْخل الكعْبة ، وأن ترى أنَّ لك مكانةً وحجمًا بالبلد ، فَكُلُّ الرُّتب والمقامات والوجاهات ضَعْها على جنبٍ .

هناك حالة ثالثة إلا أنَّها خاصَّة بالإخوة المُتَفَوِّقين ، أحياناً يكون للرجل منا دَعْوةٌ بِبَلَدِه ، طليق اللِّسان ، خطيب مسْجد ، وله التِزام بالدِّين ، فهذا يذهب للحج مُعْتَمِداً على مكانه عند الله عز وجل فَيَنْحجب ! فالحاصل أن تذْهب للحج دون أن تعْتمد على مكانتك ، ولا على مقامك عند الله ، ولا على مالك ، إذاً يجب أن تأتي الحج ، وأنت مُفْتَقِر ، وعَبْدٌ لله تعالى ، لذلك :

((عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ))

[الترمذي عن أبي بكر]

فلا تحْتاج إلى أناقة ، إذْ تجد من يتباهى بالمَنْشَفة التي يلفُّها عليه ، وذاك يقول لك: أخذْتُ هذا النعل بثمانين ريالاً ! هل هذا الكلام يُقال وأنت في بيتِ الله تعالى ؟! فيا أيها الحجَّاج عليكم بالافْتِقار .

أحياناً تكون للإنسان مكانة في مجْتمعه تمْنعه من الجلوس في أرض المطار ، وهو ذاهب للحج ، إلا أنَّ الأمْر يخْتلف في الحرم المكّي وغيره ، فتجد هذا الأخير في الدرج ، وفي الأرْض ، ويضْطجع على الأرض، ويركب أتعس سيارة ، فالتواضع في الحج مُمْتِع ، فالطبيعة هي التواضع وليس التكبّر ، والحج العج والثجّ ، شعْر طويل ، وعرق ، ولهَث ، كُلُّ هذا جائِز لأنَّك في مقام العُبودِيَّة ، وجهاد الضعيف والمرأة الحج ، ألا أنه جهادٌ لا شَوْكة فيه .

تتمة سنن الطواف :

من سنن الطواف الموالاة بين الأشواط ، فالأفضل ألا يفرِّق بين أشواطه بِشَيْءٍ ولو بطل وُضوءه في أثناء طوافه تَوَضَّأ ، وبنى على طوافه أيْ أتَمَّهُ ، صحَّ ، إلا أنَّ الأفْضل أنْ يستأنِفْ ، ويبْدأ طوافه من جديد . وينبغي أن يكون في أثناء الطواف خاضِعاً خاشِعاً حاضِرَ القلب مع الله تعالى ومُتأدِّباً مع المقام الذي هو فيه، ظاهِراً وباطِناً ، فهُوَ في صلاةٍ ، وأيُّ صلاةٍ فهو يطوف بِبَيْتِ خالق الكون سبحانه وتعالى .

مكروهات الطواف :

مكروهات الطواف : ويُكْرَهُ التَّكَلُّم في أثناء الطواف إلا بِخَيْرٍ ، كأمْرٍ بالمعروف ، ونَهْيٍ عن المنْكر ، فلو وقع لأحَدٍ من الطُّوافين ساعة فعليك أن تُنَبِّهَهُ ، فالطواف عبادة وصلاة، إلا أنَّهُ ليس كالصلاة يمكن أن تتكلَّم من أجل الخير .



ويُكْرهُ الأكْل والشُّرْب في أثناء الطواف ، وتَشْبيك الأصبع والفَرْقعة ، ويُكْرهُ الطواف مَحْصوراً أو جائِعاً ، ولْيَخفض بصره ، وبعْضَهُنَّ كاشِفات الوَجْه ، فالإنسان بِبَلَدِه عليه أن يَغُضَّ بصره ، فكيف بالبلد الحرام ؟!! وبعد اسْتِكمال الطواف يُسَنُّ سنَّةً مُؤكَّدة أن يُصلي ركْعتين ، والجَهْلُ كلّ الجهْل حينما يحْرِص الحاج أنْ يُصَليّ عند مقام إبراهيم ، فمع أنَّ هذه سنَّة إلا أنَّهُ يُسيء للحجاج وللطائِفين فتجد كُلَّ الحركة سَهْلة إلا عند مقام إبراهيم حيث المُزاحمة والمُشادَّة

، وهذا يدُسّ فوق المُصَلِّي وتنشأ معارك ومُدافعات ، نسْأل الله العافية ، وأنا أرْجوكم أن تُصَلوا هاتين الركعتين في أيّ مكان بعيدٍ عن مقامِ إبراهيم ، أنت في عبادة هل يُعْقل أن تؤذي المسلمين ؟! لذلك صَلِّها بِمكانٍ بعيدٍ وأيُّ مكانٍ بالحرم يُجْزئ في الصلاة ، والأفْضل أن يُصَلِّيهما خلف مقام إبراهيم إن أمْكَنَهُ ، ولا يُحْرِج بذلك الطائِفين ، فإن لم يُمْكِنْهُ ففي الحطيم ، فإن لم يمْكنه ففي أيِّ مكان من المَسْجد الحرام فلا تؤذِ المسلمين من أجل سنَّة ، إذْ الفرض ألاَّ تؤذِيَ المسلمين ، فتَنَبَّه ! وهاتان الركعتان مطْلوبتان مادام الإنسان حَيًّا ، والأَوْلى أنْ يُصَلِّيهما بعد الطواف على التوالي ، يقرأ بعد الفاتحة الكافرون ، وفي الثانية الإخلاص ، وبعدهما يدْعو بما شاء من خيْري الدنيا والآخرة ، وأجْمل شيءٍ بالحج الطواف ، ففي أيام العيد تكون قد تَحَلَّلْتَ وستُصَلي بالحرم ، ما الذي يمْنعك أن تطوف باليوم طوافاً أو أكثر وبعد كُلِّ أوقات الصلاة ؟ وهو أجمل ما في الحج .

نحن ولله الحمْد كما يقولون بالتعبير العامي قاتَلْنا من أجْل أن يكون الحج من حقِّ أيِّ إنسان لم يحجّ ، ولو كان عمْره ثمانيَ عشرة سنة ، فقد كان سنُّ الحج سابِقاً ثلاثًا وخمسين سنة فما أكثر .

والحمد لله رب العالمين

4-3 السعي بين الصفا و المروة 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينْفعنا ، وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً ، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه ، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

السعي بين الصفا و المروة :

أيها الأخوة الأكارم ، مع اللقاء الرابع حول موضوع مناسك الحج ، وقد أنْهَيْنا في الدرس الماضي بحول الله عز وجل الطواف حول الكعبة ، واليوم ننتقل إلى السعْي بين الصفا والمروة .


السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج

النقطة الدقيقة أنَّ السعي بين الصفا والمروة منْسَك من مناسك الحج ، وكُلُّ منْسك من مناسك الحج لا بدّ أن يُقابله شُعور يشْعر به الحاج ، فلما لا يشْعر الأخ الحاج بِشيء في بعض المناسك نقول له كما قال بعض الفقهاء : سقط الوُجوب وإن لم يحْصل المطْلوب ، فلا بدّ من حُصول المطْلوب ، لأنَّ الحج فريضَةٌ لا تتكَرَّرُ في الأصْل ، وهي تجب عليك في العُمْر مرَّةً واحدة ، فإذا تَفَقَّهْتَ قبل الحج ، وأَتْقَنْتَ هذا المَنْسك ، ورافق هذا المنسك شُعور داخلي لأنَّ الله سبحانه وتعالى قَبِلَ منك ، وذكرت لكم في الدرس الماضي أنَّ الذي يقف في عرفات ولم يغْلب على يقينه أنَّ الله تعالى غفر له فلا حجَّ له ، لأنَّه يسْتحيل على إلهٍ عظيم يدْعوك إلى بيته بلا معنى ، بل أمْرُ الله أعظم من ذلك ، فَكُلُّ منْسك له شُعور ، وبالتعبير الشائع والذي يسْتعمله أولو الأمْر في ديار الحج ، يقولون لك : المشاعر مُقَدَّسة ، فالأماكن مُقَدَّسة ، ولا بدّ من أن يشْعر فيها الحاج بِمَشاعر مُقَدَّسَة ، فهذا الكلام قَدَّمْتُهُ لكم من أجل ذلك الإنسان الذي سعى بين الصفا والمروة وما شَعَرَ بِشَيْء ، وهو في بلاد الله الحرام ، فأنا أتَمَنى عليه أن يُعيدَ السَّعْي مَرَّةً ثانِيَة ، فقد لا يتمكَّن أن يُعيده في اليوم نفْسه ، لكن لا بدّ أن تطوف طوافاً كما أراده الله عز وجل ، وسَعْياً كما أراده الله عز وجل ، لكن بِشَكْلٍ أو آخر يجب أن تعْلم عِلْم يقين أنَّ

الحاج إنْ لم يخْرج من بيته تائباً من كُلِّ الذنوب ، مُؤَدِّياً كُلَّ الحقوق والواجبات ، عاقِداً العزْم على ألا يعود إلى الذنوب ، ربما لا يشْعر بالمشاعر المُقَدَّسَة التي يتفضَّل الله بها على الحاج ، فالقضِيَّة أنَّ الحج صُلْح مع الله ، ونقْلَةٌ نَوْعِيَّة ، وقفْزَة علِيَّة ، أما إذا ذَهَبنا وطُفْنا وسَعَيْنا ، ونحن على ما عليه ، فهذا المُسْتوى مِن الحجاج لا يرْقى بهم إلى الله عز وجل ، ولم يُحَقِّقوا المُراد الإلهي من هذه الفريضة العظيمة التي فَرَضَها الله علينا في العُمُر كُلِّهِ مرَّةً واحدة ، وبعض هذه المعاني ذَكَرْتها البارحة في الخُطْبَة لعَلَّ بعضكم سمِعها .

أداء ركعتي الطواف دون مزاحمة أو إرباك :

ويُسَنُّ إذا انتهى من ركعتي الطواف ؛ طُفنا سبعة أشواط ، وأنْهيناه بركعتين بأيِّ مكانٍ من الحرم ، دون أن نُزاحِم ، إذا تَوَهَّمْتَ أنَّ الركعتين عند مقام إبراهيم أفضل ؛ فهذا الكلام صحيح لأنّ الله عز وجل ذَكَر مقام إبراهيم ، إلا أنَّ الشيء الواقع بعد هذا الازْدحام الشديد أنَّك إذا صَلَّيْتَ في هذا المكان آذَيْتَ وتأذَّيْتَ ، وتشْعر أنَّك قد أسأتَ إساءة بالغة لذلك أنْصح الأخوة الكرام إلى أنْ يُؤَدُّوا الركْعتين في أيِّ مكان من الحرم ، وفي الحقيقة ضَعْفُ الفقه يُسَبِّب بعض الإرباك ، فإرْباكات الحُجاج أساسها ضعْفُ الفقه ، طوافٌ مُزْدَحِم ، وحركة مُسْتَمِرَّة تتعثَّر عند مقام إبراهيم .



ولا تجد إلا حاجاً يرْكع ويسْجد ، والحُجاج فوقه ، فهو يلجأ إلى أساليب لا تُرْضي الله عز وجل ، ويُهَيِّئ حُراسًا ومُرافقة يقفون حوله ، ويقبض أحدهم ذراع الآخر ويدْفعون بِأكْواعهم كُلَّ من سَوَّلَتْ له نفْسه أن يقْترب من هذا الحاج في هذا الزِّحام الشديد ، ذكرتُ هذا الكلام مراراً ، لأنَّ النفْس تتوق إلى أن تُصلي خلف مقام إبراهيم ، وقد ذَكَرْتُ في الخطْبة البارحة من ضَعْف فقه الحاج أنْ يحْرص على سُنَّة وينْتَهِكَ من أجْلها حُرْمة ، ويقع في معْصِيَة ، ويُفْسِد الحج على بقِيَّة الحجاج ، وكما أنَّكم إذا دخلتم إلى المسْجد لِتُصَلوا ولم يَحِنْ بعدُ وقْت الصلاة فالنبي عليه الصلاة والسلام طَمأننا وقال : من انتظر الصلاة فهو في صلاة ، وإذا كنت تحْضر مجالس العلم لتتفقَّه في مناسك الحج فهذا من الحج ، إعْتبر أنَّهُ من الآن إلى أن يحين وقْتُ الحج يجب أن تُطالع وتسأل ، لأنَّك كلَّما ازْدَدْتَ فِقْهاً اِرْتقى حجُّك إلى المُسْتوى المَقْبول ، ولهذا قال سيّدنا عمر رضي الله عنه : " تَفَقَّهوا قبل أن تَحجُّوا ".

ويُسَنُّ إذا فرغ من ركْعتي الطواف أن يتوجَّه إلى المسْعى ، وهو على وزْن مفْعَل أيْ اسم مكان ، بعدما يسْتلم الحجر الأسْود فَيَخْرج من باب الصَّفا إلى باب المَسْعى ، وفي الحرم المكي هناك ضوْء أخْضر مُتألِّق ، هذا الضَّوْء هو الذي ينقلك إلى المَسْعى ، فالإنسان داخل الحرم الواسع يضيع ، وهناك ضوْء أخضر مُتألِّق ، إذا تَوَجَّهْتَ إليه ينْقلك إلى أوَّل المَسْعى .

الدعاء شيء ثمين في الحج :

وتصْعد إلى الصَّفا ، وتشْعر أنَّ هناك صَخْرات مُرْتفِعَة ، والأوْلى أن تقف على هذه الصَّخْرات كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن تتوَجَّه نحو الكعْبة ، هذا قبل أن تسْعى وأن ترْمُقَها بِنَظَرِك ، وتقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما أوْلانا ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحْيي ويُميت بِيَدِه الخير ، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير .



مرَّةً ثانِيَة : قد تشْعر بالضِّيق لأنَّك لا تحْفظ هذا الدعاء ، إلا أنَّك إذا وقفْتَ في هذا المكان ، بِقَلْبٍ خاشِع ، وتَوَجَّهْتَ إلى الله عز وجل ، فأيُّ دُعاءٍ آخر يُجْزِئُك ، وهذه من السُّنَن والآن أنا مُقْبِلٌ على السَّعْي ، ومعي كُتَيِّب صغير أقْرأ فيه ، وأُعيدُ ما سَمِعْتُ ، وأحْفظ الدُّعاء وهَيأت نفْسك قبل كُلِّ مَنْسَك ، فإذا كنتُ ذاهِباً لِرَمْيِ الجِمار اقْرأ الأدْعِيَة ، وحاوِلُ حفْظَها ، فالوقت الذي يسْبق أداء المَنْسك يجب أن يكون إعداداً لهذا المَنْسَك : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحْيي ويُميت بِيَدِه الخير ، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنْجزَ وعْده ، ونصر عَبْده ، وهَزَمَ الأحْزاب وحْده ، لا شيء قبله ، ولا شيء بعده ، لا إله إلا الله ، ولا نعْبد إلا إياه ، مُخْلِصين له الدِّين ولو كَرِهَ الكافرون " ، ثُمَّ يدْعو بما شاء من أمْر الدنيا والآخرة ، بِشَكْل أو بآخر يكاد الحجُّ كُلُّه أن يكون دُعاءً ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : " الدعاء مُخُّ العبادة . .." فأنت الآن في أعلى درجات العبادة ، لذلك كما اتَّفَقْنا ، أكْثِر من حِفْظ الأدْعِيَةِ التي أُثِرَتْ عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وهناك في الحج ترى أنَّ الدعاء من أكْثر ما تمْلكه ، لأنَّكَ سَتُمْضي وقْتاً طويلاً ، فَكَيْف تكون فيه ساكِتاً ؟! أو أن تدْعو بِدُعاءٍ مُتَكَرِّر أو بالعامِّيَّة من دون تَحْضير ؟ فالدُّعاء شيءٌ ثمين في الحج .

الآن بدأنا بالسَّعْي ، الشَّوْط ثلاثمئة وخمسة وتسعون متْر ، وكذا الرَّجْعَة ، سَبْعة أشْواط تحْتاج إلى ثلاث أرباع الساعة ، أليس كذلك ؟ الذَّهاب شَوْط ، والعَوْدَةُ شوْط ، وهناك ازْدِحام ، وهي عبادة ، وأنت في البيت الحرام ، ماذا تفْعل ؟ أثْمَن شيء تفْعلهُ هو الدُّعاء ، وكلَّما حَفِظْتَ أدْعِيَةً أكْثر شَعَرْتَ أنَّك أقْرب إلى الله عز وجل ، فأنا أرى أنَّ الذي ينْبغي هي كتب الدُّعاء ؛ إحْفظ أدْعِيَةَ النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن بعْد حينٍ تحْفظُها عن ظَهْر قلب ، وتُصْبِحُ جُزْءًا من كيانك .

يدْعو الحاجُّ بما شاء ، من أمْر آخرته ، فإذا قال الواحد منَّا قال : أُرْزقني بِزَوْجٍ مؤمنٍ لابنتي ، هل هو ممكن ؟ نعم ، هذا مَطْلب شريف ، فأنت في ضِيافة الرحمن ، إنْ كان في الطواف ، أو المُلتزم ، أو السَّعْي، وقال تعالى :

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

[سورة غافر : 60]

والاسْتِجابة مُحقَّقة .

استجابة الدعاء عند رؤية الكعبة لأول مرة :

كما قلنا لكم في الدَّرْس الماضي : إذا وَقَعَ بصرك على الكعْبة المُشَرَّفة فلَكَ أنْ تدعوَ، و في المُلْتَزم كذلك ، وفي الطَّواف ، يا ربِّ وَفِّق أوْلادي ، خَصِّص شَوْطاً لأوْلادك ، وشَوْطًا لإخوتك ، وكذا الدعاء للشفاء من الأمراض ، فالله عز وجل يخْلق الشِّفاء خلْقاً ، وينبغي أن تشْعر أنَّك في ضِيافة الرحمن ، والأمْر بِيَدِه ، وكذا أمْرَ آخرتك ؛ اهْدِني ، واهْدِ بي ، أطْلِق لِساني بالدَّعوة إليك ، والقرب منك ، هَبْني عمَلاً صالِحاً يُقَرِّبُني إليك، لا تجْعل تعاملك روتينيًّا، دَعِ الأمْر يحوي الرَّجاء ، وتمْريغ الوجْه بأرْضِه وكذا في السُّجود ، وهو أقْدَس مكان، والصلاة في الحَرَم تعْدل ألف ركْعة في غيره .

" اللهمّ إني أسْألك كما هَدَيْتني إلى الإسلام ألاّ تنْزِعَهُ مِنّي ، وتوَفَّني مُسْلماً " يدْعو بهذا كُلَّما وَصَلَ إلى الصَّفا في سَعْيِه ، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام : نبْدأ بما بدأ به الله تعالى ، فالصَّفا هو المُنْطلق ، وكلَّما وَصَلْتَ إلى الصفا قِفْ على هذه الصخْرات وتَوَجَّه إلى الكعْبة المُشَرَّفَة وادْعُ بما شِئْت ، وفي أثْناء السَّعْي أيْضاً اُدْعُ بما شئْت ، فإذا اخْتَرْت وقْتاً مُناسبًا للسَّعْي إذْ هناك أوْقات فيها ازْدِحام شديد ، ومع الازْدِحام سَتَجِدُ هؤلاء الحجاج – أصْلحهم الله تعالى – يرْفعون أصْواتهم ، كُلُ فوج يمْشي وراء مُوَجِّه ، وهذا الصَّوْت يُشَوِّش على الحاضرين ، فإذا اخْتَرْتَ وقْتاً بعد الساعة الواحدة ليلاً ، أو فما فوق ، أو في وقْتٍ مُريحٍ كي يخُفَّ الضجيج عليك كي تخْلو مع رَبِّك ، فإذا وجدت أنَّ النَّظر يُزْعِجُك فأغمِض عينيك ، وامْشِ على مَهْلِك ، فواجب عليك أن تكون مع الله في هذه الأشْواط .

الحرص على تأدية الحج كما أراد الله عز وجل :

أنا أتَعَجَّب من الحاج وهو يسعى وكأنَّهُ يمْشي في طَريق الصالِحِيَّة ! أين أنت ؟! هنا مكان للتَّعَبُّد وليس للتطَلّع ، وفُضول النَّظر والتّعْليقات ، فهذه بعض المُلاحظات . لَدَيْك ميلان أخْضَرَان ، بعد الثلث الأوَّل من المَسْعى تجد إضاءة خضْراء بين هذين الميلين ، فينْبغي أنْ تُهَرْوِل ، لكن أخْطر شيء أن يكون الإنسان مع زوْجتِهِ فَيُهَرْوِل وتُهَرْوِل هي معه ! فلا يجوز للمرأة أن تُهَرْوِل إذْ تبْدو مفاتِنُها ، فالهَرْوَلَة للرِّجال فقط ، فأنا كنت أُهَرْوِل وأنْتَظِر ، ثمَّ تمْشي هي مَشْياً طبيعِياً ، ولما ينتهي الميل الأخْضر تقف على اليمين ، وتنْتظر مجيء زَوْجتك ، فلا بدَّ أن تُنَبِّهَها ، وأنا أُلاحظ أنَّ تسعين بالمئة من النِّساء يُهَرْوِلْنَ مع أزْواجهم ! وهذا من قِلَّةِ فقْه الحُجاج .

فالملاحظة الأولى أنَّهُ إذا كان مَنْسَكٌ من مناسك الحج لم يُعْجِبْكَ ، ووجَدْتَ في القلب غفْلة ، وشَعَرْتَ بعدم تأدِيَتِه بحقِّه ، فالأفضل أن تُعيده ، وبالمناسبة أقول إنَّ الله عز وجل يعْلم أنَّك حريصٌ على تأديَة الحج كما يُريد ، فيتجلّى في المرَّة الثانِيَة على قلْبك ، وتشْعر وكأنَّ الله قبِلك وهذا ليس بالسَّهْل ، هناك أشْخاص يطوفون كُلَّ صلاة ، أجْمل ما في الحج الطواف ، وحتى بعد التَّحَلّل ولبس الثياب .

واجبات السَّعْي :

أن يقْطع جميع المسافة بين الصفا والمرْوة فلا يترك منها أيَّة خُطْوة ، هناك نقْطة مُهِمَّة ، فالمَسْعى عبارة عن مَمْشى كبير مَسْقوف ، هناك طابِقٍ ثانٍ ، إلا أنَّ رأي العلماء أنَّ المَسْعى الأفضل أن يكون في الطابق الأرْضي ، على خِلاف الطواف ، فالطواف له حُكْم والسَّعْي له حُكْم ، فالطابق الأرضي أوْلى لأنَّ الطابق العُلْوي فيه خِلاف ، أما الطواف في الطابق العلوي على الكعبة فليس فيه خِلاف ، إذْ كُلُّ الفراغ الذي فوق الكعْبة من الكعْبة ، إلا أنَّك لا تشْعر بالسعادة إذا كنت تطوف والكُعْبة من تحت ، فالأفْضل الطواف من تحت ، أما من دون شكّ أنّ السَّعْي من الطابق العُلْوي قَضِيَّة مُختلف على صِحَّتِها فأنت كُنْ مع الأحْوَط ، وأخْواننا السَّعودِيّون أقَرُّوا أنَّ هناك فَتْوى عندهم ، دَفْعاً للازْدِحام ، فأنت كُنْ مع الأحْوَط . فبالمَسْعى طريق للذَّهاب ، وآخر للإياب ، وبينهما طريقان للعَرَبات ، ويتوَهَّم الحاج أنَّ أوَّل هذا الحاجز للعربات هو للمَسْعى.



فهذا خطأ فالمَسْعى يبْدأ من الصَّفا ، فإذا عُدْتَ من المَرْوة يجب أن تدور حَوْل الصَّخْرات ، ولا تخْتَصِر الطريق ، فأوَّل واجبات المَسْعى أن تقْطع جميع المَسافة بين الصفا والمرْوة ، فلا تترك منها أيَّة خُطْوة ، ولْيَعْلَمْ أنَّ بِداية الحاجز بين طريق الذَّهاب والإيَّاب بين طَرَفَيْ المَسْعى كما هو مُوَضَّح لا يُمَثِّل بداية المسْعى ولا نهايته إن لم يصْعد بِمِقْدار قامَةٍ على كُلِّ من الصفا والمرْوة ، وأينما تجد الصَّخْرات اصْعَد عليها ولو بِمِقْدار قامة مِتْر واحد فقط ، فإذا صَعدْت على الصَّخْرات كان سَعْيُك صحيحاً .

ويبْدأ بالصَّفا ولو بدأ بالمَرْوة لم يَصِحّ ابْتِداؤه ، ويُعْتَبَرُ الصَّفا ابْتِداءَ سَعْيِه ، لأنَّ هذا مَنْسَك يُؤَدى كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام ، وإتْمام سَبْعة أشْواط ، الذَّهاب من الصَّفا مَرَّة والعَوْدة من المَرْوة مَرَّة ، فالطريق الواحد شَوْط .

وأن يكون سَعْيُهُ بعد طوافٍ صحيح ، دون أن يفْصل بين الطواف والسَّعْي بِرُكْنٍ من أرْكان الحجّ ، فَيَصِحُّ السَّعْيُ سواء بعد طواف القُدوم وهو سنَّة ، أو بعد طواف الإفاضة وهو رُكْن ، وأنا أنْصَحُكَ أيّها الحاج إذا أتَيْتَ البيْت الحرام ، أوَّل عمل من أعْمالك طواف القُدوم ، لكن هذا سنَّة ، والسَّعْي مَرَّةً واحدة ، فبِإمْكانك أن تسْعى بعد طواف القُدوم ، وبإمْكانك أن تسْعى بعد طواف الإفاضة ، لكن بعد طواف الإفاضة الحُجاج جميعاً مُتَواجِدون في هذا المكان ، لذلك هناك إحْراج ، فأنا أنْصَحُكَ أن تسْعى بعد طواف القُدوم ، لأنّ الازْدِحام سيَكون أشدَّ بِكَثير ، وسَيَكون معك طواف الإفاضة الذي هو رُكْن الحجّ الثاني صعبًا ، ومعه سَعْي فيمكن ألاَّ تتحَمَّل.

كما أنَّهُ لا يُسَنُّ تَكرار السَّعْي ، نحن قلنا إنَّك إنْ لم تجد في نفْسك أنَّك أدَّيْت السعْي جيِّداً تُعيدُه، لكن هذا ليس كالطواف كلَّما تجد نشاطاً تطوف حوْل الكعبة ، فالسَّعْيُ مَرَّةً واحدة . فالواجبات أن تقْطع جميع المسافة، وتبْدأ بالصفا ، مع إتمام سبْعة أشْواط ، و أن يكون السَّعْيُ بعد الطواف الصحيح ، و أنت مُخَيَّر أن تسْعى بعد طواف القُدوم ، أو بعد طواف الإفاضة .

سنن السعي :

أما السنن ؛ فالذِّكْرُ والدعاء اللَّذيْن ذَكَرْناهما آنِفاً ، "ربِّ اغْفِر وارْحم ، وتجاوَزْ عمَّا تعْلم إنَّك أنت الأعَزُّ الأكْرم ، اللهمَّ ربَّنا آتنا في الدنيا حَسَنَة ، وفي الآخرة حَسَنة وقِنا عذاب النار" . ولا بدَّ من الطهارة في السَّعي، وهو أن تكون مُتَوَضِّئاً ، إلا أنَّها سُنَّة ، فَيَصِحُّ سَعْيُ المُحْدِث ، والحائِض ، فلو كان مع أحدنا زوْجته ، أو قريبته وجاءَتها الدَّوْرة وهي تسْعى ، فإذا كانت تطوف وشَعَرَتْ أنَّ الدَّوْرة قد جاءَتْها ، فلا يمكنها المتابعة ، إلا أنَّها تستطيع أن تسْعى .

ويُسْتحبّ السَّعْيُ الشديد بين الميلين الأخْضَرين ، إلا المرأة فَتَمْشي مَشْياً عادِياً ويَنْبغي أن يتجنَّب إيذاء الناس ومُزاحمتهم ، فالأفضل أن يسْعى ماشِياً ، فإن سعى راكباً لعَجْزٍ أو غير ذلك صَحَّ سَعْيُه ، فاللهمَّ متِّعْنا بالصِّحة كي نؤدي مناسكنا مَشْياً ، ثمَّ إنَّ الله تعالى يتولى المرض ويُجَمِّدُهُ في أثناء الحج ، إلا أن يقول لك الطبيب : لا تبقَ تحت الشمْس فإن فعلْتَ أثِمْت ثمَّ إنَّ ضربات الشَّمْس مُؤذِيَة ، وأحْياناً تصل الحرارة في الظلّ إلى ست وخمْسين درجة ، وأنا أنصح أخواننا بما قال تعالى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾

[سورة النساء :]

ونحن لدينا في الشَّرْع مقاصد كُبْرى ؛ حِفْظ الدّين ، والنَّفْس ، والعقل ، والعرض ، و المال ، فالحياة ليسَت مِلْكك بل هي مِلْكُ المُسْلمين ، فالخُروج في مكَّة والمدينة في النَّهار يَنْبغي أن يكون لِضَرورة بالغة ، فالأولى أن تكون كُلُّ أعْمالك بالليل ، كما أنَّني أرى على من كان سكنُه بعيداً عن الحرم أن يُصلي بالبيت ، والإنسان عليه أن يُرَكِّز في أداء هذه المناسك على وقت المغرب والعشاء والفجْر ، لأنَّها أوقات للبرودة .

الوقوف بعرفة :

الآن سننتَقِل إلى الوُقوف بِعَرَفة ، وهو رُكْنُ الحج الأعظم ، كأنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الوُقوف بِعَرَفة اللِّقاءَ الأساسيَّ للحاج ، فأنت مع مؤْعِد مع الله عز وجل في عرفة ، لذلك الاهْتِمام بالذي ستأكله وتشْربه هذا شيءٌ بعيدٌ عن مناسك الحج ، ففي هذا اليوم المُهِمّ عدم التركيز على الأكل ، لأنَّكَ مَدْعُوٌّ لِلِقاء الله عز وجل ، فالصلاة والذِّكْر والتِّلاوة والدعاء أهمّ شيء . فالأيام الخمْس أو السِت التي قبل وُقوف عرفة على الإنسان أن يوفر جسمه اسْتِعداداً لِهذا اللِّقاء .



أنا أُفَضِّل للإنسان قبل عرفة بِيَوْمٍ أو يوْمَيْن أن يُوَفِّر جسْمه بشيء قليل ، لأنَّ هذا اليوم يحْتاج إلىِ صحّة وقوَّة ، فلا بد أن يرْتاح كي يشْعر بِعَرَفات أنَّهُ بأتَمّ اسْتِعداد ، لأنَّ الحج كُلَّه عرفة ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((الحج عرفة))

[أحمد عن عبد الرحمن بن يعمر]

ما ورد في السّنة حول الحج :

الآن ذَكَرْنا أنَّ أوَّل طواف للحجاج حين دُخول مكَّة هو طواف القُدوم وهو سنَّة ، أما للمُعْتَمِر فهو طواف رُكْنٍ، فإذا سَعى المُعْتَمِر بعد الطواف حلق شَعْر رأسه ، أو قَصَّر وتَحَلَّل إلى أن يُصْبح اليوم الثامن من ذي الحجَّة ، وعلى كُلِّ الشيء الذي ورد في السنَّة أنَّ الإنسان يتوَجَّه بعد فجْر اليوم الثامن من ذي الحجَّة إلى مِنى ، والمبيت بِمِنى قبل عرفات سُنَّة ، لكن أكْثر الأفواج الآن يتجاوزون هذه السنَّة ، نَظَراً للازْدِحام الشَّديد فَيَتَوَجَّهون إلى عرفة مُباشَرَةً ، فأنتم مُخَيَّرون بين أن تتوَجَّهوا إلى منى ، وتُصلوا الظُّهْر والعصْر ، والمغْرب والعِشاء ، والفجْر ، ثمَّ تتوَجَّهون إلى عرفات ، أو تتوَجَّهون في اليوم الثامن من ذي الحجّة في أيّ وقْتٍ تشاؤون إلى عرفات وتنامون بها ، ويَصِحّ أن تتوَجَّهوا إلى عرفات في اليوْم التاسِع لكن نحن نأخذ بالأحْوط ، إذْ في اليوم التاسع هناك أناس لم يصلوا إلى عرفات ، فهؤلاء الأفواج يتجاوزون المبيت بِمِنى ، وهي سنَّة ، فَمَن ترك الواجب فعليه دم ، ومن ترك رُكناً بطل حجّه ، ومن ترك سنّة فلا شيء عليه .



ونحن في عَرفات ماذا نفْعل ؟ نحن في يَوْم اللّقاء الأكبر ، فالوقْت المناسب للدعاء بعد أن تُصلي الظهر والعصْر مُؤْتماً بإمام جمْعَ تقْديمٍ ، وهناك خطْبة بِجامِع نَمِرَة ، إلا أنَّ الحجاج أَلِفوا أنّ كُلَّ فوْجٍ يقوم فيهم خطيب ، ويُصلون الظهْر والعصْر جمْع تقْديم ، فَمِن بعد الزَّوال إلى بعد الغروب ليس هناك عمل أفْضل من أن تدْعو الله عز وجل واقِفاً ، وأنت مَدْعوٌّ في هذا اليوم إلى لِقاءٍ روحيٍّ مع الله عز وجل ، وإلى أن تعرض حاجاتك أمام الله عز وجل ، وإلى أن تطْلب المغْفرة عمَّا مضى ، وإلى أن تصْطَلِحَ مع الله ، لذلك على الإنسان أن يُهَيِّئ نفْسه تهْيئة كاملة وكافية ويلْتَفِتَ إلى الله بِكُلِّيَّتِه ، ولا يوجد شيء يُؤْلِمني بِعَرفات إلا هؤلاء الحجاج الذين يتبادلون أطراف الأحاديث ، وهم يجْلِسون في خِيامهم وكأنَّهم في نُزْهة ، أو في سَهْرة ، ولك أن تقْرأ القرآن وتدعو ؛ مَرَّةً جالساً ، ومرة قاعِداً ، ومرة واقِفاً ، فأنت في فُرْصة لا تتكَرَّر ، فالوِرْد له طَعْم ، والاسْتِغفار له طعْم ، والذِّكْر له طعْم ، فهذا الوقْت من بعد الظهر إلى بعد الغروب مِن أشْرف الأوْقات ، قال تعالى :

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾

[سورة البقرة : 198]

شُعور الحاج وهو يخْرج من عرفات وكأنّه رجع كَيوم ولدتْه أمّه ، وبعد ذلك الذَهاب إلى مزْدلفة ، هناك من يجْلس في مسْجد نَمِرَة ، إلا أنَّ فيه مكانًا ليس من عرفات وهذا مشْكلة ، فلا بدّ من أن تتواجد بِعَرفات ولو لحْظة واحدة من بعد الظهْر إلى أن تغيب الشَّمس ، وبِالخِيام أفضل ، لأنَّك لن تجد في هذا المسْجد مكانًا ، وذلك لأنه مُكَيّف فَيَتَهافت عليه الناس من كُلِّ مكان وبِالخِيام هناك ذِكْر جماعي ، ويقف العلماء ويدْعون وأنتم تُؤَمِّنون ، والمُؤمِّن كالداعي تماماً ، قال تعالى :

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يونس :]

مع أنَّ الداعي هو سيّدنا موسى فقط ، وكان معه سيّدنا هارون ، فهناك دعاء جماعي ودعاء فرْدي ، وصلاة، و تِلاوة ، و اسْتغفار ، فالحج عرفة ، وعرفات كُلَّها موقف ، والسنَّة أن تقف وتتوَجَّه نحو الكعبة .

ويُسَنُّ أن يخطب الإمام قبل الظهْر في مسْجد سيّدنا إبراهيم خطبتين ، يُرْشِدُ فيهما الحجاج إلى ما ينبغي أن يشْغلوا أنفسهم به ، ومع الخطبة الثانية يقوم المُؤَذِّن فَيُؤَذِّن للظهْر فَيُصلي الناس الظهْر والعصر جمْعاً وقصراً ، وعليهم بعد إتمام الصلاة أن يُبادِروا إلى الوُقوف بِعَرَفة ، وعرفات كُلّها مَوْقف ، وأفضل مكان بِعَرفات عند الصَّخرات أسفل جبل الرَّحْمة ، لكن إذا كان الوقتُ ظُهْراً ، والوقتُ شديد الحَرّ ، وربَّما كان هذا الشيء مُهْلِكًا ، وأنا أنصحُ أخواننا وقْتَ الظهْر الحار أنْ يبْقوا في الخِيام ، وقبل الغروب بِساعة انْطلِقوا إلى خارج الخِيام .

وقْتَ الوُقوف بِعَرَفة يبْدأ بعد زوال شمْس اليوم التاسع من ذي الحجّة إلى طُلوع فجْر ليلة يوم العيد . أنا حججتُ مَرَّتَين ، وأخواننا بالبِعْثة قالوا : نبْقى بِعَرَفات للساعة العاشرة أو أكثر و أعتقد أنّ هذه السَّنة الأمورُ مُيَسَّرَة كلُّها ، لأنَّ مأساة العام الماضي لن تتكَرَّر إن شاء الله .

ما يسن في عرفة :

وفيما يخص عرفة ؛ أوّلاً الاغتِسال ، و يجزئُ الاغتسالُ في مَكَّة قبل أن تأتي إلى عرفات .

ثانياً : المُبادرة بالوُقوف في عرفة بعد الصلاة ، فلا تتأخَّر .

ثالثاً : الحِرْص على الوُقوف بِعَرَفة في موقف النبي عند الصَّخرات ، أسفل جبل الرحمة ، أما إذا تَعَسَّر الأمْرُ فهذه سُنَّة .

يُسَنُّ للرجل أن يدْعو واقفاً إلا إن شَقَّ عليه ذلك ، فله أنْ يجْلس ، وأنا أنْصحك أن تُنَوِّع بين هذا وذاك ، أما المرأة فالأفْضل لها القُعود ، لأنَّهُ أسْتَرُ لها ، وأصْوَنُ .


الدعاء في عرفات يسن والمؤمن واقف فإن شق عليه ذلك فله أن يجلس

ويُسَنُّ أن تُحافظ في عرفات على تمام الطهارة ، وسَتْر العوْرة ، ودَوْرات المياه مَيْسورة، فالطهارة ضروريَّة ، ويُسَنُّ أن تكون مُفْطِراً كي تتَقَوَّى على طاعة الله ، ولأنَّهُ أكثر عونًا له على الدعاء ، كما أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام وقف مُفْطِراً . كما يُسَنُّ حُضور القلب وفراغه عن المشاغل الدنيَويَّة ، فعليه أن يُنْجِزَ كُلَّ مشاغله كالطعام والشراب قبل الزَّوال .

بالمناسبة لَدَيَّ تعْليق صغير وهو أنَّ هناكُ تَفَرُّغاً وهناك تَفْريغاً ، فأنت حينما ذَهَبْتَ إلى الحج وتركْتَ بيْتك ، ومشاكل العمل ، ومشاكل بلدك ، والخُصومات ، كُلُّ شيء تَرَكْته وذهَبْت إلى البيت الحرام ، فهذه العَمَلِيَّة اسْمها تَفَرُّغاً ، إلا أنَّ الله تعالى يتَفَضَّلُ عليك بِنِعْمة أُخْرى اسْمها التَّفْريغ ، وهي عَدَمُ خُطور ولو قَضِيَّة صغيرة في بالك على بلدك ، فأولادك وبيْتك ومشاكلك لا تخْطر ببَالك ولو كانت ضَخْمة ، وهي نعمة من الله تعالى ، ولكن حينما ينتهي الحج تقْفز الهُموم فَجْأةً واحدة .

والإكثار من التَّلْبِيَة مع رفْع الصَّوْت بشَكْلٍ مُعْتَدِل ، والإكثار من الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، وغير ذلك من الأذْكار ، وأن يبْرز للشَّمْس ولا يسْتظِلّ ، إلا إن خاف على نفْسه ، أو أجْهده ذلك ، أو أعاقهُ عن الخُشوع .

وأن يظَلَّ في المؤقف حتى غُروب الشَّمْس ، حيث يجْمع بين الليل والنهار ، فإن خرج من عرفات قبل الغروب ولم يعُدْ إليها أراق دماً اسْتِحْباباً ، كما يُسْتَحَبُّ الإكثار من الدعاء بتَذَلّل وخُشوع وافْتِقار ، وأن تُلِحَّ في الدعاء برَجاءٍ قوِيّ ، وأمَلٍ كبير ، لأنَّ الله تعالى يُحِبُّ المُلِحّين في الدعاء ، ويمكن أن تُكْثر من التَّسْبيح والتَّحْميد والتَهْليل والتَّكْبير ؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وسوف نأخذ في الدرس القادم إن شاء الله أدْعِيَةَ عرفات التي أُثِرَتْ عن النبي صلى الله عليه وسلَّم ، وبعدها الانْطِلاق إلى مزدَلِفة ، ورمْي الجِمار ، وطواف الإفاضة والزّيارة.

والحمد لله رب العالمين

4-4 السعي بين الصفا و المروة 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيء قدير .

الحج :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الدرس الماضي ، أو في الجمعة الماضية إن صح التعبير كنت أتحدث عن بعض مناسك الحج ، وقبل متابعة مناسك الحج ، وقد وصلنا إلى السعي بين الصفا والمروة .

العبادات معللة في القرآن الكريم .

أريد أن أقول كلمة ، إن العبادات يا أخوة الإيمان ، إن العبادات معللة في القرآن الكريم .

معللة .

أمر الله سبحانه وتعالى لا يعقل أن يكون بلا هدف ، وبلا غاية ، وبلا علة ، فأمر البشر يتنزه عن يكون بلا غاية ، فكيف بأمر خالق البشر ، كيف بأمر الله رب العالمين ، الحكيم العليم ، السميع البصير ، بديع السماوات والأرض ، أيعقل أن يكون أمره أمراً خلواً من هدف كبير ، ومن علة عظيمة .

علة الصلاة :

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : 45]

ونهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر نهي ذاتي ، لأن في الحياة شيئين ، في الحياة روادع ، القوانين الوضعية تردع الإنسان عن مخالفتها ، فإذا خالفها فسيعاقب بكذا وكذا ، فالقوانين الوضعية مبنية على مبدأ الردع ، فإذا لم يكن شرطيٌ فلإنسان يخالف النظام ، ولكن الأوامر الإلهية مبنية على مبدأ الوازع الداخلي .



﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

نهياً ذاتياً ، في إحدى الليالي في مدينة كبيرةٍ كبيرة في أمريكا ، قطعت الكهرباء ، فارتكبت في هذه الليلة مئتين ألف سرقة ، في ليلة واحدة ، إذاً انضباط الناس لا بسبب طهر نفوسهم ، ولا بسبب سموهم ، ولكن بسبب أن هناك عقاباً دقيقاً لن يفلت منه أحد .

إذا بني النظام في الحياة على مبدأ الردع ، فإذا رفعت الرقابة تفلت البشر من قيود القانون ، ولكن النظام الإلهي مبني على مبدأ الوازع الداخلي .

سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ التقى بأعرابي معه شياه يراعها ، فقال يا أعرابي بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، فقال يا أمير المؤمنين ليست لي أو لعله قال يا هذا ، ولا يدري أنه أمير المؤمنين ، ليست لي ، فقال قل لصاحبها ماتت ، قال ليست لي ، قال قل لصاحبها أكلها الذئب ، قال ليست لي ، قال خذ ثمنها ، قال والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت له ماتت ، أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ، هذا هو الإسلام ، وازع داخلي .

نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصيه .

الصلاة معللة بأهداف نبيلة .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

علة الصيام :

الصيام معلل بأهداف نبيلة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 183]

لعلكم ترتفعون من مرتبة الإيمان إلى مرتبة التقوى ، من مرتبة الذوق إلى مرتبة الرؤية ، من مرتبة مدافعة التدني إلى مرتبة متابعة الترقي .

علة الزكاة :

والزكاة :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة الآية : 103]

الصلاة معللة ، والصيام معلل ، والزكاة معللة .

علة غض البصر :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

[سورة النور الآية : 30]

﴿ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

ما من أمر إلهي إلا وهو معلل بهدف نبيل ، بنجاة بسمو ، برفعة ، بقرب ، بسعادة .

مناسك الحج :

السعي بين الصفا والمروة .

وصلنا في الدرس الماضي ، أو في الجمعة الماضية في مناسك الحج إلى الصفا والمروة ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

[سورة البقرة الآية : 158]



روى مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قولها : طاف رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وطاف المسلون بين الصفا والمروة ، فكانت سنةً ولعمري ما أتم الله حجه من لم يطف بين الصفا والمروة . ومن شروط السعي أن يكون بعد الطواف ، وأن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ بالصفا ويختم بالمروة ، فهنيئاً لمؤمن سعى بين الصفا والمروة حتى صفت نفسه ، وهرول بين الميلين معلناً بهذه الهرولة عن تواضعه لله عز وجل ، هنيئاً لمؤمن قال وهو يسعى بين الصفا والمروة ربي اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم .

المبيت بمنى .

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية ، يتوجه الحجيج إلى منى ، ليبيتوا فيها ، مؤدين خمس صلوات، استعداداً ليوم اللقاء الأكبر عرفة ، يوم عرفة .

الوقوف بعرفة .

وبعد طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة ، يتجه الحاج إلى عرفات ملبياً ، مهللاً ، مكبراً ، وقد أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ففيه يتم اللقاء الروحي ، وفيه يتلقى المؤمن النفحات الربانية ، التي تغسل قلبه ، من كل درن وشهوة ، وتصفي نفسه من كل شائبة وهم ، وترقى بها إلى أعلى عليين ، ولا شيء يؤلم الحاج في عرفات وقد تلقى من ربه هذه النفحات ، إلا ما مضى من أيام وليالٍ أضاعها في سفاسف الأمور ، وهموم المعاش ، لقد شعر الآن بإنسانيته ، وخلود نفسه في رحاب ربه ، لقد شعر الآن أن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ولو أنها تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ، لقد أدرك المهمة التي خلق من أجلها ، لقد عرف حقيقة الحياة ، وأنها مزرعة للآخرة .

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآيات : 1 . 3]

لقد تذوق معنى الحديث القدسي :

يا ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإذا فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء .


يدرك من يقف في عرفات أن سعادة الإنسان بمعرفة الله

وبعد أن ذاق حلاوة اللقاء ، وحلاوة المناجاة ، وانغمس في لذة القرب ، تصغر الدنيا في عينيه، وتنتقل من قلبه إلى يديه ، ويصبح أكبر همه الآخرة، ويسعى إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ويكشف له أن كل مصيبة ساقها الله إليه هي محض محبة وعناية ، ويدرك معنى الحديث الشريف : إن الله ليحمي صفيه من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام .

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 216]

وينكشف له وهو في عرفات أن سعادة الإنسان الحقيقة لن تكون إلا بوجهة النفس إلى ربها ، وتقلبها في رحمته ، ودنوها من جلاله ، وسعيها لخدمة خلقه ، وأن كل ما شرع لنا من عبادات ، ومعاملات ، هو من أجل الحفاظ على هذه الوجهة ، وذلك القرب ومع ذلك تستمع من بعض الحجاج إلى كلام يذهلك ، يقول أحدهم إنه في عرفات قد غط في نوم عميق ، لأن خيمته مكيفة ، وبعضهم الآخر يقول أكلت في عرفات طعاماً ما ذقت مثله من قبل ، وبعضهم يقول أمضيت الوقت في سماع بعض الأغاني ، وهو في عرفات ، هذا الذي يحج قبل أن يعرف ما الحج هو عبء على الحجاج عبء عليهم ، ينغص عليهم حجهم ، ويلفتهم إلى أخطاءه ، وانحرافاته .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ إذا وقف الحاج في عرفات فهو على موعد مع الله سبحانه وتعالى الوقوف في عرفات هو اللقاء الأكبر مع الله عز وجل .

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

[سورة الكهف الآية : 110]

لذلك أيها الناس تفقهوا قبل أن تحجوا ، فإن الحج من العبادات التي تحتاج إلى إعداد كبير ، قال عليه الصلاة والسلام معرفاً الحج بأنه عرفة .

((الحجُّ عرفةُ))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي]

ولكم أيها الإخوة أن تفهموا هذا الحديث على وجهين :

الوجه الأول : أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم فمن فاته الوقوف في عرفة فلا حج له .

والمعنى الآخر : أن الحج سياحة روحية هدفها الأول معرفة الله تفرغ للنفس ، وتفريغ لها من هموم الدنيا ، من مكانة الإنسان في بلده كل منا له مكانته في بلده ، معظم مبجل ، محسود ، مخدوم ، إذا ذهب إلى هناك هذا الوهم الكبير زال عنه ، منصبه الرفيع بعد عنه ، بيته المريح تركه ، زوجته الوفية تركها ، أولاده الأبرار تركهم ، ذهب وحده ليلتقي مع ربه ، ليتصل به ، ليبتعد عن هموم الدنيا ، ليترك الدنيا وراء ظهره ليتفرغ لمنجاة ربه ، الحج عرفة ، إن عدت كما أتيت فكأنك لم تحج ، إن عدت كما أتيت .

أيها الإخوة الأكارم ؛ يستحب للحاج في عرفة أن يدعو كما دعا النبي عليه الصلاة والسلام :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

اللهم اجعل في بصري نورا ، وفي قلبي نورا .

اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري .

اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق الدهر .

وكان أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام يوم عرفة :

اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيراً مما نقول .

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك ربي تراثي .

يا أخوة الإيمان ؛ يستحب الصيام يوم عرفة لغير الحجاج ، ويستحب الإفطار يوم عرفة للحجاج ليتقووا به على الذكر والدعاء ، ويسن جمع الظهر والعصر جمع تقديمٍ ، وتقديم الخطبة عليهما ، ويسن الإفاضة من عرفات قبل غروب الشمس بالسكينة والوقار ، لقوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن البر ليس بالاضطباع ؛ أي الإسراع ، وكان صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسير العنقة ؛ أي سراً رفيقاً ، فإذا وجد فجوة نص ؛ أي أسرع .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ نتابع مناسك الحج في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى .

سلوك السلف الصالح في أمر الزواج :

يا أخوة الإيمان ؛ قصةٌ أعرض من خلالها موضوعاً : قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

[أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة]

ما الذي أوقع الناس في الفساد ، ما الذي أوقعهم في الانحراف صعوبة الزواج ، والنفقات الباهظة التي لا يقوى على تحملها شاب ، لذلك دققوا في هذه القصة هكذا كان السلف الصالح .

عن عبد الله بن أبي وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، هذا من التابعين فتفقدني أياماً ، فلما أتيته، فقال أين كنت ؟ أين كنت ؟ فقلت توفيت زوجتي فاشتغلت بها ، يعني إلى أن جهزتها ، ودفنتها ، وتقبلت التعازي بها ، قال هلا أخبرتنا ، فشهدناها ، يعني عزيناك ، وحضرنا دفنها فسكت ، ثم أردت أن أقوم فقال حل استحدثت امرأة ، أي هل تزوجت امرأة ، فقلت يرحمك الله تعالى ، ومن يزوجني ، من ؟ ولا أملك إلا درهمين أو ثلاثة دراهم ، فقال أنا ، أنا سعيد بن المسيب فقلت أو تفعل هذا ، قال نعم ، فحمد الله تعالى ، وصلى على النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزوجني على درهمين ، أو قال ثلاثة دراهم ، فقمت من عنده وما أدري ماذا أصنع من الفرح ، فعدت إلى منزلي ، وجعلت أفكر ممن آخذ ، ممن أستدين ، فصليت المغرب ، وانصرفت إلى منزلي فأسرجت السراج ، وكنت صائماً فوضعت عشائي لأفطر ، وكان خبزاً وزيتاً فقط ، وإذا ببابي يقرع ، فقلت من هذا من الطارق ، قال سعيد : ففكرت في إنسان أعرفه اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، لماذا ؟ لأن هذا التابعي الجليل أمضى أربعين عاماً بين بيته والمسجد ، إما في البيت يتعبد ، وإما في المسجد يدعو إلى الله ، ويحكم بين الناس ، لا يعقل أن يأتي سعيد بن المسيب إلى باب هذا الإنسان الفقير فقال سعيد ، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، وذلك لأنه لن يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد ، فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له شيء في أمر زواجي ، أو بدى له شيء كي يتراجع عن هذا الزواج ، فقلت يا أبى محمد لو أرسلت إلي لأتيتك ، أنا آتيك ، فقال لا ، أنت أحق أن تؤتى ، فقلت وماذا تأمر ، قال إنك كنت رجلاً عذباً ، فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، وإذا هي قائمة خلفه ، في طوله ، فدفعها في الباب ورده ، قال فدخلت بها فإذا هي من أكمل النساء ، وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله وعرّفيهن بحق الزوج ، وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه ، القصة لم يأتِ مغزاها بعد ، مغزاها في هاذين السطرين ، وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه ،

قد خطبها من سعيد بن المسيب الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك ولي العهد وقد إذٍ ، فأبى سعيد أن يزوجه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((أعظم النساء بركة أقلهن مهراً ، أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة))

لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))



نفقات الزواج الباهظة أوقعت الناس في الفساد

وهذه القصة تبين سلوك السلف الصالح في أمر الزواج ، والله سبحانه وتعالى قال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم الآية : 21]

لكن صعوبات الحياة ، وارتفاع أسعار البيوت ، وارتفاع المهور والطلبات التعجيزية التي يقدمها الأهل حالت بين الشباب وبين الزواج فانحرفوا ، وحينما انحرفوا دفع المجتمع كله ثمناً باهظاً لانحرافهم .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ شرع الله حق أن يتبع .

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

[سورة البقرة الآية : 221]

من تزوج المرأة لمالها أذله الله ، من تزوج المرأة لجمالها أذله الله ، ومن تزوجها لمالها أفقره الله ، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً فعليك بذات الدين تربت يداك ، وحق على الله أن يعين المؤمن الذي يتعفف بالزواج ، من أراد من المؤمنين الزواج ليتعفف به عن الحرام فالله سبحانه وتعالى يعينه ، فهذا الحديث النادر الوحيد الذي في نصه حق على الله ، أن يعين ثلاثةً أحدهم طالب الزواج ليكف به عن الحرام .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

قلب الأم :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الله سبحانه وتعالى من آياته الدالة على عظمته قلب الأم ، ليس ذلك القلب المادي ، المؤلف من أذنين وبطنين ، وشرايين ، وأوردة ، ولكن قلب النفس ، العلماء يقولون :

إن أقوى الدوافع في النوع البشري دافع الأمومة ، أقوى الدوافع في النوع البشري دافع الأمومة ، بل إن دافع الأمومة أقوى الدوافع في الكائنات الحية ، يعني أقوى دافع يندفع الكائن الحي إلى تحقيقه هو دافع الأمومة ، والشواهد على رحمة الأم في الكائنات الحية لا في البشر وحدهم ، والشواهد على رحمة الأم في الكائنات الحية أكثر من أن تحصى ، قال عليه الصلاة والسلام :

ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يغفر له ، ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ،

وإذا ماتت الأم قال الله تعالى :



عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها ، فاعمل صالحاً نكرمك لأجله .

وقال عليه الصلاة والسلام :

من هجر أحد والديه ساعة من نهار كان من أهل النار حتى يتوب .

في خشب حفرة مستطيلة ثم تجلب طلع الأزهار ، وبعض الأوراق السكرية ، وتحشو به ذلك السرداب ، ثم تبيض بيضة ، ثم تأتي بنشارة خشب ، وتجعلها سقفاً لهذا السرداب ، وبعدها تموت ، وبعد أن تفقص تخرج البيوض وتجد طعاماً يكفيها سنة .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[سورة طه الآيات : 49 . 50]

حشرة الدبور ، الحفار ، تحفر أنثاه نفقاً في الأرض ثم تبحث عن دودةٍ ، تلسعها وتخدرها ، ولا تميتها ، ثم تسحبها إلى النفق ، ثم تضع البيض ، وتسد النفق ، وقد هيئت للصغار طعاماً طازجاً يكفيها مدةً طويلة وبعدها تموت .

بعض أنثى الطير تطعم صغارها أكثر من ألف وثلاثمئة مرة في اليوم ، تلقم صغارها الطعام ، ما بين الفجر والغروب .

الناقة تبكي على فقد صغارها ، والكلبة تبكي على جروها الميت تبكي ، وقد رأيت والله بأم عيني كلبة تبكي على جرو دهسته سيارة .

الخيل إذا فقدت صغيرها نهنهت بصوت مسموع ، وتوحشت ولا تدع أحداً يقترب من صغيرها ، فلما حمل صغيرها ليدفن سارت خلفه فلما دفن لازمت قبره .

أما إذا دفن الإنسان ما إن يوضع في القبر حتى ينصرف الناس إلى البيوت ، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نبقى مع الميت لنفك وحشته ، ونتلو له شيئاً من كتاب الله .

لازمت قبره ، وانقطعت عن الأكل والشرب .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ من آيات الله الدالة على عظمته قلب الأم لا في بني البشر فحسب بل في الكائنات الحية .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيمن أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا أرضى اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا مولانا رب العالمين ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا

وأمنا في أوطاننا . واجعل هذا البلد أمناً سخياً رخيا ، وسائر بلاد المسلمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-5 الوقوف بعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتَّصَلَت عين بنظر ، وما سمعت أذنٌ بِخَبر، اللَّهمّ صلّ ، وسلّم ، وبارك على سيّدنا محمّد، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين ، اللَّهمّ ارْحمنا فإنّك بنا راحِم ، ولا تعذّبنا فإنّك علينا قادر ، والْطُف بنا فيما جرَتْ به المقادير ، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير ، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدْنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتّبعون أحْسنه ، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الحج عرفة

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الحجاج في عرفات ، والحجّ كما قال عليه الصلاة والسلام عرفة ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ نَاسٌ فَسَأَلُوهُ عَنْ الْحَجِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْحَجُّ عَرَفَةُ فَمَنْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ))

[أخرجه أبو داود والترمذي]

وعرفات يوم اللّقاء الأكبر ، لقاء العبد مع ربّه ، اتِّصال الأرض بالسماء يومُ الصّلح مع الله عز وجل ، يوم الإقبال عليه ، يوم العهْد على تنفيذ أمْره واجْتناب نهْيِهِ .

لماذا سمّاه الله بيتًا ؟

أيها الإخوة الأكارم ؛ يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وفي سورة البقرة ، وفي الآية الخامسة والعشرين بعد المئة :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

إذْ يعني يا محمّد أُذْكُر الذي اتَّخذهُ الله بيتًا لنفسه ، اتَّخَذَ الله بيتًا وأمرنا أن نزورهُ فيه ، لماذا ؟ الله سبحانه وتعالى مُحيطٌ بكلّ مكان ، والمكان بعض خلقهِ ، لا يُسألُ عنه أين كان ؟ لأنّه خالق المكان ، ولا متى كان، لأنّه خالق الزمان ، ولكن لماذا أضاف بيتًا في الأرض إلى ذاته ؟ وأمرنا أن نذهب إليه ، يقول الله عز وجل:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

لماذا سمّاه الله بيتًا ؟ لماذا أنت أيّها الأخ الكريم لك بيت ؟ ماذا تفعل في البيت ؟ تأتي إلى البيت وقد تعِبْتَ من عمل النهار ، تعبْتَ تعَبًا نفْسيًّا ، وتعِبْت تعبًا جسديًّا ، في البيت تستريح ، وفي البيت يُسرّى عنك ، في البيت تسكن ، سمَّاهُ الله تعالى سكنًا ، وسمَّى الزوجة سكنًا ، قال تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم الآية:21]

في البيت تستريح ، وفي البيت يذهبُ عنك عناء النهار عناءٌ جزئي يذهب في بيتك في الأرض ، لكنّ عناء الحياة ، وثقل الهموم ، ولكنّ وحْشة البعد عن الله عز وجل ، لكنّ ضغْط المعيشة ، لكنّ ألمَ الشِّرْك ، وآلام الحياة الناتجة عن ضعف الإيمان ، الناتجة عن عدم الانضباط بِمَنهج الله عز وجل ، آلام الحياة الناتجة عن قلّة العلم ، عن التّبعْثُر ، عن الشّرْك ، عن الخروج عن منهج الله ، وحْشة الشّرْك ، وحْشة المعصِيَة ، هموم الدنيا إذا جعلها الله دواءً لهذا الإنسان ، أيُّ بيتٍ نذهبُ إليه فنسْتريح؟ أيُّ بيتٍ نذهبُ إليه فيُسرَّ عنَّا ؟ أيُّ بيتٍ نذهبُ إليه فنُلقي عنّا همومًا كالجبال ؟ إنَّه بيت الله الحرام ، سمَّاه الله بيتًا ، لأنّ الإنسان يسكن فيه واسْأل الحاج الصادق ، واسأل من ذهب إلى بيت الله مخلصًا ، كيف أنَّه في بيت الله ، لا تبقى لديه مشكلة، إمّا أنّ الله عز وجل ينزعها من نفسه انْتزاعًا ، وإما أن يقْضِيَها له ، لذلك حينما أمرنا ربّنا سبحانه وتعالى أن نحجّ البيت ، أمرنا أن نذهب إليه ، لِنُلقي عنَّا أعباء الحياة ، لنلقي عنَّا هموم الشِّرْك ، لِنُلقي عنَّا وحْشة المعاصي والمخالفات ، هذا لِمَن يحتاجُ إلى توبة، ولمن يحتاجُ إلى تجديد عهْدٍ مع الله عز وجل .



أما المؤمن الذي عرف ربّه في بلده ، فإذا ذهبَ إلى هناك فليَرقى من حالٍ إلى حال ، ومن مقامٍ إلى مقام ، ومن منزلة إلى منزلة ، هذه المعاني مستفادةٌ من أنّ الله سبحانه وتعالى سمَّى الكعبة بيتًا حرامًا ، وسمَّاها بيتهُ ، أضافها إلى ذاته قال تعالى :

﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

[سورة البقرة الآية:135]

إذًا الهموم الكبيرة تُحلّ هناك ، الوحشَة الشديدة تُحلّ هناك ، يأتي مكانها الأُنْس ، يأتي مكان الهموم التوفيق والتيسير .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾

[سورة البقرة الآية:125]

يعني بِفِعْل الله عز وجل ، وبِخَلق الله عز وجل ، بِتَقدير الله عز وجل جعلَ هذا المكان بيتًا لكلّ حاجٍ أو معتمر يأوي إليه ، فيسْتريحُ من عناء الدنيا ، وهل من راحةٍ أعظمُ من أن تصطلح مع الله تعالى ؟ وهل من راحةٍ أعظم من أن تأوي إلى بيتك ؟ وهل من راحةٍ أعظم من أن تعاهدهُ على طاعته ؟ وعلى خدمة خلقِه ما حييت ؟

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ هذا هو معنى البيت ، كالمعنى الدقيق للبيت الذي نسْكنهُ ، فيه حدّ أدنى من الراحة ، ومن الطمأنينة ، ومن السّكون ، ومن المُتعة ، أما قوله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾

[سورة البقرة الآية:125]

معنى مثابة ، هذه مصدر ميمي ، من ثاب ، ومعنى ثابَ أيْ رجَعَ ، رجَعَ إلى ماذا ؟ إما أنّك في هذا البيت ترجعُ إلى الله تائبًا ، وإما أنّك في هذا البيت ترجعُ إليه مقْبلاً ، وإما أنّك في هذا البيت ترجعُ إليه مستقيمًا معاهِدًا ، وإما أنّه من شدّة السعادة التي تنالها ، وأنت في هذا البيت تتمنَّى أن ترجع إليه ، تتمنى أن تعود إليه ، لذلك لسان حال الحاجّ يقول : يا ربّ ، لا تجعل هذا الحجّ أو تلك العمرة آخر عهدي بالبيت ، لماذا يقول الحاجّ هذا الكلام ؟ لأنَّه ذاق في البيت طعْم القُرْب ، ذاق في البيت طعْم الإقبال على الله تعالى ، ذاق في البيت طعْم السكينة التي يتجلّى الله بها على عباده المؤمنين ، ذاق في هذا البيت طعْم أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راضٍ .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ إذًا مثابة من ثابَ مصدر ميمي ، إما من أنّه رجع إلى الله ، وإما من أنّه لِشِدَّة السعادة التي ينالها يتمنى أن يرجع إليه وفي الحديث القدسي :

((إذا أصْححْتُ لعبدي جسمه ، ووسَّعْتُ عليه في المعيشة ، فمَضَتْ عليه خمسة أعوامٍ لم يثِبْ إليّ لمحروم))

قال تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾

[سورة البقرة الآية:125]

السلامة شيء والأمْنُ شيءٌ آخر:

ما معنى كلمة أمْن ؟ الحقيقة أنّ السلامة شيء ، والأمْنُ شيءٌ آخر ، ألاّ يقعَ مَكروه ، ألاّ يقعَ شيءٌ يسوؤُك، ولكنّ الأمْن ألاّ تتوقَّع أن يقع شيءٌ يسوؤك ، وشتّان بين المعنيَيْن ؛ ألاّ يقعَ شيءٌ يسوؤُك ؛ سلامة ، أما أن لا تتوقَّع شيئًا يسوؤُك هذا أمْن ، لهذا قال الله عز وجل :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآيات:81-82]

لماذا يشعر الإنسان إذا كانت له صلةٌ وشيجة برَجلٍ قويّ في بلده ، لماذا يشعر ببَعض الأمْن ؟ هذا شُعور كاذب ، وشعور مرضي ، وشُعور أساسه الشّرك ، ولكن هذه قواعد النّفس ، إذا شعرَت أنّ قويًّا يحبّها ، وأنّ قويًّا يرْعاها ، أنَّ قويًّا يدافعُ عنها تطمئنّ النّفس ، تشعرُ فضلاً عن شُعورها بالسلامة تشعرُ بالأمْن ، وهل من أمْنٍ أعْظمُ من أن تشعر أنّ خالق الكون راضٍ عنك ؟ وهل من أمْنٍ أعْظمُ من أن تشعر أنّ مَن بيَدِهِ كلّ شيء من أصغر شيء إلى أكبر شيء يرعاك ويحبّك ؟ وهل من شعور أعْظمُ من شعور الصحابة الكرام حينما قال الله في حقّهم :

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

[سورة الفتح الآية:19]

إذا شعرتَ أنَّ إنسانًا قويًّا يحبّك ، ويرعاك ، ويدافعُ عنك ، ولا يأْلُ جهدًا في إنقاذك من أيّة مشكلة ، إذا كان إنسانٌ يموت ، وهو ضعيف يهبُك بعض الأمْن المُزَيّف ، فكيف بَمْنٍ يمْنحهُ خالق السماوات والأرض ؟ كيف بأمْنٍ يمنحه من بيَدِهِ كلّ شيء ؟ الله خالق كلّ شيء ، وهو على كلّ شيء قدير .

قال تعالى :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

[سورة فاطر الآية:2]

في قلب المؤمن الصادق المستقيم على أمر الله ؛ لأنّ الآية تقول :

﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآيات:81-82]

جاءَتْ كلمة ظُلْم نكرة ، يعني أيّ نوعٍ من أنواع الظّلم ، لو ظلمْت نمْلةً فقَدْت طعم الأمن، وكذا لو ظلمْتَ زوجةً ، لو ظلمتَ ابنًا ، لو ظلمْت موظَّفًا ، لو ظلمْت أيّ إنسانٍ يذهبُ عنك الشّعور بالأمْن ؛ لأنّ الله عز وجل يقول :

﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآيات:81-82]

فإذا أتَيْت البيت الحرام ، إذا ذهبْت إلى بيت الله الحرام تائبًا ، إذا ذهبت إلى بيت الله منيبًا، إذا ذهبت إلى بيت الله راجعًا إليه ، معاهِدًا على طاعته ، فهل من شعور أعظمُ من أن تشعر ، وأنت في بيته بالأمْن ؟ بل إنّ هذا الشّعور يمتدّ معك إلى بلدك مادُمْت محافظًا على العهد الذي عاهدْت الله به ، حينما قبَّلْت الحجر الأسْوَدَ ، أو أشرْت إليه إنّ الحجر الأسْود كما قيل يمين الله في أرضه ، من فاوضَ الحَجَر فقد فاوضَ كفّ الرحمن ، إنَّها عهْدٌ بين الحاجّ ، وبين الله عز وجل ، من عند الله عز وجل الأمْن ، هذه السكينة التي يضعها الله في قلب المؤمن لو وُزِّعَت على أهل بلدٍ فزِعين لامتلؤوا طمأنينةً ، قال تعالى :

﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآيات:81-82]

قال تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

وبعض العلماء قال : هذا تشريع ، ومعنى تشريع أيْ أمرنا الله عز وجل أنْ نجعلهُ آمنًا ، هذا تكليف فإذا انْتُهِكَتْ حُرْمتهُ لا يعني هذا أنّ في الآية خللاً ، إنّ الله عز وجل أمرنا تكليفًا ، الأمْرُ التكليفيّ شيء ، والأمر التكوينيّ شيءٌ آخر ، يعني أنَّه قد توضَع لوحةٌ حمراء على مدخل طريق مكتوبٌ عليها ممنوع المرور ، هذا أمرٌ ، أما قد توضَع مكعّبات إسْمنْتِيّة على مدخل طريق؛ هذا منْعٌ ، فالتكليف شيء والمنْع شيءٌ آخر ، إنّ

لله تعالى أمرًا تكليفيًّا تشريعيًّا ، وإنّ لله أمرًا تكوينيًّا ، وأنّ الأمْن في الحرم لو كان أمرًا تكوينيًّا لما استطاع مخلوق على وجْه الأرض أن ينْتهِكَ حرمَتَهُ ، لكنّ الأمْرَ بالأمْن في الحرم هو أمرٌ تشريعي ، وأمرٌ تكليفيّ ، وهذا الأمر إما أن يُطاع وإما أن لا يُطاع لذلك حَمَلَ بعضُ العلماء الآية الكريمة في قوله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾

[سورة البقرة الآية: 125]

أيْ اجْعلوهُ آمنًا ، أيْ ينبغي أيّها العباد أن يكون هذا البيت آمنًا ، هذا تكليفٌ منوطٌ في أعناقكم .

قال تعالى :

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

[سورة البقرة الآية:125]

أما قصّة سيّدنا إبراهيم وأما قصّة هذا النبي العظيم الذي جعلهُ الله تعالى أبا الأنبياء ، وجعلهُ قدْوَة للعرب المسلمين ، هذه القصّة إن شاء الله تعالى نقفُ على بعض تفصيلاتها غدًا في خطبة العيد .

أيها الإخوة الأكارم ؛ ورد عن النبي صلى الله عليه وسلّم فيما رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

[أخرجه الترمذي]

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنْ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ))

[أخرجه مالك]

هذا اليوم كما ورد في بعض الأحاديث هو من أعظم أيّام العام ، جعل الصلوات الخمس تطهيرًا لما بينهنّ ، وجعل الله صلاة الجمعة تكفيرًا من الجمعة إلى الجمعة ، وجعل شهر الصّيام من السّنة إلى السنة ، وجعل يوم عرفة اللّقاء الأكبر مع الله عز وجل ، لماذا قلتُ اللّقاء الأكبر ؟ لأنّ الحاجّ ترك بلدهُ ، وترك أهلهُ ،

وموَرد رزقه ، وترك مكانتهُ ، وتخلّى عن الدنيا حينما لبس ثوبين أبيَضَيْن مُعْلنًا بذلك على أنّ الله أحبّ إليه من بلده ، ومن أهله ومن ولدِه ، ومن الناس أجمعين ، ومن مكانته ، ومن أيّ شيءٍ له في الدنيا ، لذلك على قدر البذْل الشديد يكون العطاء الجزيل .


يوم عرفة اللقاء الأكبر مع الله عز وجل

أيها الإخوة الأكارم ؛ عرفة لقاءٌ يتمّ فيه العهْد مع الله عز وجل ، والصّلح مع الله عز وجل ، وتتِمّ فيه التوبة ، وكأنّ لسان حال الحضْرة الإلهيّة يقول : يا عبدي تعال إليّ ، تعال إليّ لأُريحَكَ من الدنيا ، تعال إليّ لأُريحَكَ من ذُنوبٍ كالجبال ، تعالى إليّ لأُريحك من هموم البُعد عنّي ، تعال إليّ لأريح من وَحشتي المخالفات ، تعال إليّ ، وارم كلّ شيءٍ يُثقل ظهرك ، وكأنّ لسان حال المؤمن يقول : لبَّيْك اللهمّ لبَّيك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك ، لا شريك لك ، هذا الذي يقوله الحاج ، وهو على عرفات إنّما هو استجابةٌ لنِداء الله عز وجل ، تعال إليّ ، دَعْ هُمومك وتعال إليّ .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ نسأل الله عز وجل أن يرزقنا في الأعوام القادمة حجًّا مبرورًا ، وسعْيًا مَشْكورًا ، وذنبًا مغفورًا ، إنَّه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، والحمد لله رب العالمين .

حياة القلب


تجديد الإيمان بحضور دروس العلم

أيها الإخوة الأكارم ؛ روى ابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ قَامَ لَيْلَتَيْ الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ))

[أخرجه ابن ماجه]

يا أيها الإخوة الأكارم ، المُعَوَّلُ عليه حياة القلب ، قد تجدُ إنسانً في أشدّ حالات الصّحة ، في أوْج صحّته ، في أوْج شبابه ، في أوْج نجاحه في الحياة، قد تجدُ إنسانًا يتمتّع بالدنيا في أعلى درجاتها ، وهو مع ذلك ميّتُ القلب ، الإمام عليّ كرّم الله وجهه

ينصحُ ابنهُ ، يقول : العلم خيرٌ من المال لأنّ العلم يحرسُك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصُه النّفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، قال : ماتَ خُزّان المال وهم أحياء ! والعلماء باقون ما بقيَ الدّهر ؛ أعْيانُهُم مَفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، المُعوَّلُ عليه حياة القلب ، لأنّ القلب رأس مالك في الحياة الأبديّة ، ففي الحياة الدنيا تشترك مع كلّ الناس في الطعام والشراب ، وفي السّكن والعمل والتّجارة ، والصّحة والصناعة ، وفي التمتُّع بها ، وما إلى ذلك ، ولكنّ القلب الذي أحياهُ صاحبهُ بِذِكْر الله هو القلب الذي يسْعدُ بعد الموت ، لذلك الإمام عمر رضي الله عنه : تعاهَدْ قلبك ، أُنظر إلى قلبك ، إذا ذُكِر الله ، هل يَوْجَل ؟ هل يقْشَعِرّ جلدك كما ذكر الله عز وجل ؟ هل يلينُ قلبك لِذِكر الله ؟ هل تطربُ لكلام الله ؟ هل تأنسُ بِذِكر الله ؟ هل أنت في المسجد كالسّمك في الماء ؟ أم كالعصفور في القفص؟ هل تقوم إلى الصلاة نشيطًا ؟ أم تقوم إليها متكاسلاً ؟ هل تحبّ أن تتْلُو القرآن ؟ هل تخافُ خوفًا شديدًا إذا بدرَتْ منك معصِية ؟ إذا خفْت خوفًا شديدًا حينما تبدرُ منك معصيَة ، أو إذا سعدت بذِكر الله ، فهذه علامة حياة القلب ، أما إذا فعلت الكبيرة ، وقلت : ماذا فعلت ؟!! الله غفور رحيم ، وإذا أقْبلْت على القرآن فلم تجِد فيه انْشِراحًا أما إذا قمْتَ إلى الصلاة متكاسلاً ، أما إذا شعرْت وكأنّك في المسجد كالعصفور في القفص ، فهذه علامة خطيرة على موت القلب ، أو ضعف الإيمان ، لذلك هناك أحاديث كثيرة يقول فيها عليه الصلاة والسلام جدِّدُوا إيمانكم ، وتجديد الإيمان بِتَجديد التوبة ، وتجديد الإيمان بِكَثْرة الذّكر لله عز وجل ، وتجديد الإيمان بالاستقامة على أمره ، بالعمل الصالح .

سنن يستحب فعلها صباح العيد

أيها الإخوة الأكارم ؛ يُسنّ صباح العيد أن يبكِّر الإنسان ، وأن يغْتسلَ وأن يلْبسَ أحْسنَ ثيابه ، وأن يتطيَّب ، وأن يصلِّيَ الصُّبْح ، ثمَّ يتوجّه لِصَلاة العيد ماشيًا مكبّرًا ، يجهرُ بِتَكبيرهِ في صلاة عيد الأضحى ، ويُسرّ بِتَكبيرهِ في صلاة عيد الفطر ، والتكبيرات هي : الله أكبر ، الله أكبر، لا إله إلا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد .

ويُسنّ أن يُكثر من الصّدقة بِحَسبِ وُسْعِهِ وحالِهِ ، وأن يظهر الفرح والبشاشة بِوَجه من يلقاهُ من المؤمنين ، ويجبُ تكبير التشريق في كلّ أيام العيد بدءً من صُبح يوم عرفة ، إلى صلاة العصر من رابع أيّام العيد ، وهذه التكبيرات سُمّيَتْ تكبيرات التشريق تُؤدَّى بعد الصلوات الخمس ، إذا كنتَ مفْرِدًا في الصلوات ، أو في جماعة ، رجلاً ، أو امرأةً ، مقيمًا أو مسافرًا ، ويُسنّ زيارة القبور في العيد .

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا كَانَتْ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ :

((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ مُتَوَاعِدُونَ غَدًا أَوْ مُوَاكِلُونَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

وكان يقرأُ سورة يس ، وبعض الصالحين كان يدعو فيقول : اللهمّ ربّ هذه الأجساد الباليَة ، والعِظام النّخِرة التي خرجَت من الدنيا ، وهي بك مؤمنة ، أدْخِل عليها روحًا منك ، وسلامًا منَّا .

الأضحيَة



أيها الإخوة الأكارم ؛ بقيَ موضوعٌ صغير ، وهو موضوع الأضحيَة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ وَجَدَ سَعَةً فَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا))

[أخرجه الحاكم]

حملَ بعض الفقهاء هذا الحديث على أنّه واجبٌ ، وبعضهم حملَهُ على أنّه سنّة مؤكّدة ، على كلٍّ أن تُضحِّي بِكَبشٍ أبْيَضَ كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام في عيد الأضحى المبارك هو أمْرٌ بين السنّة المؤكّدة ، وبين الواجب .

وحكمة الأُضْحِيَة أنّها تُوسّعُ على فقراء المسلمين ، وتوسِّعُ على العِيال ، فهي واجبةٌ على المسلم الحرّ المقيم الموسِر ، وحكمتها التَّوْسِعة على العِيال والأقارب ، وفقراء المسلمين ، ووقتُ وُجوبها أيّام التشريق الثلاثة ، من بعد صلاة العيد إلى غروب شمس ثالث يوم من أيّام العيد ، ولا يجوز النّحر قبل الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلّم من ذبح قبل الصلاة فلْيُعِد ذبيحته ، والذّبحُ في الليل مكروه تنْزيهًا ، والأضحيَة أفضلُ من التّصدّق بثَمنها ، وهذا كلامٌ دقيق ، لأنَّك إذا قدَّمْتَ إلى فقير مالاً ، قد يكون أولادهُ وأهله يتضوّرون جوعًا ، أو يشتهون أن يأكلوا اللّحم ، ماذا فعَلَ الفقير بهذا المال؟ سدَّ به دَيْنهُ ، أو قضى به بعض حوائجه التي لا علاقة لها بالطعام والشراب ، إنَّك إذا قدَّمت اللّحم إلى هذا الفقير وصل هذا اللّحم إلى بُطون أولاده وأهله .

الدعاء :

اللهمّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيْت ، وتولَّنا فيمن تولّيْت ، وبارك اللّهم لنا فيما أعْطيت ، وقنا واصْرف عنَّا شرّ ما قضَيْت فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنَّه لا يذلّ من واليْت ، ولا يعزّ من عادَيْت ، تباركْت ربّنا وتعاليْت ، ولك الحمد على ما قضيْت نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك ، اللهمّ أعنا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحفظ اللّسان ، اللهمّ هب لنا عملاً صالحًا يقرّبنا إليك ، اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنّا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارضَ عنَّا ، وأصْلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصْلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصْلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجْعل الحياة زادًا لنا من كلّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلّ شرّ ، مولانا ربّ العالمين ، اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك ، اللهمّ لا تؤمنَّا مكرك ، ولا تهتِك عنَّا ستَرَك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهمّ إنَّا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السَّلْب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهمّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقّ والدِّين ، وانصر الإسلام ، وأعزّ المسلمين ، وخُذ بيَدِ وُلاتهم إلى ما تحبّ ، وترضى ، إنَّه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

6-4 أدعية عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيَّته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر.

وأشهد أن سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٍ بخبر.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذرِّيته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحج عرفة :

أيها الأخوة المؤمنون، ركن الحج الأكبر هو الوقوف بعرفة، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((الحج عرفة))

[الترمذي و أبو داود عن النعمان بن بشير]

لذلك أيها الأخوة، يعدُّ يوم عرفة يوم اللقاء الأكبر بين العبد المنيب المشتاق وبين الربِّ الرحيم التوَّاب، فيوم عرفة يوم المعرفة، ويوم عرفة يوم المَغفرة، ويوم عرفة يومٌ تتنزَّل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسموات.

يوم عرفة يوم المعرفة والمَغفرة :

وقد قيل: من وقف في عرفات ولم يغلب على ظنِّه أن الله قد غفر له فلا حجَّ له، وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من أيامٍ عند الله أفضل من عشر ذي الحجَّة. فقال رجلٌ: هنَّ أفضل أم عدَّتهن جهاداً في سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هنَّ أفضل من عدَّتهنَّ جهاداً في سبيل الله، وما من يومٍ أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، يقول: انظروا عبادي جاؤوني شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوني من كل فجٍ عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم يُر يومٌ أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة))

[صحيح ابن حبان قريبا منه عن جابر رضي الله عنه]



وروى ابن المبارك عن سفيان الثوري عن الزبير بن علي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

((وقف النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعرفات وقد كادت الشمس تثوب فقال: يا بلال أنصت لي الناس، فقام بلالٌ فقال: أنصتوا لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فأنصت الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: يا معشر الناس أتاني جبريل عليه السلام آنفاً فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله عزَّ وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام، وضمن عنهم التبِعات، فقام عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله هذه لنا خاصَّة؟ فقال: هذه لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب))

[ابن المبارك عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

وروى الإمام مسلمٌ وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ))

[مسلم عن عائشة]

أرادوا المغفرة.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلا أَدْحَرُ وَلا أَحْقَرُ وَلا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَمَا ذَاكَ إلا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إلا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلائِكَةَ))

[مالك عن عبيد الله بن كريز]

أي يقودهم، وروى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))

[الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

أيها الأخوة الكرام، يروى عن الحسن المروزي قال: "سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة، فقال: لا إلا الله لا شريك له، فقلت له: هذا ثناءٌ وليس بدعاء، فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحارث هو تفسيره".

القصَّة التالية قانون إلى يوم القيامة :

أيها الأخوة الكرام، سيدنا يونس – عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام– وجد نفسه فجأةً في بطن حوت، كيف دعا الله عزَّ وجل؟

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 87]

هذا دعاء، والدليل:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾

[سورة الأنبياء: 88]

وانتهت القصّة، وجاء التعقيب ليجعلها قانوناً إلى يوم القيامة مع كل مؤمن:

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 88]

هل هناك مصيبةٌ أكبر من أن ترى نفسك في بطن الحوت؟ في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة الليل الأليَل، وفي ظلمة البحر، وتنادي وأنت في بطن الحوت..

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 87]

الثناء أيها الأخوة دعاء، والدليل:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾

[سورة الأنبياء: 88]

وجعل الله هذه القصَّة قانوناً إلى يوم القيامة..

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 88]

المظلوم والمضطر يُستجاب لهما :

أيها الأخوة الكرام، المؤمن إذا دعا ربَّه مضطراً فإن الله تعالى يجيبه، لا بحسب حال الداعي بل بحسب رحمة المدعو، والمظلوم إذا دعا الله عزَّ وجل يستجيب له، لا بحسب حال الداعي ولكن بحسب عدل الله عزَّ وجل.

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عباس]



المظلوم والمضطر يُستجاب لهما ولو لم يتوافر فيهما شروط الدعاء، لأن المظلوم يستجيب الله له لا بحسب حال الداعي بل بحسب عدل الله عزَّ وجل، والمضطرُّ يُستجاب له لا بحسب حال الداعي بل بحسب رحمة الله عزَّ وجل.

يا رب.. حينما قال الله عزَّ وجل لموسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

[سورة طه : 43-44]

قال أحدهم: يا رب إذا كانت هذه رحمتك بمن قال:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات: 24]

فكيف رحمتك بمن قال: سبحان ربي الأعلى؟ إذا كانت هذه رحمتك بمن قال:

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾

[سورة القصص: 38]

فكيف رحمتك بمن قال: لا إله إلا الله؟

الباقيات الصالحات :

أيها الأخوة الكرام، لا يسع الحاجَّ بعد أن أصاب من عرفات وقد حصل له هذا اللقاء الأكبر، وأشرقت في نفسه أنواره، واصطبغت نفسه بصبغة الله، لا يسعه وقد ذكر فضل الله عليه عند المشعر الحرام، ذكره وشكره على نعمة الهُدى والقُرب، لا يسعه وقد عبَّر تعبيراً رمزياً عن عداوته للشيطان برمي جمرة العقبة، لا يسعه بعد أن لبَّى دعوة ربِّه وحظي بقربه، ورأى طرفاً من جلال ربِّه وكماله، لا يسعه إلا أن يكبِّر الله على نعمة الهدى، والقبول، والقرب، لذلك قطع النبي صلى الله عليه وسلَّم التلبية بعد رمي جمرة العقبة والحلق وبدأ بالتكبير وقال: " الله أكبر". وغداً نكبِّر إن شاء الله.

الله أكبر أيها الأخوة، مع أخواتها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، هي الباقيات الصالحات، لقوله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾

[سورة الكهف: 46]

أيها الأخوة الكرام، المرء إذا سبَّح الله حقيقةً، وحمده حقيقةً، ووحدَّه وكبَّره فقد عرفه، وإذا عرفه أطاعه، وإذا أطاعه استحقَّ جنَّته، وما عند الله خيرٌ وأبقى من الدنيا.

معنى الله أكبر :

الله أكبر أيها الأخوة، نفتتح بها الأذان، ويختم بها الأذان، ليشعر المسلم وهو يسمع الأذان، وهو منغمسٌ في عمله وتجارته أن ما عند الله حينما يمتثل العبد أمره بتلبية النداء أكبر من كل شيءٍ بين يديه مهما يكن كبيراً، ما معنى الله أكبر يفتتح بها الأذان؟ الله أكبر من كل شيءٍ بين يديك مهما كان كبيراً، والله أكبر نفتتح بها صلاتنا، ونرددها في أثناء الصلوات الخمسة ما يزيد عن مئتي وخمسين مرَّة في اليوم الواحد .



وقد أصاب بعض الفقهاء حينما عدَّها أقرب إلى الشرط منها إلى الرُكن، الشرط مستمر، كيف أن الطهارة ينبغي أن تكون مستمرَّة، وكيف أن استقبال القبلة ينبغي أن يكون مستمرَّاً، فالتكبيرة عدَّها بعض الفقهاء شرطاً، ينبغي أن تستحضر عظمة الله طوال الصلاة.

أيها الأخوة الكرام، والله أكبر نردِّدها عقب انتصارنا على أنفسنا في عيد الفطر السعيد، ونردِّدها عقب انتصارنا على أنفسنا وتلبيه دعوة ربنا في الحج عقب عيد الأضحى المبارك..

((إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

والله أكبر يردِّدها المؤمن السالك إلى الله، فتعني عنده أنه كلَّما كُشِفَ له جانبٌ من عظمة الله، جانبٌ من قدرته، جانبٌ من رحمته، جانبٌ من إكرام الله له، تعني عنده أن الله أكبر مما رأى، الإمام الشافعي يقول: " كلَّما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي ".

مجمل القول أيها الأخوة أن المؤمن مهما ازداد معرفته بربِّه فالله أكبر مما عرف، والعبرة كل العبرة لا في ترديد لفظها؛ بل في معرفة مضمونها.

والله الذي لا إله إلا هو، وغداً تردِّدونها جميعاً عقب الصلوات الخمسة في كل أيام عيد الأضحى المبارك، والله الذي لا إله إلا هو لو أطعت مخلوقاً وعصيت الخالق ما قلتها ولا مرَّة ولو ردَّدتها بلسانك ألف مرَّة، لأنك رأيت الذي تطيعه أكبر من الله.

والله الذي لا إله إلا هو، لو أرضيت أهل بيتك وعصيت الله عزَّ وجل ما قلتها ولا مرَّة ولو ردَّدتها بلسانك ألف مرَّة، لأنك رأيت واهماً أن إرضاء الزوجة أكبر من إرضاء الله، امرأةٌ طلبت من زوجها في عهد الصحابة الكرام، من صحابيٍ جليل حاجةً لا يطيق تأمينها فقال لها: اعلمي أيتها المرأة أن في الجنَّة من الحور العين ما لو أطلَّت إحداهنَّ على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بكِ من أجلهن أفضل من أن أضحي بهنَّ من أجلك.

لو أن إنساناً غشَّ المسلمين وعصى خالق الأكوان، والله ما قالها ولا مرَّة، ولو ردَّدها بلسانه ألف مرَّة، لماذا؟ لأنه رأى أن هذا المبلغ – مهما كان كبيراً – الذي حصَّله من غشِّ المسلمين، ومن ابتزاز مالهم، ومن الاحتيال عليهم، أكبر عنده من طاعة الله.

لماذا ضعف المسلمون؟ لأن الكلمات التي يردِّدونها فُرِّغَت من مضمونها، لا مضمون لها، هذه الله أكبر لو ردَّدناها كما أراد الله عزَّ وجل، والله لأزلنا بها الجبال، لأزلنا بها الجبال، أما حينما نضعف أمام أعدائنا، حينما يقوى أعداؤنا علينا، ما رددناها ولا مرَّة ولو قلناها بلساننا ألف مرَّة.

امتثال إبراهيم لربه أعلى درجة من درجات العبوديَّة لله :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في موضوع الحج، في بيت الله الحرام آياتٌ بيِّنات مقام إبراهيم، أي أن هناك آيات كثيرة في مقام إبراهيم من هذه الآيات– آياتٌ كثيرة وجاءت جمعاً – من هذه الآيات البينات في مقام إبراهيم أنه أُمِرَ أن يذبح ابنه الوحيد إسماعيل وهو في سنِّ الشباب..

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾

[سورة الصافات: 102]

وأبوه شيخٌ كبير، وزوجته عاقر، لم يتباطأ في التنفيذ، ولم يدعُ الله أن يرحم شيخوخته كما نفعل نحن، وأن يعفو عن ابنه، وعلى الرغم من قسوة الابتلاء فقد شرع في التنفيذ، أن يقدم الإنسان على ذبح ابنه الوحيد الشاب، والأبُ شيخٌ كبير، والزوجة عاقر لا تنجب، إن من يفعل هذا يحبُّ الله حُبَّاً يفوق الدنيا وما فيها، حبَّاً أعلى من كل حبّ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))

[البخاري عن أنس]

هذا ابتلاءٌ حاد ما كُلِّف به المؤمن، ولكن نستفيد من هذه القصَّة، أنه لو استقبلنا كل حكمٍ من الله بالرضى نأخذ ثواب الطاعة لأمر الله ويرفع الله عنَّا القضاء..

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الصافات: 103-106]

الله عز وجل رحيم بالمؤمنين :

لعلَّ هذه القصَّة أيها الأخوة لا تفعل فعلها في نفوسنا لسببٍ بسيط هو أننا عرفنا النتيجة، أن الله فداه بذبحٍ عظيم، ولكن حينما أمره أن يذبح ابنه لم يكن الفداء وارداً إطلاقاً، لذلك قال:

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

[سورة الصافات: 106]

أيها الأخوة الكرام، نستفيد من هذا..

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلى القضا

وابشر بخيـر عاجل تنسى به ما قد مضى

فلرب أمر مسخط لك في عواقبــه رضا

ولربما ضاق المضيق ولربما اتســع الفضا

اللــه يفعل ما يشاء فلا تكـن معترضا

الله عودك الجميـل فقس على ما قد مضى

* * *

هذا الأمر أيها الأخوة يعدُّ امتثاله أعلى درجة في العبوديَّة لله عزَّ وجل، لكن الله عزَّ وجل يرحم المؤمنين، ما كلَّفهم بمثل هذا الأمر، كلَّفهم أن يصلوا، كلَّفهم أن يغضوا بصرهم، كلَّفهم أن يصدقوا، أن يكونوا أمناء، كلَّفهم ما يطيقون ومع ذلك هم مقصِّرون.

من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً :

أيها الأخوة الكرام، حينما يقبل المؤمن على تنفيذ أمر الله وهو يرى رؤيةً قاصرة أن تنفيذ هذا الأمر يضرُّ بمصالحه الماديَّة والمعنويَّة، لكنَّه يؤثر طاعة الله والقرب منه على دنياه، عندئذٍ ينال ثواب الطاعة وسعادة القرب .

وبقانونٍ خفي لا نعرفه تتحقَّق مصالحه الدنيويَّة في أعلى مستوى، وهذا معنى القول المأثور: " من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً ".

أيها الأخُ الكريم، إذا كلَّفك مساوٍ لك، ندّ لك إذا أمرك بأمرٍ تسأله دائماً: لماذا أفعل هذا؟ ولكن إذا أمرك الله جلَّ جلاله، خالق السموات والأرض، العليم الحكيم، الرحمن الرحيم، إذا أمرك الله أمراً ينبغي أن تأخذ أمره بالطاعة، بمقدار ثقتك في علمه، ورحمته، وحكمته، فالله جلَّ جلاله لا يريدُ لنا إلا الخير، ولا يقضي لنا إلا بالخير، وكلَّما قصر الفكر البشري عن إدراك الخير كان الخير أضخم وأكبر، لأن الخير في هذه الحالات أكبر من أن يدركه الإنسان.



امتثال إبراهيم لربه أعلى النصر لا يتم إلا بالعودة إلى الله :

درجة في العبوديَّة لله : ما يجري في العالَم الإسلامي من قتلٍ، وتنكيلٍ، وتجويعٍ، وإذهابٍ للثروات، لعلَّ الله سبحانه وتعالى، لعلَّ هذه الآية تنطبق علينا، معشر المسلمين في شتَّى بِقاع الأرض:

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

[سورة القصص: 5-6]

ولكن لابدَّ من عودةٍ إلى الله، لابدَّ من صلحٍ مع الله، لابدَّ من إنابةٍ إليه، لابدَّ من أن نقيم الإسلام في بيوتنا، لابدَّ من أن نقيم الإسلام في أعمالنا، لابدَّ من أن نستقيم على أمره، قال تعالى:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة: 216]

فقرات من خطبة النبي في حجة الوداع :

1 . الإنسانيَّة متساويةٌ في القيمة :

أيها الأخوة الكرام، في يوم عرفة – ونحن في يوم عرفة – خطبة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم في حجَّة الوداع خطبةٌ جامعةٌ مانعةٌ، تضمَّنت مبادئ إنسانيَّة، سيقت في كلماتٍ سهلةٍ سائغة، كيف لا وقد أوتي جوامع الكَلِم؟ لقد استوعبت هذه الخطبة جملةً من الحقائق التي يحتاجها العالَم اليوم الشارد المعذَّب ليرشُدَ ويسعد.



أيها الأخوة الكرام، من فقرات هذه الخطبة الجامعة المانعة، أن النبي صلى الله عليه وسلَّم أشار فيها إلى أن الإنسانيَّة متساويةٌ في القيمة في أي إهابٍ تبرز – هذه قضية تطهير عرقي، قضية الذبح على الهوية هذه من جاهليَّات هذا العصر – إن الإنسانيَّة متساوية القيمة في أي إهابٍ تبرز، على أية حالةٍ تكون، وفوق أي مستوى تتربَّع: "أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلُّكم لآدم وآدم من تراب..

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 13]

ليس لعربيٍ فضلٌ على أعجمي إلا بالتقوى، اللهمَّ هل بلَّغت اللهمَّ فاشهد"، هذه فقرة، هذه جاء بها النبي قبل أن يتكلم العالَم الغربي بحقوق الإنسان، البشريَّة كلُّها متساوية؛ بأي إهاب، من أي لون، من أي مستوى، من أي حرفة..

((وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

[مسلم عن عائشة]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام، مرَّةً قال أحدهم في عهد النبي: يا بن السوداء، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))

[متفق عليه عن الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ]

كان يضعُ أسامة بن زيد وكان أسود اللون، أفطس الأنف، يضعه في حجره، ويشمه، ويقبِّله، وكان حِبّ النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان الصّدّيق رضي الله عنه يضع يده تحت إبط بلال ويقول: "هذا أخي حقَّاً ".

وكان الصحابة إذا ذكروا الصّدّيق قالوا: " هو سيدُنا، وأعتق سيّدَنا " بلالاً.

وخرج عمر بن الخطَّاب وهو خليفة المسلمين إلى ظاهر المدينة لاستقبال بلال، هكذا الدين:

((سلمان منَّا أهل البيت))

[الحاكم والطبراني عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده]

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾

[سورة المسد: 1]

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 13]

هذه أول فقرةٍ في خطبة حجَّة الوداع.

2 . ابتعاد النفس الإنسانية عن الحرام :

والنفس الإنسانيَّة أيها الأخوة ما لم تكن مؤمنةً بربّها، مؤمنةً بوعده ووعيده، مؤمنةً بأنه يعلم سرَّها وجهرها.



لأن النفس الإنسانيَّة تدور حول أثرتها، ولا تبالي بشيءٍ في سبيل غايتها، فربَّما بنت مجدها على أنقاض الآخرين، ربَّما بنت غناها على فقرهم، ربَّما بنت عزَّها على ذلّهم، ربَّما بنت حياتها على موتهم، كما يجري الآن في أطراف العالَم الإسلامي، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجَّة الوداع:

((... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ، ... إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...))

[رواه أحمد عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ]

كم دعوى في قصر العدل موضوعها اغتصاب مال من قِبَل المسلمين بعضهم مع بعض؟ آلاف الدعاوى؛ آلاف الدعاوى أساسها اغتصاب بيتٍ، أو أرضٍ، أو مالٍ، أو شركةٍ، أو دكَّانٍ، أو محلٍ، أو وكالةٍ..

((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا))

[مسلم عن أبي بكرة عن أبيه]

3 . نبذ الربا :

أيها الأخوة الكرام، فقرةٌ ثالثة من فِقرات خطبة حجَّة الوداع، المال قِوام الحياة، وينبغي أن يكون متداولاً بين كل الناس، وأنه إذا ولد المالُ المالَ من دون جهدٍ حقيقي يسهم في إعمار الأرض، وإغناء الحياة، عندئذٍ تجمَّع المالُ في أيدٍ قليلة، وحُرِمَت منه الكثرة الكثيرة، عندها تضطرب الحياة، ويظهر الحقد، و يُلْجَأ إلى

العُنف، ولا يلد العنفُ إلا العنف، والربا يسهم بشكلٍ أو بآخر في هذه النتائج المأساويَّة التي تعود على المجتمع البشري بالويلات، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجَّة الوداع:

((أَلا إِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ أَلا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ - أي أسقطه - رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ..))

[الدارمي عن أبي حرَّة الرقاشي]

4 . المساواة بين الرجل و المرأة :

الفقرة الرابعة في خطبة حجَّة الوداع: النساء شقائق الرجال، ولأن المرأة مساويةٌ للرجل تماماً من حيث أنها مكلَّفةٌ كالرجل؛ بالعقائد، والعبادات، والمعاملات، والآداب، والأخلاق، ومساويةٌ له تماماً من حيث استحقاقها الثواب و العقاب، مساويةٌ له تماماً في التشريف والتكريم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجَّة الوداع: " اتقوا الله بالنساء واستوصوا بهنَّ خيراً اللهمَّ هل بلَّغت اللهمَّ فاشهد".

5 . العودة إلى منابع الإسلام :

ثمَّ يتابع النبي صلى الله عليه وسلَّم خطبته فقال:

أيها الناس:

((وَيْلَكُمْ لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))

[مسلم عن عبد الله بن عمر]

" أيها الناس إنَّ الشيطان يئس أن يُعْبَد في أرضكم هذه، ولكنَّه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم فاحذروه على دينكم، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيّناً كتاب الله وسُنَّة نبيِّه".

فالأنهار وليكن نهر بردى، له نبع ماء صافٍ عذب كالزلال، وله مصب مياه سوداء، محصِّلة المجاري، مياه مالحة سوداء قاتمة، إن أردت أن تشرب عليك أن تذهب إلى النبع، ونبع الإسلام الكتاب والسُنَّة، نبع الإسلام ما كان عليه النبي وأصحابه - ما أنا عليه وأصحابي - نبع الإسلام القرون الثلاث الأولى التي شهد الله لها بالخيريَّة، وأي إضافةٍ، وأي تعديلٍ، وأي تبديلٍ، وأي حذفٍ، وأي تأويلٍ، وأي شدٍ للنص، وأي ليّ لعنق النص هذا من البدع التي ما أرادها الله عزَّ وجل..

((كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلُّ ضلالَةٍ فِي النَّارِ))

[الترمذي عن جابر بن عبد الله]

إلى أن أصبح الإسلام فلكلوراً، رقصاً، رُقِصَ في هذا المسجد، أصبح الإسلام فلكلوراً؛ تقاليد، عادات، ولائم، أناشيد، أما كمنهج قويم يهدي إلى الطريق المستقيم فهذا ما ينقص المسلمين.

أيها الأخوة الكرام، قال أصحاب النبي بعد أن قال:

((وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ))

[مسلم عن جابر بن عبد الله]

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا.. الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ، والحمد لله رب العالمين

مشروعية الأضحية :

أيها الأخوة الكرام، الأضحيَّة شعيرةٌ من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك، مشروعيَّتها أن الإمام أحمد وابن ماجه رويا عن أبي هريرة رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال، دقِّقوا في قول النبي – لا ينطق عن الهوى –:

((مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلانَا))

[ابن ماجة عن أبي هريرة]

استنبط الأحناف من هذا الحديث الشريف أنها واجبة، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير واجب، وقال غير الأحناف: إنَّها سُنَّةٌ مؤكَّدة ولهم أدلَّتهم.

هي واجبةٌ مرَّةً في كل عام على المسلم الحر البالغ العاقل المقيم الموسر، ومن حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله تعالى من إراقة الدم – أي الأضحية – إنَّها – الأضحية – لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإنَّ الدم ليقع من الله عزَّ وجل بمكانٍ قبل أن يقع على الأرض تطيب بها نفساً))

[رواه ابن ماجه والترمذي عن عائشة]

ومن حديثٍ أنسٍ رضي الله عنه قال:

((ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا))

[البخاري عن أنس]

الحكمة من الأضحية :

وحكمتها أن المسلم الموسر يعبِّر بها عن شكره لله تعالى، على نعمه المتعدِّدة منها نعمة الهدى، ومنها نعمة البقاء على قيد الحياة من عامٍ إلى عام:

((خيركم مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))

[الترمذي عن أبي بكرة عن أبيه]

ومنها نعمة السلامة والصحَّة، ومنها نعمة التوسعة في الرزق، وهذا العمل التعبدي تكفيرٌ لما وقع من الذنوب، وتوسعةٌ على أسرة المُضَحِّي، وأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه، وفقراء المسلمين.

شروط الأضحية :

من شروطها بل من شروط وجوبها: اليسار، أي الغنى، فالموسر هو مالك نصاب الزكاة زائداً عن حاجاته الأساسيَّة، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيَّام العيد، الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيَّام العيد عدَّه بعض الفقهاء موسراً، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية خلال العام كلِّه، هذا على اختلاف بعض المذاهب في تحديد معنى الموسر.


ينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب

وينبغي أن يكون الحيوان المضحَّى به سليماً من العيوب الفاحشة، كالتي تؤدِّي إلى نقصٍ في لحم الذبيحة، أو تضرُّ بآكلها، فلا يجوز أن يضحي بالدابَّة البيّن مرضها، ولا العوراء، ولا العرجاء، ولا العجفاء، ولا الجرباء، ويُستحبُّ في الأضحية أسمنها وأحسنها، وكان صلى الله عليه وسلَّم يضحي بالكبش الأبيض الأقرن.

وقت الأضحية :

وقت النحر – نحر الأضحية – بعد صلاة عيد الأضحى وحتَّى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام النحر، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول ما بعد صلاة عيد الأضحى وقبل زوال الشمس، يُكره تنزيهاً الذبح ليلاً.

ولا تصحُّ الأضحية إلا من النَعَم؛ من الإبل، والبقر، والغنم من ضأنٍ ومعزٍ، بشرط أن يتمَّ الضأن ستَّة أشهرٍ، وأن تتمَّ المعز سنةً كاملةً عند بعض الأئمَّة، ويجزئ المسلم أن يضحي بشاةٍ عنه وعن أهل بيته المقيمين معه، والذين ينفق عليهم، وهم جميعاً مشتركون في الأجر.

مندوبات الأضحية :

من مندوبات الأضحية: أن يتوجَّه المضحي نحو القبلة، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه، وأن يقول: بسم الله والله أكبر، اللهمَّ هذا منك وإليك، اللهمَّ تقبَّل مني ومن أهل بيتي.

وله أن يوّكل غيره وعندها يستحبُّ أن يحضر أضحيَّته، لقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم:

((قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لكِ عند أول قطرة من دمها))

[الترغيب والترهيب عن أبي سعيد]

ويُستحبُّ أن يوزعها أثلاثاً فيأكل هو وأهل بيته الثُّلث، ويهدي لأقربائه وأصدقائه وجيرانه الثُّلث، ويتصدَّق بالثلث الأخير على الفقراء والمساكين من المسلمين..

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾

[سورة الحج: 36]

* * *

الكعبة مركز العالمين القديم والحديث :

أيها الأخوة الكرام، بيت الله الحرام مركزٌ لدائرةٍ تمرُّ بأطراف قارات العالمَيْن القديم والجديد، الكعبة المشرَّفة مركزٌ لدائرةٍ تمرُّ بأطراف قارات العالمَين القديم والجديد، والأرض اليابسة موزَّعةٌ حول بيت الله الحرام بصورةٍ منتظمة، هذه الحقيقة أكَّدتها أحدث الدراسات العلميَّة لمركز البحوث الفلكيَّة في أحد الأقطار العربيَّة الشقيقة، وذلك باستخدام الحاسب الآلي في حساب المسافات بين مكَّة وعددٍ من المدن التي تقع في أطراف العالمَين القديم والحديث.



وقد ثبت بعد الحسابات التي أجريت على الحاسب الآلي أن أقصى أطراف الأرض في إفريقيا وأوروبا وآسيا – وهذا هو العالَم القديم – تقع على مسافة ثمانية آلاف كيلو متر من مكَّة المكرَّمة، أطراف العالَم القديم في قارة إفريقيا وأوروبا وآسيا، هذه القارات القديمة أطرافها تقع على بعد ثمانية آلاف كيلو متر من مكَّة المكرَّمة.

أيها الأخوة، وتقع على مسافة ثلاثة عشرَ ألف كيلو متر من مكَّة المكرَّمة للعالَم الجديد – أستراليا والأمريكتان – إذاً هي مركز العالَم القديم والجديد معاً، أطراف العالَم الجديد ثلاثة عشر ألف كيلو متر، أي مدينة في طرف هذا العالَم تبعد عن مكَّة المكرَّمة، والعالَم القديم ثمانية آلاف.

بحسب هذه الدراسة تبيَّن أن بيت الله الحرام هو المركز الهندسي لليابسة، وهذه من آيات الله الدالَّة على عظمته..

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾

[سورة آل عمران: 96-97]

الدعاء :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه الطيبين الطاهرين.

والحمد لله رب العالمين

7-4 رمي الجمرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً بمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير .

مناسك الحج :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ وصلنا في مناسك الحج في الجمعة الماضية إلى عرفات ، وبينت أن الحج كما قال عليه الصلاة والسلام :

((الحجُّ عرفةُ))

عرفة ؛ بمعنى أن الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم ، وأن عرفة أعني أن تعرف الله سبحانه وتعالى ، وأن الوقوف بعرفة لقاء أكبر مع الله سبحانه وتعالى .

رمي الجمرات :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ويلتقط الحاج من مزدلفة سبعة حصيات ، ليحذف بها جمرة العقبة ، والسنة أن تكون الحصيات صغيرات ، بحجم الحنطة ، أو أكبر قليلاً ، ولا يجوز الرمي بشيء فوق هذا الحجم ، وما يفعله الحجاج ، أو وما يفعله بعض الحجاج من رمي الجمرة بأشياء ، وحاجات ، ومتاعاً فوق هذا الحجم فإنه لا يجوز ، وإن حوادث مؤسفةً تقع في كل عام بسبب جهل الحجاج ، وقد قيل : تفقهوا قبل أن تحجوا .

أيها الإخوة الأكارم ؛ رمي الجمار في الأصل ، تعبير رمزي عن أن الحاج الذي أشرقت نفسه بنور المعرفة في عرفات ، وزكت بنفحات القرب عند جبل الرحمة إن رمي الجمار تعبير عن حالة الحاج الذي استنار بنور الله ، وتفتحت بصيرته فرأى الحق حقاً ، والباطل باطلاً ، إن رمي الجمار تعبير عن معاداة الشيطان .



رمي الجمار تعبير عن معاداة الشيطان

أيها الإخوة الأكارم ؛ مناسك الحج ، أفعال مادية ، إن لم تكن هناك حالات نفسية تقابلها فلا معنى لها ، أفعال مادية مناسك الحج ، يجب أن يقابل كل فعل مادي منها حالة نفسية داخلية ، فرمي الجمار بلا حالة نفسية لا معنى له ، ما الفرق بين الطقس والعبادة ، في الديانات الوثنية هناك طقوس ، يعني أعمال لا معنى لها ، ليست معقولة ، ليست هادفة ، ليست مفسرة ، ولكن العبادات كما قلت في الخطبة السابقة معللة بأهداف نبيلة .

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

[سورة العنكبوت الآية : 45]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 183]

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

[سورة التوبة الآية : 103]

التفقه شرط أساسي للعبادات :

فمناسك الحج من دون أن تفقه المراد منها ، من دون أن تفقه سر التشريع فيها ، من دون أن تملك الحالة النفسية التي يجب أن ترافقها ، إن مناسك الحج من دون هذا كله لا معنى له ، فرمي الجمار من ترمي ؟ إن رمي الجمار تعبير عن معاداة الشيطان ومحاربته ، بعد ماذا ؟ بعد أن حصلت المعرفة ، فلا سلطان للشيطان على الحاج بعد اليوم ، من ذهب إلى الحج ، وعاد من الحج ، ولا يزال الشيطان متمكناً منه ، ولا يزال للشيطان سلطان عليه فكأنه لم يحج .

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾

[سورة إبراهيم الآية : 22]

إذاً أيها الأخ الكريم ، وأيها الحاج الكريم ، اعلم أنك في الظاهر كما يقول أبو حامد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان ، وتقصم ظهره ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله عز وجل ، يعني :

لو أن حاجاً التقت سبع حصيات وفق السنة المطهرة ، وطبق مناسك الحج واحدةً واحدة ، ورمى بهذه الحصيات جمرة العقبة ، وعاد إلى بلده ، واتبع الشيطان فو الله الذي لا إله إلا هو ما رمى الشيطان ، لا يكون رمي الجمار صحيحاً إلا إذا امتثلت أمر الله سبحانه وتعالى ليس في الإسلام شكليات ، ليس في الإسلام طقوس ، ليس في الإسلام أعمال لا معنى لها ، حينما كان المسلمون يفقهون سر التشريع ، ويعرفون علة الأوامر ، وعلة النواهي ، ويعرفون حكمة أوامر الله عز وجل فتحوا العالم .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي ﴾

[سورة النور الآية : 55]

أما إذا طبقت العبادات تطبيقاً شكلياً ، صلينا وعصينا ، صمنا وانتهكنا ، حججنا وفرطنا ، حينما نكون كذلك فقرأ على هذه الأمة السلام .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

[سورة مريم الآية : 59]

إذاً كما قال الإمام الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان ، وتقصم ظهره ، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى .

الهدي :

وبعد رمي الجمار ، ينحر الحاج الهدي ، هدية لله عز وجل .

أما أن تأتي بالشاة فتذبحها وتلقي بها في الطريق لتصبح جيفة تملئ ما حولها رائحة نتنة ، ليس هذا من مناسك الحج ، ما هكذا شرع الله سبحانه وتعالى ما المقصود أن يصل هذا الطعام إلى أكباد جائعة ، أما أن تذبح وتهدر ما يزيد عن أربعة آلاف ليرة في الطريق ، لتصبح جيفاً تملئ الجو رائحة نتنة ليس هذا من مناسك الحج ، يجب أن يبلغ الهدي محله ، أين محله ؟ الأكباد الجائعة ، مناسك الحج معللة بأهداف نبيلة ، أما حينما جهل الناس حكمة المناسك ، وفعلوا شكليتها ، وفعلوها من دون تعمق ، من دون فهم ، صارت مناسك الحج مساراً للنقد عند غير المسلمين ، مقالات تنشر ، فيها انتقاد لاذع لمناسك الحج التي يقوم بها المسلمون من دون أن يفهموا حكمة دينهم ، وبعدها ينحر الحاج الهدي ، هدية لله عز وجل ، وتعبيراً عن شكره ، لما من الله عليه من نعمة الهدى ، كأن الهدي مشتق من الهدى ، أو من الهدية ، هو هدية لله عز وجل ، تعبيرٌ وشكرٌ على نعمة الهدى .



وضع الأسماء شيء دقيق جداً ، الزكاة تزكو بها النفس ، الصلاة صلة ، الحج حجة ، تملك الحجة لأنك رأيت الحق حقاً والباطل باطلاً ، رأيت بنور الله حقيقة الحياة ، وحقيقة الوجود ، وعرفت سر مجيئك إلى الدنيا، وعرفت أثمن ما في الدنيا ، وعرفت أن القرب من الله هو كل شيء ، وأن طاعته أثمن شيء ، وأن الجنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ إذاً ينحر الحاج الهدي هدية لله عز وجل وتعبيراً عن شكره لما منّ الله عليه من نعمة الهدى والمعرفة ، وتأكيداً لذبح شهواته التي هي حجاب بينه وبين ربه ، ونحر رغباته التي لا ترضي الله عز وجل .

الحلق :

وبعدها يحلق الحاج أو يقصر ، وقد روى البخاري ومسلم أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

((رحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، قال : رحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يا رسول الله ، قال : رحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين قال : والمقصرين))

إما أن تحلق وإما أن تقصر ، وللحلق والتقصير حكم بالغة .

التحلل :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ وبعد التحليق أو التقصير يتحلل الحاج من بعض محظورات الإحرام .

طواف الإفاضة :

وبعد طواف الإفاضة وهو الركن الأخير من أركان الحج يتحلل الحاج من كل المحظورات .

عبادة الحج :

الحج عبادة راقية ، قد ينشغل الإنسان في بلدته بدكانه ، بتجارته ، بمنصبه ، بمكانته ، بوجاهته ، بماله ، بقضاء أوقات فراغه في متع مباحة على حد تعبير بعضهم ، وهو غافل عن الدار الآخرة .



حينما يترك بلده ، ويترك بيته ، ويترك زوجته ، ويترك أولاده ويترك مكانته ، ويترك منصبه ، ويترك وجهاته ، ويأتي إلى بيت الله الحرام ، أشعث أغبر ، لا يعرفه أحد ، يرتدي ثياباً بسيطة ، ليست مخيطة، الوزير والخفير على حدٍ سواء ، الغني والفقير على حدٍ سواء ، والقوي والضعيف على حدٍ سواء ، والصحيح والمريض على حدٍ سواء ، كأن الله سبحانه وتعالى يطلعنا على يوم الحشر .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة المطففين الآية : 6]

هذه الأقنعة المزيفة ، قناع المال قناع مزيف عند الموت سوف يزول عنك ، الجاه قناع مزيف عند الموت سوف يزول عنك ، الأسرة تأنس بها ، ولكن للقبر وحشة ، أين الزوجة ، أين الولد ، أين الأهل ، أين الجيران ، الله سبحانه وتعالى ينتزعك من أهلك ، من بيتك ، من عملك من وجاهتك من مكانتك ، من رتبتك ، من منصبك ، من مالك ينتزعك إليه ، لتجرب مرةً كيف الوقوف بين يديه ، كيف تقف في وقت وفي مكان.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء الآيات : 88 . 89]

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ الحج سياحة ، ولكن إلى أين ؟ إلى الله عز وجل ، قد ينطلق الإنسان إلى مكان جميل ، حيث المتعة ، وحيث الطعام الفاخر ، وحيث المناظر الخلابة ، ولكنك في الحج تنطلق إلى الله سبحانه وتعالى ، أما هذه التلبية ، لبيك اللهم لبيك ، لا شك أنك تنادى ، أن خلي نفسك وتعال ، دع عنك هموم الحياة وتعال إلي ، دع عنك مشاغل الدنيا وتعال إلي ، دع هموماً قد تثقلك ، دع هموماً تسحق الإنسان ، تعال إلي ، خلي الدنيا وراء ظهرك ، خلي أموالها ، خلي أراضيها ، خلي تجارتها ، خلي متعها وتعال تعال إلي .

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

تقول : يا رب لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، لبيك لا شريك لك ، التلبية جواب لدعوة ، هل سمعت هذه الدعوة .

أيها الإخوة الأكارم ؛ وبعد التحليق أو التقصير يتحلل الحاج من بعض محظورات الإحرام ، وبعد طواف الإفاضة وهو الركن الأخير من أركان الحج يتحلل الحاج من كل محظورات الإحرام .

وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله :

لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت .

يطوف بالبيت ثم يقصد راجعاً إلى أهله ، ويستحب للحاج أن يدعو بدعاء ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنهما :

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي ، وسترتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك ، وأعنتني على أداء نسكي ، فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضاً ، وإلا فمن الآن فرضى عني ، قبل أن تنئى بيتك داري فهذا أوان الانصراف ، إن أذنت لي ، غير مستبدل بك ، ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ، ولا عن بيتك ، اللهم فأصحبني العافية في بدني ، والصحة في جسمي ، والعصمة في ديني، وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قدير ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا قضى أحدكم حجته فليتعجل إلى أهله))

هكذا السنة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في خطب ثلاثة بتوفيق الله عز وجل عرضت عليكم بإيجاز شديد مناسك الحج ، والحكمة التي وراء كل منسك ، أما زيارة النبي عليه الصلاة والسلام ، إلى خطبة قادمة .

الوفاء بالعهد :

أيها الإخوة الأكارم ؛ روى ابن جرير الطبري في تاريخه ، أن يزدجرد أحد ملوك الفرس كتب إلى ملك الصين يستمده ، أي يستعين به ، يطلب منه المدد خوف أن تقتحمه جيوش المسلمين ، فقال ملك الصين لرسول يزدجرد قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم ، ولكن صف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، أي ملك الصين يطلب من رسول ملك الفرس ، بعد أن أخرجه المسلمون من بلاده ، صف لي صفة القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرةً منكم ، هم قلة وأنتم كثرة ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتهم ، إلا بخير عندهم ، كيف قلة قليلة تنتصر على كثرة كثيرة ، لا بد من صفات عالية جداً لا بد من نوعية فوق الحد المعقول ، لا تغلب القلة الكثرة إلا بصفات نادرة ، أما في الأصل الكثرة تغلب القلة ، إذا تكافئ المتحاربان فالنصر للأكثر والنصر للأقوى ، ولكن قلة قليلة تغلب كثرةً كثيرة ، لا بد من سر ، صف لي هؤلاء القوم ، فقلت سلني عما أحببت ، فقال أيوفون بالعهد قلت نعم .



فيا أيها الإخوة المؤمنون ؛ بربكم المسلمون اليوم يوفون بعهدهم ، سواء عهد الله ، أو العهد فيما بينهم ، أو اتفاقاتهم فيما بينهم ، يبيعك البيت ، بيعاً قطعياً بسعرٍ مناسب هو سعر السوق وقتها ، الفراغ بعد سنة ، لا يفرغ لك البيت إلا بمئة ألف ليرة زيادة، هكذا ، لم يعجبك هذه المحاكم مفتحةً أبوابها.

أيوفون بالعهد ؟ قال نعم ، قال وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث ، إما دينهم ، يدعوننا إلى دينهم ، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم، كنا مثلهم ، في الحقوق والواجبات ، هكذا الإسلام ، لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، فإن أمنوا فهم منكم فإخوانكم في الدين ، انتهى الأمر ، ليس هناك من تفرقة ، أي إنسان مادام قد أمن فهو أخوك في الله . يا سعد : لا يغرنك أنه قيل خال رسول الله فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة ، إلا طاعتهم له .

فإن أجبناهم ، أجرونا مجراهم ، أوالجزية ، والمنعة ، ندفع لهم الجزية ، ويدافعون عنا ، يمنعوننا من أعدائنا ، مقابل شيء ، أو المنابذة القتال ، قال وكيف طاعتهم لأمرائهم ، قلت أطوع قوم لمرشدهم ، هكذا .

أبو سفيان تعجب عجباً عريضاً قال ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً ، هكذا .

يوم كنا نحب بعضنا بعضاً ، يوم كان المؤمن لا ينام الليل إذا بات أخوه جائعاً ، نحن اليوم هكذا ! هكذا اليوم نحن! .

والله لا يؤمن ، والله ما أمن ، والله ما أمن ، والله ما أمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم ، فإن قلت لا أعلم ، أقول لك من لم يتفقد أمور المسلمين فليس منهم ، نحن اليوم هكذا! كل إنسان يسعى إلى مصلحته ، فإذا أمن حاجاته فعلى الدنيا السلام ، لو مات الناس جميعاً ويحيى هو هذا هو هدفه ، هكذا الإسلام .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ فقال فما يحلون وما يحرمون ، فأخبرته أيحرمون ما أحل إليهم قال لا ، قال أيحللون ما حرم عليهم ، قال لا ، يعني منضبطون ، أوامر الله واضحة ، القرآن بين أيديكم .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

[سورة النور الآية : 30]

كم من مسلم يطبق في المئة هذه الآية .

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

[سورة البقرة الآية : 279]

كم من مسلم يطبق هذه الآية ، أيحللون ما حرم عليهم ، قال لا أيحرمون ما حلل لهم ، قال لا ، فقال فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرماتهم ، ويحرموا حلالهم ، حينما يحرموا المسلمون ما أحل لهم أو حينما يحللون ما حرم عليهم ينتهون ، قال أخبرني عن لباسهم فأخبرته ، وعن مطاياهم فأخبرته ، فقال نعمة الحصون هذه ، وكتب إلى يزدجرد ، إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو ، وآخره بالصين لجهالة ما يحق علي ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصفوا لي لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو خلي لهم وبيني لأزلوني عن ملكي ، فسالمهم وأرضهم وأرضى منهم بالمساكنة ، ولا تفجعهم ما لم يفجوعك .

يعني هذه الحقيقة الله سبحانه وتعالى معنا ، لئن أقمنا الصلاة معية الله مشروطة ، وقال الله :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾

[سورة المائدة الآية : 12]

أيها الإخوة المؤمنون : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

النوم الصحيح :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ الإنسان حينما يأوي إلى فراشه ليراقب نفسه كيف ينام ؟

1- بعض الناس ينامون على بطونهم .

2- وبعض الناس ينامون على ظهورهم .

3- وبعض الناس ينامون على شقهم الأيمن .

4- وبعض الناس ينامون على شقهم الأيسر .

مضار النوم على البطن .

فالذين ينامون على بطونهم هؤلاء يشعرون بضيق في التنفس لأن ثقل كتلة الظهر والهيكل العظمي تقع على رئتيه فضلاً عن أن هذه النومة ، نومة الشيطان .

مضار النوم على الظهر .

وبعض الناس ينامون على ظهورهم ، يستلقون هكذا ... ، كذلك التنفس من الفم ممكن ، ولكنه غير طبيعي لماذا ؟ لأنك إذا تنفست من فمك عطلت جهازاً من أدق الأجهزة ، جهاز تسخين وتصفية ، ففي الأنف سطوح متداخلة ، فيها شرايين ذوات عضلات ، إذا توسعت العضلات جاءت كمية كبيرة من الدم ، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة ولامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الأنف بفعل عضلات الشرايين عندئذٍ يسخن الهواء ويصل إلى أول القصبة في درجة 38 ، قد يكون الهواء في درجة الصفر فإذا دخل إلى الرئة صار بفعل الأنف جهاز التسخين العالي المستوى في درجة 38 ، فضلاً عن أن هذه السطوح العديدة المتداخلة ، والهواء يجب أن يسير بها هكذا ، بشكل حلزوني ، إلى أن يسخن ، هذه السطوح فيها مادة لزجة، أي غبار ، أي هباب ، أي جسم ، أي شيء يعلق بها .

ولو تصورنا أن شيئاً استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها ، أو دون أن يعلق عليها هناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة وهذه الأشياء العالقة في الهواء ، يعني أرقى جهاز تسخين ، وأرقى جهاز تصفية ، يصل الهواء إلى الرغامى نقياً ، دافئاً ، نظيفاً ، مصفى .

فإذا نام الإنسان على ظهره ، وتنفس من فمه كأنه عطل هذه الأجهزة بالغة التعقيد .

ليس في شرايين الإنسان شرايين لها عضلات تتوسع إلا بالأنف ، إذا كان البرد شديداً ليراقب أحدكم أنفه ، يراه أحمر اللون قاني .

وإذا تنفس الإنسان من فمه ماذا يحدث ؟

هؤلاء أكثر تعرضاً للزكام من غيرهم ، وهؤلاء تجف لثتهم ، وإذا جفت تراجعت وتراجع اللثة عن الأسنان مرض العصر ، وفضلاً عن هذا وذاك فإن الشخير الذي لا يحتمل سببه هو التنفس من الفم .

إذاً : النوم على الظهر ليس صحياً .

مضار النوم على الشق الأيسر .

بقي النوم على الشق الأيسر ، إن الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة ، فإذا كان النائم على الشق الأيسر استغرق هضم الطعام من خمس ساعات إلى ثمانية ، لأن الرئة اليمنى وهي الكبيرة تضغط على القلب ، والكبد وهو أكبر الأعضاء يبقى معلقاً قلقاً .

النوم على الشق الأيمن ليس له مضار .

فإذا نام الإنسان على شقه الأيمن ، الرئة اليسرى أصغر وأخف ، والكبد وهو أكبر أعضاء الجسم مستقر في الجسد على جهة الأرض ، والهضم يتم بسرعة .

حديث شريف يؤكد حقيقة النوم الصحيح :

لذلك اسمعوا يا أخوة الإيمان ماذا قال النبي العدنان ، قال عليه الصلاة والسلام للصحابي الجليل البراء بن عازب :

((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ , ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ , ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ , وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ))



قال بعضهم :

النوم على الظهر نومة الأمراء .

والنوم على البطن نومة الشياطين .

والنومة على الشق الأيسر نومة الأغنياء لكثرة أكلهم، ينامون على الشق الأيسر كي يستريحوا .

والنوم على الشق الأيمن نومة العلماء .

على الظهر نومة الأمراء ، وعلى البطن نومة الشياطين ، وعلى الشق الأيسر نومة الأغنياء ، وعلى الشق الأيمن نومة العلماء .

والنبي عليه الصلاة والسلام فيما ثبت من حديثه الشريف يقول :

((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ , ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ , ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ , وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ))

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيمن أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا واقبل توبتنا وفك أسرنا وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا واختم بالصالحات أعمالنا مولانا رب العالمين ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، اللهم بفضلك ورحمتك ، أعلِ كلمة الحق والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-8 ماذا بعد عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكُّلي إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر . وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله ، سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

التلبية استجابةٌ لنداءٍ ودعوة يقعان في قلب المؤمن :

أيها الأخوة الأكارم ؛ حُجَّاج بيت الله الحرام ، يرفعون أصواتهم بالتلبية ، يقولون : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لبيك لا شريك لك" .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام ، ويُخَلِّف في بلدته هموم المعاش والرزق ، هموم العمل والكسب ، هموم الزوجة والولد ، هموم الحاضر والمستقبل ، وبعد أن يُحْرِم من الميقات يبتعد عن الدنيا كُلياً ، ويتجرد إلى الله عز وجل ويقول : " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك " . هذه التلبية أيها الأخوة تقول : لبيك يا رب ، كأن الله يخاطبك ، هذه إجابة ، فما هي الدعوة ؟ كأنها استجابةٌ لنداءٍ ودعوة يقعان في قلب المؤمن : أن يا عبدي خَلِّ نفسك وتعال ، تعال يا عبدي لأريحك من همومٍ كالجبال تجثم على صدرك ، تعالَ يا عبدي لأطهرك من شهواتٍ تنغص حياتك .

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدَّمت مسؤول ؟

* * *

تعالَ يا عبدي وذق طعم محبتي ، تعالَ يا عبدي وذق حلاوة مناجاتي . يقول العبد: " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك "



تعالَ يا عبدي لأريك من آياتي الباهرات ، تعال لأريك ملكوت الأرض والسموات ، تعالى لأضيء جوانحك بنوري الذي أشرقت به الظُلمات ، تعالَ لأعْمُر قلبك بسكينةٍ عزَّت على أهل الأرض والسموات ، تعالَ لأملأ نفسك غنىً ورضاً ، شقيت بفقدهما نفوسٌ كثيرات ، تعالَ لأخرجك من وحول الدُنيا ، من وحول الشهوات إلى جنَّات القُربات ، تعالَ لأنقذك من وحشة البُعد إلى أُنس القُرب ، تعالَ لأخلِّصك من رعب الشِرك ، وذلّ النفاق ، إلى طمأنينة التوحيد وعِز الطاعة . يقول العبد : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك " . تعالَ يا عبدي لأنقلك من دُنياك المحدودة ، وعملك الرتيب ، وهمومك الطاحنة ، إلى آفاق معرفتي ، وشرف ذكري ، وجنة قُرْبي ، تعالَ يا عبدي وحُطَّ همومك ومتاعبك ومخاوفك عندي فأنا أضمن لك زوالها ، تعالَ يا عبدي واذكر حاجاتك وأنت تدعوني فأنا أضمن لك قضاءها .

((إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمّارها ، فطوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني وحُق على المزور أن يكرم الزائر))

[أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري]

كيف يكون إكرامي لك ؟ إذا قطعت المسافات ، وتجشمت المشقات ، وتحملت النفقات ، وزرتني في بيتي الحرام ، ووقفت بعرفة تدعوني وتسترضيني : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك " ؟ تعالَ يا عبدي وزرني في بيتي لتنزاح عنك الأوهام ، ولتعاين الحقائق ، ولتستعد للقاء :

((فإن عبداً أصححت له جسمه ، ووسعت عليه في المعيشة ، فمضت عليه خمسة أعوام لم يفد إلي لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

تعالَ يا عبدي وطُفْ حول الكعبة طواف المحب حول محبوبه ، واسعَ بين الصفا والمروة سعي المشتاق لمطلوبه ، تعالَ يا عبدي وقَبِّل الحجر الأسود يميني في الأرض ، وازرف الدمع على ما فات من عمرٍ ضيعته في غير ما خلقت له ، وعاهدني على ترك المعاصي والمخالفات ، والإقبال على الطاعات والقُربات ، وكن لي كما أريد لأكن لك كما تريد ، كن لي كما أريد ولا تُعلمني بما يصلحك ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد ، خلقت لك ما في الكون

من أجلك ، فلا تتعب ، وخلقتك من أجلي فلا تلعب ، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك . . " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " .

تعالَ يا عبدي إلى عرفات ، فهو يوم اللقاء الأكبر ، تعالَ للتعرض لنفحةٍ من نفحاتي تُطَهِّر قلبك من كل درنٍ وشهوة ، وتصفي نفسك من كل شائبةٍ وهَم ، هذه النفحات تملأ قلبك سعادةً وطمأنينة ، وتشيع في نفسك سعادةً لو وزِّعت على أهل بلدٍ لكفتهم ، عندئذٍ لا تندم إلا على ساعةٍ أمضيتها في قيلٍ وقال ، وكثرة سؤال ، وإضاعة مال ، تعالَ إلى عرفات لتعرف أنك المخلوق الأول من بين كل المخلوقات ، ولك وحدك سُخِّرَت الأرض والسموات ، وأنك حُمِّلْتَ الأمانة التي أشفقت منها الجبال والأرض والسموات ، وأني جئت بك إلى الدنيا لتعرفني ، ولتعمل العمل الصالح الذي يؤهِّلُك لجنة الخلد ، تعالَ إلى عرفات لتعرف :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر : 2-3]

وأنك إن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء .

مشاعر الحاج وهو يُلَبِّي في عرفات وما بعدها :

وبعد أن يذوق المؤمن أيها الأخوة في عرفات من خلال دعائه وإقباله واتصاله ؛ روعة اللقاء ، وحلاوة المناجاة ، ينغمس في لذَّة القرب ، عندئذٍ تصغر الدنيا في عينيه ، وتنتقل من قلبه إلى يديه ، ويصبح أكبر همِّه الآخرة ، فيسعى إلى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُقْتَدِر ، وقد يكشف للحاج في عرفات أن كل شيءٍ ساقه الله له مما يكره هو محضٍ عدلٍ ، ومحض فضلٍ ، ومحض رحمة ، ويتحقق من قوله تعالى :

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة :216]


رمي الجمار تعبيراً رمزياً عن عداوة الشيطان

وبعد أن يفيض الحاج من عرفات ، وقد حصلت له هذه المعرفة ، واستنار قلبه ، وصحَّت رؤيته ، يرى أن السعادة كلها في طاعة الله ، وأن الشقاء كله في معصيته ، عندئذٍ يرى عداوة الشيطان ، وكيف أنه يأمره بالسوء والفحشاء ، ويوقع بينه وبين إخوته العداوة والبغضاء ، وأنه يَعِدُ أولياءه بالفقر إذا أنفقوا، ويخوّفهم مما سوى الله إذا أنابوا وتابوا ،

ويعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . . قال تعالى :

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة إبراهيم :22]

عندئذٍ يُعَبِّر الحاج عن عداوته للشيطان تعبيراً رمزياً برمي الجمار ، ليكون الرمي تعبيراً مادياً وعهداً موثَّقاً عن عداوة الشيطان ورفضاً لوساوسه وخطراته .

يقول الإمام الغزالي : " اعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان، وتقصم ظهره ، ولا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى" .

وحينما يتجه الحاج لسوق الهَدْي ونَحر الأضاحي ، وكأن الهدي هديةٌ إلى الله تعبيراً عن شكره على نعمة الهُدى التي هي أثمن نعمةٍ على الإطلاق ، وكأن ذبح الأضحية ذبحٌ لكل شهوةٍ ورغبةٍ لا تُرضي الله ، وتضحيةٌ بكل غالٍ ورخيص ونفسٍ ونفيس ، في سبيل مرضاة الله رب العالمين ، قال تعالى :

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾

[سورة الحج : 37]

ثم يكون طواف الإفاضة ؛ تثبيتاً لهذه الحقائق وتلك المشاعر ، ثم يطوف طواف الوداع ؛ لينطلق منه إلى بلده إنساناً آخر استنار عقله بحقائق الإيمان ، وأشرقت نفسه بأنوار القُرب ، وعقد العزم على تحقيق ما عاهد الله عليه ، وإذا صَحَّ أن الحج رحلةٌ إلى الله فإنه يصح أيضاً أنه الرحلة قبل الأخيرة ، لتجعل من الرحلة الأخيرة مُفْضِيَةً إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه بعض مشاعر الحاج وهو يُلَبِّي وهو في عرفات ، وهو يطوف ، وهو يسعى ، وهو يطوف طواف الإفاضة ، إنه لقاءٌ حميمٌ بين العبد وربّه ، إنه اتصالٌ وثيق ، إنه انكشافٌ للحقائق ، إنه عقد العزم على طاعة الله ، إنه صلحٌ مع الله عز وجل .

قصص تبين أن طاعة الله سعادةٌ و معصيته خسارة :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ سأنتقل من هذا الموضوع موضوع اليوم ، موضوع الحج إلى موضوعٍ آخر ، قد لا تبدو بين هذين الموضوعين صلةٌ وثيقة ، ولكن في الحقيقة هناك أشد الاتصال بين الموضوعين ، لماذا نعبد الله ؟ من أجل أن نسعد ، وكيف نعبده ؟ لابد من أن نعرفه . نعرفه فنعبده فنسعد بقربه ، فلو لم نعرفه وبالتالي لم نطعه ندفع الثمن باهظاً ، ندفع سلامتنا ، وندفع سعادتنا .

في الأسبوع قبل الماضي ، إحدى الصحف اليومية- صحيفة تشرين- نشرت قصةً مؤثّرةً جداً في العدد الخامس والثلاثين بعد الستمئة والخمسة آلاف ، في تاريخ الثامن من الشهر الحالي عام ألف وتسعمئةٍ وثلاثة وتسعين ، نشرت قصةً مفادها :

أن أحد المواطنين سافر إلى أمريكا في عام ألفٍ وتسعمئة وسبعةٍ وثمانين ، لزيادة معلوماته وخبراته في مجال اختصاصه وعمله ، مُدَّة المهمة كانت ثلاثة أشهر ، تعرَّف من خلالها- دققوا ما العلاقة بين الحج ، بين الصلاة ، بين الصوم ، بين معرفة الله وبين السلوك ؟ لو أنك عرفت الله لأطعته ، وإن أطعته سَلِمْتَ في الدنيا والآخرة ، سلمت وسعدت - إلى فتياتٍ زَلَّت قدمه مَعَهُن ، ولا أطيل عليكم ، ولا أدخل في التفاصيل . بعد انتهاء فترة العمل والتدريب ، عاد هذا المواطن إلى وطنه ، ولم يُحِس بشيءٍ غير طبيعي إطلاقاً ، لا في جسمه ولا في قوَّته ، وجلب الهدايا لزوجته الوفية وطفلته الوحيدة ، التي كان عمرها خمس سنوات ، ولأصدقائه ، ولكنه لم يدرِ أنه كان يحمل بين ضلوعه مصيبةً وكارثة ، تابع حياته العادية كرب أسرةٍ وكزوجٍ، وبعد سنةٍ من عودته أنجبت زوجته طفلاً ، وبعد الولادة بدأ يشكو من اعتلالٍ وضعفٍ في صحَّته ووهنٍ عامٍ في جسمه .

تردد على أكثر الأطباء لكن دون جدوى ، أحد الأطباء طلب منه إجراء الفَحْص المخبري ضد مرض العصر (الإيدز) وكانت النتيجة المخبرية أنه مصابٌ بهذا المرض ، وأن إصابته في مراحل متقدِّمة ، ومخابر الصحة جزاها الله خيراً على عادتها تُتابع هذه الحالة بشكلٍ دقيق ، ضيَّقت عليه ، واستجوبته فذكر أنه زلَّت قدمه في هذه الرحلة مع بعض فتيات الهوى .

ما الذي حصل ؟ توصل الباحث والذي كتب هذه المقالة إلى أن هذا المرض بلغ درجةً متقدمةً في جسم المصاب ، وأنه انتقل إلى زوجته ، وأن الطفل الذي أنجبه بعد ذهابه إلى هذا البلد مصابٌ أيضاً بهذا المرض، بعد سنتين قضت الزوجة نحبها ، وقبل السنتين قضى هو نحبه ، ولم يبق من هذه الأسرة إلا فتاة أنجبها قبل السفر ، وطفلاً أصيب بهذا المرض أنجبه بعد هذه الرحلة ، وحالياً بقي من هذه الأسرة البنت

البالغة أحد عشر عاماً ، وهي سليمةٌ معافاة ، لأنها ولدت قبل أن يصاب والدها بهذا المرض ، وهناك الطفل الذي ولد ومعه هذا المرض والبالغ من العمر سبع سنوات .

يقول الأطباء عن حالته : إن حالة هذا الطفل أصبحت خطيرة جداً ، وأن موته بات مُحَتَّماً ؛ فالسرطنات تنتشر في كل أنحاء جسمه ، ولن تطول به رحلة الحياة أكثر من أشهرٍ معدودات ، وبذلك يكون هذا المرض الذي أساسه المعصية ، قد حصد هذه الأسرة كلها عدا بنتٍ يتيمةٍ نشأت على موت أبيها ، وموت أمها ، ومرض أخيها .



أيها الأخوة الأكارم ؛ ماذا يقول الزوج قبل أن يموت؟ عمره لا يزيد عن اثنين وثلاثين عاماً ، وزوجته لا يزيد عمرها عن خمسةٍ وعشرين عاماً ، قضت منها ثلاث سنواتٍ بين الألم والمرض والحُزن والبكاء الشديد . هذا الإنسان قبل أن يموت قال هذه الكلمات : أتمنى أن يتوصَّل العلم إلى اكتشاف دواءٍ لهذا المرض ، ليس لأتداوى به أنا – كما يقول هو – بل لأدفع المرض عن زوجتي وطفلي البريئين ، وكان يقول : إنني مستعدٌ لدفع حياتي كلها ، وكل ما أملك ثمناً لهذا الدواء ، لأنه قضى على زوجته وقضى على ابنه ، وابنته تعاني من موت أبيها ، وموت أمها، وموت أخيها .

لماذا نحن نتعلم ؟ لماذا العلم ؟ لماذا ينبغي أن نعرف الله عز وجل ؟ ولماذا ينبغي أن نطيعه ؟ لنسعد في الدنيا والآخرة ، وبعد أسبوعٍ نشرت القصة الثانية ، حول هذا المرض .

القصة الثانية : تقدم شابٌ لخطبة فتاةٍ من أسرةٍ – هكذا يقول كاتب المقالة– مستواها الاجتماعي والثقافي جيد، وافق الأهل والفتاة على هذا الشاب ، وتمت الخطوبة ، وكتب العقد الشَرْعِيّ ، وبقي هذا الشاب مع هذه الفتاة ينعُمان بأجمل ساعات الحياة خلال عام ، خطر في باله أن يتعلَّم قيادة السيارات ، تقدم بالأوراق المطلوبة ، فإذا من بين هذه الأوراق شهادة للتبرعِ بالدم ، ذهب وتبرع بدمه ، فوجئ في اليوم التالي أنه مصابٌ بهذا المرض ، تردد كثيراً بأن يخبر زوجته –لأن العقد عقد عليها – وبين ألا يخبرها ، استقر على أن يخبرها ، وأخبرها ، وتمت فسخ الخطوبة ، وأصيبت الأسرة وهذه الفتاة بإحباطٍ شديد ، الزوج مصاب بهذا المرض ، وهو ينتظر أيّامه الأخيرة . هذه قصةٌ ثانية نشرت بعد أسبوع .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ أردت من هاتين القصتين أن أبيّن لكم ، يقول هذا الشاب– يلعن تلك اللحظات التي زلَّت بها قدمه وانساق وراء غريزته – أتمنى الموت اليوم قبل غَد ، لأنه أصبح قدراً محتوماً عليّ ، وطلب أن ننقل نصيحته إلى جميع الشباب أن يفكروا بعقولهم ويتمهَّلوا كثيراً قبل أن تزل أقدامهم . طلب العلم فريضة على كل مسلم ، أنت تطلب العلم من أجل أن يكون العلم حارساً لك ، طبعاً هاتان القصتان كُتبتا في الصُحُف اليومية ، وأما القصص التي لم تكتب فهي كثيرةٌ جداً وكثيرة ، والمواعظ بين أيديكم ، طاعة الله سعادةٌ في الدنيا والآخرة .

رحمة الله ثمنها أن تتقي أن تعصيه :

دققوا في هذه الآيات أيها الأخوة ، قال تعالى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الحجرات : 10]

من رحمة الله أن يحفظك من هذه الأمراض ، من رحمة الله أن يحفظك من هذه الآفات ، من رحمة الله أن تعيش حياةً مستقرة ، يقول الله عز وجل :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الحجرات : 10]

إذاً رحمة الله ثمنها أن تتقي أن تعصيه ، إذا اتقيت أن تعصيه لعل الله سبحانه وتعالى يرحمك ؛ فيتجلى عليك بالحفظ والرعاية والتوفيق .

آيةٌ ثانية :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة آل عمران :132]

منهج الله عز وجل بين يديك ، أنت إنسان تُعَدُّ أعقد آلةٍ في الكون ، وهناك للصانع تعليماتٌ دقيقةٌ دقيقة ، منهجٌ دقيق موضوعٌ بين يديك ، كيف تغفل عن دراسة القرآن ؟ كيف تغفل عن سنة النبي العدنان ؟ كيف ليس في حياتك وقتٌ لمعرفة الله ؟ تدمرت حياته ، المرض حصد الأسرة كلها ، والثاني : الزوجة لم تُصَب ولكن الزوج أصيب ، وهو ينتظر أيام موته .

بعض أسباب رحمة الله التي منها حفظك :

أيها الأخوة الأكارم ؛ في القرآن خمس آيات ، الآية الأولى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الحجرات : 10]

أي اتقوا أن تعصوا ، والآية الثانية :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة آل عمران :132]

والآية الثالثة :

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة النمل : 46]

والآية الرابعة :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة النور : 56]

والآية الخامسة :

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآَنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[سورة الأعراف : 204]

أن تتقي المعصية ، وأن تبادر إلى الطاعة ، وأن تقرأ القرآن ، وأن تصلّي ، وأن تستغفر عما كان مِنْك ، هذه بعض أسباب رحمة الله التي منها حفظك ، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام في دعائه الشهير :

((ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا))

[من الدر المنثور في التفسير بالمأثور عن ابن عمر]

الدعاء بعض ملامح المنهج التفصيلي والآيات التي تنهى المؤمن عن أن يقترب المُنكر :

1 . غض البصر :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ في هذا الموضوع ، موضوع أن تزل قدم الإنسان في معصيةٍ متعلّقة بالنساء ، ما منهج الله التَفْصِيلِيّ ؟ أول مواد هذا المنهج :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النور : 30]

قال العلماء : ما قدَّم الله غض البصر على حفظ الفرج إلا ليؤكِّد أن طريق حفظ الفرج غض البصر . فيا أيها الشباب . . . إذا أردتم أن تكونوا في حصنٍ حصين ، وفي حرزٍ حريز ، وفي مناعةٍ ما بعدها مناعة ، تجاه هذه المعاصي والمُنْزَلقات فعليكم بغض البصر .

((من غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه))

[ورد في الأثر]

((من ملأ عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنم))

[ورد في الأثر]

((والنظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس . . .))

[أخرجه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة]

النظرة طريقٌ إلى المنزلق ، هذا بعض منهج الله التفصيلي في هذا الموضوع .

2 . الابتعاد عن الطرق التي تفضي إلى الزنا :

الشيء الثاني . . قال تعالى :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾

[سورة الإسراء : 32]

أليست هذه القصة تأويلٌ دقيقٌ دقيق لهذه الآية :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾

[سورة الإسراء : 32]

كلمة " لا تقربوا " لا تعني ألا تزنوا ، " لا تقربوا " لا تسلكوا طريقاً يُفضي بكم إلى الزنا ، فالابتعاد عن أي مكانٍ موبوءٍ من تطبيق هذه الآية ، الابتعاد عن صديقٍ منحرف من تطبيق هذه الآية ، الابتعاد عن مطالعة أدبٍ رخيص من تطبيق هذه الآية ، الابتعاد عن مشاهدة عملٍ فنيٍ رخيص من تطبيق هذه الآية :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾

[سورة الإسراء : 32]

مشاهدة الأعمال الرخيصة ، وقراءة الأدب الرخيص ، وصحبة الأراذل ، وكما تعلمون هناك ثلاثون حالة يفقِد الإنسان بها عدالته ، من هذه الحالات صحبة الأراذل ، التنزه في الطرقات ، والحديث عن النساء ، هذه أشياء ثلاثة تفقد الإنسان عدالته ، ويفقد بها حقوقه المدنية بالتعبير الحديث .

3 . الافتقار إلى الله :

شيءٌ آخر : ربنا عز وجل علمنا الأدب ، فعلى لسان سيدنا يوسف :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾

[سورة يوسف : 33]



كيد المرأة في إظهار فتنتها ، فأنت إذا استعنت بالله قبل أن تخرج من البيت : " اللهم إني أعوذ بك من أضِل أو أضَل ، أو أذِل أو أذَل ، أو أجهَل أو يُجهل علي ، أو أظلِم أو أظلَم " إذا استعنت بالله من أن تقع في ضعفٍ نفسي يقودك إلى منزلق ، فأنت قد اعتصمت بالله عز وجل ، واعتصمت بحبل الله المتين ، واعتززت بعظيم . فالاعتزاز بالله ، والالتجاء له ، والبعد عن كل ما من شأنه أن يوصل إلى الانزلاق ، وغض البصر ، هذه بعض ملامح المنهج التفصيلي ، والآيات التي تنهى المؤمن عن أن يقترب المُنكر ، لابد من أن يبقي بينه وبين المنكر هامشاً واسعاً .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

[سورة البقرة : 187]

اجعل بينك وبين حدّ الله هامش أمان .

فيا أيها الأخوة . . . غض البصر طريق حفظ الفرج ، ألا تقرب الزنا ، أي ألا تقرب مكاناً ، أو زماناً ، أو صديقاً ، أو أدباً ، أو عملاً فنياً من أجل أن يقرّبك من هذا المُنْزَلَق، هذا أيضاً من منهج الله التفصيلي .

والشيء الأساسي أن تفتقر إلى الله عز وجل حيث تشعر أنك عبدٌ ضعيف ما لم يتولَّ الله حفظك ، فقد لا تستطيع أن تقاوم ، هذا الافتقار بِحَدِّ نفسه يحفظك من كل سوء ، هذا ما على الفرد .

على المجتمع تيسير الزواج و تسهيل العقبات :

ماذا على المجتمع يا أيها الأخوة ؟ يا أيها الآباء ، يا أيها الأمهات قال تعالى :

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور : 32]

هذا أمر عند بعض العلماء واجب ، وعند بعض العلماء مندوب ، الأب والأم وأولو الأمر مأمورون من قبل الله عز وجل أن ينكحوا أبناءهم . .

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ﴾

[سورة النور : 32]

" الأيامى " مفردها أيِّم ، والأيِّم ذكراً كان أو أنثى ، من لا زوج له أو من لا زوجة له ، وكيف يكون هذا الأمر ؟ بتسهيل العقبات ، بتيسير الأمور ، بالرضا باليسير ، هذا هو الأمر ، بإرخاص الحاجات ، إذ الزواج مسؤولية المجتمع بأكمله ، المجتمع كله مسؤولٌ عن هذه الظاهرة الخطيرة .

تعاضد المجتمع هو الخطوة الأولى في طريق السلامة والسعادة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ما أردت من هاتين القصتين إلا أن أؤكد لكم أن طاعة الله عز وجل ضرورة لسلامتك ولسعادتك ، وأن طاعة الله عز وجل لن تكون إلا بمعرفته ، وأن طلب العلم هو الخطوة الأولى في طريق السلامة والسعادة ، وأنك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما فعليك بالعلم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا أريد أن أطيل عليكم ، ولكن أريد أن أضع أيديكم بفضل الله عز وجل على موطن الداء . الإنسان كل شهوةٍ أودعها الله فيه ، جعل لها قناةً نظيفةً ، إذ لا حرمان في الإسلام ، لكن الإسلام حرم عليك الطُرق الخبيثة ، والاتجاهات السيّئة ، فكل شهوةٍ أودعها الله في الإنسان لها طريقٌ مشروع ، فعلى المجتمع أن يتعاضد .

((إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض))

[الدر المنثور في التفسير بالمأثور عن أبي هريرة]

أيُّ شيءٍ يفسِد العلاقة في البيت ؛ بعض المجلاَّت ، بعض أجهزة اللهو ، الذي من شأنه أن يثير ما عند الشباب من شهوة كامنة ، هذا يدمِّر الأسرة ، ويدمر شبابها ، ويدمر فتياتها .

يا أخوة الإيمان . . . حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزَن عليكم ، واعلموا أن مَلك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا ، وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حِذْرنا ، الكيّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني .

طلب العلم :



أيها الأخوة الأكارم ؛ الإمام علي كرم الله وجهه يقول في نصيحة يسديها إلى كُمَيْل . يقول : " يا كميل العلم خيرٌ من المال لأن العلم يحرسك " هذا ترك معرفة الله ، كان جاهلاً في هذه الموضوعات ، فزلت قدمه ، وانهارت أسرته ، وحُطِّمَت كل أماله ، " العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، يا كميل مات خُزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ".

أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن تعلموا أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والفريضة الشيء الذي تتوقف حياتك عليه ، تنفّس الهواء فريضة لهذا الجسد ، كذلك طلب العلم فريضة ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، تعلَّم ، والعلم الحقيقي يحملك على الاستقامة التامة، والاستقامة تعني سلامتك وسعادتك في الدنيا وفي الآخرة .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً

يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-9 المبيت بمزدلفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين.

عرفة لقاء حميم و اتصال وثيق بالله عز وجل :



يجب أن يغلب على ظن الحاج أن الله غفر له ذنوبه في عرفات

أيها الأخوة الأكارم، مع اللقاء الخامس من دروس مناسك الحج، وفي الدرس الماضي فيما أذْكر أنْهَينا موضوع الوُقوف بِعَرَفات، وبيَّنْتُ لكم أنَّ الحجّ عرفة، وأنَّ عرفة لِقاءٌ حميم، واتِّصال وثيق، وأنَّ الله سبحانه وتعالى ما دعا عباده إلى البيت الحرام إلا لِيُكْرِمَهم ولا سيَّما في هذا المَشْهد العظيم، وقلتُ لكم: إنَّه من وقف في عرفات ولم يغْلب على ظَنِّه أنَّهُ قد غفِرَ له فلا حجَّ له، لأنَّ الحج كما روى البخاري :

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

والحج المَبْرور الذي لا لغْوَ فيه، ولا رَفث، ليْس له جزاءٌ إلا الجنَّة.

والإنسان بِإمْكانه أن يَصِحَّ وُقوفه بِعَرَفات إذا وُجِدَ بها من زوال اليوم التاسع إلى فجْر اليوم العاشر، أما إذا وُجِدَ بِعَرَفات قبل الغُروب فيجب أن يبْقى إلى ما بعد الغُروب ولو بِلَحَظات فإذا غرَبَتْ شمْسُ يوم عرفة انْطَلَق الحجاج إلى مُزْدَلِفَة.

الخروج من عرفات إلى مزدلفة :

وكما قلنا: المناسك شيء، والخِبْرات شيءٌ آخر، والحُجاج جميعاً يتزاحمون وقْتَ الغُروب للخروج من عرفات إلى مُزْدَلِفَة، وَجَدْتُ أخواننا رُؤساء الأفواج يؤخِّرون الخروجَ، ولا سيَّما إذا كانت سياراتهم تحت سَيْطَرَتِهم إلى ما بعد الساعة العاشِرَة ليْلاً، وعندئذٍ تجدون أنَّ الطرقات قد أصْبَحَتْ مَعْقولة، وكُنَّا ننتقل في سَاعة واحدة من عرفات إلى مزْدلفة، إلا في العام الماضي فَهُوَ أمر اسْتِثنائي، فقد بلغ عدد الحجاج أربعة ملايين !! الآن نحن في الحج، وهناك عِدَّة مذاهب، والحقيقة لا تجد رَوْعَةَ اخْتِلافِ الفقهاءِ إلا في هذا الموْقف، لأنَّكَ لو تَصَوَّرْتَ مليون حاج تحَرَّكوا وِفق مذْهبٍ واحِدٍ لَهَلكوا ! فالمذْهب المالكي يُجيز أن تنْطلق من مُزْدلفة قبل مُنتصف الليل، والمذْهب الشافعي يُجيز أن تنْطلق من مُزْدلفة بعد مُنتصف الليل، والمذْهب الحنفي يُوجب البقاء إلى بعد صلاة الفجْر، فالحُجاج لو انْقسَموا وِفْق هذه المذاهب لأصْبح عددهم قليلاً، والأمر فيه بَحْبوحة، وفي الحج يُمْكن أن تُفْتي بالأسْهل، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام حجَّ معه عَشْرة آلاف، أما الآن فملايين! وهناك ظُروف جَدَّتْ الآن، فإذا اخْتار الإنسانُ بعضَ المذاهب التي من شأنها أن تُيَسِّر على الحاج وعلى أهْله، فَمَن كان معه أهل ؛ زَوْجة، أو أمّ، أو أخت، هل هم كُثُر يا تُرى ؟! هناك فَتْوى من رسول الله صلى الله عله وسلَّم من كان له أهل فيجوز له أن ينطلق من مزدلفة بعد منتصف الليل على المذْهب الشافعي، فإذا قَلَّد الإمام الشافعي فلا شيء عليه، وهو على العَيْن والرَّأس.

فإذا انطلقنا من عرفات إلى مزدلفة، سواء انطلقنا بعد المغرب أو بعد العِشاء، وعلى كُلِّ المذْهبُ الوسطُ بين الأحناف والمالكِيَّة، لا بدّ أن تنطلق من مزدلفة بعد منتصف الليل، والمَبيت بِمُزْدلفة واجب إلا أنَّهُ يمْكن أن تُمْضي شَطْراً من الليل، وعند الشافعي أن تُمْضي نِصْف الليل، وعند المالكي تمضي جُزْءًا من الليل، وعند الأحْناف مُعْظم الليل، فإذا كان الإنسان معه أهله فأرْوَع طريقة أن تنطلق من مزدلفة بعد أن تصلي المغرب والعِشاء جمْع تأخير، وتلتقِط حصِيات جمْرة العقبة، وتنطلق بعدها إلى مُزْدَلِفة بعد منتصف الليل، إلى أين ننطلق؟ مزدلفة كُلُّها مَوْقف، وإذا كان معك بَحْبوحة فانْطلق إلى المَشْعر الحرام، والدعاء الذي كان يدْعوه عليه الصلاة والسلام: " اللهم كما أوْقفْتنا فيه، وأرَيْتنا إياه، وفِّقْنا لِذِكْرِك كما هَدَيْتنا، واغفر لنا وارْحمنا كما وَعَدتنا، لقولك وقولُك الحق:

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ



[سورة البقرة: 198]

والدعاء الذي ينبغي أن تُكْثِروا منه في هذا الموقف: " اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرةِ حَسَنة وقِنا عذاب النار.

هناك طريق عام، وإذا بقِيَ الإنسان في الطريق العام فإنَّ نِسْبة التَّلَوُّث عاليَةٌ، تَصَوَّر عشْرة آلاف سيارة لا تقف مُحَرِّكاتها، فإذا أمْكَنَكم أن تتوَغَّلوا إلى الداخل فإنَّكم سَتَجِدون الجوّ ألْطف، فاجْلِسوا ساعة أو أكثر، أينما وقفْتَ بِمُزدلفة فالوُقوف مقْبول، فهي كُلُّها مَوْقف، المُهِمّ أن تقْضي هذا الوقت بالذِّكْر والدعاء وصلاة المغرب والعِشاء، والْتِقاط سبْع حَصَياتٍ لا تَقِلّ عن حَبَّة الحمّص، ولا تزيد عن حَبَّة الفول المِصْري، ويُسَنُّ أن تغسِلوا هذه الحَصَيات إذا أمْكن، ويُسَنُّ أخْذ أكثر من سبْع حَصَيات للاحْتِياط، فالسنَّة أن تلتقط الحصيات من مزدلفة لِجَمرات العقبة، أما الباقي فَمِن مِنى.

الانطلاق من مزدلفة إلى منى :

الآن ماذا نفعل إذا انْطلقنا من مزدلفة إلى مِنى ؟ أوَّلاً: مِنى فيها ثلاث جمرات: الجَمْرة الصُّغْرى، والوُسْطى، والكُبْرى أو جَمْرة العقبة، الجَمْرة الصُّغْرى من جِهَة عرفات، والكُبرى من جهة مكَّة، أنت في طريقك من مزدلفة إلى مكَّة تبدأ بالجمرة الصغرى فالوُسْطى فالكُبْرى، إلا أنَّك في صبيحة العيد، أو ليلة العيد، أو بعد منتصف ليلة العيد مُكَلَّفٌ أن ترْمي جمْرة العقبة أو الجمْرة الكُبْرى فقط، أما رَمْيُ بَقِيَّة الجَمَرات فهذا يكون في اليوم الثاني والثالث والرابع من أيام العيد، فنحن الآن من أجْل أن نرْمي جمْرة العقبة فقط.

انْطلقنا من مزدلفة على المذْهب الشافعي بعد منتصف الليل، أو انطلقنا من مزدلفة قبل منتصف الليل على المْذهب المالكي، على كلٍّ الأفضل المذْهب الشافعي لِمَن معه أهْل، لأنَّهُ عَمَلياً الحجاج مليون وسبعمئة ألف أو أكثر، فعلى المذْهب الحنفي ينطلقون بعد الفجر، فيَكون الازْدِحام شديدًا، وقد حَدَّثني مَرَّةً أخٌ كريم فقال: أردْتُ أن أُطَبِّق المْذهب الحنفي فاسْتَغْرق الوقت مِنِّي سبْع عشرة ساعة مِن منى إلى مكَّة، وضاعَتْ علينا صَلَوات، ونَدِمْتُ نَدَماً شديداً، لأني لم أُقَلِّد المذْهب الشافعي، فالانطلاق بعد منتصف الليل، لا سيَّما مَن كان معه أشْخاص مُتَقَدِّمون في السنّ أو نِساء فالأوْلى أن ينطلق بعد منتصف الليل، وعلماء أجِلاء وكُثُر يفْعلون هذا، ثمَّ إنَّ الشاب الذي ليس معه أغْراض، وليس معه أهل، فليس هناك أفْضل من المَشْي ففي العام الماضي اسْتغرقنا من عرفات إلى مزدلفة والمسافة عشْرة كيلو متر سبْع عشرة ساعة بالسيارات! فكم يمكن أن تقضِيَها مشيًا؟ في ساعتين أو أكثر بقليل، لذلك الآن هناك تفْكير بِوَضْع قِطارات من تحت الأرْض بِشَكل دائري للتَّخَلّص من موضوع التَّلَوُّث، ويكون المسار من منى إلى عرفات، ومن عرفات إلى منى، ومجموع المسافة بين مكَّة وعرفات خمسة وعشرون كيلو متراً.

أعمال يوم عيد الأضحى :

أمّا أعمال يوم عيد الأضْحى، فإما ليلة الأضْحى لِمَن انْطلق بِمنتصف الليل، أو يوم الأضْحى لِمَن انطلق بعد صلاة يوم الفجْر: أوّلاً: رَمْيُ جَمْرة العقبة، ثانياً: ذَبْحُ الهَدْي لِمَن أراد الهَدْي، ثالثاً: الحلْق أو التَّقْصير، رابعاً: طواف الإفاضة، وهو رُكنُ الحجّ الأعظم.

فهذه الأعمال إذا فعَلْتَها ينبغي أن تفْعلها بالتَّرْتيب، وهي عند الأحناف واجب، وضَعْ في ذِهْنِك أنَّ كلمة واجب إذا تَرَكْتَهُ لَزِمَكَ الدَّم، والرُّكْن إذا تَرَكْتَهُ بطل حجُّك، والسنَّة إذا تَرَكْتها فقد أسأتَ، والمُسْتَحَبّ إذا تَرَكْتَهُ فقد تَرَكْتَ الأوْلى، والترتيب في بقِيَّة المذاهب سُنَّة، فمَن لم يأخذ به فقد ترك السنَّة، ولا شيء عليه.


يبدأ الحاج برمي جمرة العقبة

والأفضل المُبادرة إلى رَمْي جمْرة العقبة، ويُسَنُّ أن تُرْمى بعد طُلوع الشَّمْس وارْتِفاعها بِمقْدار رُمْحٍ، فلو تَعَسَّر ذلك فله وقْتٌ آخر، حتى غُروب شمْس ذلك اليوم، ويمكن أن ترْمي جمْرة العقبة حتى غُروب ذلك اليوم من دون كراهة، ولك أن ترْمِيَها حتى اليوم الثاني من العيد مع الكراهة، أما إذا أخَّرْتَ رَمْي جمْرة العقبة بعد اليوم الثاني من العيد فلَزِمَك الدّم، فنحن كما اتَّفقْنا لو أنَّك خرجْت من مزدلفة في منتصف الليل، فعليك أن ترْمِيَها بعد منتصف الليل مباشرةً، ولن تجد الازْدِحام في هذا الوقْت، فَرَمْيُ الجمار في هذا الوقت تجد فيه ازْدِحاماً مَعْقولاً، فالذي معه زوْجته فالوقت مناسب له، واحْذر أنْ تأخذ زوْجتك في أوْقات الازْدِحام، إذْ يمكن أن تُزاحِم زوْجتُك في هذا الرَّكْب، وهذا لا يجوز، فعلى الإنسان أن يكون واقِعياً، وبالذات في رَمْيِ الجمار أنا أُفَضِّل أن يكون ليلاً، وكذا في اليوم الثاني والثالث من أيام العيد.

التوكيل في الرمي :

أمّا مسألة التَّوْكيل في الرّمي، فالمرأة لها أن تُوَكِّل، إلا أنَّ الرجل لا يجوز له ذلك عند الأحناف، وهناك حجاج لا يفقهون فلِسَبَبٍ تافِهٍ يُوَكِّلون، حَدَّثني أخٌ صديق فقال: هناك أخوة مُقيمون بالمملكة، كيف يَحُجُّون؟ يُصَلون العصْر في جدَّة يوم عرفات، ويركبون سيارتهم وينطلقون إلى مكَّة والطريق فارغ، يطوفون لوحدهم – لأنَّ الحجاج كلهم بعرفات – طواف القدوم، ثمَّ السَّعْي، وينطلقون بعدها إلى عرفات قُبيل المغرب بِقَليل، ويجْلِسون أوَّل صفٍّ فإذا مضى عليهم غُروب الشَّمْس، عادوا إلى مزدلفة، وقلَّدوا الإمام مالك، وخرجوا منها

بعد المغرب بقليل – من مزدلفة – ولم يرْجُموا وإنما وكَّلوا، وطافوا طواف الإفاضة لوحْدهم، وانتهى الحج كلُّه في ثلاث ساعات !!! هذه المناسك يجب أن تُعَظِّمها، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج: 32]


الرمي يكون بسبع حصيات

ويُسَنُّ الوقوفُ لِرَمْي جمْرة العقبة جاعِلاً مكَّة عن يساره، ومزدلفة عن يمينه، ويسْتقبل الجمرة بِوَجْهه، وعلى الحاج أن يلاحظ ألاّ يكون اتِّجاهه في أثناء رمْي الجمرة نحو مكَّة إنما الاتِّجاه نحو رمْي جمرة العقبة، ورمي هذه الجمرة لا يصحّ إلا كذلك، بل يجب أن يكون مَوْقفه بِعَكْس اتِّجاه طريق مكَّة. ويجب أن يرمي سبع حَصَياتٍ واحدة فواحدة، فلا يجوز أن ترْمِيَها دُفعةً واحدة وهذا مَنسك ؛ وهو أنَّك عاهَدْتَ الله على مُعاداة الشَّيطان، فهذا السُّلوك رمْزي، فَبَعْد الحج كُلَّما وَسْوَسَ لك الشَّيطان تتذَكَّر أنَّك رَمَيْت الشيطان بهذه الحَصَيات ؛ وهو سُلوك رمْزي راقٍ. ولو وُضِعَتْ الحصاة في الجمْرة وضْعاً لم تَصِحّ، ويُشْترط أن يقصِدَ برَمْيِه جمْرة العَقَبة، فلو رمى حصاةً بِقَصْدٍ آخر فسَقَطَتْ في الجَمْرة لم تَصِح، لأنَّ العبادات أساسها النِّيَّة أما المُعاملات فتَصِحّ بلا نِيَّة. وعند السادة الشافعِيَّة لا بدّ أن ترْمي بالأحجار، أما عند السادة الأحناف فيُمْكن أن ترْمي بالكَدَر، بل إن لم تجد أخذتَ قَبْضةَ تُرابٍ مكانَ الحصاة، ويكون الرَّمْيُ باليد، ولا يصِحُّ إلا بها. فإذا شَكَّ في إصابة المَرْمى لم تُحْسَب تلك الحصاة، لذلك فالأولى أن يقترِب الإنسان إذْ لا يُعْقل أنَّ الإنسان في الحج يُرْمى عليه الحجر أو النعل! ولو أصَبْتَ المَرْمى ثمَّ تدحْرَجَت حتى خرجت من المرمى صَحَّ رَمْيُك، ويرفع الحاج عند الرَّمْي يده حتى يُرى باطن الإبط وبياضه، أما المرأة فلا، ومع أوَّل حصاةٍ ترميها في جمرة العقبة تُقْطع التَّلْبِيَة، ويبْدأ التَّكْبير، فالتَّلْبِيَة من ساعة الإحرام ؛ لَبَّيْك اللهم لبَّيْك، إلى رَمْي جمْرة العقبة، وبعدها تقف التَّلْبِيَة لِيَبْدأ بعدها التَّكْبير.

فلو عجز الحاج عن الرَّمْي لِمَرَضٍ أو مانع شَرْعي لا يزول طيلة أيام التَّشْريق جاز أن يُنيب من يرْمي عنه، بِشَرْط أن يكون مَن ينوب عنه قد رمى عن نفْسِه، وينوي النائبُ الرَّمْيَ عن فلان، فهذا ممكن إذا كانت المرأة كبيرةً، أو الإنسان عاجزًا، كما أنَّهُ يَصِحُّ الرَّمْي في الطابق الأعلى، فهناك المَمْشى الأساسي والطابق العُلوي، وغداً تجدون أنّ المسلمين لو نَظَّموا أنفسهم لن تحدث مشكلة، لأنَّ الطريق مُسْتَمِرّ، لكن من عدم التَّنْظيم هناك حُجاج يرْمون ثمّ يعودون، فهذا التعاكس في السَّيْر يخلق مُشْكلة كبيرة.

الحلق أو التقصير :



الحَلْقُ أو التَّقْصير هو عند الشافعِيَّة رُكْن من أركان الحج، لا تكْتمِلُ مناسِكُ الحجّ إلا به، وعند الأحْناف واجبٌ من واجبات الحج، وعلى كُلٍّ فلا بدّ من الحَلْق أوالتَّقْصير، قال صلى الله عليه وسلّم: "رحم الله المحلِّقين " والسنَّة أن يكون الحلْق أو التَّقْصير بعد رَمْي جمْرَة العقبة، وأن يكون بمِنى، وله أن يحْلق بأيّ مكانٍ شاء، وبعد الحلق يكون الحاج قد تَحَلَّل من مَحْضورات الإحرام عدا النِّساء، فيَمَكَّن أن يتطَيَّب وأن يلْبِسَ ثيابه، ولا يَحِلُّ له النِّساء إلا بعد طواف الإفاضة.

وأقلّ شيء في الحلق والتَّقصير ثلاثُ شَعْراتٍ، فإذا لم يكن مع الإنسان شَعْرٌ، يُمَرِّر الموسى على رأسه حتى يكون مِمَّن نفَّذ أمْر الله، وتأدُّب بأدب الإسلام.

ولو كان به أذىً من رأسه يَمْنع من الحلْق أو التَّقْصير، ينتظر حتى يزول المانع، ولا يسْقط عنه الحلق أبداً، ويُسَنُّ أن يسْتقبل القبلة عند الحلق، ويبْدأ بِمُقَدَّم رأسِه، فالشِّقّ الأيْمن فالأيْسَر، ثمَّ بَقِيَّةُ الرأس، ثمَّ يُدْفنُ شَعْرُهُ بالرَّمْل، ويُكْرَهُ أن تحْلِقَ المرأة شَعْرها، بل تُقَصِّر، والسنَّة أن تُقَصِّر بِمِقْدار أُنْملة من جميع جوانب شعْرِها.

طواف الإفاضة :

أما طواف الإفاضة فهو رُكْن الحجّ الأساسي، وصَدّقوني ولا أُبالغ، كم من حاجٍ عاد من حَجِّه ولم يَطُفْ طواف الإفاضة !

أيها الأخوة تَفَقَّهوا، قبل أن تَحجّوا، والتَّفَقُّه في مناسك الحج من الحجّ.

طواف الإفاضة ركن في الحج، وسأُبَيِّنُ لكم مَثلاً بسيطاً، وهو الفرق عند المذاهب، فعند الأحناف المرأة إذا جاءَتْها الدَّورة الشَّهْرِيَة، وحالتْ بينها وبين طواف الإفاضة فعليها بدَنَة، والبَدَنة تتراوح ما بين سبعين إلى ثمانين إلى مئة ألف ! وهو مبلغ فوق طاقة الإنسان ؛ فهذا عند الأحناف، أما عند الشافِعِيَّة فتُصْبح المرأة أميرة ركْبِها، فيجب أن ينتظرها أهلها إلى أن تطْهر وعند الإمام مالك - ولولا مالك لكان الدّين هالِكًا - تتَحَرَّى وَقْتاً ينقطع فيه الدّم قليلاً، وتطوف البيْت، ولا شيء عليها، لأنَّ الحيْض عارِضٌ سماوي، فلو جاءَتْك امْرأة فقيرة جَمَعَتْ المال دِرْهماً فوق دِرْهم طوال حياتها، حتى جاءتْ البيت الحرام، وجاءَتْها الدَّورة قبل طواف

الإفاضة وكنت مُفْتِياً ماذا تقول لها؟ أنا سَمِعْتُ مرَّةً شخصًا يقول لامرأة: عليكِ بَدَنَة، ولما سألتْ ما البَدَنة؟ قال: جمل، فقالتْ: وما ثَمَنُ الجمَل؟ فلما قيل لها: كذا ليرة بَرَكَت كما يبْرك الجمل، ومرَّةً قال أحد العلماء: قلَّدْتُ ثلاثة مذاهب، وأنا في الطواف بدأتُ شافِعِياً، فلامَسَتْ يدي امرأة فقلَّدْتُ الحنفي، ثمَّ سال منِّي دمٌ فقَلَّدْتُ الإمام مالك! فالدِّينُ يُسْر، ففي بلدك خُذْ بالأحوط، أما في الحج فخُذْ بالأيْسَر.

أمّا طواف الإفاضة فإذا تَمَكَّنتم أن تطوفوا طواف الإفاضة فيِ ساعة متأخِّرة من الليل؛ الثانيَة مثلاً، سَتَجِدون بَحْبوحة بالطواف، إلا أنَّ الطواف بالنَّهار بالعدد الهائل ستجدون هناك عُسْرة، وشبه اسْتِحالة، والطواف بالأرْوِقَة يُكَلِّفُكم كُلُّ شوط قرابة ساعة، فإذا انطلقتم من منى إلى مكَّة بعد رَمْي الجِمار، ثمَّ إلى بيت الله الحرام، وطُفْتُمْ طواف الإفاضة، ربما كان طوافكم مُسْعِداً، لأنَّكم لم تجدوا ازْدِحاماً شديداً.

و قت الطواف :

يدْخل وقْتُهُ من منتصف ليلة العاشر من ذي الحجّة، وهو يوم عرفة، ولا نِهاية لوقْته، إلى آخر العُمر، إلا أنَّ العلماء قالوا: يُكْره أن يُؤَخَّر إلى بعد أيام التّشْريق، وتشْتدُّ الكراهة بعد أيام التَّشْريق، والأوْلى أن يطوف قبل زوال شَمْس أيام العيد، أي من منتصف ليلة العيد إلى ظهْر العيد، وهو أكمل وقْت لِطَواف الإفاضة. ومن لم يطُف طواف الإفاضة يظَلّ مُحْرِماً، ولا تَحِلّ له النِّساء مهما امْتَدَّ به الزَّمن.

ولو طاف طواف الوداع، ولم يطُفْ طواف الإفاضة، وقع طوافه عن طواف الإفاضة، ووجب أن يطوف طواف الوداع، فأنت لما قَدِمْت إلى مكَّة، وطُفْتَ طواف القُدوم، ولم تسْعَ بين الصفا والمروة بإمكانك بعد طواف الإفاضة أن تسْعى بين الصفا و المروة، فالسَّعْي لا يتكَرَّر، فإما مع طواف القُدوم، و هو أفْضل بِكَثير، وإما بعد طواف الإفاضة وهو غير منْصوح به، فَبَعْد أن تطوف طواف الإفاضة، وتسْعى بين الصفا والمروة إن لم تسعَ من قبل، تذْهب إلى البيت وتَحْلِق وتغْتَسِل وتتطَيَّب، وتكون بِهذا قد تَحَلَّلْتَ من كلِّ مَحْظورات الإحرام وما بَقِيَ عليك إلا رَمْيُ الجِمار.

رمي الجمار :

يكون رَمْيُ الجِمار ثاني أيام العيد، وثالث يوم، ورابع يوم، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

[سورة البقرة: 203]

وكثير من الحجاج، وأنا فعلْتُ هذا مع أعضاء البِعْثة يذْهبون إلى مِنى الساعة العاشِرَة ليْلاً، من ثاني أيام العيد، ويرْمون الجمرات، الأولى والثانية والثالثة وينتظرون إلى أذان الفجْر، فإذا أذَّن الفجْر يُصَلون الفجْر، ويرْمون الجمرات الثلاثة للمَرَّة الثانية، فقبل صلاة الفجْر عن ثاني أيام العيد، وبعد صلاة الفجْر عن ثالث أيام العيد، ومن الساعة العاشرة حتى طلوع الشَّمْس فقد تَحَقَّق المبيت بِمِنى، وهو واجب عند الأحناف، وسنَّة عند السادة الشافعيَّة، فَتَكون قد جمَعْتَ بين المبيت بِمِنى، وبين رَمْي الجمار عن اليوم الثاني من أيام العيد، وعن اليوم الثالث من أيام العيد، فإذا ذَهَبْتم الساعة العاشرة إلى منى، هذا الوقت يجب أن يمْضي بِذِكْر الله، وتِلاوة القرآن، وأدعية وابْتِهالات، كما أنَّني أنصح الذي معه زوجته، أو أمّه، أو أخته، أن يرمي بالليل خوف الانسِحاق وليس الازدِحام.

التحلل :

ويكون التَّحلّل بعد رَمْي جَمْرة العقبة والحلْق أو التَّقصير والطواف مع السَّعْي إن لم يكن قد سَعى. ويُسَنُّ للحاج التَّكْبير في أعْقاب الصَّلوات الخمْسة، والأرجح إلى آخر أيام العيد المبارك، ثمّ طواف الوداع، وبعدها التَّوَجُّه إلى مسْجد النبي عليه الصلاة والسلام.

وإن شاء الله في درْس قادم ننتقل إلى زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها آداب وأدْعِيَة وتَرْتيبات.

والحمد لله رب العالمين

4-10 الأضحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتَّصَلَت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بِخَبر . اللَّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين، اللَّهمّ ارْحمنا فإنّك بنا راحِم ، ولا تعذّبنا فإنّك علينا قادر ، والْطُف بنا فيما جرَتْ به المقادير ، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير ، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدْنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتّبعون أحْسنه، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أفضل الأعمال عند الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ أخرج الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]



أن تؤمن بالله ، أن تعرفهُ ، لأنّ معرفة الله أصْل الدِّين ، أيُّ عملٍ يُبنى قبل أن تعرفهُ عملٌ لا جدوى منه ، لا أجر لك فيه لأنّ فيه شركاً :

((...أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا قَالَ ؟ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وكلمة الجهاد بمعناها الواسع أيْ أن تحمِلَ نفسك على طاعة الله عز وجل ، أن تُجاهد نفسك وهواك ، أن تلتزم بأوامر الشّرع ، أن تقيم أمْر الله عز وجل في بيتك ، وفي عملك، وفيمن حولك ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ أيْ بعد أن تعرف الله عز وجل ، وبعد أن تلتزمَ أمْرهُ ونهْيَهُ ، وبعد أن تروّض نفسك على طاعته ، وبعد أن تنفّذ تكليفاته :

((... قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

((أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

والحجّ المبرور هو الحجّ الذي لم يُخالطْهُ رفثٌ ولا فسوقٌ ، ولا تقصيرٌ ولا انحراف، وليس له جزاءٌ إلا الجنّة .

النيّة الخالصة لله عز وجل محصّلة الدِّين كلّه :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا سَيَّارٌ أَبُو الْحَكَمِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]



مَوْطِنُ الشاهد : منْ حجَّ لله ، من كان حجُّهُ خالصًا لله لا يبتغي سُمعةً ، ولا تِجارةً ، ولا مكسبًا ، ولا سياحةً ، ولا زيارةً ، من حجّ لله فلم يرفُث – أي لمْ يفْعَل شيئًا مِمَّا نهى الله عنه – ولم يفسق رجَعَ كَيوم ولدتْهُ أُمُّه .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من حجَّ لله أي من كانت نِيَّته خالصةً لله ، والنيّة الخالصة لله عز وجل محصّلة الدِّين كلّه ، لن تستطيعَ أن تُحَرّرَ نيّتَكَ مِمَّا سوى الله إلا إذا عرفْت الله ، إلا إذا عرفْت أنَّه هو الخالق العظيم ، وهو الربّ الكريم ، والمسيّرُ الحكيم ، بيَدِهِ مقاليد السموات والأرض ، في السماء إلهٌ ، وفي

الأرض إلهٌ ، إليه يرجعُ الأمر كلّه ، إذا عرفْت أنَّه بيَدِهِ كلّ شيءٍ ، كلّ شيءٍ تخافُ منه ، وكلُّ شيءٍ تصبو إليه بيَدِهِ ، إذا عرفْتَ أنَّ الأمر كله بيَدِهِ عندئذٍ تعبُدُه ، وعندئذٍ تخلصُ إليه .

النيّة أيّها الأخوة لن تكون بالتقليد ، لن يستطيع الإنسان أن يقلّد الناس بِنَواياهم العاليَة ، لا يستطيع أنْ ينوي النيّة الصادقة الخالصة إلا إذا عرف الله ، إلا إذا عرف عظمتهُ ، إلا إذا عرفَ ما عندهُ من خيرٍ كبير ، إلا إذا عرف ما عندهُ من عقابٍ أليم ، إلا إذا عرفَ ما وعَدَ به المؤمنين من جنّة عرضها السموات والأرض ، لذلك :

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

المتابعة بين الحج و العمرة :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[النسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ]

كلّما أقبلت على الله عز وجل طهُرَت نفسُكَ ممّا سوى الله تعالى ، كلّما أقبلت على الله عز وجل طهُرَت نفسُكَ من الأدران ، كلّما أقبلت على الله عز وجل طهُرَت نفسُكَ من الشهوات ، عندئذٍ تغفرُ الذّنوب ، وكلّما بذلْت من مالك في سبيل الله عوّضَك الله خيرًا ممَّا أنفقْتَهُ، لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))

[النسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ]

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي حديث آخر عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ))

[ابن ماجه عَنْ ابْنِ عُمَرَ]

أيها الأخوة الأكارم ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

من حجَّ وحرصَ على أن يكون حجُّهُ مَبرورًا نقيًّا خالصًا ، منزَّهًا من كلِّ مخالفة ، ومن كلِّ معْصِيَة ، من كلّ تقصير ، من كلّ تهاوُن ، من كلّ نيَّةٍ لا ترضي الله عز وجل ليس له جزاء إلا الجنّة .

الحكمة من التعجل في الخروج للحج :

روى البيهقي في السنن عن أبي هريرة قال : قال عليه الصلاة والسلام :

((حجوا قبل ألا تحجوا ؛ تقعد أعرابها على أذناب أوديتها فلا يصل إلى الحج أحد))

[البيهقي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

ربّما ضاقَت دائرة الحجّ ، ربّما جاء ضَعْفٌ في الجسَد ، ربّما جاءتْ مشكلةٌ في العمل ، ربّما جاءَ همّ في الحياة ، وفي حديث آخر رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :

((تعجلوا الخروج إلى مكة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرض أو حاجة))

[الديلمي عن ابن عباس]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ عن عليٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ مَلَكَ زَاداً ورَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إلى بَيتِ الله ولَمْ يَحِجّ فَلا عَلَيهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِياً أَو نَصرَانِياً ، وذَلكَ الله يقولُ في كتابِهِ : ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنْ استَطَاعَ إليهِ سبيلا))

[الترمذي عن عليٍّ]

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن الله تعالى يقول :

((إنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ له جسمه ، ووسعت عليه في معيشته ، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلي لمحروم))

[أبو يعلى عن أبي سعيد]

لَمَحرومٌ من عطائي ، ومن رحمتي ، من تجلّياتي ، ومن إكرامي ، ومن مغفرتي.

وفي الحديث الأخير ، عن فضائل الحجّ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ))

[أحمد عن ابن عباس]

حكمة الحج :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما حِكمة الحجّ ؟



شاءَتْ حِكمة الله سبحانه وتعالى أن يتَّخِذَ لنفسِهِ بيتًا ، أن يُضيفَ إلى ذاتِهِ العليّة بيتًا في الأرض ، هكذا شاءَتْ حِكمة الله عز وجل، شاءَتْ حكمةُ الله عز وجل أن يتَّخِذ لنفسه بيتًا ، وأن يُضيفَ إلى ذاتِهِ بيتًا ليُزَارَ في هذا البيت ، أضاف هذا البيت إلى ذاتِهِ تكريمًا للبيت ولِزُوَّارِهِ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ من حكمة الحجّ أنّ الله سبحانه وتعالى جَعَلَ بيتَهُ الحرام في وادٍ غير ذي زرع كي تسعَدَ النَّفسُ بإقبالها على ربّها ، ولقائِها بربِّها في ظروفٍ مادِّيَّةٍ صعبةٍ ، وكيف أنّ النَّفْسَ في المُقابل قد تشقى ، وهي في ظروفٍ ماديّة يسيرة ، كأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يُعلمنا وأن يبيّنَ لنا أنّ النفْس الإنسانيّة لا تسْعَدُ إلا بِقُربها من خالقها ، فلو كانت الظّروف في أقصى ما يمكن ، لو أنّ الحياة خشِنة ، لو أنّ الازدحام شديد ، ولو أنّ الحرّ شديد، إذا كانت هذه النفسُ مقبلةً على الله ، متَّصلةً به ، سَعِدَتْ أيَّما سعادة ، وربّما كانت بعيدةً عنه ، وربّما كانت معرضةً عنه ، وهي في أعلى درجات النعيم ، وهي في هذه الحالة شَقِيَّة شقاءً لا يوصَف .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربّنا سبحانه وتعالى دعانا إلى الحجّ في وقتٍ واحدٍ لمعانٍ كثيرة أرادها الله عز وجل ، ولكنّ الله عز وجل لا يردّ زيارة زائر ، لذلك شُرعت العمرة ، والعمرة شُرِعَت لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يردّ زيارة زائر ، ولكنّ الحجّ شرعَهُ لمعانٍ لا تكتَمِلُ إلا باجتِماع المسلمين في مكان واحدٍ ، وفي زمانٍ واحد ، وفي مناسك موحَّدَة.

تحريم الجدل و الخصومة و الرفث في الحج :

أيها الأخوة الأكارم ؛ تعظيمًا لهذه الفريضة الخامسة ، تعظيمًا لهذه الرِّحلة إلى الله ، تعظيمًا لِتَرْك الدنيا والإقبال على الله ، تعظيمًا لهذا المنسِك الذي شرعهُ الله لنا لِيَجْعلنا في أعلى درجات القُرْب جعَلَ الله عز وجل حُرْمةً لزمان الحجّ ، فكانت الأشهر الحُرُم ، وجعل حرمةً لمكان الحجّ فكانت محظورات الإحرام ، والله سبحانه وتعالى جعَلَ حُرْمةً ثالثة من مناسك الحجّ ، فأيُّ شيءٍ يدعو إلى الرفاهيَة ، وإلى النَّعيم محظورٌ في الحجّ مع أنَّه مباحٌ في بلد الإقامة .

الشيءُ الذي أباحهُ الله لك ، الأشياء التي تنعُم بها في حياتك في منزلك حرَّمها الله عليك في الحجّ ، لِيَكون الحجّ تَرْكًا كاملاً للدنيا ، تركًا لِمُحرَّماتها ، وتَرْكًا لِمُباحاتها ، فالحاجّ لا يجوز أن يحْلقَ ، ولا أن يقلِّمَ أظافرهُ ، ولا أن يتطيَّب ، لأنّ الحجّاج والعُمَّار جاؤوا إلى بيت الله الحرام زيارة مَحَبَّة ، هذا الحجّ في حقيقته زيارة المُحِبّ لِحَبيبِهِ ، وهذه الزّيارة ربّما غلّفها وربّما عكَّرها بعض المشكلات ، بعض الخصومات ، لذلك حرَّم الله الخُصومة في الحجّ ، قال تعالى :

﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

[سورة البقرة : 197]

أيّة خصومة تبدأ من الجِدال ، أيّ عُدوانٍ يبدأ من الجدال ، الله سبحانه وتعالى حرَّمَ على الحاجّ أصْل الخُصومة مبتدى العُدوان ، مبتدى المشكلة ، فمن أجل أن تكون هذه الزّيارة زيارة مُحِبٍّ لِمَحبوبِهِ لا ينبغي أن تُعكَّر هذه الزّيارة بِخُصومةٍ ، وبِمَعركةٍ جانبيّة ، وبِمُشكلةٍ، وبِهَمٍّ ، وبِشَيءٍ من هذا القبيل ، لذلك حرَّم الله الجِدال في الحجّ ، وينبغي أن تكون هذه الزّيارة زيارة مُحِبٍّ لِمَحبوبِهِ ، لذلك لا ينبغي أن يشوب هذه الزيارة إقبالٌ على حبيب آخر، ولو كان مباحًا في مكان إقامة الحاجّ ، لذلك حرَّم الله الرَّفثَ بِكُلّ أنواعِهِ ، بما جلّ منه وما عظُم، بِمُبتدياتِهِ ، وبِمُقدِّماته ، لا كلمة ولا نظْرة ، ولا شيئًا من هذا القبيل ، قال تعالى :

﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

[سورة البقرة : 197]

الناس عند الله سواسية لا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ اللّباسُ الموَحَّد في الحجّ يعني خَلْعَ الدُّنيا ، ويعني أنّ الناس سواسِيَةٌ عند الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات : 13]

اللّباسُ الموحّد ، هذا اللّباسُ الخشِن ، ثوب الإحرام يعني أنَّ الناس عند الله سواسِيَةٌ ، وسوفَ يُحشرون إلى الله عز وجل سواسِيَة ، لا فرْق بين أبيَضِهم ولا أسْوَدِهِم ، وبين غَنِيِّهم وفقيرهم إلا بالعمل الصالح . يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الحجّ زيارة المُحبّ لِحَبيبِهِ ، هذا هو المعنى الأوّل ، وكلّ شيءٍ يحقّق هدف هذه الزّيارة شرعهُ الله ، وكلّ شيءٍ يُبْعِدُ النَّفسَ عن حقيقة هذه الزّيارة حرَّمهُ الله سبحانه وتعالى .

مناسك الحجّ تعبيرٌ رمزي عن معرفة الله عز وجل :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يسأل سائلٌ : ما معنى الطواف حول البيت ؟ وما معنى السعي بين الصفا والمروَة ؟ ما معنى هذه المناسك التي شرعها لنا النبي عليه الصلاة والسلام تفصيلاً ؟ وشُرِعَتْ في أصل الكتاب إجمالاً؟

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ دقيق دقيق ، ليس الإنسانُ روحًا خالصة ، الإنسان جسدٌ وروح ، ملابسَة النَّفْس لهذا الجسد جَعَلَتْ حياة الإنسان تشابكًا بين الجسد والروح ، فلذلك لماذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن نُصَلِّيَ في المسجد ؟ ولماذا جعل صلاة الجماعة تفضُل صلاة المفرِد ؟ أليْسَ الله في كلّ مكان ؟ لماذا ألحَّ النبي أن تكون الصلاة في المسجِد ؟ كي يكون المسْجِدُ رمزًا لزيارة الله في بيتِه ، كي يكون المسْجِدُ رمزًا لِتَجَلِّي الله على قلب المصلّي، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام روى في الحديث القدسي :

((إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زواري فيها هم عمارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني ، وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري]


اتجاهك لبيت الله معناه أنك تتجه إلى الله عز وجل

صلاتك في المسجد رمزٌ لِضِيافة الله لك ، ومهبطٌ لِرَحمته على قلبك ، مع أنّ الله في كلّ مكان ، هذه هي الصلاة . ولماذا نتوجَّهُ نحو القبلة ؟ هل الله سبحانه وتعالى باتّجاه القبلة ؟ تعالى أن يكون في مكان ، وتعالى أن يحِلّ في مكان ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى جَعَلَ هذه الكعبة البيت الحرام بيتهُ الكريم ، فإذا اِتَّجَهْتَ لهذا البيت معنى ذلك أنَّكَ تَتَّجِهُ إلى الله عز وجل ، ومعنى اِتّجاه جميع المسلمين في شتَّى بِقاع الأرض إلى الكعبة المشرّفة فهذا معناه استسلامهم إلى الله ، وطلبهم الرحمة من الله عز وجل ، وهذا هو المعنى الثاني من معاني القبلة الموحَّدَة .

أيها الأخوة الأكارم ؛ معنى الطواف حول البيت ، لك في الحياة هدفٌ واحد هو الله عز وجل ، وهذا البيت رمزٌ للحَضْرة الإلهيّة ، جعَلَهُ الله بيتَهُ وأضافهُ إليه ، إنّك جئتَهُ مِن مكانٍ بعيد ، جئتَهُ من أقصى بلاد الدنيا ، تجشَّمْتَ مشاقّ السَّفر ، وأنْفقْتَ من مالك ، هذه المشقّة لا بدّ من أن تورثَ في نفسكَ ثقةً بِرضاء الله عز وجل .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ طواف البيت تعظيمُ ربّ البيت ، الطواف بالبيت ليس تعظيمًا لهذا الحجَر ولكن تعظيمًا لخالق البشر ، الطواف بالبيت معناه أنّ لك هدفًا واحدًا لا تحيدُ عنه إنَّه الله سبحانه وتعالى .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه المعاني التي يستشعرها الحاجّ في طوافّه ، وفي سَعْيِهِ ، وفي نَحْرِهِ ، وفي رجْمِهِ ، وفي وُقوفِهِ في عرفات ، وفي رحيله عنها إلى مزدلفة ، وفي نفْرتِهِ من مزدلفة إلى منى ، هذه المشاعر ، وهذه المناسك يجبُ أن ترافقها مشاعر ، إنَّك إذا عرفْت الله سبحانه وتعالى عرفْتَ عظمتهُ ، وما عنده من عطاءٍ كبير ، وما عندهُ من عقابٍ أليم، عرفْتَهُ أنَّه كلّ شيء ، وأنَّه لا إله إلا هو ، وأنّه هو الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنّه المُبْتدى والمنتهى ، إذا عرفْت أنَّه كلّ شيءٍ توجّهت إليه وحده ، وما مناسك الحجّ إلا تعبيرٌ رمزي عن هذه المعرفة بالله عز وجل ، طُفْتَ حول البيت تعظيمًا لربّ البيت ، وجعل لك هدفًا واحدًا لا تحيدُ عنه ، فإذا سعَيْتَ بين الصفا والمرْوَة ، فما سعْيُك إلا تجسيدٌ لسَعْيِكَ إلى الله عز وجل ، عرفته ، وبحثْت عنه ، وعكَفْتَ عليه ، ثمَّ سعيْتَ في سبيل مرضاتِه ، هذه بعض المعاني التي يمكن أن تستفاد من معاني الحجّ ، ولماذا هرْوَلْتَ في الأشواط الثلاثة الأولى ؟ وبين المَيْلين الأخضرين ؟ إنّها الهرْوَلَةَ كما أرادها النبي عليه الصلاة والسلام حينما سنَّها للمسلمين أرادها أن تكون تعبيرًا رمْزيًّا عن قوّة المسلمين ، لأنّ المؤمن القويّ خيرٌ من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير .

توافقُ المناسك مع المشاعر دليل كمال الإيمان و صحة الحج :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه المناسك التي أمرنا الله بها إنّما هي أعمال نؤدّيها في الظاهر ، ولا بدّ أن يُرافقها مشاعرُ في الداخل ، توافقُ المناسك مع المشاعر دليل كمال الإيمان ، توافقُ المناسك مع المشاعر دليل صِحّة الحجّ ، توافقُ المناسك مع المشاعر دليل أنّ هذا الحجّ خالصٌ لِوَجه الله عز وجل ، وأنّ هذا الحاجّ عرفَ الله قبل أن يحجّ ، أما إذا ذهَبَ الإنسان إلى الحجّ وهو غير مكتَمِل الإيمان فربّما صارَ سائحًا ، وربّما كانت هذه السّياحة في مكانٍ غير مناسبٍ له ، وفي وقتٍ غير مناسب ، فأصبحَ الحجّ عليه لغزًا غريبًا لمْ يفْقَه حِكمتهُ ولا مُؤدَّاهُ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون حجُّنا مبرورًا ، وأن يكون سَعْيُنا مشكورًا ، وأن يكون ذنبنا مغفورًا ، وأن نكون مُتَفَقِّهين قبل أن نحجّ ، لأنّ هذا الحجّ عِبادة العُمُر ، عبادةٌ بدنيّة ، وعبادةٌ ماليّة ، وعبادةٌ قوليّة ، وعبادة شعائريّة ، أنواع العبادات مجتمعةٌ في الحجّ ، والحجّ فيه عباداتٌ منوَّعَة ، بين صلاة ، وبين إحرامٍ ، وبين تلبيَةٍ ، وبين ذِكْرٍ ، وبين طوافٍ ، وبين سَعْيٍ ، وبين وُقوفٍ في عرفة ، وبين نفرةٍ منها إلى مزدلفة ، وبين رجمٍ للشيطان ، وبين طواف الإفاضة ، وبين زيارة خير الأنام ، أنواعٌ منوّعة من العبادة ، كلُّ عبادةٍ لها طَعمٌ خاصّ ومذاقٌ خاصّ .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا أراد الإنسان الحجّ فلْيَجتَهِد قبل الحجّ ليكون حجّه في المستوى الذي أرادهُ الله عز وجل ، إذا أراد الإنسان الحجّ فلْيَكُن مستَعِدًّا إن في استقامته ، وإن في علاقته ، وإن في تفقُّهِهِ ، وإن في ممارساته لِشَعائر الإسلام بشَكلٍ يرضي الله عز وجل.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا ، فلْنَتَّخِذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتْبعَ نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

الحج يجب أن يكون نقلة نوعية في إيمان كل إنسان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ تعليقٌ سريع على موضوع الخطبة الأولى ، من ذهب إلى بيت الله الحرام ، وعاد منه كما ذهب من دون تَصحيحٍ لسُلوكِهِ ، ومن دون إقلاعٍ عن كلّ المخالفات والمعاصي ، إذا ذهبْتَ إلى بيت الله الحرام ، وعُدْتَ كما أتيْتَ فكأنّك لمْ تحُجّ البيت، يجبُ أن تعود من بيت الله الحرام بِشَخصيَةٍ جديدة ، وبقِيَمٍ جديدة ، وبِنِظامٍ جديد في حياتك ، يجبُ أن يكون الحجّ انْعِطافًا خطيرًا في حياتك ، يجب أن يبدّل الحجّ أهدافك الكبرى ، الأهداف الأرضيّة يجبُ أن تصبحَ سماويّة ، القِيَمُ الماديّة يجبُ أن تكون قيَمًا روحِيَّة ، التساهُل في تطبيق أوامر الله يجبُ أن يعْقِبَهُ التِزاماً صارماً في تَحَرّي تطبيق أوامر الله عز وجل ، الصّلوات التي تؤدَّى قبل الحجّ بِشَكلٍ أو بآخر يجبُ أن تُؤدَّى بعد الحجّ كما أرادها الله عز وجل ، يجبُ أن يكون الحجّ أيّها الأخوة نقلةً نوعِيَّة في إيمانك ، نقلةً نوعِيَّة من مستوى إلى مستوى ، من منزلةٍ إلى منزلة ، ومن حالٍ إلى حال ، يجبُ أن يكون الحجّ أساسُهُ التقلّب في درجات القرب ، متابعة الترقّي ، لا أن يكون الحجّ كما قال بعضهم : مُدافعةً للتدنّي .

الأضحية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من لوازِمِ هذا الموضوع موضوع الأُضْحِيَة ، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

[سورة الحجّ : 36]

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((استفرهوا ضحاياكم ؛ فإنها مطاياكم على الصراط))

[رواه الديلمي عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأكارم ؛ الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الحجّ : 36-37]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الأُضْحِيَةُ سُنّة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام .



يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الأُضْحِيَةُ واجبةٌ على المسلم ، واجبةٌ على المسلم الحرّ المقيم الموسر، البالغ العاقل ، حِكمتها التوْسِعَة على العِيال والأقارب ، وفقراء المسلمين ، ولا سيما في وقتٍ غلى فيه اللَّحْمُ ، وأصبحَ شيئًا بعيدًا عن منال الفقير، ووقتُ وُجوبها أيّام التشريق الثلاثة من بعد صلاة العيد إلى غروب شمسِ ثالث يومٍ .

الأُضحيَة من الأفضل أن تقدمها لحماً وهذا أفضلُ من التصدّق بِثَمَنِها ، حِكمةُ ذلك أنّك إذا أدَّيْت إلى فقيرٍ بعض المال ، قد يسُدُّ بِهِ دَيْنًا عليه ، ويبقى عِيالهُ جِياعًا في العيد ، أما إذا دَفَعتَ إليه اللَّحْم فلابدّ من أن يأكلهُ ، وتكون قد أشْبَعْتَ البُطون الجائعة .

وتجوز الأُضحيَة من الغنم ، من ضأنٍ أو معْزٍ ، أو من الإبل ، والبقر ، وفي الغنَم يُشترطُ أن يكون قد أتمَّ سنة ، ولا تصِحُّ التضحِيَة بالعَمياء ، ولا العوراء ، ولا العجفاء ، ولا العرجاء ، ولا المريضة ، ويُستحبّ في الأُضحِيَة أسْمَنُها وأحْسنُها لقوله صلى الله عليه وسلّم :

((استفرهوا ضحاياكم ؛ فإنها مطاياكم على الصراط))

[رواه الديلمي عن أبي هريرة]

والأُضحِيَة هديّة العبْد إلى ربّه ، وقُرْبتُهُ إليه ، فلْيُحسِن أحدكم الهديَة إلى ربّه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يُضحّي بالكبش الأبيَض الأقرن ، ويُستحبُّ للمُضَحِّي أن يأكل من أُضحِيَته ، وأن يُهدي منها أقرباءَهُ ، وأصدقاءهُ ، وجيرانهُ ، وأن يتصدَّق بثُلثها أو أكثر ، لقوله تعالى :

﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾

[سورة الحجّ : 36]

ويُسْتَحسنُ أن يحضرَ صاحبُ الأُضحِيَة الذّبْح ، فإن استطاعَ فلْيَذْبَح بيَدِهِ ، يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هديّة العبْد إلى ربّه هذه الأُضحِيَة ، وهي واجبةٌ على كلّ مسلمٍ حرّ ، عاقلٍ ، مقيم، موسِر .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-11 الحج من البداية إلى النهاية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتَّصَلَت عين بنظر ، وما سمعت أذنٌ بِخَبر .

اللَّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين.

تمهيد



أيها الإخوة المؤمنون ؛ في حياة الإنسان الشارد عن ربّه قِيَمٌ ماديّة طاغيَة ؛ هي بِشَكل أو بآخر موازين غير صحيحة يوزنُ بها الإنسان في المجتمع المادّي ، كالمال ، والقوّة ، والوسامة ، والذكاء ، وهي قِيَمٌ مُضَلّلة تحجب الإنسان عن حقيقته الإنسانيّة ، وعن رسالته الربانيّة ، تحجبه عن سرّ وُجوده ، وغاية وُجوده ، وعن مصيره الأبدي ، وحينما يرحل الإنسان من حياته الدنيا الفانيَة إلى حياته الأخرى الباقِيَة يُصْعَق ، حينما تنهار أمامه القِيَم الماديّة ، وتتعطّل الموازين غير الصحيحة ، وتسقط الأقْنِعَة المزيّفة ، وتنْزاح الحُجَب المضلّلة ، كلُّ هذا بعد فوات الأوان ، يُصْعق الإنسان حينما يقيَّمُ عملهُ في الدنيا وفق مقاييس جديدة ، وفْق مدى معرفته بربّه ، ومعرفته لِمَنهج ربّه ، واستقامته على منهج ربّه ، وبحجْم أعماله الصالحة التي نفعَ بها الخلق .


الحج درس للاستغناء عن أنواع النعيم في الدنيا

يا أيها الأخوة الكرام ؛ لأن لا يُصْعق الإنسان في رحلته الأخيرة فرض الله الحج على المُسْتطيع الموسِر لِيَكون الحجّ رحلةً إلى الله قبل الأخيرة ، فلعلّهُ يستعِدّ من خلال دروسها البليغة لرحلةٍ أخيرة. المُستطيع أيّها الأخوة ؛ هو من يجد مالاً ، وصحّةً، وراحلةً يعينهُ على أداء هذا المنْسك العظيم .

أيها الأخوة الكرام ؛ الحجّ بِتعبير دقيق ؛ رحلةٌ إلى الله تعالى ، فقد شاءَت إرادة الله لِحكمةٍ مطلقة مراعاةً للنَّزْعة الماديّة في كيان الإنسان ، شاءت إرادة الله أن يضع للناس في الأرض بيتًا له ، يُمَكِّنُ المؤمنون به لكي يُعَبِّروا من خلال إتْيان هذا البيت من كلّ فجٍّ عميق، من أن يُعَبِّروا عن حبّ الله ، وشوْقِهِم إليه ، فالمؤمن يؤكّد من خلال قصْده البيت الحرام مُلَبِّيًا دعْوَةَ ربِّه أنَّ الله أحبُّ إليه من أهله وولده وماله وعمله وبلده والناس أجمعين ، فيتحمَّل الحاجّ نفقات الحجّ التي ربّما كانتْ باهظة ، ويتحمَّل ترْك الأهْل والولد الذي ربّما كان صعْبًا ، ويتحمَّل ترْك العمل والكسْب الذي ربّما كان أثيرًا ، كلّ ذلك حبّا لله ، وطمَعًا للقُرْب منه ، وشاءت حكمة الله أيضًا أن يكون بيتهُ الحرام في المنطقة الحارّة من الأرض ، وفي وادٍ غير ذي زرْع لِيَكون واضحًا لدى الحاجّ أنَّ الاتّصال الحقيقيّ بالله يُحَقّق للمرءِ سعادةً يستغني بها عن كلّ الشروط الماديّة التي يتوهَّم أنَّها سبب سعادته ، وأنّ سعادة الإنسان تنْبع من داخله لا ممَّا يحيط به نفسه من أنواع النعيم .


شاء الله أن تكون فريضة الحج في بلد حار وبعيد عن ملذات الحياة

أيها الأخوة الكرام ؛ كما قلتُ لكم سابقًا لو كان البيت الحرام في المنطقة المعتدلة من الأرض حيث الجبال الخضراء ، والمياه العذبة ، والبحيْرات الصافية ، والبساتين الغنّاء ، والجوّ اللّطيف ، والنسيم العليل ، وكان الحجّ على مدار العام دَفْعًا للازدحام ، لأقْبَلَ كلّ الخلق على أداء هذه الفريضة المُمْتعة طلبًا للاسْتِجمام لا حُبًّا بِخَالق الأكوان .

أخوة الإيمان ؛ قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

[سورة إبراهيم الآية:37]

شيءٌ آخر في الحجّ ، فضلاً عن موقع بيت الله الحرام ، وعن طبيعة الأجواء فيه ، فإنّ الحاجّ المُحْرِم يُحْضر عليه لُبْس المَخيط ، والمُخيط من الثّياب ، ويُحْضَر عليه التّطيّب بكلّ أنواع الطيب ، ويُحْضر عليه الحلْق والتقصير ويحْضرُ عليه مقاربة المُتَع المتاحة في خارج الحجّ ، كلّ ذلك لِيُحْكِمَ اتّصالهُ بالله تعالى ، ولِيَسْعد بقُرْبِهِ وحده بعيدًا عن كلّ مُداخَلَةٍ من مُتَع الأرض ليَتَحقّق للحاجّ أنَّه إذا وصل إلى الله وصلَ إلى كلّ شيء ، وأنّ الدنيا كلها لا يمكن أن تُسْعِدَ الإنسان ، ولِيَنْطلِقَ لِسانهُ بِشَكلٍ عَفْويّ قائلاً : ماذا فقدَ من وَجَدَك ؟ وماذا وَجَدَ من فقَدَك ؟ .


الحجاج والعمّار وفد الله إن دَعَوْهُ أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم

أيها الأخوة ؛ مُجْمَل القَول أنَّ الحجّ عبادة قِوامُها اتّصال مُتَمَيِّزٌ بالله عز وجل ثمنهُ التَّفَرّغ التامّ ، إذْ لا يُؤدَّى الحجّ إلا في بيت الله الحرام ، إذْ لا بدّ من مغادرة الأوطان ، وترْك الأهل والخُلاّن ، وتحمّل مشاقّ السّفر ، والتَّعرّض لأخطارِهِ ، وإنفاق المال ابتغاء مرضات الله ، وإذا صحّ أنّ ثمَنَ هذه العبادة باهظ التكاليف فإنَّه يصِحّ أيضًا أنَّ ثمارها باهرة النتائج .

قال عليه الصلاة والسلام مُنَوِّهًا بثِمار هذه العبادة البدنيّة الشعائريّة المكانية الزمانيّة والماليّة فيما رواه البخاري ومسلم :

عنَّ أَبَا حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

وأنّ الحجّ يهدم من كان قبله ، وأنّ الحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنّة ، والحجاج والعمّار وفْد الله إن دَعَوْهُ أجابهم ، وإن اسْتغفروه غفر لهم ، والحج والعمرة يَنفيان الفقْر والذنوب وأنّ النّفقة في الحجّ كالنّفقة في سبيل الله ، هذه كلّها أحاديث صحيحة وردَت في فضل الحجّ .

الاستعداد والتهيؤ قبل الحج .



أيها الأخوة الكرام ؛ لكن لابدّ من بعض الملاحظات، فلكي تؤدّ هذه العبادة العظيمة على نحْوٍ يقبلها الله عز وجل ، ويرضى عنها ، ولكي لا ينفق الإنسان المال الكثير والوقت الثمين ويتجشّم المشاق ثمّ لا تُقْبلُ حجَّتهُ، ويُقال له : لا لبَيْك ، ولا سعْدَيْك ، وحجّك مرْدود عليك ، ولأن لا تضيع جثه سُدَى ، على الحاجّ أن يتوب قبل ذهابه إلى الحجّ ، من كلّ الذنوب والآثام ، كبيرها وصغيرها ، جليلها وحقيرها ، فيجْتنبَ كلّ كسْبٍ حرام، وكلّ علاقة متلبّكة بالآثام ، عليه أن يؤدِّيَ حقوق العباد ، لأنّ حُقوق العباد مبْنيّة على المشاححة ، وحقوق الله جلّ جلاله مبنيّة على المسامحة ، عليه أن يؤدّي الحقوق ، وأن يقْلعَ عن الذنوب ، والأهمّ من هذا كلّه أن يعْقد العزم على أن لا يعود إليها بعد الحجّ ، وإلا أصبح الحجّ طقسا من الطقوس التي لا معنى لها ، فَمِنَ الخطأ الكبير أيّها الأخوة ، ومن الوهْم الكبير أن يظنّ الحاجّ أنّ الحجّ يهْدِمُ ما قبله من الذنوب ، وفيه تغْفر كلّ خطيئة ، وقد أجمع العلماء أنّ الأحاديث الشريفة التي تُبيّن أنّ الحاجّ يعود من الحجّ كيَوْم ولدتْهُ أمُّه ، وقد غُفِرَتْ ذنوبه كلّها ، هذه الذنوب التي أشار إليها النبي عليه الصلاة والسلام هي الذنوب التي بين عبده ربّه حصْرًا ، أما الذنوب التي بينه وبين الخلق ، وأما الحقوق التي في ذِمَّته ، وأما الواجبات التي قصّر في أدائها ؛ هذه لا تسْقُط ، ولا تُغْفرُ إلا بالأداء ، أو المسامحة ، فالذنوب كما قال العلماء ، أو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثلاثة ؛ ذَنْبٌ لا يُغْفر وهو الشّرك بالله ، وذنْبٌ لا يُتْرَك وهو ما كان بين العبد والخلق ، وذنْبٌ يُغْفر وهو ما كان بين العبد و ربّه .

أيها الأخوة الكرام ؛ يذهب المسلم إلى بيت الله الحرام ، ويُخَلِّف في بلْدته هُموم المعاش ، هموم الرّزق ، هموم العمل ، هُموم الكسْب ، هموم الزوجة ، هموم الولد ، هموم الحاضر ، هموم المستقبل ، وبعد أن يُحْرِمَ من الميقات يبْتعد عن الدنيا كليًّا ، ويتجرَّد إلى الله عز وجل ، ويقول : لبّيْك اللهمّ لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، ما معنى هذه التَّلْبِيَة ؟ هذه التَّلْبِيَةُ أيها الأخوة كأنّها اسْتجابة من العبْد لِنِداءٍ ودعْوةٍ يقعان في قلبه ، أنْ يا عبدي خلِّي نفسكَ وتعال ، تعال يا عبدي لأُريحَكَ من هُموم كالجبال ، تجْثم على صدرك ، تعال يا عبدي لأُطهّرك من شهواتٍ تُنَغِّصُ حياتك .

فإلى متى أنت باللّذات مَشغول وأنت عن كلّ ما قدَّمْت مسؤول.

تعال يا عبدي وذُقْ طعْم محبّتي ، تعال يا عبدي وذُقْ حلاوة مناجاتي ، لبّيْك اللهمّ لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي لأريَك من آياتي الباهرات ، تعال يا عبدي لأُرِيَكَ ملكوت الأرض والسماوات ، تعال يا عبدي لأُضيء جوارحك بِنُوري الذي أشْرقَت به الظلمات ، تعال يا عبدي لأَعْمُرَ قلبكَ بِسَكينةٍ عزَّتْ على أهل الأرض والسماوات ، تعال يا عبدي لأملَكَ نفسك غِنًى ورضًى شَقِيَتْ بفقْدِهما نفوسٌ كثيرات ، تعال يا عبدي لأخرجَ من وُحول الشّهوات إلى جنّات القربات ، تعال يا عبدي لأُنْقذك من وَحْشة البُعد إلى أُنس القرب ، تعال يا عبدي لأُخلّصك من رُعْب الشّرك وذلّ النّفاق إلى طمأنينة التوحيد ، وعِزّ الطاعة ، يقول العبد : لبّيْك اللهمّ لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي لأنقلك من دُنياك المحدودة ، وعملك الرتيب ، وهمومك الطاحنة إلى آفاق معرفتي ، وشرف ذكري ، وجنّة قربي ، تعال يا عبدي وحُطّ همومك ومتاعبك ومخاوفَكَ عندي فأنا أضْمنُ لك زوالها ، تعال يا عبدي واذْكُر حاجاتك وأنت تدعوني وأنا أضْمنُ لك قضاءها ، إنّ بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوّارها هم عمّارها ، فطُوبى لِعَبْد تطهّر في بيته ثمّ زارني ، وحُقّ على المزور أن يُكْرِم الزائر ، كيف يكون إكرامي لك إذا قطعت المسافات ؟ وتجشَّمْت المشقات ، وتحمَّلْت النفقات ، زرْتني في بيتي الحرام ، ووقفْتَ بِعَرفة تدعوني ، وتسْترضيني ، لبّيْك اللهمّ لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي وزرْني في بيتي ، لِتَنْزاحَ عنك الأوهام ، ولِتُعايِنَ الحقائق ، ولِتَسْتعِدَّ للّقاء فإنَّ عبدًا أصْحَحْتُ له جسمهُ ووسَّعْتُ عليه في المعيشة ، ومضَتْ عليه خمسة أعوامٍ لم يفِدْ إليّ لَمَحْروم ، تعالى يا عبدي وطُفْ حول الكعبة طواف المحبّ حول محبوبه ، واسْعَ بين الصفا و المرْوَة سعْيَ المُشْتاق لِمَفْقوده ، تعال يا عبدي وقبّلْ الحجر الأسْوَد ، يميني في الأرض ، وازْرِف الدَّمْع على ما فات من عمُرٍ ضيَّعْتهُ في غير ما خُلقْت له ، وعاهدني على ترك المعاصي ، والمخالفات ، والإقبال على الطاعات والقربات ، وكن لي كما أريد لأكن لك كما تريد ، كن لي كما أريد ولا تُعْلمْني بما يُصْلحُكَ ، فإذا سلَّمت لي فيما أريد كفَيْتُكَ ما تريد ، وإن لم تُسَلِّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لا يكون إلا ما أريد ،

خلقتُ لك ما في الكون من أجلك فلا تتْعب ، وخلقْتُك من أجلي فلا تلعب ، فَبِحَقّي عليك لا تتشاغل بما ضمنتهُ لك عما افْترضْتهُ عليك ، لبّيْك اللهمّ لبّيْك ، لبّيْك لا شريك لك لبّيك ، إنّ الحمد والنِّعمة ولك والملك ، لا شريك لك ، تعال يا عبدي إلى عرفات ، يوم عرفة فهو يوم اللّقاء الأكبر ، تعال لِتَتَعَرَّض لِنَفْحةٍ من نفحاتي تُطَهِّرُ قلبك من كلّ درَنٍ وشهوة ، وتُصفّي نفسكَ من كلّ شائبةٍ وهمّ ، هذه النفحات تملأُ قلبك سعادةً وطمأنينة ، وتشيع في نفسك سعادةً لو وُزِّعَت على أهل بلدٍ لكفتْهم ، عندئذٍ يا عبدي لا تندم إلا على ساعة أمْضيْتها في القيل والقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ، تعال إلى عرفات ، يوم عرفة لِتعرف أنَّك المخلوق الأوّل من بين كلّ المخلوقات ، ولك سُخِّر الأرض والسماوات ، وأنّك حمّلْت الأمانة التي أشْفقَتْ منها الجبال والأرض والسماوات ، وأنِّي جئْتُ بك غلى الدنيا لِتَعرفني ، ولِتَعْمل عملاً صالحة يؤهِّلُكَ لِجَنَّة الخلد ، تعال إلى عرفات يوم عرفة لِتَعرف أنَّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وأنَّك إن وجدْتني وجَدْت كلّ شيء ، وإن فتُّكَ فاتَكَ كلّ شيء ، وبعد أن يذوق المؤمن في عرفات من خلال دعائه وإقباله واتّصاله روْعَةَ اللّقاء وحلاوَة المناجاة ينغمسُ في لذّة القرب ، عندئذٍ تصغر الدنيا في عَيْنَيْه ، وتنتقل من قلبهِ إلى يديه ، وتصبحُ أكبر همِّه الآخرة ، فيسْعى إلى مقْعد صِدْ عند مليك مُقْتدر ، وقد يُكشف للحاج في عرفات أنّ كلّ شيء ساقهُ الله له ، مما يكرهه هو محض عَدلٍ ، ومحْضُ فضلٍ ، ومحض رحمةٍ ، عندئذٍ يتحقّق من قوله تعالى :

﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية:216]

مناسك الحج

أيها الأخوة الكرام ؛ بعد أن يفيض الحاجّ من عرفات ، وقد حصَلَتْ له المعرفة واستنار قلبهُ ، وصحَّت رؤيتُه، يرى أنَّ السعادة كلّها في طاعة الله ، وأنّ الشّقاء كلّه في معصيته ، عندئذٍ يرى عداوة الشيطان ، وكيف يأمره بالسوء والفحشاء ، ويوقِعُ بينه وبين إخوانه العداوة والبغضاء ، وأنّه يعِدُ أولياءه بالفقر إذا أنْفقوا ، ويُخَوِّفهم ممَّا سِوَى الله إذا أنابوا وتابوا ، ويَعِدُهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ، قال تعالى :

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة إبراهيم الآية:22]

عندئذٍ أيها الأخوة يُعَبِّرُ الحاجّ عن عداوة الشيطان تعبيرًا رمزيًّا بِرَمْي الجِمار لِيَكون الرّمْي تعبيرًا مادّيًا، وعهْدًا موثَّقًا عن عداوة الشيطان ، ورفضًا لِوَساوِسِهِ وخطراته ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم أنّك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة ، وفي الحقيقة ترمي بها وجه الشيطان وتقصم ظهره، ولا يحصل إرْغام أنفهِ إلا بامتِثالِكَ أمْر الله تعالى .


يُعَبِّرُ الحاجّ عن عداوة الشيطان تعبيرًا رمزيًّا بِرَمْي الجمار

أيها الأخوة الكرام ؛ وحينما يتَّجِهُ الحاجّ لِسَوق الهَدي ، ونحْر الأضاحي وكأنَّ الهدْي هديّة إلى الله تعالى تعبيرًا عن شُكرِهِ لله تعالى على نعمة الهدى التي هي أثْمنُ نعمةٍ على الإطلاق ، وكأنّ ذبْح الأضحيَة ذبحٌ لِكُلّ شهْوةٍ ورغبةٍ لا ترضي الله تعالى ، وتضحية بكلّ غالٍ ورخيص ، ونفْسٍ ونفيس في سبيل مرضات الله ربّ العالمين ، قال تعالى :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الحج الآية:37]

ثمّ يكون طواف الإفاضة تثْبيتًا لهذه الحقائق ، وتلك المشاعر ، ثمّ يطوف طواف الوداع لِيَنطلقَ منه إلى بلده إنسانًا آخر اسْتنارَ عقلهُ بِحَقائق الإيمان وأشْرقَت نفسهُ بأنوار القُرْب ، وعقَدَ العزْم على تحقيق ما عاهَدَ الله عليه وإذا صحَّ أنَّ الحجّ رحلةٌ إلى الله ، فإنَّه يصِحّ أيضًا أنَّه رحلةٌ قبل الأخيرة ، لِتَكون الرحلة الأخيرة مُفْضِيَة إلى جنّة عرضها السماوات والأرض .


كأنّ ذبح الأضحيَة ذبحٌ لِكُلّ شهْوةٍ ورغبةٍ لا ترضي الله تعالى

أيها الأخوة الكرام ؛ لنا في الأسبوع القادم متابعةٌ لهذا الموضوع نتحدّث عن معنى التكبير في عيد الأضحى، عند الحجّاج وعند المقيمين في بلادهم ، ونتحدَّث عن معنى الأضحيَة إن شاء الله تعالى ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم فيا فوْز المستغفرين .

تعريف الاستطاعة .

أيها الأخوة الكرام ؛ بِضْعُ نقاطٍ متعلّقة بالحجّ لا بدّ من توضيحها ، الاستطاعة التي ورَدَت في الآية الكريمة، والتي تُعَدّ أصْلاً في فرضيّة الحجّ هي قوله تعالى

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية:97]

الاستطاعة أيها الأخوة : هي استطاعة بدنيّة ، وماليّة ، وأمْنيّة .

فالمسلم الذي لا يقوى جسمه على تحمّل مناسك الحجّ بِغَلَبَةِ يقينه ، أو بإخبار طبيب متخصّص مسلمٍ حاذق ورع ، هذا الإنسان ليس مستطيعًا أن يحجّ ، وتسقط عنه هذه الفريضة ، ولكنّه يجزئه أن يكلّف من يحجّ عنه في حياته ، أو يوصي بِحَجّة بدلٍ بعد مماته وفق أحكام هذا النوع من الحجّ .

والمسلم الذي لا يملك المال الكافي ، الذي يُغَطِّي نفقات الركوب بأنواعها ، ونفقات السَّكَن في مكَّة والمدينة ، وثمن الطّعام والشراب ، فضلاً عن نفقات أهله وولده في غَيْبَتِهِ ليس مستطيعًا .

إذًا : لا ينبغي للمسلم غير المستطيع أن يبذل ماء وجهه من أجل أن يجمع نفقَةَ الحجّ ، ولا أن يسْلُكَ المسالِكَ المُلْتَوِيَّة من أجل أن يحصّل نفقة الحجّ ، إنَّه في الأصْل ليس مستطيعًا ولا حجَّ عليه .

أما الاستطاعة الثالثة

((الأمنية))

حينما يقرّر أولوا الأمر في ديار المسلمين أن يعتمدوا نظامًا يُتيحُ لِمَن لم يحجّ أن يحجّ ، ويمْنعوا من حجّ حجَّة الفريضة من أن يحجّ حجَّة النَّفْل قبل أقلّ من خمسة سنوات أو أكثر ، حينما يكون الباعث على هذا التنظيم إفْساح المجال للمسلمين الذين لم يحجُّوا حجَّة الفريضة أن يؤدُّوها بيُسْرٍ وطمأنينة ، فلا ينبغي للمرء أن يرتكبَ معْصيَةً ، وأنكِرُها وأنتم تعلمون ما هذه المعصِيَة ؟ لا ينبغي للمرءِ المسلم أن يرتكِبَ معصيَةً لِيَحُجّ حجَّةً نافلة ، فالمُسلم الذي لم يُسْمح له بالحجّ لا يُعَدُّ مستطيعًا ، وقد يبلغُ المرءُ المؤمن بِنِيَّتِهِ ما لا يبلغُهُ بِعَمَلِهِ .

أيها الإخوة الكرام ؛ هذه نقطة ، والنقطة الثانية ؛ ما دام الحجّ من العبادات المالية التي تسْتوجِبُ إنفاق المال، وفي الحديث الصحيح :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

[أخرجه مسلم والترمذي]

فلا بدّ للمال الذي سيُنْفِقُهُ الحاجّ في هذه الفريضة من أن يكون مالاً طيّبًا حلالاً ، فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مبرور))

[أخرجه الطبراني]

أيها الإخوة الكرام ؛ كلامٌ دقيق وواضِحٌ كالشَّمس ، بما أنَّ الحجّ فريضةٌ فرضَها الله تعالى على المُستطيع ، والفقير ليس مستطيعًا ، فلا ينبغي للفقير أن يقترضَ لِيَحُجّ .

عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ أبي أوْفَى صاحِبِ النبيِّ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم أنه قال:

((سَألْتُ عن الرجُلِ لم يَحُجَّ أَيَسْتَقْرِضُ للحَجِّ ؟ قال : لا))

[رواه البيهقي]

أي لا يلزمه الاقتراض لأداء الحج ، وإنما يجب عليه إذا كانت النفقة في يده ولا يلزمه الشارع الاستدانة للحج وكثير من جهالنا يقترضون بالربا ويحجون وهذا خطأ مبين لا يقره عقل ولا دين لأن الفروض شرعت زواجر عن ارتكاب المحرمات فكيف تكون سببا في ارتكابها .

والمَدين لا تُقبلُ حجَّه إلا بِمُوافقة دائنِهِ .

أيها الأخوة الكرام ؛ نقطة ثالثة ؛ أجِدُ أنّني أشرحها لِضَرورة ماسّة ، وهذه النقطة الثالثة أهمّ النّقاط ، من فقه الرّجل أن يتحرّك في حياته وفْق سُلَّم الأوْلويَّات ، فإذا أدَّى حجَّة الإسلام ، وهي حجَّة الفريضة ، وتاقَتْ نفسهُ إلى أن يحجّ مرّة ثانية ، وثالثة ، وكان مستطيعًا بِمَاله ، وبدنه ، وموافقة أولي الأمر له ، ولم يُسْهِم من خلال تصريح غير مطابق للواقع في حِرْمان مسلمٍ من حجّة الفريضة ، وكان قد أدَّى كلّ ما عليه من واجبات تجاه والديه وأولاده وأخوته وأخواته وأصدقائهِ وجيرانه ، فلا عليه أن يحجّ ثالثة ورابعة ، فالحجّ جهاد لا شوْكة فيه ، وهو جهاد الكبير والمرأة والضعيف ، وقد أخرج عبد الرزاق في المصنف وابن أبي شيبة في مسنده وأبو يعلى والبيهقي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول تبارك وتعالى :



((إن عبدا صححت له جسمه ، وأوسعت له في رزقه، يأتي عليه خمسين سنين لا يفد إلي لمحروم))

[أخرجه عبد الرزاق]

فإذا كنت صحيح البدن ، موْفور المال ، سُمِحَ لك أن تحجّ ، ولكن ، وأقول ولكن إذْ حينما يحجّ المسلم حجَّة الفريضة ، وله ولدٌ في سنّ الزواج ويخشى عليه الانحراف ، فالأولى أن يُزَوّجه بدَلَ أن يحجّ حجَّة النَّفْل ، فأداء الواجبات مُقدَّم على فِعْل النوافل ، حينما يحجّ المسلمُ حجَّة الفريضة ، وله ولدٌ في سنّ الزواج ، ويخشى عليه الانحراف فعليه أن يزوّجهُ بدَلَ أن يحجّ حجَّة النَّفْل لأنّ درْء المفاسِد مقدّم على جلْب المصالح ، ولأنّ الله لا يقبلُ نافلةً أدَّتْ إلى ترْك واجبٍ ، وهذه قاعدة ، الله جلّ جلاله لا يقبلُ نافلةً أدَّتْ غلى ترْك واجبٍ ، قال تعالى :

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

[سورة البقرة الآية:269]

ومن أدعِيَة النبي عليه الصلاة والسلام : اللهمّ حجَّة لا سمعة فيها ولا رياء ، هذا الدعاء فيه إشارة بالغة إلى أنَّ هناك من يحجّ للسُّمْعة والرّياء .

موعظة

أيها الأخوة الكرام ؛ قال ابن كثير رحمه الله في تاريخه خرج عبد الله بن المبارك إلى الحجّ ، فاجْتازَ بعض البلاد ، فمات طائرٌ معهم ، فأَمَرَ بإبقائِهِ في قُمامة البلدة ، وسار أصحابهُ أمامه ، وتخلّف هو وراءهُم ، فلمَّا مرَّ بالقمامة إذْ بِبِنْتٍ صغيرة قد خرجَت من دارٍ قريبة ، وأخذتْ ذلك الطائر الميّت ، ثمَّ أسْرعَت به إلى الدار، فجاء ابن المبارك وسألها عن أمرها وأخذ الطائر الميّت ، فاسْتَحْيَت أوّلاً ثمّ قالَت : أنا وأمّي هنا ، وليس لنا شيءٌ إلا هذا الإزار ، وليس لنا قوتٌ إلا ما يُلقى على هذه القمامة ، وكان لنا والدٌ ذو مالٍ عظيم فَأُخِذَ مالهُ ، وقُتِلَ لِسَبب من الأسباب ، ولم يبقَ عندنا شيءٌ نتبلّغ ، أو نقْتاتُ منه ، سَمِعَ ذلك ابن المبارك فَدَمِعَتْ عَيْناهُ، وأمرَ برَدِّ الأحمال والمؤونة وقال لِوَكيلِهِ : كم معَكَ من النّفقَة ؟ فقال : ألف دينار قال : أبْقِ لنا عشرينَ دينارًا تكفينا لإيابنا وأعْطِ الباقي إلى هذه المرأة المُصابة ، فو الله لقد أفْجَعَتني بِمُصيبتها ، وإنَّ هذا أفضلُ عند الله من حجِّنا هذا العام ، ثمّ قفَلَ راجعًا ، ولم يحجّ واعْتَقَدَ أنَّ هذه الصَّدَقة فوق الحجّ المبرور ، والسَّعي المشكور، هكذا كان السّلف الصالح يعرفون حقيقة العبادات ، ويعرفون قيمة المعاملات ، ألَمْ يرِدْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لأن أمشي مع أخٍ في قضاء حاجته خير من صيام شهر ، واعتكافه في مسجدي هذا ؟

العشر الأوائل من ذي الحجة

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لقد دخلنا في العشر من ذي الحجّة ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فعن ابن عباس مرفوعًا الذي رواه البخاري وأبو داود والترمذي والدارمي وابن ماجه والطحاوي والطبراني ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

نحن في هذه الأيام العشرة هي أحبّ الأيّام إلى الله على الإطلاق ، فالصلاة في هذه الأيام ، والذِّكْرُ في هذه الأيام ، وصلاة الليل في هذه الأيام ، والعبادة الحقّة في هذه الأيام ، والإنفاق في هذه الأيّام ، والإحسان إلى الخلق في هذه الأيام ، ما من أعمال صالحة هي أجْدى منها في هذه الأيام .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :



((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

أيْ أيام العشر من ذي الحِجَّة ، قال : قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ، قال :

((وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

[أخرجه الترمذي]

نحن في أيّام ، الحجّاج الآن في مكّة أو المدينة ، وهم بعد أيّام سيَقِفُون على عرفات ، نحن لسْنا حجَّاجًا ، نحن مقيمون في بلدنا ، هذه الأيّام العشر ، ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله تعالى من هذه الأيام ، العمل الصالح ، الإنفاق عمل صالح المعاونة عمل صالح ، إطعام الطعام عمل صالح ، العبادة عمل صالح .

((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ))

[أخرجه الترمذي]

إذًا علينا في هذه الأيام العشر من ذي الحِجّة أن نجتهد في العبادة والعمل الصالح ، أن نجتهد في الإنفاق ، أن نجتهد في الذِّكر ، وفي صلة الرحم أن نجتهد في إنفاق المال فلعلّ الله سبحانه وتعالى يرحمنا .

الدعاء :

اللهمّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيْت ، وتولّنا فيمن تولّيْت ، وبارك اللّهم لنا فيما أعْطيت ، وقنا واصْرف عنَّا شرّ ما قضَيْت فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنَّه لا يذلّ من واليْت ، ولا يعزّ من عادَيْت ، تباركْت ربّنا وتعاليْت ، ولك الحمد على ما قضيْت نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك ، اللهمّ هب لنا عملاً صالحًا يقرّبنا إليك ، اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنّا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارضَ عنَّا ، وأصْلح

لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصْلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصْلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجْعل الحياة زادًا لنا من كلّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلّ شرّ ، مولانا ربّ العالمين ، اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك ، اللهمّ لا تؤمنَّا مكرك ، ولا تهتِك عنَّا سترَك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهمّ إنَّا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السَّلْب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهمّ ارزقنا حجًّا مبرورًا ، وسعْيًا مشكورًا ، وذنبًا مغفورًا ، اللهمّ اكتب الصحّة والسلامة للحجاج والمسافرين ، والمقيمين والمرابطين في برك وبحرك من أمّة محمد أجمعين ، اللهمّ بفضلك ورحمتك أعلي كلمة الحقّ والدِّين وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، وخُذ بيَدِ وُلاتهم إلى ما تحبّ وترضى إنَّه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

4-12 زيارة المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزدْنا عِلماً، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

الأحكام الفقهية لزيارةِ النبي عليه الصلاة و السلام :

أيها الأخوة الأكارم، بقي معنا زيارة النبي عليه الصلاة والسلام، ومهما قيل في حُكْم الزّيارة فهناك من ينْفي وُجوبها، ومن يجْعلها من لوازم الحجّ، مهما قيل في حكمها، فما من حاجٍ يحجّ البيت الحرام إلا ويزور النبي عليه الصلاة والسلام .

فالحديث عن مَشْروعِيَّة الزِّيارة، وعن حكمتها حديثٌ دقيقٌ ومهمّ، إلا أنَّنا نبْدأ بالأحكام الفقْهِيَّة في الزِّيارة، وبعدها ننتقل إلى بعض الحكم التي يمكن أن تُسْتنبط من زيارة النبي عليه الصلاة والسلام .

الأحكام الفقهية للزيارة:



أوّلاً: ما يُشاع بين الحُجاج أنَّهُ لا بدّ أنْ تُقيمَ ثمانِيَةَ أيامٍ في المدينة المنوَّرة، لِتُصَلي أربعين فرْضًا في الحرم النبوي الشريف، فهذا ليس من الأشياء الثابتة في الدِّين، وهذا هو الكلام الدقيق، فأنت بِإمكانك أن تمْكثَ في المدينة أربعة أيام، أو خمْسة، أوثلاثة، وذلك بِحَسَب الاسْتِطاعة والقدْرة والتَّيْسير، وبحسَب الظروف التي تطْرأ، أما أن تعْتَقِد أنَّه لا بدَّ أن تُقيم ثمانية أيامٍ في المدينة المنوَّرة فهذا كلامٌ ليس له أساسٌ من الصِّحَّة، إلا أنَّهُ كلَّما مَكَثْتَ هناك كان أفْضل، أما أنْ تعدّ هذا من أحكام الدِّين، والأحكام الشرعِيَّة فهذا ليس له أصل .

هناك نقطة دقيقة، وهي أنَّ الله عز وجل قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 64]

يا ترى هذه الآية هل هي في حَياة النبي صلى الله عليه وسلم أم تنطبق بعد وفاته صلى الله عليه وسلَّم ؟ فَهُم ظلموا أنفسهم حينما لم يُطَبِّقوا السنّة، جاؤوك، لماذا ؟ كأنَّهم ما صَدَّقوا النبي عليه الصلاة والسلام إذْ جاء بِهذا الوحْي العظيم، وحينما بيَّن هذه السنَّة، فَتَكْريماً للنَّبيّ عليه الصلاة والسلام، وتنْويهاً لشأنه العظيم، وتعْظيماً لِمَقامه العالي، لا يقبل الله منك توْبَةً، ولا اسْتِغفاراً، ولا اصْطِلاحاً إلا إذا اصْطَلَحْتَ مع نبيِّهِ، لأنَّك حينما لم تُطَبِّق سنَّتَهُ صلى الله عليه وسلم كأنَّ لسان الحال يُكَذِّبُ هذا النبي، فالله تعالى قال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾

[سورة النساء : 64]

نحن ليس عندنا إشراك بالله، فَمِن الثوابت أنَّك إذا زُرْتَ مقام النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تشْعر أَنك أمام قبْر، تشْعر أنَّك في حَضْرته، فإذا خاطَبْته تشْعر أنَّك تُخاطبه وكأنَّهُ حيٌّ أمامك، فتُخاطبهُ بأدَبٍ جَمٍّ، وتقف بأدبٍ رفيعٍ فتَشْعر وكأنَّهُ أمامك، هذا من علامة المؤمن، ولهذا كان بعض العارفين وهو الشيخ بدْر الدِّين الحَسَني لِهَيْبة مقامه الجليل وقف في أوَّل باب السلام ولم يجْرؤ أن يتخَطَّى باب السلام، أما هؤلاء الذين ينْكَبُّون على مقام النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ويؤذون المسلمين، ويتَمَسّحُون بالحديد الذي على النافذة، هؤلاء أقلّ أدَباً مما ينبغي، فيجب أن تقف أمام مقامه الشريف كما لو كان حيًّا، فالاقْتِراب الشديد ليس من الأدب .

بعض الخِبْرات الشَّخْصِيَة في موضوع الزيارة :

إليكم الآن بعض الخِبْرات الشَّخْصِيَة في موضوع الزيارة، ماذا الذي يحْصل أيها الأخوة ؟ الذي يحْصل أنَّك مُشْتاق لِمَقامِ النبي عليه الصلاة والسلام، وما أن تَصِل إلى المدينة حتَّى تتَوَجَّه إلى الحرم الشريف، وغالباً ما يكون الوقْت وقْت صلوات، فَتُصلي الفريضة وتنْطلق إلى مقام النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا بك أمام زِحامٍ لا يُعْقَل، ولا يُحْتَمَل، وأمام تيارٍ من البشر تكاد تنْسَحِقُ بين أفْراده، وكلُّهم يدْفعك نحو الأمام، ويحْشُرُك في أضْيَقِ الأمْكِنَة إلى أن تجد نفْسك فجْأةً في الطريق، ففي القديم كنت أمام المقام النَّبوي تنحرف نحو اليسار وتدور حوْل المقام، والسلطات السعودِيَّة – وأنا معهم في هذا – خافوا أن يطوف الناس حوْل مقام النَّبيّ

صلى الله عليه وسلم، لأنَّهُ بِدْعة، فأغْلقوا الطريق من الجِهَة التي حول المقام، وصار الطريق إجْباريًّا إلى خارج الحرم، فأنت لو ذَهَبْتَ في وقْتٍ غير مناسب لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أقول لكم: تكون لك نكْسة في هذه الزِّيارة ولا أُبالغ، فتجد نفسك مُضْطربًا، ولم تشْعر بِحَال تِّجاه هذا النَّبي العظيم، ولم تدْمع عَيْناك، وتجد نفْسك تُدْفع من كُلِّ الجهات، إلى أن تصير خارج الحرم النَّبوي، ماذا ينبغي أن تفْعل ؟ أنا أنصح أخواننا الكرام ورُؤساء الأفواج حفظهم الله تعالى الذين عندهم خبرات أن يذْهبوا إلى بيوتهم وهم في المدينة، ويسْتريحوا ساعات إلى أن يشْعروا أنَّهم عادوا إلى أعلى درجات النَّشاط، لأنَّ أثر السَّفر أثرٌ سلبي لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، فأنتم عليكم أن تسْتريحوا، وكُلوا واخْلَعوا ثيابكم، وبعد أن تشْعروا بالنَّشاط اغْتَسِلوا، فهو من آداب الزِّيارة، والْبَسوا أجْمل ثِيابكم، ولا بدَّ من ثَوْبٍ أبيَض خاص لأوَّل زيارةٍ للنبي عليه الصلاة والسلام، وأن تتعَطَّر، لأنَّك أنت مُتَحَلِّل الآن، واذْهَب إلى المقام النبوي الشريف إن تَمَكَّنْت عند صلاة الفجْر، وصَلِّ الفجْر مع الجماعة، وإياك أن تقْترب من المقام ! لماذا ؟ لأنَّ كُلَّ الناس بل مُعظمهم يَتَوَجّهون إلى المقام الشريف، بازْدحام ودفع شديد ومنازعة تجْعلك لا تشْعر بأيِّ حال، ولقد رأيْتُ أصْحاب الخِبْرات الطويلة يجْلِسون في الباحة السَّماوِيَة التي أرى منها القبَّة الخضْراء .


القبة الخضراء ضمت جسد النبي الكريم وحقيقة نبوته

هذا المنظر الذي لا يُنْسى، وهذه القبَّة التي ضَمَّت جسد النبي عليه الصلاة والسلام وحقيقته النَّبَوِيَّة، وكنت أقرأ القرآن إلى ساعة من الزَّمن، وبعد ساعةٍ من صلاة الفجْر تجد معظم الناس قد انْصَرَفوا إلى بُيوتهم، لماذا ؟ لأنَّهم جاؤوا إلى مقام رسول الله مع الأذان الأوّل، وهو قبل أذان الفجْر بِساعة، وحينها يتسنى لك البقاء ما تشاء، وتَوَجَّه للنبي عليه الصلاة والسلام وَسَلِّم عليه، وقل له: أشْهد أنَّك قد بَلَّغْتَ الرِّسالة، وأدَّيْتَ الأمانة، ونصَحت الأمّة، وكشَفْتَ الظُّلْمة، وجاهَدْتَ في الله حقّ الجهاد، وهَدَيْتَ العباد إلى سبيل الرَّشاد، وأنا أنْصحك أيّ شيء تذْكره عند مقام النبي عليه الصلاة والسلام خاطِبْهُ به، يا من وقفت في الطائِف، وقلتَ كذا وكذا، فأيّ حديث تذْكره عن رسول الله، وأيْ قِصَّة تذْكرها قلْها، وليس المقْصود أن تبْقى برْهة من الزَّمن، وتذْهب بعدها، ليست هذه هي زيارة النبي عليه الصلاة والسلام، يجب أن تبْكي هناك، وتجْهشَ بالبُكاء، وأن تشْعر أنَّك في حضْرة أعْظم مخْلوقٍ في الكَوْن، وأنَّك في حَضْرة إنسان أنْقذ البَشَرِيَّة من الضَّلال، وفي حضْرة إنسانٍ حريصٍ على المؤمنين وغيرهم، قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة : 128]

ويجب أن تُخاطبه وكأنَّك بين يديه، ويجب أن تسْتغْفِرَهُ، فالمفروض هنا أن تُسْكب العَبَرات، ويُناجى النَّبيّ صلى الله عليه وسلَّم، ولا بدّ أن تبْقى ساعة أو ساعة ونِصْف، فإذا تعِبْتَ اجْلِسْ، فلك أن تُصَلي وأن تُواجه النبي عليه الصلاة والسلام، ولك أن تدْعو، افْعَل هذا كُلَّ يوم وأنت في المدينة، وهذا أنْسب وقْت، ولو سألتَ الخُبراء الذين حَجُّوا ثلاثين حَجَّةً أفضل الوقْت بعد صلاة الفجْر بِسَاعة، تقريباً خمْسون بالمئة أو سبعون ينْصَرِفون إلى بيوتهم وبإمكانك أن تقف الوَقْفة الطويلة والجَلْسة المُتأنِّيَة، وأن تُناجيه المناجاة الحارَّة، وأن تعْتَذِرَ إليه، فحالك بين أن تُصلي للقبلة إذْ هي عكْس المقام، وبين أن تقرأ القرآن، وبين أن تكون واقفاً، أو أن تكون جالساً، سوْفَ تَرَوْن في هذه الزِّيارة أنّ أعْظم مَشْروع تَكْييف في العالم هو عند النبي عليه الصلاة والسلام، فالناس قديماً كانوا يزورون ويعودون إلى بيوتهم حيث المُكَيِّفات، أما الآن فقد انتهى هذا الأمر، التَّكْييف أرقى في الحرم المدني، وأنت مُتَّجِهٌ إلى باب الحرم النبوي الشريف قبل خمْسين مِتْرًا تهُبّ عليك نسَمات عليلة من التَّكْييف الشديد، لأنَّ مساحة المُكَيِّفات مئتان وسبعون ألف متْر مربَّع، والتَّبْريد مُساق بأنابيب ماءٍ بارد، ثمَّ مُحَوَّلة إلى ماءٍ باردٍ في أسْفل الأعْمِدَة، والأعمدة أعتقد أنها ألفان وأربعمئة عمود بالحرم النَّبوي، فَيُصْبح البيت لا طعْم له إطْلاقاً، البيت للطعام والنَّوْم، وهي نصيحة لِوَجْه الله، وإذا أراد الواحد منكم أن يُطالع فَلْيَتَوَجَّه إلى مكْتبة الحرم النَّبوي الشَّريف، سَيَجِد مكْتبة مُتواضعة، فإذا كان لك الوقْت يمكنك أن تتعَرَّف على معالم المدينة، هنا حينما كان حَيًّا كان مسْجده بِهذا الحجْم، فالأعمِدَة لها لون خاص، وكانت فسْحته السَّماوِيَة إلى هذا الحجْم، ثُمَّ مُدِّد وتَوَسَّع إلى هذا الحجْم، فهذا قبْر النبي، وهذا مُصَلاه، وهذا منْبره، ولديْك الرَّوْضة الشريفة، "ما بين منبري وقبري روْضة من رياض الجنَّة" أشْواقك وأحْوالك تظْهر بهذا المكان، فالمُكوث في البيت غير مُجْد، ولا طعْم له، فالمدينة لا طعْم لها دون الحرم النَّبوي، ووالله كنتُ أُشاهد أناساً أتألَّم من أعْماقي، يصلون الصبح في البيت وكذا باقي الصلوات، ما الذي جاء بك إلى هذا المكان إذا آثَرْتَ البيْت على مقام النبي عليه الصلاة والسلام؟ فَعُذْر الحرّ انْتفى الآن، فالحرم مُكَيَّف بأعلى طرق التَّكْييف، فكما قلتُ أنا أنْصَحُكَ أن تبْقى في الحرم المدني، عدا الطعام والراحة والنَّوْم .

زيارة مكتبة الحرم المدني للإطلاع على معالم المدينة :

لو أنَّ أحدكم زار المكْتبة سيأخذ منها معْلومات قَيِّمَةً، وأذْكر في السَّنة الماضِيَة ذهبْتُ لِمَكْتبة الحرم المدني وسألْتُ أين كتب معالم المدينة ؟ فَدَلَّني أحدهم، وأمْضَيْتُ ساعات لم أجِدْ أمْتَعَ منها، ثمَّ هناك بالمدينة زيارة المعالم الأثَرِيَّة ؛ جبل أُحد، ومؤْقعة الخَنْدق، وقباء والقبلتين، وكُلّ النخْل الموجود هو الذي كان في عَهْد

النبي عليه الصلاة والسلام، فالنَّخْلة عُمْرها ستَّة آلاف عام ! فهذا الذي تَرَوْنَهُ هو النَّخْل نفْسه الذي كان على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، شَهِدَ الله تعالى أنَّني وَقَفْتُ في ساحَةٍ في قباء، حالتْ مِنِّي الْتِفاتَةٌ فرأيْتُ في وسط هذه الساحة عموداً، وفي نِهاية العمود كرة مُضاءة، وكُتِبَ على هذه الكُرة: طلع البدْر علينا .



ووالله الذي لا إله إلا هو يمكن أنَّ هذا النَّشيد سَمِعْتُهُ في حياتي عَشَرات ألوف المَّرات، ما أعْرِفُ أنَّني اقْشَعَرَّ جلْدي واضْطَرَبْتُ وبكيتُ إلا ذلك الوقْت الذي كان مُؤَشِّراً أنّ الصحابة اسْتَقْبلوا النبي عليه الصلاة والسلام، وهناك البقيع، هذه كُلُّها معالم ينبغي أن تزورها، وتقرأ عنها، هناك كتاب لمحمّد حُسين هيْكل اسمه معالم التنزيل، لو أنَّ رؤساء الأفواج أخذوه معهم، وطالعوا فيه ليكونوا على عِلْم، فأنا أحبّ أن تكون الزِّيارات فيها عُمْق، كما أنَّني آسف أشَدَّ الأسف على المسؤولين في السَّعودِيَّة على إلْغائِهم جميع المعالم، بيت النبي أين هو ؟ كُلَّه مُلْغى، فرُؤساء الأفواج كلَّما اطَّلعوا على معالم المدينة، وأطْلعوا الحجاج عليها يكون لهم الأجر .

إذاً الجَلْسة بالمدينة جلْسة روحانِيَّة، فأنت بِمَكَّة تشْعر بالجلال، لكِنَّك في المدينة تشْعر بالجمال، لذلك الآيات الكريمة المُتَعَلِّقة بذات الله تعالى تقْرؤها في مَكَّة المكرَّمة فَيَقْشَعِرّ جلدك، لكن بالمدينة أنْصحك أن تقْرأ الآيات المُتَعَلِّقَة بالنبي عليه الصلاة والسلام، كَسُورة المزَّمل والمدّثر والجنّ والمنافقون و التوبة والحجرات، فهذه السور لو قرأتها أمام النبي صلى الله عليه وسلَّم لا تسْتطيع أن تتَحَمَّل . وأنت مُتَّجِهٌ إلى المدينة تقرأ كتاباً عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وأنا فعلْتُها فكانت أجْمل رحْلة في حياتي، ولن أنْساها أبداً، لأنَّ في المدينة هناك ما يُحَرِّكُكَ، فأنت أمام النبي عليه الصلاة والسلام، فَيَلْزَمُكَ كتاب عن أخْلاق النبي، وعن شمائِلِه، فهي تُفيد في الطريق إلى المدينة، والطريق إلى المدينة أربعمئة وخمسون كيلومتراً !

ما يستحب للزائر عند الاتجاه للمدينة المنورة :

يُسْتَحَبُّ للزائر أن يُكْثِرَ في طريقه إلى طيبة من الصلاة على الحبيب، ولا سيَّما إذا بدتْ له معالم المدينة، وأشْجارها، وأبْنِيَتُها، وما شَعَرْتُ بِمَديح النبي حق الشعور إلا هناك، وتشْعر بِشُعور لا تشْعره في بلدك إطْلاقاً. وأنت ذاهب إلى روْضة من رياض الجنَّة ! لي أخٌ مُقيم بالمدينة لما أخذني إلى موقعة بدر، والطريق طويل ومُعَقَّد، ويبعد حوالي مئة وسِتِّين كيلو متراً عن المدينة، الجبال التي كنا نمرّ عليها قلتُ في نفْسي: سبحان الله ! هذه الجبال التي أراها الآن هي التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! أصْبح هناك قاسم مشْترك

في الرؤية، فعلى الزِّيارة أن تكون ممْتِعَة ومُسْعِدة وروحانِيَّة وعِلْمِيَّة، فالأكل والشرْب ضَعْهُ على جنب، والْتَفِت إلى طاعة الله عز وجل .



ويُسْتَحَبُّ للزائر أن يُكْثِرَ في طريقه إلى طيبة من الصلاة على الحبيب ولا سيَّما إذا بدتْ له معالم المدينة وأشْجارها وأبْنِيَتُها، وأن يسأل الله تعالى أن ينفعه بِزيارته، وأن يتقبَّلها منه، ويُسْتَحَبّ الاغْتِسال قبل الدُّخول إلى مسْجِدِه صلى الله عليه وسلَّم، وأن يُنَظِّفَ نفْسه، وأن يلْبس أحْسن الثِّياب، ويتطَيَّب، وعلى المرْءِ أن يسْتشْعِر في نفْسه أنَّهُ على أشْرف بِقاع الأرض، لما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام قال: " اللهمّ خرجْتُ مِن أحَبِّ الدِّيار إليّ – من مكَّة – فأسْكِنِّي أحبَّ الدِّيار إليك" فالعلماء اسْتنْبطوا أنَّ المدينة المُنَوَّرة أحبُّ البلاد إلى الله تعالى، وأنت تشْعر بِهذا، هدوءٌ تام، لا خِناق، ولا جدال، وسلام تامّ، لأنَّ أكثر المَدَنِيّين المُجاوِرين جاؤوا حُبًّا بِرَسول الله، وتجد تعاملهم لطيفًا، وأكثر شيء يدْعوك للتَّعَجُّب أنَّ هؤلاء ما رأوْهُ، وما سَمِعوا كلامه، ولا أخذوا من عطائِه، لماذا يبْكون؟! ما الداعي للبكاء ؟ هذا من سرِّ النُّبُوَّة، كما يُسْتَحَبّ أن يقول عند دُخول المسْجد النَّبَوي ما ذَكَرْناهُ عند دُخول المسْجد الحرام، وأن يدْخل مُقَدِّماً رجْله اليُمْنى، ثمَّ يقْصِد الرَّوْضة الشريفة، فهذه الرَّوْضة صلى فيها أبو بكر وعمر بن الخطاب، وكبار الصَّحابة، فيَجوز أن تُصلي في مكانٍ صلى فيه هؤلاء الخيرة، فإذا أتيح لك أن تُصلي في مِحْراب النبي الذي صلى بأصْحابه فيه تشْعر حقيقةً أنَّك في رَوْضة، ووالله إنَّ هذا الكلام ليس فيه مُبالغة إطْلاقاً، وأنت في الروضة تشْعر أنّك في رياض الجنَّة . أُسْطوانة الوُفود، أحد الصحابة ارْتَكَب خطأً فَرَبَط نفْسه بأُسْطوانة اسمها أُسْطوانة التوبة، وهي عبارة عن عمود، ثمَّ إنَّ الألوان مختلفة فالبيْضاء للرَّوْضة، والحمْراء خارجها، وهناك مُؤَشّرات مكتوبة في الأولى: أنَّ هذه حدود المسجد النبوي في عهْده، وهذه في عهْد عمر، فهذه العلامات لها أثر بالغ في نفْسِكَ المُنيبة إلى الله تعالى .

والرَّوْضة هي ما بين المِنْبر والقبْر الشَّريف، المُحاط بالحُجْرة الشَّريفة، وهي مُتَمَيّزة بِسواريها ذات الرُّخام الأبْيَض، ويُصلى في الرَّوْضة سُنَّة تَحِيَّة المَسْجد، فبِالحَرَم المكي الطواف هو التَّحِيَّة، ويشْكر الله تعالى على النِّعْمة، ويسْأله القبول، ثمَّ يأتي القبْرَ الشريف حيث مثوى نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلَّم، فَيَقِفُ مُسْتَقْبِلاً القَبْر، والقِبْلة خلْفهُ، ففي الدعاء اِتَّجِه نحو القبلة، ولا تتَّجِه نحو القبْر، وأخواننا السَّعوديّون يظنون أنَّك تتَوَسَّل بالنبي عليه الصلاة والسلام ناظِراً إلى أسْفل المُواجهة الشريفة، غاضًّا الطَّرْف، ممتلىء القلب هَيْبَةً وإجْلالاً، لِمَنْزِلة مَن أنت في حَضْرته، ثمَّ تُسَلِّمُ بِصَوْتٍ مُعْتَدِل قائِلاً: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نَبِيَّ

الله، السلام عليك يا خيرة خلْق الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا طُهْر السلام، السلام عليك يا نبِيَّ الرحمة، السلام عليك يا نبِيَّ الأمة السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول ربِّ العالمين، السلام عليك يا سيِّد المرسلين ويا خاتم النَبِيّين، السلام عليك يا خير الخلائق أجْمعين، السلام عليك يا قائِد الغرّ الميامين، السلام عليك وعلى آل بيْتك وأزواجك وذُرّيَّتِك وأصْحابك أجْمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين، وإن لم يحْفظ هذا الدُّعاء فلا مانع، جزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبيًّا عن أُمَّتِه، وصلى الله عليك وسلَّم كلَّما ذَكَرَك ذاكر، وغفل عن ذِكْرك غافل أفْضل وأطْيَبُ من صلى على أحد من الخلْق أجْمعين، أشْهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشْهد أنَّك عبدك ورسوله، وخيرته من خلقه، وأشْهد أنَّك قد بَلَّغْتَ الرِّسالة وأدَّيْت الأمانة، ونصحْتَ الأمَّة، وجاهَدْتَ في الله حق جهاده، اللهمّ آته الوسيلة والفضيلة، وابْعَثْهُ مقاماً مَحْموداً الذي وَعَدْتَه، وآته نهاية ما ينْبغي أن يسأله السائِل، اللهمّ صلِّ على سيِّدنا محمدٍ عبْدك ورسولك ونبِيِّك، النبِيّ الأميّ وعلى آل سيّدنا محمّد، وأزواجه وذُرِّيَّتِه كما صَلَّيْتَ على سيّدنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم، وبارك على سيّدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيّدنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم في العالمين إنَّك أنت الحميد المجيد . وهذه الصِّيغة مُسْتَحَبَّة، وللزائر أن يقْتَصِرَ على بعْضِ ما يحْفظه، وأنا لا أُفضِّل أن تفْتح كتاباً، فالكتاب يُذْهب الحال، فأن تقرأ ربعها وتبكي أحسن من أن تقرأ كلّ الكتاب وعينك جامدة ! فالقصْدُ الشُّعورُ بالقرب، لا أن تقرأ الدعاء . ويُبَلِّغُ سلاَم من أوْصاهُ بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلّم، السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان . ويتأخَّر من اليمين فَيُسَلِّم على سيّدنا الصِّديق، يا خليفة رسول الله، ويا من قال النبي في حقِّه: ما ساءني قطّ، وزوَّجني ابنته، ويا من قال النبي في حقِّه: "ما طلعتْ شمْس على رجل بعد نبِيٍّ أفْضل من أبي بكْر "، كل شيء تحْفظه عن هذا الصِّديق العظيم ناجه به، وتَذَكَّر أقواله، وأفعاله، ومَحَبَّته للنبي عليه الصلاة والسلام . ثم يسلم على عمر بن الخطاب، ويُثني عليه بما هو أهله، ثمَّ يعود إلى مواجهة النبي صلى الله عليه وسلّم حيث وقف أوَّل مرَّة فيتَوَسَّل به ويتشَفَّع به إلى الله عز وجل، سائِلاً الله تعالى المَغْفرة والهُدى والصلاح والتَّقْوى، وحُسْن الخِتام، ويدْعو لنفْسه ولِوالِدَيه والمُسْلمين أجْمعين، مَكْتوبٌ على المقام:

يا خير من دُفِنَتْ بالقاع أعْظمـه فطاب من طيبِهِنَّ القاع و الأكـمُ

نفسي الفداء لِقَبْر أنت ساكنـــه فيه العفاف وفيه الجود و الكـرم

أنت الشَّفيعُ الذي تُرْجى شفاعته على الصِّراط إذا ما زَلَّت القـــدمُ

وصاحِباك فلا أنْساهمـــــا أبـداً مِنّي السلام عليكم ما جرى القلم

***

فإذا انتهى تأخَّر، فوقف مُسْتَقْبِلاً القبلة حيث أمْكنه من الرَّوْضة، والأفضل إنْ تَيَسَّر بين القبر والسارِية، فَيَحْمَدُ الله تعالى، ويُمَجِّدُه ويدْعو لنفْسِهِ، ولوالديه، وإخوانه المؤمنين، ولْيَحْرَص على الصلاة في الرَّوْضة الشَّريفة :

((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))

[البخاري عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ رَضِي الله عَنْهم]

ولا يجوز الطواف بالقبر النبوي الشريف، ويُكْرَهُ التَّمَسُّحُ به، أو بالمُواجهة الشريفة والتَّقْبيل، بل الأدب أن يبْتعد كما لو حضر أمامه في حياته، كما ينبغي أن يحرص على الصلوات كلِّها في مسْجد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، وأن ينْوِيَ الاعْتِكاف فيه.

الخروج إلى البقيع كل يوم بعد السلام على النبي :



ويُسَنُّ الخروج إلى البقيع كُلَّ يوم، ولا سيما يوم الجمعة، وذلك بعد أن يُسَلِّم على النبي صلى الله عليه وسلَّم، ويقول عندما يَصل إلى البقيع: " السلام عليكم دار قوْمٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحِقون، اللهمّ اغْفر لأهل البقيع، اللهم اغْفِر لنا ولهم" وحبَّذاً لو صَحِبَ إلى البقيع عالماً ثِقَةً، ويُسْتحبّ زيارة شهداء أحد، ويبْدأ بحمزة عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

ويُسْتحبّ اسْتِحباباً مؤَّكداً أن يأتي مسْجد قباء، والأوْلى أن يأْتِيَهُ يوم السّبت :

((عن أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ))

[الترمذي عن أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيِّ]

ويُسَنّ أن يأتي بئر أريس، ويشرب من مائه، ويتوضَّأ منه، ولا بدّ أن يتخَلَّق في المدينة بالأدب، والخلق الرفيع، ويُسَنُّ أن يُكْثِرَ التَصَدُّق على الفقراء . ويُحْرَمُ صَيْدُ المدينة، وقطع شَجَرها، قال النبي:

((ما بين لابتيها حرام))

[عوالي مالك بن أنس رواية الكندي عن أبي هريرة]

واللابتان هما الحرَّتان ؛ منطقة بُرْكانِيَّة .

ما يستحب عند العودة إلى الوطن :

وإذا أراد العوْدة إلى وطنه يُسْتَحَبُّ الصلاة في مسْجده النبوي الشريف ركْعتين ويدعو بهما لِمَن أحَبَّ، ثمَّ يأتي قبْر النبي عليه الصلاة والسلام، ويُعيد السلام على النَّحْو الذي فعله في قُدومه، ويقول: " اللهمّ لا تجْعل هذا العهْد آخره بِرَسولك، ويَسِّر لي العودة إلى الحرمين سبيلاً سَهْلاً، وارزُقني العفْو والعافِيَة في الدنيا والآخرة، ورُدَّنا سالمين غانمين".

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : أحكام خاصة بالحج

5-1 آداب السفر و أحكامه

5-2 على من تجب هذه العبادة

5-3 الحج عن الغير

1-5 آداب السفر و أحكامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علَّمتنا وزِدْنا عِلماً ، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه ، وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه ، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فَيَتَّبِعون أحْسنه ، وأدْخِلنا برحْمتك في عبادك الصالحين .

الحج رِحْلةٌ إلى الله تعالى :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ مع اللقاء الأول من لقاءات توضيح مناسك الحج إن شاء الله تعالى .

بادىء ذي بدْء الحجّ رِحْلةٌ إلى الله تعالى ، وله طبيعةٌ خاصّة ، فإذا لم يتفَقَّه الحاجُّ في مَقاصد الحج العُلْيا ، وما لم يتعرَّف إلى أحْكام الحجّ الأساسيّة ؛ ربما كان حجُّهُ باطِلاً ، تَصَوَّروا طالِباً ذهب إلى بلد غرْبي ، وفي هذا البلد ملاه ودُوَر لَهْو ومكتبات وحدائق ، إنه ما لم يكُنْ واضِحاً في ذِهْن هذا الطالب أنَّ مُهِمَّتَهُ الأخيرة والأولى هي الدِّراسة قد لا ينجح ولا يُحَقِّقُ هدفهُ الكبير ، فأكبر خطأ يُمْكن أن يقع فيه الحاجّ أن ينسى أنَّهُ حاج ، وينقلب من حاجٍّ إلى سائِح ، ومن حاج إلى مُسافر ، فالذي يحْصل أنَّ الحاج ينتقل إلى بلادٍ لا يعْرفها ، فتُبْهِرُهُ الطرقات والجُسور والمحلات والعمارات ، ويُراقب في المطار المُعاملة ، فَيَعود لِيُحَدِّثَكَ ساعةً من الزَّمَن عن مُشاهداته ، والشيء الذي ذَهَبَ من أجله ليس في مُسْتواه إطْلاقاً .

فحَجُّ الفريضة ، وحجَّةُ العُمْر رِحْلةٌ إلى الله عز وجل ، فما لم يكن الهَدَفُ الكبيُر واضِحاً جليًّا في ذِهْن الحاج، والمقْصد الأسْمى من هذه العبادة ومن هذه الرِّحْلة الله عز وجل ، ربما لم يكن حجُّهُ في المُسْتوى المطلوب ، لأنَّكم تعلمون أيها الأخوة أنَّ العبادات مُعَلَّلَة بِمَصالِحِ العِباد . مثلاً قوله تعالى :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 45]



هذه هي عِلَّتُها ، وهذا هو هدفها ، فَمَن صلى ولم تنْهَهُ صلاته عن الفحْشاء والمنكر لم يزْدد من الله تعالى إلا بُعْداً ، فقد تعَطَّلَتْ الغاية الكُبْرى من الصلاة ، والصيام من لم يدع فيه قوْل الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ، قال تعالى :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة : 80]

قال تعالى :

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة : 53]

هذه الزكاة فقَدَتْ قيمتها وحِكْمتها ، والحجّ كذلك . ففي الحجّ لا رفث ولا فسوق ، فهذه الرِّحْلة تُكَلِّفُكَ عَشَرات الأُلوف ، وتُبْعِدُكَ عن أهْلك وأُسْرَتِك عَشَرات الأيام ، وتجْعلك تتجَشَّمُ آلاف المصاعب ، ثمَّ لا تُقْبل ! واللهِ هذه مُشْكلة ، لذلك الذي رأيْناهُ في الحجّ مِن انْحرافات فاحِشَة وخطيرة ، وتطاوُلٍ باللّسان على عِباد الله ، ولَغْوٍ في الحديث ، وانْغِماسٍ في اللَّهْو والشراب ؛ من الطُّرَف التي تُرْوى أنَّ مجلَّةً مِصْرِيَّة رسَمَتْ حاجاً عاد إلى بلاده وهو مُحَمَّل بالأغْراض ؛ عَشَرات بل المئات من الكيلوغرامات ؛ هدايا وأجْهزة كهْربائِيَّة ، وفجْأةً ضَرَبَ جبْهَتَهُ وقال : الله ! لقد نسيتُ أن أحُجَّ !! فإذا ذهب الإنسان كسَائِح ونَسِيَ أن يحُجّ ، يا تُرى بالطواف أيُعْقل أن يقول الله لك : تعال يا عبْدي من بلدك البعيد من أجْل أن تطوف حوْل الكعْبة وأنت ساهٍ لاهٍ ؟ أيُعقَل هذا ! هل يُعْقل أن يأمرك الله أن تأتي بيته الحرام والكعْبة والوُقوف بِعَرَفات ثمَّ يكون حديثك بها عن أُمورٍ لا علاقة لها بالعبادة إطلاقاً ؟ وهل يُعْقل أن تزور مئة حاجّ ولا تسْمع منهم إلا ما أكلوه في عرفات ومع من الْتَقَوا والمشاهد التي أعْجَبَتْهم والنِّظام في المملكة؟ فالله عز وجل غَنِيٌّ عن عبادة في مظْهرها تواجد جِسْمي ، وإنّ الله غنِيٌّ عن عبادة تبْدأ بِتَرْك الطعام ، وتنتهي بِتَناوله ؛ فهذه ليْسَتْ عبادة .

أخْطر شيء في الحجّ حِكْمة الحجّ وجَوْهَرِه ومقاصِدِه :

هذه الكلمات التي يُرَدِّدُها الحُجاج ؛ لَبَّيْك اللَّهُمَّ لبيْك ، قد ينسون مضمونها ، صَعِدْنا إلى مكان مُرْتفع ، وكلما دخلْنا إلى مدينة ، وهبْطنا وادٍ نردِّدُ هذه الكلمات ، ما معنى لَبَّيْك ؟ كأنَّ لِسان حال الحضْرة الإلهيَّة يقول لك: تعال يا عبْدي لأُريحَكَ من هموم أثْقَلَتْ صَدْرك ، تعال لأَنْقُلَكَ من عملك الوضيع إلى آفاق معْرفة الله ، تعال لِتَذوق طَعْم القُرْب ، تقول : لَبَّيْك اللَّهُمَّ لبَيْك أيْ سَمْعاً وطاعَةً واسْتِجابَةً لِندائِكَ يا ربّ مرَّةً بعد مرَّة ، فأخْطر شيء في الحجّ أن تضع يدك على حِكْمة الحجّ ، وجَوْهَرِه ، ومقاصِدِه ، وأن تكون في المُسْتوى الذي يُمْكن أن يكون مَعْقولاً من تَرْكِكَ البلاد والعباد ، وتأتي لِتُلَبِّيَ الله عز وجل ، وهذه المُقَدِّمَة أنا شَرَحْتُها في دُروس كثيرة ، وإن شاء الله تعالى لي خطْبة عن حكمة الحجّ لا عن مناسك الحجّ أضَعُها بين أيديكم ، لماذا فُرِضَ علينا الحجّ ؟ ولماذا أمَرَنا الله تعالى بأداءِ هذه الفريضة ؟ كلكم يعْلم أنَّ الصلاة رِياضَة بَدَنِيَّة ، والزكاة عبادة ماليَّة ، والدعاء عبادة قوليَّة ، والحجّ عبادة قوليَّة وشعائِريَّة وماليَّة وبَدَنِيَّة ، فالعبادة التي تجْمع كُلَّ العبادات هي الحجّ وهو في العُمْر مرَّة ، وكذا الصيام مرة في السَّنة ، والجمعة في الأسبوع مَرَّة ، والصلاة في اليوم خمْس مرات ، فمادامت هذه العبادة مَرَّة في العُمْر معنى ذلك أنها تكْتَسِب أهَمِيَّة كُبْرى .

الاستشارة و الاستخارة :

واليوم نبدأ بآداب السَّفر في الإسلام لأنَّ الحجّ سفَر ، والموضوع الأوْسع من الحجّ هو السَّفر ، والشيء الأساسي في السّفر أن تُشاوِرَ في سَفَرِك من تَثِقُ بِدينه وعِلْمِه ، أيها الأخوة الأكارم من اسْتِشار الرِّجال اسْتعار عُقولهم ، فإنسان له خِبْرَة من أربعين أو خمسين سنة في حَقْل مُعَيَّن إذا أنت سألْتَهُ أخذْتَ كُلَّ عِلْمه وخِبْرته ، فالنبي عليه الصلاة والسلام عَلَّمنا شيئين ؛ عَلَّمنا الاسْتِشارة ، وعَلَّمَنا الاسْتِخارة ، لِمَن الاسْتِشارة ؟ لأُولي الخِبْرَة من المؤمنين حَصْراً ، لأُولي الخِبْرة لِينْصَحوك ، فاِجْعل هذه قاعِدَة في حياتك وتِجارتك وسَفَرِك، وفي أيِّ مَشْروعٍ تُقْبِلُ عليه ، قبل كُلِّ شيء اِسْتَشِرْ أهل الخبرة من المؤمنين والاستِخارة لله عز وجل ، وأنا أعْتقد أنَّهُ لا اسْتِخارة ولا اسْتِشارة في الفرائِض ، وهي حقيقة مُهِمَّة ، فأنت تسْتخيرُ في المُباحات ، وفي أشْياء لك أن تفْعَلَها ، وألا تفْعلها ، أما في الأشْياء التي أمرك الله بها فلا اسْتِخارة ولا اسْتِشارة ، ولكن السَّفَر لا بدّ أن تسْتشير من تَثِقُ بِدينِه وعِلْمِه وعقْله وخِبْرته ، والمُسْتَشار مُؤْتَمن ، من اسْتُشير فلْيُشِر ما هو صانِعٌ بِنَفْسِه، فقَبْلَ أن تُسافر وتُقيم في بلدٍ أجْنبي ، قبل أن تنْقل تِجارتك في هذا المكان ، قبل أن تُمَثِّلُ شيئاً يُمَثِّلُ انْعِطافاً في حياتك ، عليك أن تسْتشير أهْل الخِبْرة من المؤْمنين حَصْراً ، فإذا اسْتَشَرْتَهم على السَّفَر وأشاروا عليك بذلك وجب عليك اسْتِخارة الله ، وأرْوَعُ ما في الاسْتِخارة أنَّ الشيء الذي أسْمَعُهُ من إخْوة كثُر :

اسْتَخَرْتُ ولم أر مناماً !! من قال لك : إنَّ الرؤْيا من لوازم الاسْتِخارة ؛ اسْمعوا الحديث ؛ أخرج البخاري وأصحاب السنن

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهم عَنْهما قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي ، قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ))

[البخاري عن جابر]

فَمِنَ البشَر من يعْلم ولكنَّهُ ليس قادِراً ، ومنهم من يقْدر ولكنَّه لا يعْلم ، لكنَّ الله تعالى له العِلْم المُطلق ، والقدْرة المُطْلقة .

الله تعالى رفيق الإنسان في السفر و خليفته في أهله و ماله :



بالمناسبة في الكوْن كُلِّه لا توجد إلا جِهَة واحدة يُمْكِنُ أن تُرافقك في السَّفر ، وأن تكون خليفتك في الأهل والمال والولد ، هذه الجهة هي الله ، أقرب الناس لك إذا سافر معك ليس بإمْكانه أن يكون خليفةً على أهْلِك ، وإن بقِيَ خليفةً في أهْلك وولدِك ليس له أن يُسافر معك ، لكنَّ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان يدْعو قبل السَّفر ويقول :" اللَّهم أنت الخليفة في السَّفر ، والرفيق في المال والأهل والولد ..." فإذا دعا الإنسان بِهذا الدعاء وسافر فأغْلب الظنّ أنَّهُ يعود إلى بلده ، وليس هناك أخْبار سيّئَة ولا مُفاجأة ، أحْياناً إبريق شاي ساخن يسيل على خدّ ابنتك فيصيبها بعاهة طول الأبد ، كلَّما ألْقى الأب نظْرةً على ابنته احْتَرَقَ قلبه أليسَ كذلك؟! فأنا أجزم بأنَّ من قال هذا الدعاء أدَّى سَفَرَهُ في طمأنينة وهناء .

من استخار الله بعلمه و قدرته يسر له الخير :

دعاء الاسْتِخارة كما قلنا :

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ : وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ))

[البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

كنتُ مُزْمِعاً على سفرٍ ببَلَد ، وقبل أن أخرج من بيتي قلتُ له يا رب :

((اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي))

[البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

ذَهَبْتُ فإذا بي أرى الطريق مَسْدودًا ، ثمَّ علِمْتُ أنَّ هناك أخْطارًا تنْتظِرُ كُلَّ من يقْدم إلى هذا البلد لأسْباب طارئة ، فالمؤمن حياته رائِعة ، والله وَكيلُه ، فَهُوَ تعالى يعْلم وأنت لا تعلَم، وهو تعالى يقْدِر وأنت لا تقْدِر ، فإذا اسْتَخَرْتَهُ بِعِلْمِه وقُدْرتِه انتهى الأمْر ، قال :

((اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي))

[البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

التَّيْسير دليل المُوافقة الإلهيَّة :

لكن هنا السؤال : كيف تعْرف أنَّ الله تعالى أحبَّ لك هذا العمل أم لم يُحِبَّهُ لك ؟! بالتَّيْسير ، إذا أحَبَّ الله لك هذا السَّفَر يسَّرَهُ لك ، وإذا لم يُحِبَّه لك وأنت صادِقٌ في اسْتِخارتِك عَسَّرَهُ عليك ، فالتَّيْسير دليل المُوافقة الإلهيَّة ، والتَّعْسير دليل المُعارضة ، بِتَعْبير المرور نقول : تألَّق الضوْء الأخْضر أمامه ، أي امْشِ ، فالإنسان إذا اسْتخار الله عز وجل ورأى كُلَّ الأمور مُيَسَّرة معنى ذلك أنَّ الله عز وجل أحَبَّ له هذا السَّفَر .

ثمَّ قال :

((....وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ))

فلو فرضْنا شَخْصاً ما تعلّق بِفَتاة لِيَتَزَوَّجَها ، وهذه الفتاة لا تُناسِبُهُ وفي دينها رِقَّة ، فالله عز وجل صَرَفَها عنه، هل يكْفي أن يصْرفها عنه ؟! لا يكْفي ، لابدّ من أن يصْرِفَهُ عنها ، إذْ لو تَعَلَّقَ بها صار الأمر مُشْكلة كبيرة ، فلا بدّ من أن يصْرِفَها عنك ويصْرِفَك عنها ، دِقَّة الدعاء :

((........فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي))

هناك شخْص يقول لك : حظُّه غير ميْسور كُلَّ حياته ، تجده يقول : لعن الله الساعة التي تَعَرَّفْنا بها على فلانة !!! قال :

((...... وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ))

يا رب إنِّي مُزْمِعٌ السفرَ إلى هذا المكان ، هذا الموضوع قد يتعلّق بالحجّ ، وبالتِّجارة، والزواج ، وعقْد شراكة ، ومشْروعٍ جديد ، فلا بدّ من حفْظ هذا الدعاء غَيْباً ، أنا إن شاء الله قبل أن تذْهبوا للحجّ أُوَزِّع عليكم كُتَيِّبًا فيه أشْياء أساسِيَّة ، يكون رفيقاً لكم في الحجّ ، فأيُّ مَشْروع تُقْبِل عليه تأتي بِهذا الدُّعاء .

المُهِمات المنوطة بالإنسان من البداية وحتى الحجّ :

أيها الأخوة ، اسْتَشَرْتَ أهْل الخِبْرة والإيمان ، واسْتَخَرْتَ الله عز وجل واسْتَقَرَّ عَزْمُكَ على السَّفر ، أو على الحجّ ، الآن ما المُهِمات المنوطة بك من البداية وحتى الحجّ ؟

أيها الأخوة الأكارم ، يجب أن تعْلموا عِلْمَ اليقين أنَّ هناك وَهْماً خطيراً وكبيراً ، هو أنَّ الإنسان إذا حجَّ رجع من ذُنوبه كَيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّه ! وهذا حديث شريف ، أُؤَكِّد لكم أيها الأخوة أنّ الذنوب التي يغْفرها لك الله في الحجّ هي حَصْراً ما كانت بينك وبين الله ، أما الذنوب التي بينك وبين العباد فوالله لا تُغْفر إلا بالأداء ، ولا تسْقط إلا بالمُسامَحَة ، يغْتَصِبُ الإنسانُ بيْتاً ، ثمَّ يقول لك : أحُجُّ ويتوب الله عليَّ !! هذا توْجيه شَيْطاني ، أنْصح لكم أيها الأخوة أن تؤدوا ما عليكم من الذِّمم والحقوق ، أذْكر أنَّني حتى الكتب المُستعارة أعَدْتُها لأصْحابها ، وحتى المَجلات، كانت لي مَجَلَّة قديمة لِشَخْصٍ يسْكن بالميدان ولم أرهُ منذ فتْرة ، ذَهَبْتُ إليه وأدَّيْتُها له، أُنْظر لحال الإنسان لما يريد أن يُغادر الدنيا كيف يُصَفي علاقاته ، ذِمَم وحِسابات وحقوق ، لذلك قال : إذا اسْتَقَرّ عَزْمُك فبادِر إلى التوْبة ، وأدِّ ما عليك من حُقوق ودُيون ، واسْتَسْمح من نالهم منك ظُلْمٌ أو أذى ، ولا تشْعر أنَّك أكبر من ذلك ، فإذا كنت قد ظلمْتَ من كان يشْتغل عندك في الماضي فابْحث عنه واسْتَسْمِحهُ ، فهذا له حق عندك ! وقَدِّم له هَدِيَّة ، وإذا أردت أن يتجلى الله عليك في الحج ، وأن تكون مقْبول الحج ، وأن تشْعر بالطواف الحقيقي ، فأنت لك مهمَّة أصْعب من الحج ؛ كُلّ علاقاتك الماليّة ، وكُل الذِّمم ،

والأشياء المُسْتعارة ، وتعْويضات مع تقادم الزَّمن نَسِيَها صاحبها ، ومَلَّ من مُطالبتك ، جاء الآن وقْتُ تَصْفِيَة الحُقوق ، وأداء الواجبات ، وأداء ما عليك من دُيون وحُقوق ، والتوبة النَّصوح ، ويجب أن تسافر إلى الحج وقد فَتَحْتَ بينك وبين الله صَفْحَةً جديدة .

وعلى الزَّوْجة إرْضاءُ زَوْجِها ، فإذا كان بينها وبين زوْجها مشْكلة ، ولو حَجَّتْ مع أخيها فَحَجُّها غير مَقْبول ، فعلى الزَّوْجة أن تُرْضي زَوْجَها قبل أن تَحُجّ ؛ لأنَّ دين المرأة أربعة أقْسام : رُبْع دينها رِضى زوْجِها عنها ، فإذا صَلَّتْ المرأة خمْسها ، وصامَتْ شَهْرها ، وحَفِظَتْ نفْسَها ، وأطاعَتْ زوْجها ، دَخَلَتْ جَنَّة ربِّها ، فَكُلُّ زوْجةٍ عاصِيَة لِزَوْجِها ، ومُغْضِبَة له ولا يرْضى عنها وتُزْعِجُهُ ، فليس العِبْرة أنْ تَحجّ مع أخيها ، إنما العِبْرة أن يقبلها الله عز وجل ، وأن يتجلّى عليها هناك .



وَيُسنُّ للرَّجُل أن يصْطحب في الحجّ زَوْجته ، هناك أشْخاص يقولون لك : أُحِبُ أن أكون خفيفاً ، والمرأة صَعْبة وعِبْء ! لكن إن لم تَحُجّ عن طريقك فَعَن طريق من تَحجّ ؟! طبْعاً هذا على المَيْسور . ولا يجوز للوالِدَيْن منْعُ الابن من حَجَّة الإسلام ، فإن قالا لك : رِضى لنا لا تحجّ ، فلا يجوز طاعتهما إن كانت هي حجَّة الإسلام ، أما إن حجّجْت وكانت هذه للتَطوّع وقالا لك : رضىً بنا لا تحجّ هذه السنة نحن بحاجتك أمامنا ، فلا مانع من طاعتهما ، وربما وجبتْ طاعتهما ، أما حجَّة الإسلام فلا اسْتِشارة ، ولا إذْن ، ولا شيء ، وعلى الابن أن يجْتهد في إرْضاء والِدَيْه .

لو أنَّ أحداً في ماله شُبْهة ، وفي دَخْله جزء من الحرام ، وله معاش ، فإذا أراد أن يحجّ بِهذا المال المَشْبوه ، فقد ورد في بعض الأحاديث : " يقول لبَّيْك اللهم لبَّيْك فيقول الله تعالى: لا لبَّيْك ولا سَعْدَيْك" إذاً يجب أن تحجّ من المال الحلال الذي اِكْتَسَبْته من كَدِّك وعرق جبينك ، ولْيَسْتَكْثِر من طيب الزاد والنَّفَقة ما أمْكنه ، لِيُعينَ ذوي الحاجة ، فإذا كان الإنسان مَيْسورًا وأخذ معه أدْوِية زائِدَة كان هذا من باب تقديم يد المساعدة للإخوة ، وأذْكر أنَّهُ لَزِمني علبة دواء ثمنها خمسون ريالاً ، مما يُعادل سبعمئة ليرة ! وهنا ثمنها ستّ عشرة ليرة !! أدْوِيَةُ الإسْهال أكْثر شيء ومُسَكِّنات ، وخافِضات حرارة ، والرَّشْح ، إذاً يمكن أن تأخذ مجموعة أدْوِيَة ، وإذا احْتاج أحدهم هناك للأدْوِيَة تُعْطيه ، فليس هناك عمل أمْتع من خِدْمة الناس ؛ من طعام ودواء وأجْهزة ، والأمْرُ الوحيد العملُ الصالح ، لأنَّك في عبادة وطاعة ، فالإنسان إذا كَثَّر الزاد ، وأطْعم الطعام يشْعر بِسَعادة ، فهذا من السنَّة ، وأذْكر في العام الماضي لما كنت رئيس بعثة أنَّني أخذْت زاداً كبيراً حتى رآه الحاضرون

كثيراً ، إلا أنَّه كان له أثر كبير في أثناء ذهابنا ، فقد بقي معنا لِمُدَّة ثمانية أيام ، وأطْعمْنا منه وضَيَّفْنا . والمشكلة هناك ظروف صعْبة ، فأنت تَصِل مُتْعبًا ، والخروج فيه إرْهاق ، والسيارات ربما لا تُلَبّي حاجتك ، فإذا أخذتَ الأكل والدواء اللازم سُرِرْت .

الآن نترك المُجادلة والمُشاحنة في الحجّ ؛ فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج ، أما المجادلة والاعْتِراض : ما هذه الأسْعار ! فأنت في حجّ ولا يجوز عليك فعْل هذا .

أيها الأخوة ، اُكْتُب وَصِيَّتك قبل السَّفر على الوَجْه المَشْروع ، سأُوَزّع عليكم منها وادْرُسوها ووقِّعوها ، وهذه هي السنَّة .

المَشَقَّة في الحجّ لَيْسَت مطْلوبةً لِذاتِها :

الحقيقة أنَّ المَشَقَّة في الحجّ لَيْسَت مَطْلوبةً لِذاتِها ، أنا لي أجْرٌ بالشَّمْس أكثر !! لا هذا وَهْم وجهْل ، فالحجّ الآن بالطائرة أكثر راحةً من البرّ ، والحجّ بِالبَرّ أقلُّ تعبًا من المَشْي ، فليْسَتْ المَشَقَّة مَطْلوبَةً لِذاتِها ، فلا تقل: إذا ركِبْتُ حافلةً مُكَيَّفةً يَخِفُّ أجْري ، وكذا خيْمة مُكَيَّفة هو أفْضل لك لأنّ الحرّ أحْياناً يشْتد لِدَرجة أنَّهُ يُعيقك عن الإقبال على الله عز وجل ، لذلك احْفَظوا هذه القاعدة : المَشَقَّة في الحجّ لَيْسَت مطْلوبةً لِذاتِها ، وكُلُّ من يتَوَهَّم أنَّ من ازْدادتْ مَشَقَّته ارْتَفَعَ أجْرهُ فهذا وَهْم ! لكن إذا كانت المَشَقَّة لا بدّ منها في سبيل الله فَمَرْحباً بها ، مثَلاً ؛ الآن حوْل الكعْبة هناك رُخام يمْتَصّ الحرارة ، أشِعَة الشَّمْس مُسَلَّطة عليه عَشْرُ ساعات وهو بارد ، وهناك رُخام بالأرْوِقَة كالمِكْواة تماماً ، إياك أن تظنّ أنَّ المشقّة إذا طلبْتها لِذاتها فهذا مما يرْفع ثوابك عند الله تعالى ! لا ، النبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً قابِعاً في الشَّمْس ، فقال: لمَ يقف هذا في الشَّمْس ؟ فقالوا : نذر هذا أن يقف في الشَّمْس تقرُّباً إلى الله عز وجل ، فقال عليه الصلاة والسلام : مُروهُ أن يتحوَّل ، فإنَّ الله غنِيٌّ عن تعْذيب هذا نفْسه ، مثَلاً ؛ هل يجب أن تُصلي الصلوات كلها بالحرم ؟! إذا كان البيت قريبًا من الحرم فهذا أحسن ، أما إذا كان البيت بعيدًا ويجب أن ترْكب السيارة مَرَّتين ، وتمْشي في الشَّمْس ساعة ، وضَرْبة الشَّمْس مؤلمة، فلا تخرج في النهار إلا لِسَبب قاهر ، إنما عليك صلاة المغرب والعشاء والصبح ، فلا تُخاطر ، فحياتك غالِيَة ، وهي ليْست ملْكك وحْدك ، بالمناسبة ضربات الشَّمْس مُميتَة، واللهِ كنت أخرج إلى الحرم الساعة العاشرة ليْلاً ، وكأنَّني في التنور فكيف بالنهار ؟! أنا لا أُخَوّفكم ، إلا أنني أُبيّن لكم حُكْم الشَّرْع في مسألة المَشَقّة ، لا تخرج من البيت في أثناء النهار وهذا بإجماع العلماء ، أما إذا كنت بِجانب الحرم فهذا أمر آخر ، أذكر أنَّني كنت بِجانب الحرم، بيني وبينه عشرون مترًا ، فكنت أُصلي الأوقات الخمس في الحرم ، ولله الحمد ، فالخروج من البيت يتعلَّق بعدم المَضَرَّة أما إذا رافق هذا خطر فلا ، فمثلاً ضرْبة الشَّمس من الأخطار ، وأوَّل ما تشعر دوخة ، وشِبْه إغْماء ، فأوَّل شيء لا بدَّ أن

تأكل أشياء مالحة ، لأنَّ هذا الشيء المالح يشْرب الماء ، حتى إنه توجد مُستشْفيات من أجل ضرْبات الشَّمْس .

التفقه في أحكام الحج قبل الحج :

يجب على من عزم على الحج التَفقُّه في أحكامه ، وكذا حُكْم كُلِّ عمل ولا يُقَلِّدُ العوام ، والمفْروض أن يكون حَجّك صحيحاً ، رأيْتُ بِعَيْني أشياء ينْدى لها الجبين ؛ حُجاجٌ ما أحْرموا من الطائرة ، فلما وَصَلْنا إلى جدَّة قالوا : متى الإحْرام ؟! هؤلاء عليهم دم ، ومنهم من لم يطف طواف الإفاضة وهو رُكْن ، وهناك من يسْأل وهو في المدينة أين قبْر محمَّد ؟! هناك جهْل شنيع وأحدهم قال : أين القبلة ؟ فقالوا له : هذه هي الكعْبة ، فقال لهم : أنا أقول : أين القبلة وليس الكعبة ؟!! ، وهذا قالوا له : أرْجم إبْليس ، فقال : ليس بيني وبينه شيء !! لا أُحِبُّ أن أرْجُمَهُ ، فهذا الحاج دفع ماله جُزافاً ، وضَيَّع وقْته ، وهو لا يعلم منه شيئاً! وقد كنا بِعَرَفات فرفع أدهم باب الخَيْمة فسَبَّهُ أحدهم بالدِّين !! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بِعَرَفات ! والآخر قَبَّل زوْجته بالباص قائِلاً لها لقد اشْتَقْتُ إليك !! فهذا مُسْتوى سوقي ، لذلك يجب أن يتَفَقَّه الإنسان قبل أنْ يحجّ .

مُصاحبة الإنسان من يُعينه على طاعة الله :

من السنَّة أن يبْحث الحاجّ على رفيق عالِمٍ ورِعٍ راغِبٍ في الخير والتُّقى ، وكأنَّ الحجّ يتضاعف أجْرهُ إذا صاحبك رجلٌ تقِيّ عالِم ، كُنْ في صُحْبة الأخْيار ، فإذا رأيْتَ في الحجّ من تعرفه من أهْل التُّقى فاصْحَبْهُ ودَعْ رِفاقَكَ ، فهذا العالم أو الداعيّة الملتزِم يُعَلِّمُكَ أحْكام حجِّك ومناسكه والآداب.


الحج يتضاعف أجره إن صاحبك فيه رجل تقي عالم

فالأصْل مُصاحبة من يُعينك على طاعة الله ؛ عالِمٍ أو داعِيَة أو صاحب خِبْرة ومُتَخَلِّق ، فلا تبْحث عن السُّرور مع الأصْدِقاء ، إنما من هم فوْقك من أهْل العِلْم، هذه عِبادة لا يلْزمك فيها أن تمْزح وتتسَلَّى ، يلْزمك صُحْبة عالِمٍ .

على الإنسان أن يجعل سفره خالصاً لله :

من السنَّة أن يجْعل سَفَرَهُ خالِصاً لله تعالى ، فلا يتَّخِذهُ فُرْصَةً للتِّجارة ، وإن كان ذلك جائزاً بِحُدود الشَّرْع ، فالإنسان يخرج من الحَرَم فَيَجِد مَحَلَّات فَخْمة ، وبِضاعة بأنواعها المُدْهِشَة؛ تجد هؤلاء الحُجَّاج مُلْتفين حوْلها، وذلك لِرُخَصِها ، أو غيرها من الأمور ، دَعْك من البِضاعة ؛ أرْخَص ! لا يَهُمُّك ، تجدهم أصبحوا مُشْترين وزبائن ، ليْست هذه مُهِمَّةُ الحاج ، فإذا كان للواحد منا أقرباء بِجَدَّة تمرُّ عليك الأيام فتجد أنَّك قَضَيْت عندهم يومين دون أن تشْعر ، لأنَّها مدينة فَخْمة وعمارات شاهقة ، ومقاصف جميلة على البحْر ، وتجد نفْسك انْتقلت إلى غير طبيعة فليس من مصْلحة الحاج الانْتِقال إلى الأماكن الحضاريَّة ، إنما مصْلحتك الحرَمَيْن لأنَّك ذهبْت للحج وليس للسِّياحة . فعلى الإنسان إذا كان في عبادة الحج أن يترك القرابة إلى حين الانْتِهاء ، لأنَّك إن ذهبْت وجدْتَ نفْسك في المُزاح والضَّحِك . ويُسْتَحَبُّ أن يكون سفره صباحاً باكراً ، أو أن يكون الخميس أو الاثنين ؛ لكن هذا ليس بِيَدِك إنما على حسب الحج .

ما يفْعله الحاج بعد أن يُزمِع المُغادرة :

ماذا يفْعل الحاج بعد أن يُزمِع المُغادرة ؟ يُسْتحَبُّ أن يُصلي قبل خروجه ركْعتين في غير أوْقات الكراهة ؛ وهي معْروفة ، انْتِصاف الشمْس في كبِدِ السماء حتى تزول ، واصْفِرار الشَّمْس حتى تغيب، وبُزوغ الشَّمْس حتى تعْلو في الأُفق ، و يقرأ في الأولى بعد الفاتِحَة : قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانِيَة : قل هو الله أحد ، وهما سُنَّة السفر ، وبعد سلامه يقْرأ آية الكُرْسي وسورة قُرَيْش ، ثمَّ يدْعو الله سائِلاً بِخضوعٍ وخُشوعٍ التَّيْسير والعفْو ، فإذا نَهَض قال : " اللهمَّ إليك تَوَجَّهْت ، وبك إعْتصمْت ، اللهمّ اكْفِني ما أهَمَّني ، وما لا أهْتَمُّ به " فلِسَبَبٍ تافِهٍ تُضَيِّع عشْر ساعات ! وقد حكى لي الحُجاج أنهم جلسوا في الحافلة أربعاً وعِشرين ساعة ؛ لماذا ؟! لأنّ أحد الحُجاج لم يجِد جواز سَفَرِه ، ويقول : " اللهمَّ زَوِّدْني التَّقْوى واغْفِر لي ".

ومن السُّنَّة أن تُوَدِّع أنت الأهْل وليس هم الذين يُوَدِّعونك ، فإذا جئْت من الحجّ هم الذين يهَنِّؤونك ، أما حين المُغادرة فأنت الذي تُوَدِّع – طبْعاً من هم أكبر منك – لك أب أو عمّ تذْهب إليهم قبل أنْ تَحُجّ ، وحينما تعود من الحجّ هم الذين يسْتَقْبلونك ويُهَنِّؤوك .

وفي الوَداع يقول كُلٌّ من المُوَدِّع والمُوَدَّع : " أَسْتَوْدِعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عمَلِك ، زوَّدَك الله التقْوى ، وغفر الله ذنْبك ، ويسَّر لك الخير حيث كنت "، وهذا في الحجّ وغيره، فإذا خرجْت من بيتك قل : " بسم الله تَوَكَّلْتُ على الله ولا حوْل ولا قوة إلا بالله ، اللهمّ إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلّ ، أو أزِلّ أو أُزَلّ ، أو أظْلم أو أُظْلم ، أو أجْهل أو يُجْهل عليّ " فإذا ركِبْت في السيارة قلت : " بسم الله ، سبحان الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين ، وإنا إلى ربنا لَمُنْقلبون ، الحمد لله ثلاثاً ، والله أكبر ثلاثاً ، سبحانك اللهمّ إني ظَلَمْتُ نفْسي فاغْفِر لي فإنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنوب إلا أنت "، هذه الأدْعِيَة مَوْجودة في الكُتُب ، وأنا إن شاء الله قبل أن تذْهبوا أزَوِّدُكم بِمِثْل هذه الكُتُب ، والدُّعاء الأخير : " اللهمّ إنَّا نسْألك في سَفَرِنا هذا البرّ والتَّقْوى ، ومن العمل ما تحِبُّ وترْضى ، اللهمّ هَوِّن علينا سَفَرَنا – فالدُّعاء مَطْلوب ؛ فقد بقِيَ فوْج من الحُجَّاج سبعة أيام ولياليها في المطار ! – اللهمَّ أنت الصاحب في السَّفَر ، والخليفة في الأهل والمال والولد ، اللهمّ إنا نعوذ بك من وَعْثاء السَّفَر ، وكآبة المُنْقلب ، وسوء المنْظر في الأهْل والمال والولد ".

ما يستحب في الحج :

ويُسْتَحَبُّ أن يتجَنَّب التَّرَفُّه والإسْراف في الطَّعام ، ففي الحج خَفِّف قَدْر ما اسْتَطَعْت أكْلات خفيفة ، كما أنَّني أنْصحُ أخْواننا الكِرام بِتَجَنُّب المَشْروبات الغازِيَّة ، عليك بالماء أو اللَّبن.

وقال : يُسْتَحَبُّ أن يتجَنَّب المُخاصَمَة والمُجادلة والمُزاحمة ، تجد في الطائِرَة قد وصل الأمْر للقتْل من أجل مقاعد الطائِرَة ، ولو وَقَفَ كُلٌّ منهم لَجَلَسَ كلٌّ واحد في مكانه .

ويُسْتَحَبُّ أن يصون لِسانه عن الغيبة والنَّميمة والشَّتيمة ، والله سَمِعْت عَشَرات بل مِئات الأشْخاص وهم في عَرَفات يغْتابون المُسْلمين ، وفي الحَرَم ، أين الانْضِباط ؟!

ويُكْرَهُ أن يذْهب في طريق سَفَرِهِ مُنْفَرِداً أو مع واحِدٍ ، لِقَوْل النبي عليه الصلاة والسلام :

((الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ))

[الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

وإذا كانوا ثلاثة فلْيُؤَمِّروا عليهم واحداً ؛ هذه هي السُّنَّة ، نحن لنا أمير فإذا قال : نمْشي مَشَيْنا ، فلا تُناقِش ، ولا تُخاصِم ، ولا تُعارِض. فإذا أشْرَفْتَ على قرْيَةٍ قلْتَ : " اللهمَّ إني أسْألك خيرها ، وخيْر أهْلِها ، وخيْر ما فيها ، وأعوذ بك من شَرّها ، وشرِّ أهْلها ، وشَرّ ما فيها " وإذا نزلْت منْزِلاً قلت : " أعوذ بِكَلِمات الله التامات من شرّ ما خلق "، فإذا أطْبق الليل : " يا أرْض ربِّي وربُّك الله ، أعوذ بك من شرّك وشَرّ ما فيك ، وشَرّ ما خُلِقَ فيك ، وشرّ ما يدبُّ عليك ، أعوذ بالله من أُسود وأفاع ، ومن ساكن البلد ، ومن والِدٍ وما ولد " هذا دُعاء قريب ، لأنَّ في الخِيام هناك عقارب ووُحوش .

وإذا خِفْتَ شَخْصاً قلت : " اللهمَّ إنا نجْعلك في نُحورِهِم ، ونعوذ بك من شُرورِهم " ويُكْثِر من قوْل : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ربُّ العرْش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات وربّ الأرض ، وربّ العرْش الكريم ، يا حيُّ يا قيُّوم بِرَحْمَتِك أسْتَغيث .

ويُسْتَحَبُّ للمسافر أن يكون مُداوِماً على الطَّهارة ، فسِلاحُهُ الوُضوء ، لأنَّك إن لم تَكُن مُتَوَضِّئاً ، ودَخَلْت الحَرَم ، تحْتاج أكْثر من ساعة كي تتوَضَّأ ، فَكُنْ دائِماً على وُضوء في الحجّ .

والحمد لله رب العالمين

5-2 على من تجب هذه العبادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، و نسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، نحن على مشارف عيد الأضحى المبارك، وبعض إخوتنا الكرام من شتى بقاع المسلمين في الديار المقدسة ليؤدوا فريضة الحج.

ثمة موضوع دقيق قلما يطرح في موضوع الحج ؛ مقدمته أن الحج فريضة واجبة على كل مسلم قادر قدرة مادية، وقدرة بدنية، وقدرة السماح له بالذهاب إلى بيت الله الحرام من قبل ولي الأمور، هذا الحج بإجماع العلماء فرض من الفروض الخمسة التي عليها مدار الإسلام بالاتفاق، ومن جحد وجوده كفر إجماعاً، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ ﴾

[سورة آل عمران: 97]

أي كان قادراً، ولم يحج بيت الله الحرام، فإن الله غني عن العالمين، وقد قال تعالى:

﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة]

يعني النفل في الحج، واللهُ عز وجل يشكره.

أنواع النوافل

لكن أيها الإخوة الكرام، مادمت قد لفظت كلمة (نفل) فالنوافل أنواع:

النفل الخاص بالفرد

بعض النوافل تخص الفرد ذاته، كالصلاة والصيام، فهي تعود إلى المتطوع دون غيره، والأغلب أن الآخرين لا يتضررون بهذه النوافل، ولا يستفيدون منها مباشرة، قمت في الليل، فصليت ما شاء لك أن تصلي، هذه نافلة، هي لك، والآخرون لا ينتفعون بصلاتك ليلاً، ولا يتأذون، هذا نوع من النوافل العبادية.

النفل المتعدي نفعُه

وثمة نوافل تنفع الناس ليتعدى خيرها إلى الآخرين، كنوافل الصدقة والإحسان، والعمل الصالح، أديت الزكاة، وجدت حالة صعبة جداً، لك أخ مؤمن بحاجة إلى عملية جراحية، وقد أديت ما عليك فهذا الإنفاق من النافلة هذه النافلة ينتفع بها المسلمون في شتى بقاعهم، ويتعدى خيرها إلى معظم الناس، لذلك يقال: لا إسراف في الخير هذا كلام رائع لكن ليس على إطلاقه كلياً لأن الله عز وجل قال:



﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[سورة البقرة: 195]

قال بعض المفسرين: " إنك تهلك مرتين ؛ تهلك إن أنفقت مالك كله، وتهلك إن لم تنفق، لذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن أبي وقاص عندما أوصى بماله كله بأن يمسك بعضه، فهو خير له، وقد ورد هذا في البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين في قصة الثلاثة الذين خلفوا، ونزلت توبتهم، قال كعب بن مالك: يا نبي الله، إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا، وأن أنخلع من مالي كله صدقة لله عز وجل، وإلى رسوله، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك))

النفل الذي لا ينفع ولا يؤذي أحدا

الآن دخلنا في الموضوع، ويبقى قسم ثالث من النوافل، قسم لا يتأذى منه أحد، ولا ينفع أحداً، وقسم مع بعض الضوابط يعم خيره كل من حولك.

أما القسم الآخر من النفل فلا يتعلق بالمرء فحسب، بل له تعلق بالآخرين بسبب المزاحمة في المكان أو غيره، والحج والعمرة من هذا القبيل.

المشاعر أيها الإخوة الكرام محدودة والزمان، موقوتة، لا تتقدم ولا تتأخر، ومن الطريف أن بلاد الحرمين استقدمت خبراء للمرور لتنظيم المرور بين منى وعرفات ومكة، ودرسوا، وحققوا، ودققوا، وحللوا، وأحصوا، واستنتجوا، وأصدروا مقترحات للقائمين على شؤون الحج أن يكون الحج على دورات خمس، كل شهرين موسم حج، حتى تخف أزمة المرور، هكذا رأى الخبراء الأجانب.

أيها الإخوة الكرام، المكان محدود، والمشاعر محدودة، والزمن محدود، ويجب أن تؤدى المشاعر والمناسك في وقت محدد، وفي زمن محدد، لو أردنا أن يحج عن كل مئة إنسان واحد لاجتمع في الحج اثني عشر مليون حاج، وكلكم يعلم أن إمكان اجتماع هذا العدد مستحيل، لو حج عن كل ألف واحد لاحتجنا إلى عدد لا يقل مليونين تقريباً.



أيها الإخوة الكرام، إذاً هناك معاناة في الازدحام الهائل الذي يفقد الفريضة روحانيتها وقدسيتها، ويحيلها إلى صخب وضجيج، وعراك وجدل، وهذا يتكرر دورياً بأن يموت المئات تحت الأقدام، متلبسين بأداء فريضة من فرائض الله تحت أقدام من يتلبسون بفريضة من فرائض الله عز وجل، هذه حقيقة مُرّة.

أوضح لكم الحقيقة بشكل آخر، سجادة تتسع لخمسين مصليًّا، فيقف ألف حولها، مئتان من هؤلاء الألف لم يصلوا الفريضة، و الثمانمئة صلوا الفريضة، ولكنهم يريدون أن يصلوا على هذه السجادة ذات المقاييس المحددة صلاة نافلة، فمَن أحق بالصلاة فيها ؟ من لو يؤدي الفريضة أحق بالصلاة على هذه السجادة.

أيها الإخوة الكرام، يفترض، وهذا ما ينتظر من المؤمن أن الدافع الإيماني دائماً وراء هذا الحج النفل، فكيف يغفل المسلم القريب عن الآثار الصعبة التي يحدثها تكرار الحج كل عام ؟ أنا إلى ماذا أريد ؟ أنا أريد أن أصل إلى إنسان توهم إلى أنه لا بد أن يحج كل عام، ويتباهى أنه قد حج ثلاثين حجة، ومن أجل أن يحج كل عام قد يقدم تصريحاً كاذباً، قد يزوّر، قد يرشي، قد يدفع ثمن الفيزا ثلاثين ألفاً، أنت لست مضطراً أن تبدأ هذه العبادة النافلة بمعصية لله عز وجل، لست مضطراً أن تنتحل أنك قصاب، ولا سائق، ولا تكذب، ولست مضطراً أن تدفع الرشوة، ولست مضطراً أن تبذل ماء وجهك، ولست مضطراً أن تقترض لتحج بيت الله الحرام، ولست مضطراً أن تستجدي الناس كي تحج بيت الله الحرام، ولستِ مضطرة أن تعقدي زواجاً صورياً على رجل كي تحجين معه، وهذا لعب بدين الله، واللهِ إن المخالفات التي أستمع إليها في هذا الشهر عن الوسائل غير المشروعة من كذب، من تصريح كاذب، من رشوة، من انتحال صفة غير صحيحة، من زواج صوري، هكذا الإسلام ؟ هناك مسلمة في الدين الله عز وجل لا يعبد إلا وفق ما شرع. اتصال هاتفي من فنانة تابت إلى الله تريد أن تعقد زواجها على إنسان كي تحج معه، وبعد أن تعود يطلقها، المرأة التي لا تجد محرماً ليست مستطيعة.

بالمناسبة، وهذا كلام دقيق، الاستطاعة تعني أن تكون قوياً في جسمك، قادرًا على تحمل مناسك الحج، وأن تملك المال الكافي، لا لكي تنام في الطريق فتشوه سمعة المسلمين، لا لكي تنام أنت وأهلك على الرصيف، وقد تتكشف امرأتك في الليل، فالذي لا يملك أجرة مسكن في مكة والمدينة ليس مستطيعاً عند الله عز وجل، لست مضطراً أن تقترض، ولا أن تتضعضع أمام غني كي يعطيك تكاليف الحج، ولا أن تكذب، ولا أن تكتب تصريحاً كاذباً، ولا أن ترشي، ولا أن تفعل شيئاً فيه معصية لله عز وجل، الاستطاعة أن تكون قوياً في بدنك، مالكاً لمال يكفي أن تؤدي الحج بكرامة الإنسان، ويكفي للإنفاق على عيالك في غيبتك، وأن يسمح لك ولي الأمر بالحج من دون واسطة، ولا رشوة، ولا تزوير، ولا توقيع.

أيها الإخوة الكرام، في بعض السنوات كنت عضواً في لجنة الحج العليا، كان الاقتراح أننا لا نسمح بالحج إلا إذا بلغ الرجل الخمسين، وأحياناً ما فوق الخمسين، وفي سن تسعة وخمسين، ما السبب ؟ أن الذين يتقدمون بالطلبات معظمهم قد حج بيت الله الحرام، لذلك التوجه في هذه السنة أن نمنع كل من حج أن يحج، وأن نسمح لمن لا يحج بأي عمر ولو كان في الثامنة عشر، وكان من لوازم تقديم الطلب أن يقدم تصريحاً أنه لم يحج سابقاً، فثلثا الطلبات فيها تصريح كاذب، فلما كشِف في السجلات السابقة تبين أن ثلثي الطلبات قد أرفقت بتصريح كاذب وقتها قال المسؤولون عن الحج: حاج ويكذب ؟ هكذا أيها الإخوة الكرام. إن الله عز وجل لا يُعبد إلا وفق ما شرع، وأنت لست مستطيعاً إذا تاقت نفسك إلى بيت الله الحرام، وإلى مسجد النبي، يمكن أن تذهب بعمرة في وقت ليس فيه ازدحام، وهذا متاح، وميسر لكل مسلم.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، الدافع هو دافع نبيل، تاقت نفسه للحج، لكن أنت بهذا النفل تؤذي المسلمين تقريباً، ومن عام إلا وكانت فيه كارثة !!! فمن شدة الازدحام يموت الناس تحت الأقدام، لأن طاقة المشاعر لا تحتمل فوق المليونين، فإذا دخل بطرق غير مشروعة عدد كبير كانوا عبئاً على من ينبغي أن يحجوا حجاً معقولاً.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، قد يقول واحد منا: ماذا ينفع غيابي، وماذا يضر حضوري، أنا واحد ؟ هذه المقولة يقولها الملايين مثلك، فيكون الزحام الذي لا يحتمل.

الصدقة بحج النافلة أفضل من حج النافلة

الآن إلى بعض الأدلة من أقوال العلماء السابقين في هذا الموضوع، قال العلماء: الصدقة بقيمة الحج النافلة. دققوا أيها الإخوة، حج الفريضة لا يعلو عليها شيء، هي خمس الإسلام، حج الفريضة لا يعلو عليه لا تزويج ابن، ولا مساعدة، ولا صدقة، حج الفريضة لا يعلو عليه شيء، قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ ﴾

[سورة آل عمران: 97]

أي كان قادراً، ولم يحج بيت الله الحرام، لكن حج النافلة قالوا فيه: الصدقة بقيمة الحج النافلة أفضل في مثل هذه الأوقات التي تتعاظم حاجة الناس فيها إلى المال، الزلزال الذي ضرب باكستان، وإخوتنا في فلسطين الذين هدمت بيوتهم، الفقراء الذين يعانون من الجوع ما يعانون، إذا حججت خمس مرات يكفي، ادفع قيمة هذا الحج لإنقاذ أسرة، لتزويج شاب، لخدمة أسرة مؤمنة طاهرة، لكن دخلها لا يكفي حاجاتها. سئل الإمام أحمد: أيحج نفلاً أم يصل قرابته ؟ فقال الإمام أحمد، وهو على ما هو عليه من الفقه والعلم: " إذا كانوا محتاجين أن يصلهم أحب إليه ".

و كان ابن المبارك في طريقه إلى الحج، ورأى فتاة تلتقط طائراً ميتاً من القمامة، فأرسل من يتبعها إلى البيت، فإذا أسرة لا تجد ما تأكل، تأكل من القمامة حقيقة، فأعطى هذه الأسرة كل ما يملك، وعاد إلى بلده، ولم يحج إلى بيت الله الحرام.

ويقول الإمام أحمد: " يضعها في أكباد جائعة ويقول أحدهم: أحج، أحج، وقد حججت، صل رحماً، تصدق على مغموم، أحسن إلى جار.

ولابن الجوزي كلمة رائعة قال: " إن الصدقة أفضل من الحج ".

إذا قلت أفضل من الحج، فمن حج النفل، لأن قضية الفرض لا خلاف فيها أبداً.

وعن وكيع عن سفيان عن أبي مسكين قال: " **كانوا يرون أنه إذا حج مراراً أن الصدقة أفضل**، وهذا قول الإمام النخعي أيضاً.

و يقول شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى: " **والحج إلى الحج المشروع أفضل من الصدقة التي ليست واجبة، وأما إن كان له أقارب محاويج فالصدقة عليهم أفضل.**

الآن ينفق في الحج مليونًا و مئتي ألف ليرة، والتي يمكن بها أن يزوج شابًا، الشباب يتلوّوْن، ليس هناك أعمال، هناك بطالة، هناك بطالة مقنعة، هناك كساد في سوق الزواج، هناك رواج في سوق الدعارة، إن لم نتحرك لحل هذه المشكلات الكبرى أيها الإخوة الكرام فالأمر خطير.

الازدحام في الحج: حكمه وأسبابه وآثاره وطرق الوقاية منه

قال النبي عليه الصلاة والسلام في موضوع الازدحام: يا عمر، إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله، وهلل وكبر.

هناك حجاج يرتكبون الفظائع من أجل سنن فقط، يتركون الفريضة، والتي هي الحفاظ على المسلمين من أجل سنة. يقول ابن عباس: **<< إذا وجدت على الركن زحاماً فانصرف ولا تقف >>.**



بعض العلماء روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها دخلت عليها مولاة لها فقالت لها: يا أم المؤمنين، طفت بالبيت سبعاً، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً، فقالت لها عائشة: لا آجرك الله، تدافعين الرجال ؟ ألا كبرت، ومررت >>.

إن صون المرأة، وحشمة المرأة، وعدم إيذاء المسلمين مقدم على بعض سنن الحج، كاستلام الحجر سنة، واستلام الركن سنة.

تقول عائشة بنت سعد بن أبي وقاص: كان أبي يقول لنا: **<< إذا وجدتن فرجة من الناس فاستلمن، وإلا فكبرن، وامضين >>.**

وكان ابن عباس يقول " **<< كان يكره أن يزاحم على الحجر لئلا يؤذي المسلمين >>.**

وعن سعيد بن عبيد الطائي قال: **<< رأيت الحسن أتى الحجر فرأى زحاماً فلم يستلمه فدعا ثم أتى المقام فصلى عنده ركعتين >>.**



ليس هذا خاصاً بالحجر، ولا بالركن اليماني، بل هو قاعدة عامة في أن كل ما يترتب عليه مشقة على الناس ينبغي أن يكون المسلم مرناً في هذا الموضوع.

ترون الآن في أثناء الطواف هناك من يصر على أن يصلي ركعتين بعد الطواف أمام مقام إبراهيم، هذا يعيق الحركة، ويسبب إرباكاً كبيراً في الطواف، هذا من عدم الفقه في الحج، لذلك في بعض البلاد لا يسمح للإنسان أن يحج إلا إذا خضع لدورة تزيد على ستة أشهر ليتعلم الفرائض والسنن والآداب ومقاصد الحج الكبرى.

لكن يستثنى مِن حج الإنسان حجة نافلة إذا كان محرماً لوالدته، أو لأخته، أو لأمه، أو لمن استطاع أن يحج، و لها محرم قد حج، فالمحرم أحياناً مستثنى من هذا الموضوع.

أيها الإخوة الكرام، ليس من الحكمة أن يعزل الإنسان نفسه عن مشكلات الناس، ولا عن همومهم، ولا عن معاناتهم، بل ينبغي أن يكون سبباً في التخفيف عنهم ولإصلاح شأنهم.

أعياد المسلمين طاعة وفرح مشروع

أيها الإخوة الكرام، وبعد الحج بالنسبة إلينا يأتي العيد، فالعيد جعل فرحة للطائعين الذين فازوا بقبول الطاعة، فكان في ذلك فرحاً لهم من طول العمل، والقيام بأمر الله.

أيها الإخوة الكرام، عند المسلمين، وهذا من نعمة الله الكبرى أن أعيادنا أعياد طاعة لا أعياد معصية، أعيادنا تأتي عقب عبادات كبرى، عيد الفطر عقب شهر الصيام، وعيد الأضحى المبارك عقب فريضة الحج.

أيها الإخوة الكرام، العيد لمن أطاع أمر الله، و الحسرة لمن عصاه، وإذا رجع العبد إلى الله ناد مناد في السماوات والأرض: أن هنئوا فلاناً، فقد اصطلح مع الله.

حقيقة العيد في الإسلام



إن العيد الحقيقي هو العودة إلى الله، العيد لمن أحسن في نهاره العمل، وأحيى ليله بالطاعة، العيد لمن سهر على تلاوة القرآن لا على الأغاني، والألحان، ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلة عن الله، فالغافل يفرح بلهوه و هواه، و العاقل يفرح بمولاه. يقول الإمام الحسن البصري: " **كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد، وكل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره هو له عيد.**

إن العيد أن تكون قريباً من الله، ليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن اتقى وخاف يوم الوعيد، ليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب، يا من يفرح بالعيد بتحسين لباسه، ويوقن بالموت، وما استعد لبأسه، ويفرح بإخوانه وأقرانه وأجلاسه، وكأنه قد أمن من سرعة اختلاسه، أين أنت من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار ؟

أيها الإخوة الكرام، ينبغي أن نجمع في العيد بين الفرح المشروع وحقيقة الفرح الذي أراده الله لنا، أن نفرح بالتوبة، أن نفرح بالعودة، أن نفرح بالصلح مع الله، أن نفرح بالرجوع إليه، أن نفرح بتوثيق الصلة معه.

منكرات الأعياد

أيها الإخوة الكرام، هناك منكرات في الأعياد لا تخفى عليكم، أقول لكم هذه الكلمة من القلب إلى القلب: عندنا أربعة أيام في العيد، فيها زيارات متبادلة، أنا أتمنى، وسأطبق هذا، أن يجتمع الأهل في بيت واحد ساعتين أو ثلاثا بدل تراشق البطاقات، والذي يجول على بيوت كثيرة يتمنى من أعماقه ألا يجد أحداً ليضع البطاقة، فإذا فُتح له الباب أحبط، وشعر بخيبة أمل، إذاً سوف يدخل، ماذا لو اجتمعنا الأهل المقربين من بعضهم بعضاً في مكان كل عيد، ونحن في هذا المسجد من سنوات طويلة نجتمع ثاني أيام العيد من العاشرة صباحاً حتى الثانية ظهراً، ومن المغرب حتى بعد العشاء بساعة، يلتقي كل الإخوة، وانتهى الأمر، فنحن بدل تراشق البطاقات ينبغي أن نتراشق الكلمات الطيبة، الآن اجلس مع الناس في أيام العيد ؟ ما الحديث ؟ موضوعات تقليدية، الكل يتابع الأخبار، عشرون إنسانا جالسون، يقول أحدهم: قيل كذا وكذا، كل هؤلاء

الجالسون سمعوا مثله، وما أضاف عليهم شيئاً، إما في موضوعات لا تقدم ولا تؤخر، أو في موضوعات تنتهي بالإحباط، أو في موضوعات تنتهي باليأس، أو في موضوعات تنتهي بالحيرة، وأحياناً يجلس الناس، ويتكلمون بلا نظام، وبلا هدف، لا يستطيعون أن يقوموا من مجالسهم من شدة الإحباط، أنت ماذا تعلمت في المسجد في رمضان ؟ ألا تذكر آية تأثرت بتفسيرها ؟ ألا تذكر حديثاً أعجبت بشرحه ؟ حاول في كل مرة أن تذكر الناس بالله عز وجل، اذكروني أذكركم، اذكروني لعبادي، لكن ذكر الله لك أعظم من ذكرك له، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 45]

قال بعض العلماء: أكبر ما فيها، ومعنى أكبر ما فيها أن ذكر الله لك أعظم بمليار مرة من ذكرك له، إنك إن ذكرته عبدته، أما إن ذكرك منحك الأمن، منحك الرضا، منحك الحكمة، منحك القوة، منحك البعد عن النفاق، منحك قوة الحركة، ولذكر الله أكبر، ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي، وما ذكرني عبدي في ملأ إلا ذكرته في ملأ خير منه، وما جلس قوم في مجلس فذكروا الله إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكّرهم الله فيمن عنده، وما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله فيه إلا قاموا عن أنتن من جيفة حمار.

هذا الذي يحدث، المستقبل غير واضح، تهديدات من كل حدب وصوب، قهر في العالم، جرائم نراها كل يوم، لغة العصر قتل ومداهمة، واعتقال وقصف، وأسلحة فسفورية وأسلحة ذات الدمار الشامل، أعصابنا لا تحتمل متابعة هذه الأخبار، اذكروا الله أيها الإخوة الكرام، ذكّروا بعضكم بالله، ذكروا أن الأمر بيده، وأنه يؤدبنا، ذكروا بعضكم أن هذا أسلوب يتبعه بعض المهندسين اسمه التحميل: شرفة فيها شقوق، إن هدمناها قد تكون صالحة، وإن أبقيناها قد تكون فاسدة، نحملها براميل ماء، فإن انهارت فلا ردها الله، وإن صمدت تستحق عنايتنا، نتابع كسوتها، وكأن الله يحمل هؤلاء المسلمين الذين شردوا عن دينهم، واستمرءوا الحياة المعاصرة، وتفلتوا من منهج ربهم، إما أن تعودوا منيبين، وإما أن تؤمنوا بهذا القرآن الكريم، وإما هان أمر الله عليكم فهنتم على الله.

من علامات حب الله للعبد

أيها الإخوة الكرام، من علامات حب الله للعبد:

الحمية عن الدنيا، إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضكم من الطعام.

ومن محبة الله لعبده حسن التذكير لهم، الله يتولى شؤونه.

ومن رحمة الله بعبده ومحبته له أنه يلهم الرفق في الأمر كله، هذه من علامات محبة الله.

ومن علامات محبة الله أن تكون مقبولاً في الأرض، وألقيت عليك محبة مني.

ومن علامات محبة الله أن الله يبتليك أحياناً،

((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل))

[البخاري]

ومن محبة الله للعبد أن يتوفاه على صالح عمله،

((إذا أحب الله عبداً عسله، قيل: وما عسله ؟ قال: يوفق إلى عمل صالح بين يدي أجله، ثم يتوفاه الله عليه))

[الجامع الصغير عن أبي عنبة بسند صحيح]

لذلك آخر كلمة أقولها في الخطبة الأولى: إن النبي عليه الصلاة والسلام رأى جنازة فقال:

((مستريح ومستراح منه، فقالوا: يا رسول الله، ما مستريح، وما مستراح منه ؟ قال: أما العبد المؤمن استراح من عناء الدنيا))

[النسائي عن أبي قتادة بن ربعي]

قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون.

انتهى من الأخبار السيئة، والضغوط، والقلق، والخوف، وارتفاع العملات إلى آخره...

((وإذا مات العبد الفاجر . دققوا من سيستريح منه . استراحت منه البلاد والعباد والشجر والدواب))

[النسائي عن أبي قتادة بن ربعي]

من بقي لم يسترح منه، الزيتون اقتلع، والآبار ردمت، والبيوت هدمت، والنساء قتلت، والأطفال قتلوا.

((إذا مات العبد المؤمن استراح من عناء الدنيا، وإذا مات العبد الفاجر استراحت منه البلاد والعباد والشجر والدواب))

ولكن لا تتفاءلوا، كلما جاءت أمة لعنت أختها، قد يأتي بعده أشر من الذي كان.

أيها الإخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، العاقل من دان نفسه، و عمل لما بعد الموت، و الجاهل من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

أضحية العيد حكمها ودلالاتها وشرط وجوبها ووقت ذبحها

حكم أضحية العيد

أيها الإخوة الكرام، الأضحية شعيرة من شعائر المسلمين في عيد الأضحى المبارك، مشروعيتها أن الإمام أحمد وابن ماجة رويا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ وَجَدَ سَعَةً فَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا))

وقد استنبط أبو حنيفة رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنها واجبة، فمثل هذا الوعيد لا يلحق بترك غير الواجب، وقال غير الأحناف: إنها سنة مؤكدة، ولهم أدلتهم، بين أن تكون واجبة، وبين أن تكون سنة مؤكدة، هي واجبة مرة في كل عام على المسلم الحر البالغ العاقل المقيم الموسر، وليس على المسافر أضحية. وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا))

[الترمذي، ابن ماجه]

وعن أَنَسٍ قَالَ:

((ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، قَالَ: وَرَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ، وَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، وَسَمَّى وَكَبَّرَ))

[البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي]

دلالاتها

وحكمتها أن المسلم الموسر يعبر بها عن شكره لله تعالى على نعمه المتعددة، منها نعمة الهدى . دققوا . و منها نعمة البقاء، بقي على قيد الحياة حتى عيد الأضحى المبارك، منها نعمة الهدى، و منها نعمة البقاء على قيد الحياة من عام إلى عام، فخيركم من طال عمره، وحسن عمله، ومنها نعمة السلامة لا يوجد أخبار عن أمراض وبيلة و منها نعمة السلامة و الصحة و منها نعمة التوسعة في الرزق و هو فضلاً عن ذلك تكفير لما وقع من الذنوب و توسعة على أسرة المضحي و أقربائه و أصدقائه و جيرانه الفقراء، كم حكمة ؟ نعمة الهدى و نعمة البقاء على قيد الحياة من عام إلى عام، ونعمة السلامة والصحة والتوسعة وتكفير الذنوب، وتوسعة على أسرة المضحي وأقربائه، وأصدقائه، وجيرانه، وفقراء المسلمين.

شروطها

من شروط وجوبها اليسار، فالموسر هو مالك نصاب الزكاة، زائداً عن حاجاته الأساسية، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية أيام العيد فقط، أو هو الذي لا يحتاج إلى ثمن الأضحية خلال العام بأكمله، على اختلاف بين المذاهب في تحديد معنى الموسر.

وينبغي أن يكون الحيوان المضحى به سليماً من العيوب الفاحشة التي تؤدي إلى نقص في لحم الذبيحة، أو أن تضر بآكلها، فلا يجوز أن يضحي بالدابة البين مرضها، ولا العوراء، ولا العرجاء، و لا العجفاء، و لا الجرباء، ويستحب في الأضحية أسمنها وأحسنها، وكان صلى الله عليه وسلم يضحي بالكبش الأبيض الأقرن.

وقت ذبحها

وقت نحر الأضحية بعد صلاة عيد الأضحى، وحتى قبيل غروب شمس اليوم الثالث من أيام العيد، أي أيام النحر والتشريق، على أن أفضل الأوقات هو اليوم الأول بعد صلاة عيد الأضحى، وحتى قبل زوال الشمس. يكره تنزيهاً الذبح ليلاً، ولا تصح الأضحية إلا من النَّعم، من الإبل والبقر والغنم من ضأن، ومعز بشرط أن يتم الضأن ستة أشهر، على أن تتم المعز سنة كاملة عند بعض الأئمة، ويجزئ المسلم أن يضحي بشاة عنه، وعن أهل بيته، هذه الأضحية عن الأسرة بأكملها، الأجر الذي يناله صاحب البيت مثل الأجر الذي تناله زوجته و كل أولاده الذين ينفق عليهم، طبعاً ليس عن أولاده المتزوجين، عن أولاده الذين ينفق عليهم، وجميعاً مشتركون في الأجر.

مندوباتها

من مندوبات الأضحية أن يتوجه المضحي نحو القبلة، وأن يباشر الذبح بنفسه إن قدر عليه، وأن يقول: باسم الله، و الله أكبر، اللهم هذا منك وإليك، اللهم تقبل مني ومن أهل بيتي.

مرّ في التفسير أن الحيوان الذي أعد لطعام الإنسان أمنيته أن يقدم جسمه هدية للإنسان، فأنا قرأت هذا في تفسير لعالم كبير في مصر قال: الحيوان الذي أعد لطعام الإنسان إذا مرض يمد رأسه، و كأنه يقول لمن حوله: تعالوا اذبحوني، و كلوني حلالاً قبل أن أموت، و له أن يوكل غيره، وعندئذ يستحب أن يحضر أضحيته لقول النبي عليه الصلاة والسلام لفاطمة:

((قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها))

[الترغيب والترهيب للمنذري بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري]

كيفية توزيعها

ويستحب أن يوزعها ثلاثاً، ويستحب أن يوزعها أثلاثاً، فيأكل هو وأهل بيته الثلث، و يهدي لأقربائه وأصدقائه وجيرانه الثلث، ويتصدق بالثلث الأخير على فقراء المسلمين:

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾

[سورة الحج: 36]



﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الحج]

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[سورة الحج]

الدعاء

أيها الإخوة الكرام، إني داع فأمنوا، اللهم انصرنا على أنفسنا حتى ننتصر لك حتى نستحق أن تنصرنا على أعدائنا، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح

الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

3-5 الحج عن الغير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحج عن الغير:

أيها الأخوة الكرام :



لازلنا في أيام الحج، واخترت لكم من موضوعات الحج موضوعاً يتصل بأكثر المسلمين والمؤمنين، وهو الحج عن الغير، وله موضوعات دقيقة تغيب عن معظم الناس، والعلماء قالوا: " من وجب عليه الحج وحضره الموت يجب عليه أن يوصي أنْ يُحَجَّ عنه "، لأن الحج فريضة، قال تعالى:

﴿ فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) ﴾

(سورة آل عمران)

وقال العلماء:

((من استطاع أن يحج ولم يحج فقد كفر، ومن وجب عليه الحج وحضره الموت وجب عليه أن يوصي بأنْ يُحجَّ عنه، فإذا فعل برأت ذمته قصراً، فالدين يسر، فإنْ كان صحيحاً وغنياً، ومستطيعاً والطريق سالك، وكل شيء ميسر ولم يحجَّ، وقد دنا أجله والحج فريضة، نقول له: أوصِ أن يحج عنك الغير، وبهذا تبرأ ذمتك))

معنى هذا إذا كان الإنسان مستطيعاً وألَمَّ به مرض، أو عجز، أو لم يُسمَح له، ومن لوازم الاستطاعة سلامة البدن، وتوفر الزاد والراحلة، ونفقة الأهل، وأمن الطريق، وموافقة السلطان التي هي جزء من الاستطاعة فقدَّم طلباً ولم يوافقوا عليه، وهو على مشارف الموت، فماذا يفعل ؟ نقول له: أوصِ أن يُحجَّ عنك الغير، وبهذا تبرأ ذمتك.

الحديثان الصحيحان التاليان أصل ودليل في الحج عن الغير:

من استوفى شروط الحج من نفسه، ولم يحج حتى عجز عن الأداء بنفسه، لِكَبر سن أو مرض لا يرجى برؤه، أو ذهاب البصر، أو عدم أمن الطريق، أو عدم وجود المحرم بالنسبة للمرأة، وجب عليه أن يوصي بأنْ يُحجَّ عنه "، لأنّ الحج صار فريضة، وإذا لم يتمكن الإنسان أن يحج عن نفسه وجب أن يوصي من يحج عنه، فالأصل في هذا الحكم – والفقه مؤصل – ما معنى أنه مؤصل ؟ أي له أصول في القرآن والسنة:

((جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ))

[البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهُمَا]

هذا الحديث أصل في الحج عن الغير.

((أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا، قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ))

[البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهُمَا]

فهذان الحديثان الصحيحان أخرجهما البخاري، أصل ودليل في الحج عن الغير، وهناك خلاف بين المذاهب.

شروط الحج عن الغير:

1 . أن يأمر الأصيل بالحج عنه:

أقول لكم: الأشياء الأساسية في هذا الموضوع "شروط الحج عن الغير" يشترط لصحة حجة النائب عن الفريضة الواجبة عن المحجوج عنه ما يلي:

يوجد عندنا قاعدة أن تنوب عن إنسان في حجة الفرض، أو أن تنوب عنه في حجة النافلة، فحجة النافلة قضية سهلة، وشروطها قليلة، أما أهم شيء حجة الفرض، الشروط التي تتوجب على النائب في حجه عن الغير حجة الفريضة.

أولاً يشترط أن يأمر الأصيل بالحج عنه، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

(سورة النجم)

فإذا أمر الأصيل فهذا من سعيه، وأمره، ووصيته، وإنفاقه على من يحج عنه من ماله و سعيه.

حكم الحج عن الغير عند:

1 . الحنفية والمالكية:

لذلك عند السادة الحنفية يشترط أن يأمر الأصيل بالحج عنه، فلا يجوز الحج عن الحي دون إذنه، أن يكون أحدهم حيَّاً يرزق ولكنه مريض، وقد يكون مشلولاً، ثم يأتي إنسان يحج عنه دون أن يعلِمَه، فهذه ليست واردة إطلاقاً.

وأما الميت فلابد من أن يوصي بالحج عنه عند الحنفية والمالكية، والأحناف استثنوا الوارث، من هو الوارث؟ هو الابن، وهو أقرب الناس للميت، فالوارث إذا حج عنه من غير أن يوصي صحَّ حجُّه، لأن الوارث من كسب المتوفى، فرجل ترك ابنًا ولم يوصِه عن جهل وتقصير، فجاء ابنه فحج عن أبيه، فهذا الوارث لأنه من كسب الميت يصحُّ أن يحج عنه، فعند الأحناف لا يقبل أن يحج عن أحد إلا إذا وصى فإن لم يوصِ يقبل من الوارث، وفي الأعم الأغلب الوارث ابن، فإذا حج عن مورثه بغير إذنه فإنه يجزئه، وتبرأ ذمة الميت إن شاء الله تعالى، وعند الأحناف لابد أن يوصي، فلو جاء ابنه أو وارثه فحج عنه من دون إذنه أجزأه ذلك، وسقط الحج عن الميت إن شاء الله تعالى.

من أين جاؤوا بهذا الحكم ؟ من حديث الخثعمية:

((جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ))

[البخاري عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا]

2 . الشافعية والحنابلة:

أما الشافعية والحنابلة . فأول حكم الحنفية والمالكية، والثاني الشافعية والحنابلة. إذْ ذهبوا إلى أنه من مات وعليه حج وجب أن يُحجَّ عنه، سواء أوصى أم لم يوصِ، وهذا دَين يجب الوفاء به، فكما تقضى عنه ديونه سواء أوصى أم لم يوصِ، كرجل مات وعليه دين، إن وصى أو لم يوصِ فالدين يُقضى قبل توزيع التركة، قال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)﴾

(سورة النساء)

والدين مقدم.

حجة الفرض دين على الميت عند الشافعية والحنابلة

إذاً: الشافعية والحنابلة عدوا حجة الفرض ديناً على الميت، فإذا مات وعليه حج وجب أن يحج عنه من تركته، أوصى بذلك أو لم يوصِ، فإن لم يكن له تركة استحب لوارثه أن يحج عنه، ولكنه غير ملزم، وأغلب الظن من هو وارثه ؟ الابن من صلبه وكسبه، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ))

[النسائي عن عائشة رَضِي اللَّهُ عنها]

فاستحب لوارثه أن يحج عنه، واللغة العربية دقيقة، فإن حج عنه بنفسه أو أرسل من يحج عنه سقط الحج عنه، وهناك حالة ثالثة، لو يوصِ، وما ترك تركة، فعلى الوارث أن يحج عن أبيه أو يرسل من يحج عنه، وعندئذ تبرأ ذمة الميت من هذه الفريضة، حتى عند السادة الشافعية والحنابلة لو حج عنه أجنبي جاز، كصهره، وإن لم يأذن له الوارث فيصح أن يحج عنه أجنبي، والحجة صحيحة، وتبرأ ذمة الميت كما يقضي دينه بغير إذن الوارث، ولو كان لرجل عم أي والد زوجته، وعليه دين، والورثة جاهلون فذهب ودفع الدين عن عمه، هل هذا مقبول ؟ نعم مقبول، والسادة الشافعية والحنابلة مأخذهم هذا الحكم من تشبيه النبي الحج بالدين، فما دام النبي شبه الحج بالدين يقضى عنه من أجنبي إن أذن الوارث أو لم يأذن، وإن ترك تركة أو

لم يترك، وإن وصى أو لم يوصِ، فلذلك الإنسان الحريص على سلامة والده من المؤاخذة بعد الموت أن يحج عليه تبرعاً.

2 . أن تكون نفقة الحج من مال الآمر كلها:

والشرط الثاني أن تكون نفقة الحج من مال الآمر كلها، والآمر بالحج قد يكون وارثًا، وقد يكون الحاج نفسه وصيًّاً، كمشلول أوصى في حياته، فحج عنه إنسان في حياته، هذا اسمه الآمر، والآمر إما الإنسان نفسه المكلف بالحج، ولم يحج لمرض مزمن أصابه، أو الوصي، أو الوارث عن والده، فأَن تكون نفقة الحج من مال الآمر كلها أو أكثره عند الحنفية، سوى دم التمتع والقران، فهما على الحاج عندهم، أي هو كلفك أن تحج عنه، ولم يكلفك أن تتمتع تدخل بعمرة وتتحلل، وتعيش أنت عشرة أيام تغتسل وتتطيب، بل كلفك بحجة الفرض إفراداً لذلك دم التمتع الخمسة آلاف على الحاج، لا على الآمر بالحج، إلا الوارث إذا تبرع بالحج عن ميته، تبرأ ذمة الميت إذا لم يوص بالحج عنه.

ولو أخذنا أوسع حكم عند الشافعية، أوصى أو لم يوصِ، ترك مالاً أو لم يترك، أذن الوارث أو لم يأذن، فهي ست حالات، وارثه أو أجنبي عنه، هذا أوسع حكم عند السادة الشافعية والحنابلة.

وعند الأحناف يجب أن يوصي، انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

(سورة النجم)

أو الوارث لأنه من كسب الميت، فيجوز أن يحج عنه، أما الشافعية والحنابلة فقد أجازوا أن يتبرع بالحج عن الغير مطلقاً، كما يجوز أن يتبرع بقضاء دينه من أي شخص كان، وتبرأ ذمته.

ومرة قلت لكم: النبي عليه الصلاة و السلام مات أحد أصحابه فقبل أن يصلي عليه سأل أعليه دين ؟ قالوا: نعم، قال: صلوا على صاحبكم . لم يصلِ عليه . قال أحدهم: عليّ دينه، سأله في اليوم التالي أدفعت الدين ؟ قال: لا، سأله في اليوم الثالث أدفعت الدين ؟ قال: لا، سأله في اليوم الرابع أدفعت الدين ؟ قال: نعم، قال: الآن ابترد جلد صاحبك، ابترد جلده لا بالتعهد، بل بأداء الدين، لأن الشهيد الذي قدم نفسه في سبيل الله يغفر له كل ذنب إلا الدين.

3 . أن يحج عنه من وطنه إذا اتسع ثلث التركة:

ويشترط أن يحج عنه من وطنه، فهو من سكان دمشق يجب أن يحج عنه رجل من سكان دمشق، أما سوف نكلف رجلاً من مكة نعطيه ثلاثة آلاف يحج حجَّاً مختصراً، يحرم يوم عرفة، ويصعد إلى عرفة، ويجلس ربع ساعة وينزل، أو إنسان وكّل بالرمي، وانتهت العملية، وهذه ثلاثة آلاف، فهذا غير مقبول.

يشترط أن يحج عنه من وطنه إذا اتسع ثلث التركة، فإنْ ترك مئتي ألف، فثلث التركة ستون ألفًا، تكفي حجة إنسان من وطنه دمشق مثلاً، فيشترط أن يحج عنه من وطنه إذا اتسع ثلث التركة، وإن لم يتسع يحج عنه حيث يبلغ عند الحنفية والمالكية، فترك مئة ألف تكفيه ثلاثون ألفًا من عمان، فرجل له قريب من عمان، أو رجل من تبوك، بهذه الثلاثين من أين تكفي من دمشق أم من عمان أم من تبوك ؟ هذا عند الحنفية، أما عند الشافعية والحنابلة فيعتبر اتساع جميع مال الميت، لأنه دين واجب، فإذا كلَّفتْ الحجة مئة ألف نأخذها كلها إلى الحج، وهذا عند الشافعية.

ويوجد رأي معتدل يجب أن يحج عنه من الميقات، باتجاه دمشق الميقات هو رابغ، قبل جدة بمئتي كيلو متر، وهذا هو الميقات، أما الحنابلة فيصرون على أن ينوب عنه من بلده، فصار الحج من بلدك، أو الميقات، أو من أي مكان يسمح لك المبلغ بالحج عنه.

حكم المأمور بالحج عن الغير:

الموصي أو الوارث أعطى توجيهاً لشخص بذاته، فلا يقبل الحج إلا من هذا الشخص، فيجب أن يحج المأمور بنفسه، هكذا نص الحنفية والشافعية والمالكية.

فلو مرض المأمور، أو حبس، فدفع المال إلى غيره بغير إذن المحجوج عنه، لا يقع الحج على الميت، فرجل له ثقة بشخص، والثاني دينه رقيق، ولقد سمعت عن حج يحجُّه بعض الأخوة المقيمين في السعودية، فيصلي العصر في جدة يوم عرفات، ثم يركب سيارته، ويرى الطريق إلى مكة سالكًا، ولا يوجد أحد ولا سيارة، فيدخل إلى الحرم بمكة، والكعبة فارغة، لأنّ الكل في عرفات، فيطوف حول الكعبة في ثلث ساعة، ويسعى في ثلث ساعة ثانية، والطريق إلى عرفات سالك، ثم يصل إلى عرفات ويجلس، ثم تغيب الشمس ويرى الطريق سالكاً فيرجع ويرمي جمرة العقبة، ويوكل في الرمي، وانتهى الحج، أنا لي ثقة برجل ورع أعرفه، يؤدي الحج بشكل متقن، وسيبقى عشرة أيام أو عشرين يوماً، وهذا حج في ثلاث ساعات.

إذا أناب الموكل بالحج رجلاً ليحجَّ عن الميت لم يصح، ولو مرض المأمور، أو حبس، ودفع المال إلى غيره بغير إذن المحجوج عنه لا يقع الحج على الميت، والحاج الأول والثاني ضامنان نفقة الحج، يدفع الخمسين ألفاً، لأن شرط الموصي أن يحج فلان، إلا إذا قال الآمر: أنا وكلتك أن تحج عني وهذا المبلغ وأنت اصنع ما تشاء، فإذا لم تستطع ووكلتَ إنساناً صالحاً جاز، لإطلاق اليد، فيجوز للذي يحج عن الميت أن يوكل غيره بهذا الإطلاق، أما إذا وُجِد تقييد فلا يجوز.

4 . أن يحرم من الميقات بالحج والعمرة عن الشخص الذي يحج عنه ويذكر اسمه:

ومن شروط الحج عن الغير: أن يحرم من الميقات بالحج والعمرة عن الشخص الذي يحج عنه، ويذكر اسمه كما أمر به من غير مخالفة، لبيك حجةً عن فلان، أو لبيك حجة عن فلانة، اللهم تقبلها مني ويسرها لي، لبيك اللهم لبيك، وفي أثناء الإحرام يذكر اسم الذي يحج عنه، ولو أمره أن يحج مفرداً فقرن أو تمتع فهو مخالف وضامن لنفقة القران والتمتع.

5 . على المأمور أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً:

وتُشترك أهلية المأمور بصحة الحج أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً.

6 . لا يشترط أن يكون المأمور قد حجّ حجة الإسلام عند الحنفية و العكس عند الشافعية:

ولا يشترط أن يكون المأمور قد حجّ حجة الإسلام عند الحنفية، بل تصح هذه الحجة البدليّة، وتبرأ ذمة الميت مع الكراهة التحريمية، فالشخص الذي لا يعرف ولم يحج، وحج عن الغير نقول: هذا الحج فيه كراهة تحريمية، ولكن الحج سقط عن الميت، وإن كان قد ارتكب الكراهة التحريمية، من أين جاؤوا بهذا الحكم ؟ لأن الختعمية ما سألها النبي، بل قال لها: حجي عن أبيك، فلو أن إنساناً حج عن الغير، برأتْ ذمة الميت، سواء أكان حاجاً أو غير حاج، وإذا لم يحج وقع فيما يسمى بالكراهة التحريمية، إلا أن الشافعية والأحناف اشترطوا أن يكون الحاج عن الغير قد حج عن نفسه، والدليل استدلوا:

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ، قَالَ: أَخٌ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي، قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ، قَالَ: لا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ))

[أبو داود وابن ماجة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا]

فهذا الحديث يبين أنه ينبغي أن تحج عن نفسك أولاً.

أمّا حج النفل عن الغير، فمرة أخت كريمة سألتني عبر الهاتف أنها حجَّت الفرض، وقالت: إني مشتاقة للحج، وسوف أكتب عقد زواج صوري على رجل، وسأذهب معه إلى الحج لأنني مشتاقة إلى الكعبة، قلت لها: إنّ أقدس عقد في الأرض يُلعب به من أجل حجة نافلة ؟ أنت حججت حجة الفرض، فلا يجوز أن تستخدمي هذا الأسلوب في حجة نافلة.

هذه الشروط للحج الفرض، أما الحج النفل فلا يشترط فيها شيء ؛ إلا الإسلام، والعقل، والتمييز، والنية، وذلك لاتساع باب النفل، فإنه يتسامح في النفل ما لا يتسامح في الفرض، وهذا مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة، وأجازه المالكية مع الكراهة.

الحج فرض على كل مسلم:

ملخص هذا الموضوع المختصر أن الحج فرض، قال تعالى:

﴿ فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) ﴾

(سورة آل عمران)



فمن مكنه الله بصحته وماله أن يحج ولم يحج فهو في كفر جزئي ؛ أي كفر بهذه الفريضة، ومن استطاع أن يحج ولم يحج، فإن شاء مات غير مسلم فلا عليه ذلك، لأنه كفر وأوسع حكم شرعي أنّ الميت أوصى أو لم يوصِ، ترك تركة أم لم يترك، أذن الوارث أم لم يأذن، كان الحاج عنه وارثاً أو أجنبياً، فإنها تبرأ ذمته بحج الغير عنه، وهذا أوسع حكم شرعي، والأحناف قالوا: ينبغي أن يوصي أو يجزئه أن يحج عنه ابنه، أو وارثه، من ماله الشخصي، والحج أكمل من بلد الموصي، كرجل مقيم بالقاهرة فمن القاهرة، ومقيم بدمشق فمن دمشق، إلا إذا كان المبلغ قليلاً فالحج حينئذ من الميقات.

أحاديث عن الحج:

ثمَّة بعض الأحاديث عن الحج نختم بها الدرس، ونعود إن شاء الله تعالى إلى موضوعاتنا المتسلسلة، بعد الحج، ويكون الدرس القادم إن شاء الله تعالى بعد المغرب.

((سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ، قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا، قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا، قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ]

((مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ]

((الْحَجَّةُ الْمَبْرُورَةُ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ، وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا))

[النسائي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ]

((يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلا نُجَاهِدُ، قَالَ: لا لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[البخاري عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِي اللَّه عَنْهَا]

((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ))

[مسلم عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ]

يوم عرفة يوم العتق من النار، " اشهدوا يا ملائكتي أن عبادي جاؤوني شعساً غبراً، اشهدوا أني غفرت لهم، يغفر لهم ويلقي في روعهم أنه غفر لهم "، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام استشرف المستقبل، سوف يكون ملايين مملينة، وازدحام شديد:

((فقال عليه الصلاة والسلام بحكمة بالغة لِامْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ: مَا مَنَعَكِ أَنْ تَكُونِي حَجَجْتِ مَعَنَا ؟ قَالَتْ: نَاضِحَانِ كَانَا لأَبِي فُلانٍ زَوْجِهَا حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَكَانَ الآخَرُ يَسْقِي عَلَيْهِ غُلامُنَا، قَالَ: فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي))

[البخاري عَنْ ابن عباس رَضِي اللَّه عَنْهما]

من حج الفرض الأولى أن يكثر من العمرة ليفسح المجال للآخرين:

إذاً إذا حجَّ الإنسان فليفسح المجال لمن لم يحج، لأنه كما قلت لكم سابقاً: سجادة تتسع لخمسين مصلياً، يوجد عندنا ثلاثمئة إنسان، خمسون منهم لم يصلِّ الفرض، فإذا الإنسان حج الفرض مرة أو مرتين، فالأولى أن يكثر من العمرة، وهي على مدار السنة، وسمعت في مكة المكرمة أنهم جاؤوا بالخبراء من أمريكا لتنظيم

الحج، فدرسوا الوضع فوجدوا أربعة ملايين في كل سنة، فأعطوا خطة رائعة !!! أن يكون الحج كل شهرين في دورة، أي على ست دورات، هكذا خرجوا هذا الرأي !!!.

((فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي))

[البخاري عَنْ ابن عباس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا]

((كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَأَثَّمُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي الْمَوَاسِمِ فَنَزَلَتْ (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ))

[البخاري عَنْ ابن عباس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا]

فَتَأَثَّمُوا أي شعروا بحرج، وشعروا أنهم آثمون، فإذا كانت للإنسان تجارة معينة، وبعد أن انتهى الحج بحث عن مواد وشحنها، فلا يوجد مشكلة.

هذا الموضوع أنا اخترته، فإذا أحب إنسان أن يحج عن غيره، فليراجع نفسه إذا كان هناك أقارب، والد، والدة ما حجت، وما أوصت بالحج، فيجوز للابن أن يحج عن والدته، تركت أو لم تترك، أذنت أو لم تأذن، أوصت أو لم توصِ، أذن وارثها أو لم يأذن، فلابد من أن يحج عن الغير، وهذا هو الحكم الشرعي الواسع عند الشافعية والحنابلة، أما الأحناف فيجب أن يكون موصى، أو أن يحج ابنه عنه من دون إذن ولا وصية.

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : فتاوى خاصة بالحج

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال:

هو إنني و الحمد لله أديت فريضة الحج لهذا العام ، و لكن و بسبب انه ليس من السهولة أن يصح حج لأي إنسان بسبب كثرة العداد التي تريد الحج و قد ساعدني احد الأشخاص في جلب فيشة حج (و هي كما قلت صعبة جدا لعامة الناس) أي أوجدها بسبب معرفة شخصية(يعني بالواسطة) و يعلم الله أنها ليست برشوة أو غيرها وأنا متألمة نفسيا و خائفة أن يكون ذلك ليس من حقي ، و لكن الكل يقول أنها نصيبك و لو لم يكن الله كاتبلك إياها كان ما طلعتلك و أخشى أن لا يكون حج خالص لله تعالى.

فهل يوجد حرج من ذلك ، وهل الله يتقبل هذا الحج ؟.

الجواب:

إن كنت دفعت مالا فهي رشوة فاستغفري الله وحجك صحيح.

السؤال:

قد قرأت في الدرس الثاني من خبرات و إرشادات في الحج (في الموسوعة على موقع الانترنيت) أن لا مانع من درز الخيوط الخارجية للمنشفة منها شرط أن تكون سائبة... وقد أشكلت علي هذه العبارة حيث أنني قمت بثني أطراف الأزار و من ثم تم خياطتها على (الماكينة) فهل هذا في إشكال .

الجواب:

النهي عن لبس المخيط بالنسبة للمحرم , لا يعني أبدا النهي عن لبس ما عملت به الإبرة أو آلة الخياطة (كأطراف المنشفة ,والنعل ,والنطاق الجلدي....إلخ)وإنما المقصود بالنهي عن لبس المخيط ,ما خيط على هيئة الجسم من الثياب ,والله أعلم.

السؤال:

أود أنا أسألكم بشأن مشروعية حجة البدل , وهل هي وارده عن الرسول ؟؟

وإذا كانت مشروعة كيف يمكن الموازاة بينها وبين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...

وهل يجب أن يقوم بها أولاد المتوفى أم يمكن أن يوكل أحد الأشخاص بذلك أرجو شرح قدر الإمكان بهذا الموضوع.

الجواب:

الحج عن الغير أو ما يسمى بحج البدل نوعان:

1 . حج الفروع (الأبناء, البنات, أولادهم مهما نزلوا بنين وبنات) عن والد يهم (آباء, أمهات,أجداد , جدات) وهو محل اتفاق بين العلماء ولم يخالف فيه أحد لورود الأدلة الصريحة والصحيحة كحديث ابن عباس

((إن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فأحج عنه قال حجي عنه))

2 . الحج عن غير الوالدين, وهذه محل خلاف بين العلماء, فمن متوسع مجيز لذلك بقياس غير الوالدين عليهما, وغير مجيز وقف عند دلالة النصوص الواردة, وطبق القواعد العامة, في أن العبادات لا تقبل النيابة ,ولافتقار هذا العمل للنية.

وتوسط الإمام مالك رحمه, فأجاز الحج عن الميت إذا كان أوصى بذلك, لاعتباره الوصية بمثابة النية, ولعله الصواب إن شاء الله.

ولا تعارض بين ما قيل والحديث المذكور فهو استثناء من العموم بنص.

ولا بد من التذكير والتأكيد بأن الحج عن الغير سواء عن الوالدين أو غيرهما مشروط بأن المحجوج عنه لم يكن مفرطا وأن تركه الحج مع الاستطاعة كان لعذر شرعي.

السؤال:

إذا ذهب رجل مع زوجته لأداء مناسك العمرة، وأراد أن يأخذ أخت زوجته معه ويكون هو محرم لها هل يجوز ذلك .

الجواب:

فلا يجوز لأنه ليس محرما لها...

السؤال:

أنا شاب فلسطيني عمري 43 سنة اعمل تاجر ويوجد علي ديون وأنا مشتاق جدا لأداء فريضة الحج ولكن والحمد لله املك مجموعة من العقارات تزيد قيمتها عن ديوني فهل استطيع أن أؤدي فريضة الحج وشكرا لكم.

الجواب:

يجوز ذهابك لأداء الحج إن كان الدائنون لا يطالبونك بديونهم حالياً وأذنوا لك بالحج .

السؤال:

1 . ما حكم أداء عمرة في شوال ثم أداء فريضة الحج لسكان مكة هل عليه ذبح أم أن هناك خصوصية لأهل مكة ؟.

2 . ما حكم الأكل من الدم المذبوح لترك واجب(رمي الجمرات) ؟.

3 . ما حكم الاستمناء باليد بعد التحلل الأصغر (رمي و حلق) وقبل طواف الإفاضة ؟.

4 . هل تصح عمرة أهل مكة بالإحرام من بيوتهم دون الخروج إلى الحل ؟.

5 . إذا أردت ذبح دم لترك واجب فهل له وقت معين أم أن كل السنة متاح فيها الذبح لأهل مكة ؟.

6 . هل يجوز لأهل مكة ترك المبيت بمنى أيام التشريق ويوم التروية لعدم وجود مخيمات لهم والاضطرار إلى افتراش الطرق والأرصفة ؟.

الجواب:

1 . أهل مكة لا يحجون إلا مفردين، فلا يتمتعون ولا يذبحون لقوله تعالى:

(ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وأهل مكة من حاضري المسجد الحرام.

2 . دم الجبران لا يؤكل منه.

3 . من فعل ذلك فليتب وليستغفر الله.

4. أهل مكة يحرمون من بيوتهم، ومن العلماء من يقول إن أهل مكة لا عمرة عليهم، وإنما يكثرون من الطواف بالبيت.

5 . لا وقت له وإنما لا يكون إلا في الحرم، والمبادرة أفضل.

6 . إن اضطروا فلا حرج.

السؤال:

توفت والدتي دون أن تؤدي فريضة الحج، لضيق ذات اليد في البداية ثم لمرض عضال ألم بها فيما بعد. هل يمكنني تكليف أحد الشيوخ بالحج عنها في العام القادم لأني أديت فريضة الحج هذا العام وأخشى أن لا يمهلني القدر لأحج لها بعد عدة أعوام.

الجواب:

الحكم الشرعي أن تقوم أنت بالحج عن والدتك فاسع لهذا .

السؤال:

هل يجوز الحج كهيئة لحام أو حلاق بدفع الرشوة حتى يحصل على الموافقة ؟ .

الجواب:

لا يجوز ذلك ولا يتخذ الكذب والرشوة وهما حرام مطية لعبادة .

السؤال:

صديقة لي وهي ملتزمة ومتدينة ومن عائلة شريفة كانت على علاقة مع زميل لها وكانت العلاقة حميميه جدا لا تخلو من إمساك يد أو قبلة وذلك لأنه كان يمنيها بالزواج إلا أنها في كل مرة تلتقي به تعود فتتوب وتستغفر الله كثيرا وتقول لن أعود له وتحثه على خطبتها ثم حجت إلى بيت الله نادمة على ما فعلت في السابق وشرحت لزميلها هذا الأمر وأمرته أن يبتعد ولكن دون جدوى حتى أغواها مرة أخرى وقبلها عدة مرات الآن هي تقول أنها قطعت علاقتها به نهائيا ولم تعد تكلمه وقد هددته أو أن يتزوجها السؤال هل حجتها بطلت ولم تقبل منها ويجب عليها إعادتها وماذا تفعل لكي يتوب الله عليها وهي تشعر بالحسرة عندما ينادونها بالحجة وتعلم الكبيرة التي فعلتها بصراحة أنا بعد أن قلت لها أن حجتك لم تقبل ندمت فبماذا أجيبها ؟

الجواب:

الحجة صحيحة ، ولا حاجة لإعادتها ، وقد ارتكبت إثما بما فعلت ، وعليها التوبة... وشروط التوبة لتكون مقبولة: الإقلاع عن الذنب فورا . الندم والاستغفار . عقد العزم على عدم العودة للذنب.

السؤال:

أنا موظفة بشركة خاصة وإن أذن لي ربي وشاء أريد أن أذهب للعمرة هذا الصيف برفقة أخوتي ولكن بالنسبة لتكلفة هذه الرحلة كلما وفرت مبلغ من راتبي تأتي ظروف وأحتاجه. هل يجوز أن آخذ سلفة من الشركة لتغطية تكاليف الرحلة على أن أردهم على شكل أقساط شهرية ؟ سؤال آخر أنا بشرة وجهي حساسة بالنسبة للشمس هل يجوز وضع كريم واقي شمسي على وجهي أثناء أداء مناسك العمرة ؟.

الجواب:

الأول يجوز إن لم تكن السلفة ربوية ، والثاني يجوز إن لم يكون زينة أو له رائحة عطرية.

السؤال:

منذ سنتين تقريبا توجهت إلى الحج ولكن في بداية تأدية المناسك أتتني العادة الشهرية فأتممت الحج على انه لا يشترط الطهارة إلا في طواف الإفاضة ولكن حان موعد الرحيل ولم اطهر فسئلت بعض المشايخ فقالوا لي أن اغتسل وادخل الحرم وأطوف واخرج فورا ففعلت فهل هذا صحيح أم لا ؟!.

الجواب:

ليس هذا العمل صحيحا لأن الطواف لابد له من الطهارة، وليس الآن وقت السؤال بل كان عليك أن تسألي قبل الفعل. الأخت الكريمة: الطواف يحتاج إلى طهارة، إلا أنه يصح على مذهب الإمام مالك للمرأة المعذورة إن لم تتمكن من البقاء حتى الطهارة أن تطوف البيت، أسأل الله لك القبول.

السؤال:

لماذا عرفات بالذات تغفر فيه الذنوب ؟.

الجواب:

هذا شان الله ولا يقبل السؤال..

السؤال:

بإذن الله نحن ذاهبون للحج، ورئيس الفوج يعطينا تعليمات من ضمنها أن المبيت بمنى سيكون ليلة واحدة فقط (4 ساعات) وحسب ما قال أن المبيت بمنى هو سنة ليست بواجب فماذا تعلمونا حول مدة المبيت بمنى جزاكم الله خيراً.

الجواب:

المبيت في منى مبيتان: الأول مساء يوم الترويه، الثامن من ذي الحجة، ليلة عرفة والتوجه صباح التاسع من منى إلى عرفة. والثاني ليالي أيام التشريق وهي الأيام التي تلي يوم النحر (يوم العيد) يومان للمتعجل وثلاثة للمتأخر...والراجح أن الأول سنة والثاني واجب. لكن إن تعذر، بمفهوم التعذر الشرعي سقط ولاشيء على الحاج.

السؤال:

أريد معرفة لماذا عندما نعتمر يحلق الرجال شعورهم والمرأة تقص قليلاً من شعرها ما هي حكمة من ذلك ؟

الجواب:

هذا أمر تعبدي نفعله التزاماً بأمر الله وأمر رسوله برهاناً منا على محبتنا لله ورسوله إضافة إلى أن هذا الفعل تعبير مادي عن الخروج من النسك فقد كان محرماً قص الشعر أثناء الإحرام أما الرجل فيسن له حلق جميع شعره وأما المرأة فالشعر زينة لها فيكفيها التحلل .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس